أبو حاتم الرّازي

كتاب الزِّينة

معجم اشتقاقي في المصطلحات الدِّينيّة والثقافيّة

الجزء الثاني



حقَّقه وقدَّم له

سعيد الغانمي

منشورات الجمل

أبو حاتم الرازي

كتاب الزينة

الجزء الثاني



هذا الكتاب

ينتمي كتاب «الزِّينة» إلى الفترة اللُّغويَّة من حياة الداعية الإسماعيليّ أبي حاتم الرازي، قبل تفرُّغه الكامل إلى النَّشاط الدَّعوي. فقد تفتَّح الوعي النَّقدي اللُّغوي عند أبي حاتم الرازي في بغداد حينَ كانَ تلميذاً في حلقتي المبرِّد وثعلب، وحين انكبَّ على دراسة أعمال كبار اللُّغويِّين من طراز أبي عبيدة وابن السِّكِّيت وابن قتيبة. و«الزِّينة» معجم «اشتقاقي» فريد من نوعه في الثَّقافة اللُّغويَّة عند العرب، لأنَّ المؤلِّف فيه أراد متابعة المفرداتِ العربيَّة الجاهليَّة، وكيف استثمرَها الإسلام، من حيث هو حقبة ثقافيَّة ولغويَّة جديدة، لبناء منظومة معرفيَّة تستفيد من المادة اللُّغويَّة الجاهليَّة، وتتقاطع في الوقت نفسه مع مضامينها الآيديولوجيَّة. يتابع المؤلِّف في موسوعة «الزِّينة» الاشتقاقيَّة ما يزيد على ٣٢٠ مصطلحاً، يقدِّم أصولها الاشتقاقيَّة، ومعانيَها قبل الإسلام وبعده، رابطاً بين الشَّكل القديم والمضمون أو المحمول الفكريّ أو التصوُّري الجديد الذي أنجزه الإسلام. يوزِّع الكتاب مادَّته وفق حقول دلاليَّة تبدأ بأسماء اللّه الحسنى، وتمرُّ بالمصطلحات الدِّينيَّة الأخرى، مثل الكفر والنِّفاق والظُّلم والإيمان، ثمَّ المصطلحات الأخلاقيَّة والطقوسيَّة، وصولاً إلى المصطلحات الجاهليَّة في الميسر والقِداح والأزلام والأنصاب. جرى تحقيق الكتاب على عشر مخطوطات تتفاوت في قِدَمِها. وينطوي الكتاب على مقدّمة تحليليَّة لحياة المؤلِّف ومصادر الكتاب، وعلاقة كلٍّ منها بالمذهب الإسماعيلي.

ISBN 978-9933350895





أبو حاتم الرّازي: **كتاب الزّينة**، الجزء الثاني

كتاب الزِّينة

معجم اشتقاقي في المصطلحات الدِّينيَّة والثَّقافيَّة

تأليف:

أبي حاتم أحمد بن حمدان الرّازيِّ

المتوفَّى سنة ٣٢٢ هـ

الجزء الثاني

حقَّقه وقدَّم له

سعيد الغانمي

منشورات الجمل

أبو حاتم الرّازي: كتاب الزِّينة، الجزء الثاني، الطبعة الأولى
حقّقه وقدّم له: سعيد الغانمي

تلفون وفاكس: ٣٥٢٣٠٤ ١ ٠٠٩٦١
ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

[١٧٧]
النَّبيُّ

قالَ أبو عُبَيدة: أصلُ الحرفِ هو مهموزٌ، من: نبأتُ، وأنبأتُ، ولكنَّ العربَ تركتِ الهمزَ فيه، وفي أحرفٍ غيرِهِ: مثل[١] «البريَّة» مِن «برأَ» اللّهُ الخلقَ، و«الذُّريَّة» مِن «ذرأَهم»، وفي أحرفٍ أخر، قالوا: الخابية، بغيرِ همزٍ، وهي مِن «خبأتُ»[٢]. قالَ الكسائيُّ والفرّاءُ: النَّبيُّ[٣] والنُّبوَّةُ غيرُ مهموزَين. ويُقالُ منه: تنبَّأتُ. ويُقالُ إنَّ أصلَ النَّبيِّ الطَّريقُ. قالَ الكسائيُّ: إنَّما سُمِّيَ الطَّريقُ «نبيّاً» لأنَّه ظاهرٌ مستبينٌ[٤]، وهو منَ النَّبْوَة، والنَّبْوَة، مثلُ النَّجْوةِ، وهما المكانُ المرتفعُ. قالَ: ولم أجدْ أحداً من العربِ يهمزُ النَّبيَّ، ولا الذُّريَّةَ ولا البريَّةَ. وذلك أنَّ الذُّريَّةَ فيما يرى من «ذروتُ» أو «ذريتُ»، والبريَّة من «بريتُ العودَ».

قالَ أبو عبيد[٥]: يذهبُ الكسائيُّ إلى أنَّهما لو كانا من «ذرأَ» اللّهُ الخلقَ و«برأهم» لكانا مهموزَينِ. قالَ أبو عبيد: ورُوِيَ عنِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ حديثٌ في تركِ الهمزِ إن كانَ محفوظاً. قالَ: حدَّثنا محمَّد بن ربيعةَ عن حمزةَ الزيّاتِ عن حمرانَ بنِ أعين قالَ: قالَ رجلٌ: يا نبيءَ اللّهِ، قالَ: لستُ بنبيءِ اللّهِ، ولكنِّي نبيُّ اللّهِ[٦]. وقالَ غيرُهُ: هذهِ المعاني جميعاً متقاربةٌ، لأنَّ النَّبْوَة ما ارتفعَ من الأرضِ. فكأنَّ اللّه عزَّ وجلَّ رفعَ النَّبيَّ في الرُّتبةِ والمنزلةِ، فصارَ فوقَ الناسِ في الفضيلةِ، كما ارتفعتِ النَّبْوَة فوقَ ما يليها من الأرضِ. وإن كانَ مأخوذاً من

---

(١) مثل: زيادة من هـ.
(٢) إصلاح المنطق لابن السكيت ص ١٥٩، ونقل الرأي عن أبي عبيدة. ونقله أبو عبيد عن أبي عبيدة في الغريب المصنف ٣/ ٦٨٤. وانظر: الزاهر ٢/ ١٢٢، واشتقاق أسماء اللّه للزجاجي ص ٢٩٣.
(٣) في ب: النبوة النبي.
(٤) هكذا في ل وم وأخواتها، وفي ب: مستنير، وفي هـ: متبين.
(٥) في هـ: أبو عبيدة.
(٦) الزجاجي: اشتقاق أسماء اللّه ص ٢٩٤.

الطَّريقِ، فلأنَّ النَّبيَّ قدوةٌ للنّاسِ[١] به يهتدونَ من الضَّلالةِ، فهو طريقُ النَّجاةِ[٢]، وبه الهدايةُ، كما أنَّ النّاسَ ينجونَ بالطَّريقِ، إذا ضلُّوا في مفازةٍ أو غيرِها، وبالطَّريقِ يهتدونَ. فالنَّبيُّ بمنزلةِ الطَّريقِ الذي يُهتدى بِهِ.

وإن كانَ من «نبَّأتُ» أو «أنبأتُ»، فهو الذي أنبأَ الناسَ ونبَّأهم، أي أخبرَهم عن اللّهِ عزَّ وجلَّ، وعرَّفهم[٣] ما أرادَ اللّهُ منهم من الطّاعةِ له في إقامةِ حدودِهِ، والارتداعِ[٤] عنَ المعاصي، والكفِّ عن المحارمِ، وأخبرَهم عن اللّهِ عزَّ وجلَّ ما أرادَ اللّهُ منهم من الطّاعةِ في إقامةِ الحلالِ والحرام والأمرِ والنَّهي. فاتَّفقتْ هذه المعاني كلُّها، وقَرُبَ بعضُها من بعضٍ. ويُقال: نبّأه وأنبأَهُ: لغتانِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿مَن أنبأكَ هذا قالَ نبَّأني العليمُ الخبيرُ﴾ [التحريم: ٣]، فأتى باللُّغتينِ جميعاً. وقالَ الشّاعر: [الوافر]

وأنبأَهُ المنبِّئُ أنَّ حيّاً حلولاً من حرامٍ أو حزامِ[٥]

وقالَ أوس: [الكامل]

نُبِّئتُ أنَّ بني سُحَيمٍ أدخلوا أبياتَهم تامورَ نفسِ المنذرِ[٦]

والنَّبيُّ ما ارتفعَ من الأرضِ. قالَ عَدِيٌّ: [البسيط]

ولا تحلُّ نبيَّ البِشرِ قبَّتُهُ تسومُهُ الرُّومُ أن يعطوه قِنْطارا[٧]

فالنَّبيُّ ما ارتفعَ من الأرضِ. والبِشْرُ موضعٌ بعينِهِ. وقالَ عديٌّ[٨] أيضاً في صفةِ سَحاب: [الوافر]

---

(١) في ب: من الناس.
(٢) في ل كانت في الأصل: طريق من النجاة، ثم شطبت من، وكذلك في ب، وفي م وأخواتها وهـ: إلى النجاة.
(٣) في ب: فهم.
(٤) في ب: والإيزاع.
(٥) للنابغة الذبياني في ديوانه ص ١٣٤، باختلاف قليل.
(٦) جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٥٣٩، غريب الحديث لابن قتيبة ١/١٦٩، ديوان أوس بن حجر ص ٤٧.
(٧) ديوان عدي بن زيد العبادي ص ٥٣، ونبي البشر: كثيب رمل مرتفع في ديار تغلب.
(٨) في ك: وقال الشاعر أيضاً.

فـروّى قُـلّـةَ الأرحـالِ[١] وبْـلاً　　　ففـلـجـاً فـالـنّـبـيَّ فـذا كـريـبِ[٢]

والنَّبيُّ: موضعٌ، سُمِّيَ بذلك لارتفاعِهِ.

ويُقال: نبا عن الشّيءِ، ينبو عنه، إذا ارتفعَ. وقالَ آخرُ: [الخفيف]

إنَّ جنبي عـن الـفـراشِ لَـنـابـي　　　كـتـجـافـي الأسـرِّ فـوقَ الـظِّـرابِ[٣]

وقالَ أوس: [المتقارب]

عـلـى الـسَّـيِّـدِ الـصَّـعْـبِ لـو أنَّـه　　　يـقـومُ عـلـى ذروةِ الـصّـاقـبِ[٤]

لأصـبـحَ رَتْـمـاً دِقـاقَ الـحـصـى　　　مـكـانَ الـنَّـبـيِّ مـنَ الـكـاثـبِ

يقولُ هذا السَّيِّد لو قامَ على الصّاقبِ، وهو جبلٌ، لرتمَهُ، أي كسرَهُ، حتّى يصيرَ دقاقَ الحصى، فكانَ كمكانِ النَّبيِّ، ممّا[٥] ينبو من النّوى إذا دُقَّ، فيتطايرُ عن مدقِّه[٦]. وأنشد أبو عُبَيدة للقطاميّ: [البسيط]

لـمـا وردْنَ نـبـيّـاً واسـتـتـبَّ بـنـا　　　مُسْحَنْفِرٌ كخطوطِ السَّيحِ مُنسحلُ[٧]

نبيٌّ هاهنا: طريقٌ، ومسحنفر: بيِّنٌ واضحٌ، ومنسحل: ممتدٌّ طويلٌ بيِّنٌ، والسَّيح: الماءُ الجاري. شبَّهَ الطَّريقَ بانسحالِ الماءِ وانصبابِهِ.

---

(١) فروى: في ب: فرق، وفي ك وهـ: الأدخال.

(٢) لم يرد في ديوان عدي بن زيد العبادي.

(٣) لغلفاء بن الحارث بن آكل المرار الكندي في الوحشيات ص ٣٣ب، وبلا نسبة في غريب الحديث ١/ ٥٨٤، والمعاني الكبير ١١٩٥. والأسر: البعير إذا حفي، والظراب: رأس الجبل الصخري.

(٤) البيت الثاني في غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٨٥، وديوان أوس بن حجر ص ١١، برواية أخرى.

(٥) هكذا في هـ، وفي ب ول: ما.

(٦) ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٨٥، وشرحه المبرد في التعازي والمراثي ص ٣٥ بقوله: لو دافع الجبلَ العظيمَ لأصبح الجبل رتماً كظهر النَّبيِّ، وهو رمل بعينه، من الكاثب، أي كمكان هذا من هذا.

(٧) ديوان القطامي ص ٢٧.

[١٧٨]

المرسَل

المرسَلُ: المطلَقُ المحلولُ. والإرسالُ: الحلُّ. قالَ امرؤُ القيسِ: [الطويل]

غدائرُهُ مُسْتَشْزِراتٌ إلى العُلى   تُضلُّ العقاصَ في مُثنَّىً ومُرسَلِ[١]

يصفُ شعرَ امرأةٍ بالطُّولِ، أي يضلُّ العقاص بين المثنَّى فيه والمرسَلِ، والمُثنَّى: المضفور منه. يُقال: ضفرَهُ: إذا ثناه ونسجَهُ كهيئةِ ما يُضفَرُ من[٢] شعرِ المرأةِ. والضَّفيرةُ: الذُّؤابةُ. والمرسلُ: ما كانَ محلولاً مطلقاً لم يُضفَرْ. وإرسالُهُ: حلُّهُ. يُقال: أرسلَ كلبَهُ للصَّيدِ، إذا حلَّهُ وأطلقَهُ، وكذلك يُقال في جميعِ الجوارحِ، إذا حُلَّتْ وأُطلِقَتْ للصَّيدِ. يُقال: أرسلَ الصَّقرَ والبازيَّ، إذا فعلَ ذلك. وكأنَّ النَّبيَّ المرسَلَ هو الذي قد أطلقَ اللّهُ له أن يُقيمَ السُّنَنَ والأحكامَ، وأن يُحرِّمَ ويُحلِّلَ، فهو بمنزلةِ المطلَقِ.

ويكونُ المرسلُ من الرِّسالةِ، أي بُعِثَ[٣] بالرِّسالةِ. ويُقال: أرسلتُ إليه رسولاً برسالةٍ. قالَ لبيد: [الرمل]

وغـلامٍ أرسلـتْـهُ أمُّـهُ   بألوكٍ فبذلْنا ما سألْ[٤]

وكلُّ[٥] الأنبياءِ قد بعثَهم اللّهُ عزَّ وجلَّ إلى خلقِهِ بالرِّسالاتِ، فمنهم أنبياءُ مرسلونَ، وأنبياءُ غيرُ مرسلينَ. فالفرقُ بين النَّبيِّ والمرسَلِ ما قد بيَّناه. كأنَّ الذي ليسَ بمرسلٍ هو الذي ليسَ له أن يُحِلَّ شيئاً ويحرِّمَهُ، بل يقتدي بمن تقدَّمَهُ من الأنبياءِ في شرائعِهم. والنَّبيُّ المرسَلُ الذي قد أطلقَ اللّهُ عزَّ وجلَّ له أن يُحِلَّ ويُحرِّمَ، كما أطلقَ لمحمَّدٍ صلّى اللّهُ عليهِ ولغيرِهِ من المرسلينَ، مثل موسى وعيسى وغيرِهما أن ينسخوا ما شاءوا، ويُحلُّوا ويُحرِّموا، وكلُّ ذلكَ كانوا يفعلونَهُ بأمرِ اللّهِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿بل عِبادٌ مُكرَمونَ لا يسبقونَهُ بالقولِ وهم بأمرِهِ يَعملونَ﴾

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ١٧.

(٢) زيادة من م وأخواتها وهـ.

(٣) في ب: بعثوا.

(٤) ديوان لبيد، ص ١٧٨.

(٥) في ب: وكذلك.

[الأنبياء: ٢٧]. وقد كانَ منهم مَن قد أعطاه اللّهُ هذه الفضيلةَ، وخصَّه بها دونَ غيرِهِ، فيُسمَّى «مرسَلاً».

والرَّسولُ يكون بمعنى الرِّسالةِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فقولا إنّا رَسولُ ربِّ العالَمينَ﴾ [الشعراء: ١٦]. قالَ المفسِّرونَ: أي إنّا رسالةُ ربِّ العالمينَ[١]. ولو لم يُرِدِ الرِّسالةَ والمصدرَ لقال: «إنّا رَسولا ربِّ العالمينَ». وقالَ النابغة: [الطويل]

نصحتُ بني عوفٍ فلم يتقبَّلوا رَسولي ولم تنجحْ لديهم وسائلي[٢]

رسولي: رسالتي. والرَّسولُ يكون بمعنى الجمعِ. قالَ أبو ذؤيب: [المتقارب]

أَلِكْني إليها وخيرُ الرَّسولِ أعلمُهُ بنواحي الخَبَرْ[٣]

خيرُ الرَّسولِ: أرادَ خيرَ الرُّسُلِ[٤]، وهو في معنى الجمعِ، وهو كقولك: هو كبيرُ الدِّينارِ والدِّرهمِ، تريدُ به الدَّنانيرَ والدَّراهمَ. ونواحي الخبرِ يريدُ حروفَ الكلامِ. فالرَّسولُ والمرسَلُ هو أفضلُ من النَّبيِّ، الذي هو غيرُ مرسَلٍ بدرجةٍ.

[١٧٩]
البشير والنَّذير

قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ في صفةِ محمَّدٍ صلّى اللّهُ عليهِ ﴿إنّا أرسلناكَ شاهداً ومُبشِّراً ونذيراً﴾ [الأحزاب: ٤٥]. وبهذا وصفَ الأنبياءَ عليهم السَّلام، وسمّاهم «مُبشِّرينَ» و«مُنذِرينَ»، أي أنَّهم كانوا يبشِّرونَ بالجنَّة، وينذرونَ بالنّارِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وأبشِروا بالجنَّةِ التي كُنتم تُوعَدونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، وقالَ ﴿فأنذرتُكم ناراً تَلَظّى﴾ [الليل: ١٤]. وقد جاءَ هذا في القرآنِ في مواضعَ كثيرةٍ. والمبشِّرُ والبشيرُ مأخوذٌ من البُشرى، والبُشرى هو الخبرُ السّارُّ. وإنَّما قيلَ له «بُشرى» لأنَّه أُخِذَ من البشارةِ، وهو الجمالُ والنُّضرةُ. يُقال: بشَّرَ اللّهُ وجهَهُ، ورجلٌ بشيرُ الوجهِ، أي حَسَنُهُ ومضيئُهُ. قالَ الأعشى: [مجزوء الكامل]

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٧٨.

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ١٤٣، وفيه: (فلم يتقبلوا وصاتي).

(٣) ديوان الهذليين ١/ ١٤٦.

(٤) الزاهر لابن الأنباري ١/ ١٢٨.

ورأتْ بـأنَّ الـشَّـيـبَ جـا نـبَهُ البشاشةُ والبشارةْ[1]

فالبشارةُ: الحُسْنُ، والبشيرُ: الحَسَنُ. وقالَ: [الطويل]

بعينيك تنظارُ إلى كلِّ هودجٍ وكلِّ بشيرِ الوجهِ حرٍّ مسافرُهْ[2]

فالمبشِّر والبشيرُ أُخِذَ من ذلك، لأنَّه يبشِّرُ بالخيرِ، فيفرحُ منه الإنسانُ، ويتهلَّلُ وجهُهُ، ويضيءُ منه ويحسنُ.

والبشيرُ أيضاً في كلامِ العربِ هو الذي يتقدَّمُ القومَ في طَلَبِ[3] الماءِ والطَّريقِ والكلأِ. فإذا وجدَ الذي يطلبُهُ، أشارَ بسيفٍ أو ثوبٍ أو ترسٍ فوق مرقبةٍ، ليراه أصحابُهُ فيستبشروا. وقالَ الشّاعرُ: [المتقارب]

أرِقْتُ لَهُ مثلَ لَمْعِ البشيرِ قلَّبَ بالكفِّ فَرْضاً خفيفا[4]

يصفُ البرقَ، شبَّهَهُ بلمعانِ التّرسِ الذي يشيرُ به البشيرُ. والفرضُ: التّرسُ، ويقال: القَدَحُ. وقالَ آخرُ: [الكامل]

حتّى إذا لمعَ البشيرُ بثوبِهِ صبَّ الرُّواةُ[5] لهنَّ كلَّ بلالِ

يعني إذا لمعَ البشيرُ بثوبِهِ، علموا أنَّه قد وجدَ[6] الماءَ، فصبُّوا ما معَهم للإبلِ[7] حتّى تشربَ. وقالَ الرّاعي: [المتقارب]

إذا وضعتْه كسا فرجَها وثوبَ البشيرِ إذا تخطرُ[8]

يصف ذَنَبَ ناقةٍ، شبَّهَهُ بثوبِ البشيرِ إذا خطرتْ به لكثرةِ شعرِهِ.

ويُقال: بَشَرْتُ الرَّجُلَ بالأمرِ، فأنا أبشرُهُ به. ويُقال أيضاً: يبشِّرُ، بالتَّشديد. وقد جاءتِ اللُّغتانِ جميعاً في القرآنِ. قالَ الكسائيُّ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿إنَّ اللّهَ

---

(١) ديوان الأعشى ص ٧٦.

(٢) ديوان القطامي ص ٩٢. وفي ب وم وأخواتها وهـ: مشافره.

(٣) هكذا في م وأخواتها وهـ، وفي ب ول: بطلب.

(٤) لصخر الغي في ديوان الهذليين ٢/ ٦٩، وأشعار الهذليين بشرح السكري ص ٢٩٥.

(٥) في م وأخواتها: السقاة.

(٦) في ب وم وأخواتها: وجدوا الماء.

(٧) هكذا في ل وهـ، وفي ب: فضموا ما معهم من الإبل.

(٨) ديوان الراعي النميري ص ١٠٣، وقد ورد الشطر الثاني فقط.

يُبَشِّرُكَ بيحيى﴾ [آل عمران: ٣٩] قالَ: قرأها أصحابُ[١] عبدِ اللّهِ بن مسعود في خمسةِ مواضعَ بالتَّخفيفِ، منها موضعانِ في آلِ عمرانَ، والتي في بني إسرائيلَ، والتي في الكهفِ، والتي في حم عسق. وسائرُ القرآنِ بالتَّشديد. قالَ: وهي لغةٌ قرشيَّةٌ، وكذلك تكلَّمتْ بها كنانة[٢]، يُقال: بشَرتُ الرَّجُلَ، فأنا أبشرُهُ، وهل أنتَ باشرُنا بكذا وكذا؟ فإذا جاءَ من هذا شيءٌ على وجهِ الأمرِ، فإنَّ اللُّغةَ العاليةَ عندَ العربِ بالألفِ، كقولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وأبشروا بالجنَّةِ التي كُنتم تُوعَدونَ﴾. ويُقال في الكلامِ: قل لفلانٍ فليُبشِرْني بكذا. وأمّا أبو عمرو فإنَّه كان يشدِّدُ «يبشِّر» في جميعِ القرآنِ، إلّا في حم عسق، فإنَّه كانَ يخفِّفُ، وذلك لأنَّه كانَ يذهبُ في ذلك الحرفِ إلى معنى البُشرى، يذهبُ إلى البشارةِ، وهي الجمالُ والنُّضرةُ.

فهذا ما جاءَ في المبشِّر والبشيرِ. فكأنَّه سُمِّيَ «بشيراً» و«مبشِّراً» لأنَّه علمَ من أمورِ الآخرةِ، وما أعدَّ اللّهُ لأوليائِهِ من الكرامةِ في الجنَّةِ ما لم يعلمْهُ المؤمنونَ، فبشَّرَهم به، فصارَ لهم بمنزلةِ هذا البشيرِ، الذي يتقدَّمُ القومَ في طلبِ الماءِ، فيلمعُ[٣] بثوبِهِ، فيستبشرونَ، أي يفرحونَ[٤] وتضيءُ وجوهُهم من الفرحِ.

والنَّذيرُ والمُنذِر: الذي ينذرُ بالنّارِ. وينذرُ معناه يحذِّرُ، ويتقدَّمُ في تحذيرِهم من الأمرِ[٥] قبلَ أن يقعوا فيه، ويبصِّرُهم ما خفيَ عليهم من ذلك. قالَ[٦] اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فأنذرتُكم ناراً تَلَظّى﴾، أي حذَّرتُكم وتقدَّمتُ بالتَّحذيرِ قبلَ أن تقعوا فيها، وعرَّفتُكم ما خفيَ عليكم منها. ومنه قيلَ في المثلِ «قد أعذرَ من أنذرَ»[٧]، أي قد أعذرَ من حذَّرَ[٨] وقدَّمَ القولَ فيه. ومنه يُقال: نذرَ بهم: إذا علمَ بمجيئِهم. وقالَ

---

(١) أصحاب: سقطت من ب.
(٢) هكذا في ل، وفي ب وم وأخواتها: تكلم بها كتابه. وفي هـ: وكذلك تكلم بها في بعض كتابه. وأضاف في ك وخ: وهي لغة كنانة.
(٣) في ب: فبلغ.
(٤) هكذا في هـ، وفي ب ول: فيستبشروا، ويفرحوا.
(٥) من الأمر: سقطت من ب.
(٦) في ب: قول اللّه.
(٧) الأمثال لأبي عبيد ص ٢٢٦.
(٨) في ب: من جرم.

المفسِّرونَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿أو لم نعمرّكم ما يتذكَّرُ فيه مَن تذكَّرَ وجاءَكم النَّذيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]، قالَ: النَّذيرُ: الشَّيبُ[١]، لمّا كان الشَّيبُ بين يَدَي الموتِ والهرمِ، جعلَهُ[٢] اللّهُ نذيراً ينذرُ بالموتِ. قالَ عَدِيٌّ في هذا المعنى: [الخفيف]

وابيضاضُ السَّوادِ من نُذَرِ الشَّرِّ   وهـلْ بـعـدَهُ لأُنـسٍ نَـذيـرُ[٣]

فجعلَ الشَّيبَ نذيراً لأنَّه يُعلِمُ بالموتِ والفناءِ وتغييرِ الحالِ. وقد جاءَ التبشيرُ بالعذابِ، ولم يجئْ في الإنذارِ بالجنَّةِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فبشِّرْهم بعذابٍ أليمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]. قالَ أبو حاتم: سألتُ ثعلب[٤] عن هذا فقالَ: هذا على جهةِ الاستعارةِ، أي ما يقومُ لهم مقامَ البشارةِ، وأنشدَ:

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ   تحيَّةُ بينِهم ضربٌ وجيعُ[٥]

فجعلَ التَّحيَّةَ للضَّربِ، أي ما يقومُ مقامَ التَّحيَّةِ، على جهةِ الاستعارةِ. وقالَ غيرُهُ: هو على جهةِ الوعيدِ والتَّهديدِ[٦]. وليستْ هاهنا بُشرى، ولكنَّه على طريقِ الوعيدِ، كما يُقال للرَّجُلِ: أبشرْ بالخزيِ، وأبشرْ بالذُّلِّ. ومثلُهُ قولُهُ عزَّ وجلَّ ﴿قُلْ تمتَّعوا فإنَّ مصيرَكم إلى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، ليسَ هذا أمراً، إنَّما هو وعيدٌ. ومثلُهُ في القرآنِ كثيرٌ.

[١٨٠]

الخليل

قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿واتَّخذَ اللّهُ إبراهيمَ خليلاً﴾ [النساء: ١٢٥]، فقيلَ لإبراهيمَ «خليل اللّه». ويُروى عن جعفر بن محمَّد رضيَ اللّهُ عنه أنَّه قالَ: اتَّخذَ

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/١٦٨، وتفسير غريب القرآن ص ٣٦٢.
(٢) في ب: وجعله.
(٣) الاختيارين للأخفش الأصغر ص ٧٠٥، وديوان عدي بن زيد العبادي ص ٨٥. وفي ل: من نذير. وفي هـ: لحي.
(٤) في أغلب الأصول: ثعلباً، وقد أردت توحيدها.
(٥) البيت لعمرو بن معدي كرب في العمدة ٢/٢٩٢، وخزانة الأدب ٤/٥٥، وشعر عمرو بن معدي كرب ص ١٤٩.
(٦) النص من «قال أبو حاتم» إلى هنا زيادة من م وأخواتها وهـ، لم يرد في ب ول.

اللّهُ إبراهيمَ عبداً قبل أن يتَّخذَهُ نبيّاً، واتَّخذَهُ نبيّاً قبل أن يتَّخذَهُ رسولاً، واتَّخذَهُ رسولاً قبل أن يتَّخذَهُ خليلاً. فلمّا اتَّخذَهُ عبداً ونبيّاً وخليلاً، قالَ ﴿إنّي جاعلُكَ للنّاسِ إماماً﴾ [البقرة: ١٢٤]. فمِن عِظَمِ شأنِ الإمامةِ عندَهُ ﴿قالَ ومنْ ذُرِّيَّتي قالَ لا ينالُ عَهْدي الظّالمينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

والخليلُ في كلامِ العربِ[١] يكونُ على معانيَ. يُقالُ: الخليلُ الصّاحبُ. قالَ أميرُ المؤمنينَ عليٌّ عليه السَّلام في ابنِ ملجمٍ: [الوافر]

أريدُ حباءَهُ ويريدُ قتلي ... عذيركَ من خليلِكَ من مُرادِ[٢]

يريدُ بالخليلِ هاهنا الصّاحبَ. قالَ امرؤُ القيسِ: [المديد]

وخليلٍ قد أصاحبُهُ[٣] ... ثمَّ لا أبكي على أثَرِهْ[٤]

يكونُ الخليلُ هاهنا الصّاحبَ، ويكونُ الصَّديقَ. يقول: أفارقُ خليلَ سوءٍ، فلا أبكي على فراقِهِ. أي أنا جليدٌ[٥]، فما أكثرَ مَن أُفارِقُهُ. وقالَ امرؤُ القيسِ أيضاً: [الطويل]

خليليَّ مرّا بي على أمِّ جُندُبِ ... لنقضيَ حاجاتِ الفؤادِ المعذَّبِ[٦]

يعني صاحبيه. وقالَ آخرُ[٧]: [الطويل]

بأصدقَ بأساً من خليلِ ثمينةٍ ... وأمضى إذا ما أفلطَ القائمَ اليدُ[٨]

خليلُ ثمينةٍ: هي أرضٌ قُتِلَ فيها المرثيُّ[٩]. والخليلُ: الصَّديق. قالَ أبو ذؤيب: [الطويل]

---

(١) العرب: سقطت من ب.
(٢) ديوان عمرو بن معدي كرب ص ١١١.
(٣) أصاحبه: هكذا في ب ول، وفي م وأخواتها وهـ: أفارقه.
(٤) ديوان امرئ القيس ص ١٢٦.
(٥) الجليد: المصطبر.
(٦) ديوان امرئ القيس ص ٤١. والرواية فيه: نقض لبانات الفؤاد.
(٧) في م وأخواتها زيادة: هو ساعدة بن جؤية.
(٨) لساعدة بن جؤية في اللسان ٢/ ١٣٤ مادة (ثمن). وأفلط: فاجأ، وفي ب ول: أفرط. وانظر: ديوان الهذليين ١/ ٢٤٠.
(٩) في م وأخواتها وهـ: المزني.

خليلي الذي دلّى لغيٍّ خليلتي جهاراً وكلٌّ قد أصابَ غرورُها[1]

فخليلُهُ صاحبُهُ، وخليلتُهُ صديقتُهُ. يُقال: خليلٌ بيِّنُ الخُلَّةِ، بضمِّ الخاء، وهي الصَّداقة. قالَ لبيد: [الكامل]

واقطعْ لُبانةَ مَن تعرَّضَ وصلُهُ ولَشَرُّ[2] واصلِ خُلَّةٍ صَرّامُها[3]

يقولُ: مَن تعرَّضَ وصلُهُ، يعني لم يستقمْ وصلُهُ، وأخذَ على غيرِ الطَّريقِ فاقطعْه. ويُقال: بعيرٌ فيه عرضيَّةٌ، أي لا يُواتيكَ. وقالَ الأصمعيُّ: يقولُ أحسنُ النّاسِ وصلاً أوضعُهم للصَّرمِ في موضعِهِ، ومَن لا يحسنُ أن يصرمَ في موضعِ الصَّرمِ، لا يحسنُ أن يصلَ. وقالَ غيرُهُ: مَن لم يعرفْ شرَّ ما يُولى لم يعرفْ خيرَ ما يُولى[4]. ومن الأمثالِ: كلُّ ألوفٍ نَفُورٌ.

والخلّان: النُّدماءُ والأصحابُ، واحدُهم خليلٌ. قالَ: [الرجز]

فارتاحَ للخُلّانِ والخلائلِ

والخلائلُ من النِّساءِ: الحبائب. وقالَ أوس: [المنسرح]

خانتْكَ ميّةُ ما علمتَ كما خانَ الإخاءَ خليلَهُ لُبَدُ[5]

لُبَد: نسرُ لُقمانَ، وهو آخرُ نسورِهِ السَّبعة، أي حينَ جاءَ أَجَلُهُ مضى، وخالفَ ظنَّ لقمانَ، لأنَّه فيما يُقال لمّا كانَ في آخرِ عمرِهِ قالَ له: انهضْ، فعجزَ عن النُّهوضِ.

والخليلُ: الفقيرُ. والخَلَّةُ، بفتحِ الخاء، الفقرُ. قالَ زُهَير: [البسيط]

وإن أتاهُ خليلٌ يومَ مسألةٍ يقولُ لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ[6]

وفي المَثَلِ: الخَلَّةُ تدعو إلى السَّلَّةِ[7]، أي الفقرُ يدعو إلى السَّرقةِ، والسَّلَّةُ: السَّرقة. ويُقال: خللتُ الشَّيءَ، أي نظمتُهُ. قالَ: [الطويل]

---

(١) ديوان الهذليين ١/ ١٥٤، وأشعار الهذليين بشرح السكري ص ٢٠٩.
(٢) في ب ول وم وأخواتها: ولخير، وسقط الشطر الثاني من هـ.
(٣) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص ٣٠٣.
(٤) سقطت الجملة من ل وب.
(٥) ديوان أوس بن حجر ص ٢٢.
(٦) ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب ص ١٢٠.
(٧) في ل: المسألة، وفي ك وهـ: النار. وانظر المثل في لسان العرب، مادة (خلل).

وقد خلَّها قِدحٌ صويبٌ معرَّدُ[1]

أي نظمَها. ويُقال: خلَّ الرَّميَّةَ بالسَّهمِ أو الرُّمحِ، وذلك أن ينظمَهُ. والخللُ: الماءُ الجاري بين الشَّجَرِ. وتخلَّلَ القومَ: دخلَ بينَهم وتوسَّطَهم. قالَ طَرَفة: [الطويل]

وتبسمُ عن أَلْمى كأنَّ مُنَوَّراً تخلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعصٌ له نَدي[2]

فالخليلُ ينصرفُ على هذه المعاني. فأمّا في قولِه «إبراهيم خليل اللّه» فقد تقرُبُ[3] منه هذه المعاني كلُّها. وتأوَّلوا في ذلك على وجوهٍ يكونُ بمعنى الصَّديق والصّاحب، وبمعنى المحتاجِ. سمعتُ بعضَ أهلِ العلمِ يقولُ: اتَّخذَ اللّهُ إبراهيمَ خليلاً، أي أفقرَهُ إلى نفسِهِ من بينِ الخلائقِ، فلم يكنْ محتاجاً إلى أحدٍ سواه. قالَ: وهو معنى قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ لرسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ ﴿وتبتَّلْ إليهِ تبتيلاً﴾ [المزمل: ٨]، أي انقطعْ إليه عن الخلائقِ، ولا تتَّصلْ بأحدٍ من المخلوقينَ فتلتجئَ[4] إليه، بل تكونُ ملتجئاً إلى اللّهِ عزَّ وجلَّ.

فالخليلُ أفضلُ من الرَّسولِ بدرجةٍ، كما أنَّ الرَّسولَ والمرسَلَ أفضلُ من النَّبيِّ بدرجةٍ. وكما أنَّ إبراهيمَ كانَ خليلَ اللّهِ لانقطاعِهِ إليه، وتسليمِهِ له، فكذلك محمَّدٌ صلّى اللّهُ عليهِ كانَ متبتِّلاً إليه، مسلِّماً له صلّى اللّهُ عليهِ.

[١٨١]

الإمام

الإمام: الذي يُؤتَمُّ به، ويُقتدى بقولِهِ وفعلِهِ، وهو القدوةُ والمثالُ، وهو المتبوعُ والمأمومُ. قالَ النّابغة: [الوافر]

إلى صَعْبِ المقادةِ مُنذريٍّ نَماهُ في فروعِ المجدِ نامِ[5]

---

(١) لساعدة بن جؤية في ديوان الهذليين ٢٤١/١، والبيت فيه:
فجال وخال أنه لم يقعْ به وقد خله سهم صويب معردُ

(٢) ديوان طرفة بن العبد ص ٨.

(٣) هكذا في ل وم وأخواتها وهـ، وفي ب: تعرف.

(٤) في الأصول: ملتجئاً.

(٥) ديوان النابغة الذبياني ص ١٣٦، وصدر الأول فيه: إلى صعب المقادة ذي شريس.

أبـوهُ قـبـلَـهُ وأبـو أبـيـهِ بنوا مجدَ الحياةِ على إمامِ

قوله: على إمامٍ، أي على مثالٍ من آبائِهم، فهم يقتدونَ به، وقد تقدَّمَ لهم في ذلك مَن مثّل لهم فعلَ الخيرِ وابتناءِ المجدِ، فهم يحتذونَ على مثالِهم. وقالَ لبيد: [الكامل]

من معشرٍ سَنَّتْ لهمْ آباؤُهم ولـكـلِّ قـومٍ سُـنَّـةٌ وإمـامُـهـا[1]

يقولُ: سنَّ لهم آباؤُهم سُنَّةً فهم يحتذونَ على مثالِهم وسُنَّتِهم، وإمامُها: مثالُها، وردَّ الهاءَ على السُّنَّةِ. قالَ الباهليُّ: إمامٌ يقتدونَ به في الأمرِ. وقالَ آخرُ: [الكامل]

وتأمَّلِ السِّبتَ الذي أحذوكمُ وانظرْ فمثلَ إمامِهِ فاحذوني[2]

قالَ أبو عُبَيدة في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿يومَ ندعو كلَّ أُناسٍ بإمامِهم﴾ [الأسراء: ٧١]، أي بالذي اقتدوا به وجعلوه إماماً. قالَ: ويجوزُ أن يكونَ بكتابِهم[3]. قالَ أبو عمرو في قولِهِ ﴿وجَعَلناهم أئمَّةً يَدْعونَ إلى النّارِ﴾ [القصص: ٤١]: والإمامُ يكونُ في الخيرِ والشَّرِّ.

والإمام: المِطْمَر، وهو الحبلُ الذي يُقوَّم عليه البناءُ[4]. قالَ الشّاعر: [الطويل]

وخَلَّقتُهُ حتّى إذا تمَّ واستَوى كـمُـخَّـةِ ساقٍ أو كَـمَـتْـنِ إمامِ[5]

خلَّقتُهُ: ملَّستُهُ، يعني سهماً. والأخلقُ: الأملسُ، شبَّهَهُ في استوائِهِ بمتنِ إمامٍ، وهو المطمرُ.

والإمامُ: النِّظامُ، أيضاً، الذي يؤلِّفُ بين المختلفينَ، ويجمعُ بين المتفرِّقينَ. قالَ لبيد: [الوافر]

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص ٣٢٠.

(٢) لبدر بن عامر في مخاطبة أبي العيال الهذلي في ديوان الهذليين ٢/ ٢٦٢. والسبت: النعل المدبوغة. يقول: بمثل ما مدحتكم ينبغي أن تمدحوني.

(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣٨٦.

(٤) ابن قتيبة: غريب الحديث ٣/ ٧٢٦.

(٥) نسبه ابن قتيبة للراعي في غريب الحديث ٣/ ٧٢٦، وشكك محقق ديوان الراعي في نسبته له، انظر: ديوان الراعي النميري ص ٣١٠.

وكـنـتَ إمـامَـنـا ولـنـا نِـظـامـاً وكـانَ الـجـزْعُ يُـحـفَـظُ بـالـنِّـظـامِ[1]

فكما أنَّ النِّظامَ يحفظُ الجزعَ، ويؤلِّفُ بين الجزعِ والخرزِ، ويمنعُها من أن تنتشرَ أو تتبدَّدَ، كذلك الإمامُ يحفظُ أهلَ الجماعةِ على سُنَّةِ الرَّسولِ صلّى اللّهُ عليهِ من أن ينتشروا أو يتبدَّدوا أو يتفرَّقوا أو يضيعوا. ولا يستغنونَ عنه طرفةَ عينٍ، كما لا يستغني الخرزُ عن النِّظامِ، وإلّا ضاعَ وتبدَّدَ إذا انقطعَ النِّظامُ.

ويُقال للأميرِ «إمام». وأنشدَ للهذليِّ: [الطويل]

فـشـبَّ لـهـا مـثـل الـسِّـنـانِ مـبـرَّأً إمـامٌ لـنـادي دارِهـا وأمـيـرُهـا[2]

فكأنَّ الإمامَ أُخذَ[3] من «أمَّه، يؤمُّه»، إذا قصدَهُ، والأمُ: القصدُ، ورجلٌ أمٌّ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ولا آمِّينَ البيتَ الحرامَ﴾ [المائدة: ٢]، أي قاصدينَ، والبيتُ المأمومُ هو المقصودُ. قالَ عمرو بن قميئة: [المنسرح]

يا لهفَ نفسي على الشَّبابِ ولم أفـقـدْ بـه إذ فـقـدتُـهُ أَمَـمـا[4]

وفي مَثَلٍ للعربِ «لو ظلمتَ ظلماً أمماً»، قالَ معناه: لا ينبغي أن تظلمَ ظُلماً أمماً، ولا غيرَهُ. والآمّة: الشَّجَّةُ التي بلغتْ أمَّ الدِّماغِ. وهي الجلدةُ التي تضمُّ الدِّماغَ، والأميمُ والمأمومُ هو الذي قد شُجَّ حتّى بلغتْ شجَّتُهُ أُمَّ الدِّماغِ. فكأنَّ الإمامَ سُمِّيَ «إماماً» لأنَّه نظامٌ للنّاسِ، وقصدٌ لهم، ومثالٌ يحتذونَ على قولِهِ، ويأتمرونَ[5] بأمرِهِ. وكانَ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ إمامَ الخلائقِ[6] من يومِ بعثَهُ اللّهُ إلى يومِ القيامةِ، لأنَّهم كلَّهم يقتدونَ بقولِهِ وفعلِهِ، ويتمثَّلونَ ما سنَّهُ لهم، وهو قدوةٌ لهم يحتذونَ على فعلِهِ، ويقتدونَ بسُنَّتِهِ، فهو قد نظمَهم، وألَّفَ بينَهم، وأمرَهم بالاجتماعِ على ما سنَّهُ. فمَن اجتمعَ بعدَهُ على ما سنَّهُ فهو من أهلِ السُّنَّة والجماعةِ، ومَن خالفَ منهاجَهُ، وابتدعَ وتفرَّقَ في الأهواءِ والمذاهبِ، فهو من

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص ٢٠٩.
(٢) لساعدة بن جؤية، ديوان الهذليين ٢/ ٢١٥.
(٣) أخذ: زيادة من ب ول، سقطت من م وأخواتها وهـ.
(٤) ديوان عمرو بن قميئة ص ٤٨.
(٥) في ك وهـ: يأتمون.
(٦) في ل: الخلق.

أهلِ البدعةِ والفرقةِ. ضالُّونَ مُضِلُّونَ. فهو إمامٌ لأهلِ السُّنَّة والجماعةِ، به يُدعَونَ يومَ القيامةِ، وإليه ينتسبونَ. ومَن خالفَ منهاجَهُ، ولم يأتمَّ به، فليسوا منه[1]، ولا هو لهم بإمام. فلزمَهُ اسمُ الإمامةِ صلّى اللّهُ عليهِ. فهو إمامٌ[2] ونبيٌّ ورسولٌ وبشيرٌ ونذيرٌ وخليلٌ وشاهدٌ. وكلُّ هذه الصِّفاتِ قد لزمتْهُ، وقد وُصِفَ بها. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿إنّا أرسلناكَ شاهداً ومبشِّراً ونذيراً وداعياً إلى اللّهِ بإذنِهِ وسِراجاً مُنيراً﴾ [الأحزاب: ٤٥- ٤٦]، وقالَ: ﴿لتكونوا شُهداءَ على النّاسِ ويكونَ الرَّسولُ عَلَيكم شَهيداً﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقالَ ﴿محمَّدٌ رسولُ اللّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقالَ ﴿ومبشِّراً برسولٍ يَأتي مِن بَعدي اسمُهُ أحمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وقالَ ﴿الذينَ يتَّبعونَ الرَّسولَ النَّبيَّ الأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقالَ ﴿وأنَّه لمّا قامَ عبدُ اللّهِ يَدعوهُ كادوا يكونونَ عليه لِبَداً﴾ [الجن: ١٩].

ورُوِيَ عن جعفر بن محمَّد عليه السَّلام أنَّه قالَ إنَّ النَّبيَّ صلّى اللّهُ عليهِ قالَ إنَّ لي في القرآنِ سبعةَ أسماءٍ؛ محمَّد وأحمدُ وطه ويس والمزمِّل والمدَّثر وعبدُ اللّهِ. ويُروى عن أبي جعفر محمَّد بن عليّ عليه السَّلام أنَّه قال إنَّ لرسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ وآله اثني عَشَرَ[3] اسماً؛ منها في القرآنِ خمسةُ أسماءٍ، وسبعةٌ ليستْ في القرآنِ. فأمّا التي في القرآنِ فمحمَّد وأحمدُ وعبد اللّه ويس ونون، وأمّا التي ليستْ في القرآنِ فالفاتحُ والخاتمُ والماحي والكافّ والمعقِّب والمقفِّي والحاشر. يعني بالفاتحِ الذي فتحَ اللّهُ به الإسلامَ، والخاتم خاتمَ الأنبياءِ، والماحي محا اللّهُ ما كان قبلَهُ من الشِّركِ، والكافّ أُرسِلَ إلى النّاسِ جميعاً كافَّةً، والمعقِّبِ عقَّبَ به الأنبياءَ، والمقفِّي قفَّى على أَثَرِ الأنبياءِ، والحاشرِ الذي يحشرُهم يومَ القيامةِ[4]. وفي حديثٍ آخرَ أنَّه سُمِّيَ عليه السَّلام العاقبُ والحاشرُ والماحي[5].

---

(١) فليسوا منه: سقطت من ب.

(٢) في م وأخواتها توجد زيادة هنا: لأهل السنة والجماعة.

(٣) في ب: اثنا عشر.

(٤) حديث لي خمسة أسماء في غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٣٠٢، وانظر تخريجاته هناك.

(٥) الجملة من «وفي حديث آخر» زيادة من ل وم وأخواتها، لم ترد في ب. وانظر حول أسماء النبي: الدين والدولة لعلي بن ربن الطبري ص ٨٢، ودلائل النبوة للأصفهاني ص ٦١.

فهذه[1] الأسماءُ كلُّها قد وُصِفَ بها رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ، ودُعِيَ بها، فمنها ما هي مشهورةٌ يُعرَفُ معناها مثل النَّبيِّ والرَّسولِ والخليلِ والبشيرِ والنَّذيرِ، وهي[2] نعوتٌ له قد تفرَّدَ ببعضِها دونَ سائرِ الأنبياءِ، مثلَ الخاتمِ والحاشرِ، ومنها ما قد اشتركَ معه بعضُ الأنبياءِ دونَ بعضٍ، مثلَ الرَّسولِ والخليلِ، ومنها ما قد اشتركَ معه الأنبياءُ كلُّهم دونَ النّاسِ، مثلَ النَّبيِّ والدّاعي والسِّراجِ والشَّهيدِ، ومنها ما اشتركَ معه فيها الأُمَّةُ كافَّةً، مثلَ أحمدَ ومحمَّدٍ وعبدِ اللّهِ، ومنها ما يَخفى معناها، ولا يعلمُها إلّا الرّاسخونَ في العلمِ ومَن أعطاه اللّهُ علمَ ذلك، مثل طه ويس ونون[3]، ومنها ما اشتركَ معه الأولياءُ الذينَ لم يُذكَروا بالنُّبوَّةِ، مثلَ الإمامِ والدّاعي والشّاهدِ والشَّهيدِ. وخُصَّ هو صلّى اللّهُ عليهِ من بينِ جميعِ النّاسِ، ومن بينِ الأنبياءِ والأصفياءِ ببعضِها[4] دونَ النّاسِ، تشريفاً له وفضلاً أعطاه اللّهُ، وخصَّهُ بِهِ من بين ولدِ آدمَ، صلّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ تسليماً.

[١٨٢]
النَّقيب

يُقال: نقيب، ونقباء، والنُّقباءُ: الأمناءُ[5] والكُفَلاءُ على قومِهم. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وبَعَثنا مِنْهُم اثني عَشَرَ نَقيباً﴾ [المائدة: ١٢]، يعني كلَّ رجلٍ كفيلاً أميناً على سبطِهِ. وفي الحديثِ أنَّ النَّبيَّ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم قالَ للأنصارِ ليلةَ العقبةِ، وكانوا سبعينَ رَجُلاً: أخرجوا إليَّ منكم اثني عَشَرَ نقيباً، يكونونَ كُفَلاءَ على قومِهم. فاختاروا اثني عَشَرَ نقيباً، فقالَ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم: أنتم كفلاءُ على قومِكم بما فيهم ككفالةِ الحواريِّينَ لعيسى، وأنا كفيلٌ على قومي. قالوا: نعم[6].

---

(١) في ب: فبهذه.
(٢) في ب: وهو نعوت.
(٣) نون: زيادة من م وأخواتها.
(٤) في م وأخواتها زيادة هنا: وتفرد ببعضها.
(٥) في ب: الأنبياء.
(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٠٤، البداية والنهاية ٣/ ٤٣٦ (نقلاً عن ابن إسحاق)، تاريخ الطبري (معارف) ٢/ ٣٦٣، أنساب الأشراف ١/ ٢٥٣.

وفي حديثٍ لأبي ذرّ رضوانُ اللّهِ عليه أنّه قالَ للقومِ الذينَ حضروا وفاتَهُ: أنشُدُكم اللّهَ والإسلامَ أن يُكفِّنَني رجلٌ منكم كانَ أميراً أو عَريفاً أو بَريداً[١] أو نَقيباً[٢]، كأنّه كرِهَ أن يكونَ كفنُهُ من كسبِ مَن تولّى إمارةً.

وقالَ أبو عُبَيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وبعثنا منهم اثني عَشَرَ نقيباً﴾ [المائدة: ١٢]، قالَ: النَّقيبُ: الضّامنُ[٣] الكفيلُ الأمينُ على القومِ[٤]. قالَ الكسائيُّ أو الفرّاء، أو أحدُهما، يُقال منه: نقبتُ، أنقبُ، نِقابةً، وهو فوقَ العريفِ. ويُقال من العريفِ: عرفتُ عليهم عرافةً، وهم النُّقباءُ والعرفاءُ والمناكبُ، واحدُهم: منكبٌ، وهو العونُ يكونُ مع العريفِ[٥].

قالَ أبو زيد: نقبَ فلانٌ على قومِهِ، ينقُبُ، نِقابةً، ونكبَ ينكبُ، وعرفَ، يعرفُ، عِرافةً[٦]. قالَ الأصمعيُّ: نكبَ فلانٌ على قومِهِ، ينكبُ، إذا كانوا يعتمدونَ[٧] عليه[٨]. قالَ ابنُ قُتَيبة: النِّكابة هي العِرافة، والاسم: المنكب. ويُقال المنكبُ عونُ العريفِ[٩]. قالَ أبو عمرو في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿نقَّبوا في البلادِ﴾ [ق: ٣٦] طافوا وتباعدوا[١٠]. وأنشدَ لامرئ القيس: [الوافر]

وقد نَقَّبتُ في الآفاقِ حتّى ... رضيتُ مِنَ الغنيمةِ بالإيابِ[١١]

---

(١) هكذا في ل وب وغريب الحديث، وفي م وأخواتها وهـ: نذيراً.
(٢) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ١٩٦. وخبر وفاة أبي ذر في تاريخ الطبري (الأعلمي) ٤/ ٥٠، والشافي في الإمامة للشريف المرتضى ٤/ ٢٩٨، ورجال الكشي ص ٣١، والبداية والنهاية ٥/ ٣٩٤، وشرح نهج البلاغة ٨/ ١٩٩.
(٣) في ب: الضامن من.
(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ١٥٦.
(٥) نقله أبو عبيد في الغريب المصنف ١/ ١١٢ عن الفراء.
(٦) أبو عبيد: الغريب المصنف ١/ ١١٢.
(٧) في ب: يعضدون.
(٨) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ١٩٧.
(٩) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ١٩٧.
(١٠) ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص ٤١٩.
(١١) تفسير الطبري ٢٦/ ٢٠٤، ديوان امرئ القيس ص ٩٩.

قالَ غيرُهُ: فكذلك المنقِّب، يُبعِدُ النَّظَرَ في الأمورِ حتّى يرى[1] غايتَها وما بَعُدَ منها.

ويُقال: نقبَ، ونقَّبَ: إذا استخرجَ الأسرارَ والغيوبَ فلم يخطئ.

ويُقال: وردَ الماءَ نقاباً، إذا أتاه متعسِّفاً، فوردَ وسطَهُ، ولم يأتِ عن يمينِهِ ولا عن يسارِهِ.

ويُقال: رجلٌ نقيبٌ ونِقابٌ: إذا كانَ فَطِناً يستخرجُ الأمورَ الخفيَّةَ الملتبسةَ على النّاسِ. وأنشدَ لأوس: [المتقارب]

سجيحٌ نجيحٌ أخو مأقطٍ ... نِقابٌ يحدِّثُ بالغائبِ[2]

ويُروى: نجيحٌ مليحٌ. والمليحُ: الذي يُستشفى برأيِهِ. وفي الحديثِ: قُرَيش ملحُ هذه الأمَّةِ، علمُ عالِمِهم طباقُ الأرضِ. ملحُ النّاسِ: أي يُستشفى برأيِهم. وروى الأصمعيُّ بيتَ أوسٍ (نِقاباً) بالنَّصبِ، لم يجعلْهُ نعتاً، بل جعلَهُ[3] مصدراً. أرادَ يحدِّثُ بالغائبِ نِقاباً. ورُوِيَ بالرَّفعِ، جعلَهُ نعتاً، أي هو نقابٌ، يظنُّ الشَّيءَ فيصيبُ بظنِّهِ، ويستخرجُ برأيِهِ. ومثله لأوس أيضاً: [المنسرح]

الألمعيُّ الذي يظنُّ بكَ الظنَّ ... كأنْ قد رأى وقد سمعا[4]

الألمعيُّ: التّامُّ الكاملُ الذي يظنُّ الشَّيءَ فيصيبُهُ، كأنَّه قد عاينَ ورأى وسمعَ. ويُروى عن عُمَر قالَ: لا يصيبُ برأيٍ مَن لا يصيبُ بظنٍّ. وفي الحديثِ: كانَ عُمَر نِقاباً، يعني أنَّه كانَ يفطنُ للأمورِ، ويبحثُ عنها حتّى يستخرجَها، ويصيبَ الصَّوابَ منها، فلا يُخطئُ. ويُروى أنَّ فلاناً ناحَ على قتلى بدرٍ، فقال: [الوافر]

ذريني أصطبحْ يا بكرُ إني ... رأيتُ الموتَ نقّبَ عن هشامِ[5]

---

(١) في م وأخواتها: يدرك.
(٢) الأمثال لأبي عبيد ص ١٠١، ديوان أوس بن حجر ص ١٢.
(٣) نعتاً بل جعله: سقطت من ب.
(٤) ديوان أوس بن حجر ص ٥٣.
(٥) البيتان من قطعة طويلة في أبيات كثيرة: السيرة النبوية ٢/ ٢٨. والشاعر هو أبو بكر شداد بن الأسود بن شعوب الليثي، أنساب الأشراف ١/ ٣٠٧، ورسالة من نسب من الشعراء إلى أمه في نوادر المخطوطات ١/ ٩٣، ورسالة الغفران للمعري ص ٤٢١، والبداية والنهاية ٣/ ١٢٤ (نقلاً عن ابن إسحاق)، وفي أبيات كثيرة من دون نسبة في رسائل المعري ١/ ١١٤، وبلا =

فنقّبَ عن أبيكِ وكانَ قَرْماً   مِنَ الأقوامِ شُرّابِ المدامِ

قالَ ابنُ قُتيبةَ الدِّينَوَريُّ[1]: نقّبَ: بحثَ عنه حتّى أبانَهُ. وقالَ الطِّرمّاح: [الخفيف]

نقَّبتْ عنهمُ الحروبُ فذاقوا   بأسَ مستأصلِ العِدى مُقتاضِ[2]

نقَّبتْ: بحثتْ وفتَّشتْ عنهم. ويُقال: اقتاضَ بيضتَهُ، أي استأصلَها، والمنقِّبُ: المستخرجُ. قالَ عَلْقَمَة: [الطويل]

خفى [الفأرَ][3] من أنفاقِهِنَّ كأنَّما   تجلَّلَهُ شُؤبوبُ غيثٍ مُنقِّبِ[4]

غيثٌ منقِّبٌ: الذي يُخرِجُ الفأرَ من جحرِهِ. ونَقِبَ خفُّ البعيرِ: إذا حَفِيَ. والنَّقَبُ: أشدُّ الحفاءِ، وهو أن يحفى حتّى يصيرَ فيه حجرٌ. قالَ الكُمَيت: [الخفيف]

لا أُبالي إذا أُنِخنَ إليهِمْ   نَقَبَ الخُفِّ واعتراقَ السَّنامِ[5]

والمناقبةُ: المعاينةُ والمحاذاةُ والمساواةُ[6]. ويُقال: داري تناقبُ دارَ فلانٍ، أي تنظرُ إليها. ويُقال: لقيتُهُ مناقبةً، أي مواجهةً ومعاينةً. ورجلٌ ميمونُ النَّقيبةِ، أي مرزوقٌ مظفَّرٌ أينَما توجَّهَ. والمناقبُ: الفضائلُ والمحاسنُ، واحدُها: مَنْقَبَة.

فكأنَّ النَّقيبَ مأخوذٌ من حيث إنَّه صاحبُ الفضائلِ والمحاسنِ والمناقبِ، وهو الذي ينقبُ السِّترَ عن الغائبِ، فيستخرجُهُ، وهو ذو رأيٍ وإصابةٍ، فلذلك يُختارُ ويُفضَّلُ. والعريفُ: العارفُ، «فعيل» في معنى «فاعل». قالَ الشّاعر: [الكامل]

= نسبة في رسائل الشريف المرتضى ٣/ ٢٢٧، وتلبيس إبليس ص ٧٢، وللنضر بن الحارث في أخلاق الوزيرين ص ٣٨١. ولمقيس بن صبابة في شرح نهج البلاغة ١٨/ ١١، وبلا نسبة في شرح النهج أيضاً ١/ ١٢٧. ولبحير بن عبد الله القشيري في جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٣٤٤، وله في أبيات كثيرة في الحور العين ص ٢٤٥.

(١) هكذا في م وأخواتها، وفي هـ: الدينوي، وفي ب: الدرابي، وفي ل: الدزائي.
(٢) ديوان الطرماح ص ١٧٧. ورواية الديوان: مبتاضِ.
(٣) الفأر: زيادة من ديوان علقمة. وفي الأصول: خفاهنَ من أنفاقهن.
(٤) ديوان علقمة الفحل ص ٢٧.
(٥) ديوان الكميت ص ٥١١.
(٦) في ب: والمواساة.

أفكلَّما وردتْ عكاظَ كتيبةٌ بعثوا إليَّ عريفَهم يتوسَّمُ[(١)]

كأنَّه هو الذي يعرِّفُهم. يُقال: عريفُ القومِ، إذا كانَ والياً عليهم. وفي الخبرِ كانَ الزّبرقان بن بدر عريفَ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ على صَدَقاتِ عوفٍ والأبناءِ. فالعريفُ: الرَّئيسُ. قالَ علقمةُ:

بل كلُّ قومٍ وإن عزُّوا وإن كثروا عريفُهم بأثافي الشَّرِّ مرجومُ[(٢)]

فالعريفُ دونَ النَّقيبِ، والنَّكيبُ دونَ العريفِ، كأنَّه منكبٌ للعريفِ، كما يُقال: هو عضدٌ له، أي معينٌ له، وهو ظهرٌ له، أي سندٌ له، وهو عينٌ له، أي رقيبٌ له، تُشَبَّهُ هذه المراتبُ بالأعضاءِ، التي هي عونٌ للبدنِ.

[١٨٣]

الحواريّ

قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿إذ قالَ الحواريُّونَ يا عيسى بنَ مريمَ﴾ [المائدة: ١١٢]، وقالَ ﴿قالَ مَن أنصاري إلى اللّهِ قال الحواريُّونَ نحنُ أنصارُ اللّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]. قالَ بعضُ أهلِ التَّفسير: الحواريُّونَ هم صفوةُ الأنبياءِ[(٣)]. وحواريُّ الرَّجُلِ: خاصَّتُهُ وبِطانَتُهُ وخيرتُهُ. وحواريُّو عيسى: صفوتُهُ وخاصَّتُهُ، وكانوا اثني عَشَرَ[(٤)] رجلاً، وهم أنصارُ الأنبياءِ. قالَ الضَّحّاك: كانوا قصَّارينَ[(٥)]. وقالَ ابنُ عبّاس: سمُّوا بذلك لبياضِ ثيابِهم، وكانوا صيّادينَ للسَّمَكِ[(٦)]، وكانوا تلاميذَهُ، وكانَ أفضلَهم شمعونُ الصَّفا عليه السَّلام. قالَ أبو عبيد: والأصلُ في هذا فيما بلغنا أنَّهم كانوا غسّالينَ، وإنَّما سمُّوا «حواريِّين» لتبييضِهم الثِّيابَ. وكلُّ شيءٍ بيَّضتَهُ فقد حوَّرتَهُ. فكانوا هم أنصارَ عيسى دونَ سائرِ النّاسِ. فقيلَ: قالَ الحواريُّونَ، وفعلَ

---

(١) لطريف العنبري في الديباج ص ١٤٩، الأصمعيات ص ١٢٧، البيان والتبيين ٢/ ٧٤، الاختيارين ص ١٨٩، العقد الفريد ٥/ ١٩٧.

(٢) ديوان علقمة الفحل ص ٦٥. وقد سقط البيت وما قبله من ب.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٩٥، تفسير الطبري ٣/ ٣٣٦، غريب القرآن للسجستاني ص ٧٤.

(٤) في ب: اثنا عشر.

(٥) تفسير الطبري ٣/ ٣٣٥، غريب القرآن للسجستاني ص ٧٤.

(٦) في م وأخواتها: صيادي السمك.

الحواريُّونَ. فكَثُرَ هذا في الكلامِ حتّى صارَ كأنّه اسمٌ معناه النُّصرة[١]. وهذا ممّا يدخلُ من كلامِ النّاسِ بعضُهُ في بعضٍ، كما سُمِّيَ «الغائط»، وأصلُهُ الصَّحراءُ المطمَئِنَّة، فكانَ[٢] الرَّجُلُ يأتيها لقضاءِ حاجتِهِ، فيقولُ «أتيتُ الغائطَ»، فكثُرَ ذلك حتّى صارَ «غائطُ الإنسانِ»، يُسمَّى بذلك الاسم. وكذلك «الحواريُّونَ» لمّا كانوا يُوصَفونَ بالنُّصرةِ لعيسى، صارَ هذا [اللَّقبُ][٣] كالنَّعتِ لهم. وكذلك كلُّ قائمٍ بنصرةٍ فهو «حواريٌّ». ومنه حديثُ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم: «لكلِّ نبيٍّ حواريٌّ، وحواريَّ الزُّبَيرُ»[٤].

قالَ أبو عُبَيدة[٥]: الحواريّاتُ من النِّساءِ: اللَّواتي ينزلنَ الأمصارَ، ولا ينزلنَ البواديَ[٦]. قالَ أبو عبيد[٧]: ولا أرى هذا إلّا من البياضِ أيضاً[٨]. وأنشدَ أبو عبيدةَ لأبي جلدةَ اليشكريِّ: [الطويل]

وقلْ للحواريّاتِ يبكينَ غيرَنا ... ولا يبكِنا إلّا الكلابُ النَّوابحُ[٩]

قالَ أبو عبيد[١٠]: يذهبُ بالحواريّاتِ إلى نساءِ الأمصارِ، لأنَّ عندَهنَّ من البياضِ ما ليسَ عند غيرِهنَّ. وأنشدَ: [الرجز]

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٢٥١، بقليل من الاختلاف. وانظر الرأي نفسه في العين للفراهيدي ٣/ ٢٨٨.
(٢) في ب: فكأن.
(٣) زيادة منا لم ترد في الأصول.
(٤) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٢٥٠، سنن ابن ماجة (١٢٢)، العثمانية للجاحظ ص ١٢٣، تفسير الطبري ٣/ ٣٣٦.
(٥) في ب: أبو عبيد.
(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٩٥.
(٧) في ك وهـ: أبو عبيدة.
(٨) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٢٥٠.
(٩) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٩٥، غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٢٥٠، تفسير الطبري ٣/ ٣٣٦، الزاهر ١/ ١٢١، الأغاني ١١/ ٢٠٩. وانظر شعر أبي جلدة في «شعراء أمويون» ص ٣٣٧، وقد تقدم التعريف بالشاعر.
(١٠) هكذا في ل، وفي ب وم وأخواتها وهـ: أبو عبيدة.

لـمّـا تـضـمَّـنـتُ الـحـواريّـاتِ قـرّبـتُ أحـمـالاً قـريـشـيّـاتِ[1]

قالَ أبو عمرو: الحَوَرُ: شدَّةُ بياضِ بياضِ العينِ[2]، وشدَّةُ سوادِ سوادِها[3].

وقالَ غيرُهُ: الحواريُّ: المتنظِّفُ في دينِهِ، وإنَّما ذلك من «حوَّرتُ الثَّوبَ»: غسلتُهُ وبيَّضتُهُ، واحورَّتِ القِدْرُ: إذا ابيضَّ لحمُها قبل أن ينضجَ. قالَ عمرو بن قميئة: [المتقارب]

فَتُصبِحُ في الـمـحْلِ مـحـورّةً لـفـيءِ إهـالـتِـهـا كـالـظِّـلالِ[4]

يصفُ القِدْرَ. محورّةٌ: بيضاءُ من الدَّسمِ.

والحَوَرُ: البياضُ. والحواريّات: ربّاتُ القرى الحِسانِ. وأنشدَ للأخطل: [الطويل]

حـواريَّـةٌ لا يـدخـلُ الذَّمُّ بيتَـهـا مُـطـهَّـرةٌ يـأوي إلـيـهـا مُـطـهَّـرُ[5]

وقالَ آخرُ: [الطويل]

ولستُ عـراقيّاً فأحرثَ ضيعةً ولا بـحـواريٍّ فـآخـذَ دِرْهَـمـا

ويُقال: الحواريُّ: المجاهدُ، وكلُّ مجاهدٍ في حسبتِهِ[6]، متجرِّدٍ في النُّصرةِ، منكمشٍ فيها ذي جدٍّ وعناءٍ هو حواريٌّ. قالَ الكُميت: [الطويل]

وألقِ فِضالَ الوَهْنِ عنكَ بوثبةٍ حواريَّةٍ قد طالَ هـذا التَّـفـضُّـلُ[7]

الفِضال: الثَّوبُ الذي يكونُ على الرَّجلِ في بيتِهِ[8]، والتَّفضُّل: الجلوسُ في ثوبٍ واحدٍ. يقولُ له: ألقِ ثوبَ الوهنِ عنكَ، وتجرَّدْ للوثبةِ والقتالِ. وحواريَّة: وثبةٌ خالصةٌ نقيَّةٌ من الشَّكِّ والوهنِ.

---

(١) الشطر الأول وحده في مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٩٥. ولم يرد البيت في غريب الحديث لأبي عبيد، مع أن النص منه ٢/ ٢٥٠.
(٢) في م وأخواتها وهـ: شدة بياض العين.
(٣) هكذا في م وأخواتها وهـ، وفي ب ول: سواده.
(٤) ديوان عمرو بن قميئة ص ٥٧.
(٥) الزاهر ١/ ١٢١، والأغاني ٨/ ٢٢٥.
(٦) في م وأخواتها وهـ: في جيشه.
(٧) العين للفراهيدي ٧/ ٤٥، بلا نسبة، ولم أجده في ديوان الكميت المجموع.
(٨) العين للفراهيدي ٧/ ٤٥.

وفي كتابٍ لرسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ وآله، كتبَهُ لوفدِ همدانَ: «الهم من الصَّدَقةِ الثّلبُ والنّابُ والفصيلُ والفارضُ والكبشُ الحوريُّ»[١]. الثّلب: الذَّكرُ الذي قد تكسَّرتْ أسنانُهُ، والنّابُ من النُّوق سُمِّيَت بذلك لأنَّ نابَها يطولُ إذا هرمتْ. والفارضُ: المُسِنَّة. والكبشُ الحوريُّ هو منسوبٌ إلى الحورِ، وهي جلودٌ حمرٌ تُتَّخذُ من جلودِ المعزِ ومن جلودِ الضّأنِ[٢]. قالَ أبو النَّجمِ يذكرُ قتيلاً: [الرجز]

كأنَّما برقعَ خدَّيهِ الحَوَرْ[٣]

يريدُ صارَ الدَّمُ على خدَّيهِ، فكأنَّه حَوَرٌ لحمرتِهِ[٤].

والحوراءُ: البيضاءُ، وحُورُ العِينِ من ذلك. الحُورُ: جمعُ حوراءَ، والعِينُ: جمعُ عيناءَ. يُقال: امرأةٌ حوراءُ عيناءُ، أي ناصعةُ البياضِ، واسعةُ العينينِ، حَسَنَتُهما. ورجلٌ أعينُ: حَسَنُ العينينِ. ثمَّ قيلَ لكلِّ حسنٍ «أحور» لما ذكرنا من قولِ أبي عمرو أنّه قالَ: الحَوَرُ: شدَّةُ بياضِ بياضِ العينِ وشدَّةُ سوادِ سوادِها. وقالَ الشّاعر: [البسيط]

في ربربٍ يَلَقٍ حُورٍ مدامعُها   كأنهنَّ بجنبَي حَرْبةَ البَرَدُ[٥]

فقالَ حورٍ مدامعُها، والمدامعُ الأعينُ، يعني حورَ الأعينِ، أي بياضُ عينيها برّاقٌ حَسَنٌ صافٍ. وكذلك سوادُهُ.

فمعنى الحورِ يدورُ على الصَّفاءِ والبياضِ والحسنِ والنَّقاوةِ[٦]. وإنَّما قيلَ لهم «حواريُّون» لأنَّهم كانوا صفوةَ عيسى الذينَ قد تنزَّهوا عن الأدناسِ، وصاروا مَصفيِّينَ من الذُّنوبِ والآثامِ، مَنقيِّينَ منها، مجتهدينَ في نُصرتِهِ، منكمشينَ في ذلك. واللّهُ أعلمُ.

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص ٢٣٣، وانظر مصادره فيه.
(٢) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٥٥٥.
(٣) ديوان أبي النجم ص ١٦٧.
(٤) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٥٥٥.
(٥) لابي ذؤيب في ديوان الهذليين ١/ ١٢٧، وأشعار الهذليين بشرح السكري ص ٦١. وحربة: رملة كثيرة البقر في بلاد هذيل.
(٦) في م وأخواتها: والنضارة.

[١٨٤]

الصِّدِّيق والفاروق

قالَ أبو عبيد[١] في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وأمُّهُ صدِّيقةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، قالَ: كانَ أشياخُنا النَّحويُّونَ يقولونَ: الصِّدِّيق: من الصِّدق، «فعِّيل»، إذا فعلَ مرَّةً بعد مرَّةٍ، حتّى يكثر، كما قالوا: «سكِّير»، و«شرِّيب»، كثيرُ الشُّربِ للخمرِ، و«سكِّيت»، دائمُ السُّكوتِ. ولا يُقال ذلك لمن فعلَ الشَّيءَ مرَّةً أو مرَّتينِ حتّى يكثرَ منه، أو يكون له عادةً. وكذلك كلُّ اسمٍ يكونُ على «فَعُول»، مثل قتولٍ للرِّجالِ، وضَروبٍ بالسَّيفِ. وكذلك «فعّال»، نحو ضرّاب وقتّال. ومن ذلك قولُهُ ﴿والصِّدِّيقونَ والشُّهداءُ﴾ [الحديد: ١٩]. قال: ولهذا سُمِّيَ أبو بكر الصِّدِّيق.

وأمّا في الحديثِ فقالَ: إنَّما سُمِّيَ صدِّيقاً لتصديقِهِ النَّبيَّ صلّى اللّهُ عليهِ، حينَ قيلَ له: إنَّ صاحبَكَ يزعمُ أنَّه أتى بيتَ المقدسِ في ليلةٍ، وانصرفَ، فقالَ: إن كانَ قالَ فقد صدقَ. وأحدُ المعنَيينِ قريبٌ من الآخرِ، إنَّما يرجعُ إلى الصِّدقِ[٢]. وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليهِ أنَّه[٣] قالَ لعليٍّ عليه السلام: أنتَ الصِّدِّيقُ الأكبرُ وأنتَ الفاروقُ، تفرِّقُ بين الحقِّ والباطلِ[٤]. وأخذَهُ الشّاعر فقالَ في ذلك: [السريع]

صدِّيقُنا الأكبرُ فاروقُنا ... فارقَ بينَ الحقِّ والباطلِ[٥]

وقالَ أيضاً: [المتقارب]

بفاروقِ بينَ الهُدى والضَّلالِ ... وصدِّيقِ أمَّتِنا الأكبرِ[٦]

فالفاروقُ الذي يفرِّقُ بين شيئَينِ مختلفَينِ حتّى يستبينَ أحدُهما من الآخرِ، مثل الحقِّ والباطلِ، والهدى والضَّلالِ، والحلالِ والحرامِ. فإذا اشتبهَ الأمرُ في ذلك أبانَهُ، وفرَّقَ بينَهُ، وميَّزَهُ حتّى يظهرَ الفرقُ بينَهما. قالَ اللِّحيانيُّ: يُقال رجلٌ

(١) هكذا في ب ول، وفي م وأخواتها وهـ: أبو عبيدة.
(٢) في ك: إلى الصديق.
(٣) أنه: زيادة من م وأخواتها وهـ.
(٤) مناقضات الإسكافي للعثمانية للجاحظ ص ٣٠٠، وشرح نهج البلاغة ١٣/ ١٧١.
(٥) ديوان السيد الحميري ص ٣٣٨. وفي م وأخواتها: فاروق بين الحق.
(٦) ديوان السيد الحميري ص ٢٠٩.

صِدِّيقٌ، إذا كان يصدِّقُ ما[1] يسمعُ. ورجلٌ ضِلِّيلٌ، إذا كانَ مُضلَّلاً، ورجلٌ سِكِّيرٌ، وفِجِّيرٌ، وصِرِّيعٌ، إذا كانَ حاذقاً بالصّراعةِ، ورجلٌ كِلِّيمٌ. ويُقال: صدقَ، فهو صادقٌ، والمصدرُ منه الصِّدقُ. والصَّدقُ، بالفتحِ، هو الصُّلب. وتقولُ العربُ: صدقَني سنَّ بَكَرة، ويقال: صَدَقَني الحديثَ، وكَذَبَني بالتَّخفيفِ، فأنا مصدوقٌ ومكذوبٌ. ومنه المثلُ «ليسَ لمكذوبٍ رأيٌ»[2]. وفي المثلِ «لا يكذبُ الرّائدُ أهلَهُ»[3]. ويُقال: صدقَ القتالَ، إذا أبلى فيه، ولم يفرَقْ، وفلانٌ صادقُ البأسِ. قالَ أبو النَّجم: [الرجز]

والصِّدقُ ممّا يمنعُ النُّسوانا ... بمرهفاتٍ تَبتَني سُلطانا[4]

أي الصِّدقُ في البأسِ[5] ممّا يمنعُ النُّسوانَ من السَّبيِ. وفلانٌ كاذبُ البأسِ، إذا لم يثبتْ في القتالِ. وقالَ النّابغة: [الطويل]

بنو عمِّهِ دِنيا وعمرو بن عامرٍ ... أولئكَ قومٌ بأسُهم غيرُ كاذبِ[6]

فالصِّدقُ ضدُّ الكذبِ. وإذا قلتَ «صادق»، قلتَ في ضدِّهِ «كاذب». وإذا قلتَ «صَدوق»، قلتَ في ضدِّهِ «كَذوب». وإذا قلتَ «صدِّيق»، قلتَ في ضدِّهِ «كذِّيب».

والصِّدِّيق الكثيرُ الصِّدقِ والتَّصديقِ. والمصداقُ: الذي من عادتِهِ الصِّدقُ، كما قالوا: رجلٌ مِعوانٌ، أي من عادتِهِ المعاونةُ. ورجلٌ صدوقٌ، أي لا يكذبُ، ولا يُؤخَذُ عليه الكذبُ، ومن عادتِهِ[7] الصِّدقُ، كما تقولُ: فعلَ فلانٌ كذا وكذا، فيُقال: هو فَعولٌ لذلك، أي من عادتِهِ أن يفعلَ ذلك. ويُقال: هو صَدوقُ اللَّهجةِ من ذلك، ورجلٌ مصدِّقٌ، أي يصدِّقُ غيرَهُ. وقالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿بل جاءَ بالحقِّ وصدَّقَ المرسلينَ﴾ [الصافات: ٣٧]. ويُقال في ضدِّهِ: مكذِّب. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ

---

(١) في ب: بما يسمع.
(٢) الأمثال لأبي عبيد ص ٤٨.
(٣) الأمثال لأبي عبيد ص ٤٩.
(٤) ديوان أبي النجم ص ٤٣٤.
(٥) في ب: في الناس.
(٦) ديوان النابغة الذبياني ص ٤٢، ودِنيا: أراد الأدنين في النسب. وورد الشطر الثاني فقط في م وأخواتها.
(٧) الجملة من المعاونة سقطت من ب.

﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذِّبينَ﴾ [المرسلات: ١٥]، يعني الذينَ كذَّبوا الرُّسُلَ. وقال ﴿فمَن أظلَمُ ممّن كَذَبَ على اللهِ وكَذَّبَ بالصِّدقِ إذ جاءَهُ﴾ [الزمر: ٣٢]. فكَذَبَ يعني كَذَبَ هو، وكَذَّبَ إذا كَذَّبَ غيرَهُ. وقد جاءَ في القرآنِ «كَذَبَ» و«كَذَّبَ» في مواضعَ. فكلُّ موضعٍ استقبلتْهُ العينُ فهو بالتَّخفيف[١]، وكلُّ موضعٍ استقبلتْهُ الباءُ فهو بالتَّثقيل. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فإنَّهم لا يُكَذِّبونَكَ ولكنَّ الظّالمينَ بآياتِ اللّهِ يجحدونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، قُرِئَتْ بالتَّشديد[٢]، وهي قراءةُ أبي عمرو، وقرأَها قومٌ بالتَّخفيفِ، وهي قراءةُ عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام، وقرأ بها الكسائيُّ. قالَ الفرّاء: كذَّبتَ الرَّجُلَ تكذيباً، إذا قلتَ له: كذبتَ، وأكذبتَهُ إكذاباً إذا جعلتَهُ كذّاباً[٣]. وقالَ أبو عبيد: ورُوِيَ في تفسيرِ هذا الحرفِ ما يفسِّرُ هذا القولَ[٤]، رُوِيَ بإسنادٍ عن ناجيةَ بن كعب أنَّ أبا جهلٍ قالَ للنَّبيِّ صلّى اللّهُ عليهِ: ما نتَّهمُكَ ولكن نتَّهمُ الذي جئتَ به. فأنزلَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فإنَّهم لا يُكَذِّبونَكَ ولكنَّ الظّالمينَ بآياتِ اللّهِ يجحدونَ﴾. فهذا حُجَّةٌ لمن خفَّفَ.

ورُوِيَ عن جعفر بن محمَّد عليه السَّلام في قولِهِ ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا اتَّقوا اللّهَ وكونوا مع الصّادقينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، قالَ: معَ آلِ محمَّدٍ.

والمصَّدِّق[٥]: الذي يتصدَّقُ على غيرِهِ، وكذلك المتصدِّقُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وتصدَّقْ عَلَينا إنَّ اللّهَ يجزي المتصدِّقينَ﴾ [يوسف: ٨٨]، وقالَ ﴿إنَّ المصَّدِّقين والمصَّدِّقات﴾ [الحديد: ١٨]، أراد: المتصدِّقينَ، فأدغمَ التّاءَ في الصّادِ، وشدَّدَ الصّادَ. وأصلُ ذلك أيضاً من الصِّدقِ[٦]. وقد بيَّنّاه في بابِ الصَّدَقة. والصَّدُقاتُ: المهورُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وآتوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحلةً﴾ [النساء: ٤]، أي أعطيةً. ويُقال: أصدقَ الرَّجلُ امرأتَهُ كذا وكذا، أي أمهرَها، وهو الصَّداقُ،

---

(١) سقطت من ب. والمقصود التمييز بين «كذب على» و«كذب بـ».
(٢) في م وأخواتها: بالتثقيل.
(٣) الفراء: معاني القرآن ١/ ٣٣١، بتصرف.
(٤) في ب: الحرف.
(٥) في م وأخواتها ورد التحريك كتابة: بضم الميم وتشديد الصاد والدال.
(٦) الجملة من «أراد» سقطت من ب.

بالفتحِ[١]، والصِّداقُ أيضاً. وقالَ المفسِّرونَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿مصدِّقاً لما بينَ يديهِ﴾ [البقرة: ٩٧]، قالَ: موافقاً لما بينَ يديهِ من الكتبِ[٢]. فهذا ما جاءَ في بابِ الصِّدقِ والصِّدِّيقِ وما كانَ من جنسِهِ.

قالَ أبو حاتم أحمد بن حمدان[٣]: والصِّدِّيقُ عندَنا هو من الصِّدقِ، كما فسَّرنا، وهو الذي يصدِّقُ ما يأتي به النَّبيُّ. والصِّدِّيقُ دونَ النَّبيِّ، وفوقَ الشَّهيدِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿النَّبيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ﴾ [النساء: ٦٩]. ومعنى يصدِّقُ ما يأتي به النَّبيُّ أي يبيِّنُهُ ويوضِّحُهُ ويزيلُ الشُّبهةَ عنه بالتَّفسيرِ والبيانِ وإيضاحِ البرهانِ فيه، حتّى يستبينَ صدقُ ما أتى به، وينكشفَ برهانُهُ، ويُفرِّقَ بينَهُ وبينَ الباطلِ[٤]، كما ذكرَ اللّهُ في قصَّةِ موسى عليه السَّلام وهارونَ، حيثُ يقولُ ﴿وأخي هارونُ هو أفصَحُ منِّي لِساناً فأرسِلْهُ مَعي رِدءاً يصدِّقُني﴾ [القصص: ٣٤]. فهارونُ بيَّنَ قولَ موسى للنّاسِ وصدَّقَهُ، أي جعلَهُ عندَ النّاسِ صادقاً. فكانَ هارونُ صدِّيقاً لهذا المعنى. ومن أجلِ ذلك يُقال: صدِّيقٌ وفاروقٌ.

[١٨٥]
الشَّهيد

قالَ أبو عُبَيدة[٥] في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وأنتُم شُهَداء﴾ [آل عمران: ٩٩]، أي عُلَماء[٦]. ويُقال للقتيلِ في سبيلِ اللّهِ «شهيد». ويُقال: استشهدَ فلانٌ، فهو شهيدٌ. وقالوا في حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليهِ وآله إنَّه سُئِلَ عن الشُّهداءِ، فوصفَهم ثمَّ قالَ: «أولئكَ يتلبَّطونَ في الغُرَفِ العُلى من الجنَّة»[٧]. يتلبَّطونَ من قولك:

---

(١) في ب: يا هذا.
(٢) تفسير الطبري ١/ ٥٠٤.
(٣) الجملة زيادة من م وأخواتها.
(٤) هكذا في ب ول، وفي م وأخواتها: وبين الكذب.
(٥) في ك وخ وهـ: أبو عبيد.
(٦) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٩٨.
(٧) الزمخشري: الفائق في غريب الحديث ٣/ ٢٩٧، وشرح التلبط بأنه التمرغ، يقال فلان يتلبط في النعيم أي يتمرغ فيه ويتقلب.

لبطتُ الرَّجلَ لبطاً، أي صرعتُهُ. قالَ ابن عبّاس في قولِهِ ﴿ولا يُضارُّ كاتبٌ ولا شهيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، قالَ: شاهد[1].

ويُقال: شهيدٌ وشهداءُ، مثل عليمٍ وعلماءَ، وحكيمٍ وحكماءَ. وشهيدٌ وشاهدٌ، مثل عليمٍ وعالمٍ، ورحيمٍ وراحمٍ. وفي الجمعِ: شاهدٌ وشُهُودٌ، مثل جالسٍ وجُلوسٍ، وكذلك شاهدٌ وأشهادٌ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿يومَ يقومُ الأشهادُ﴾ [غافر: ٥١]. قالَ أبو عُبَيدةَ[2] في قوله عزَّ وجلَّ ﴿يومَ يقومُ الأشهادُ﴾: واحدُهم شاهدٌ، بمنزلةِ صاحبٍ وأصحابٍ. قال: ويقولُ بعضُهم: شهيدٌ في معنى الشّاهدِ بمنزلةِ شريفٍ، والجمعُ أشرافٌ[3].

وروى أبو عبيد عن ابن جريج في قولِهِ ﴿فاكتبْنا معَ الشّاهدينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، قال: هم أمّةُ محمَّدٍ صلّى اللّهُ عليهِ. قالَ أبو عبيد: أرى ابن جريج ذهبَ إلى قولِهِ ﴿لتكونوا شُهداءَ على النّاسِ ويكونَ الرّسولُ عَلَيكم شَهيداً﴾ [البقرة: ١٤٣]، وتأويلُهُ الشّاهدينَ في هذه الآيةِ. وقالَ الفرّاءُ في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿وادعوا شهداءَكم مِن دونِ اللّهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، قال: الشُّهداءُ، واللّهُ أعلمُ، الآلهةُ، أي ادعوا آلهتَكم واستعينوا بهم[4].

فأكبرُ[5] الشُّهداءِ هو اللّهُ عزَّ وجلَّ. قالَ اللّهُ تعالى ﴿شَهِدَ اللّهُ أنَّه لا إلهَ إلّا هُوَ والملائكةُ وأولو العلمِ قائماً بالقِسْطِ لا إلهَ إلّا هُوَ العزيزُ الحكيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]. ويُروى أنَّ رَجُلينِ من أهلِ الكتابِ سألا النَّبيَّ صلّى اللّهُ عليهِ عن أكبرِ الشَّهادةِ، فأنزلَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿شَهِدَ اللّهُ أنَّه لا إلهَ إلّا هُوَ﴾، الآية. وقالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿قُلْ أيُّ شيءٍ أكبرُ شَهادةً قُلْ اللّهُ شهيدٌ بيني وبينكم﴾ [الأنعام: ١٩]، وقالَ ﴿قُلْ كفى باللّهِ شَهيداً بَيني وبينَكم وعندَهُ علمُ الكتابِ﴾ [الرعد: ٤٣]. هكذا قرأها ابنُ مسعود وأُبيّ، والقراءةُ المشهورةُ (ومَن عندَهُ علمُ الكتابِ). قالَ بعضُ أهلِ

---

(١) تفسير الطبري ٣/ ١٦١.
(٢) في ك وخ وج: أبو عبيد.
(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٢٨٦.
(٤) الفراء: معاني القرآن ١/ ١٩، وفيه: واستغيثوا بهم.
(٥) في ب: فأكثر.

التَّفسيرِ هو عليّ بن أبي طالب صلواتُ اللّهِ عليه. والكتابُ: القرآنُ[1]. وقالَ آخرونَ: هو عبد اللّه بن سلام[2]، لأنَّه كانَ من أهلِ الكتابِ، فشهدَ لرسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ بالنُّبوَّة.

والملائكةُ شهداءُ اللّهِ على بني آدمَ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وجاءتْ كلُّ نفسٍ معَها سائقٌ وشهيدٌ﴾ [ق: ٢١]. وقال ﴿ما يلفظُ من قولٍ إلّا لديهِ رَقيبٌ عَتيدٌ﴾ [ق: ١٨]. والأنبياءُ شهداءُ اللّهِ على أُمَمِهم. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فكيفَ إذا جِئنا مِن كلِّ أُمَّةٍ بشهيدٍ وجِئنا بِكَ على هؤلاءِ شَهيداً﴾ [النساء: ٤١]. وجبريلُ شاهدُ اللّهِ وشهيدُهُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿أفمَن كانَ على بَيِّنَةٍ مِن رَبِّهِ ويَتلوه شاهدٌ منه﴾ [هود: ١٧]، قالَ قومٌ من أهلِ التَّفسيرِ هو جبريلُ عليه السَّلام. وقالَ قومٌ هو عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام. فقد جعلَ اللّهُ عزَّ وجلَّ العالمَ شهيداً. ألا ترى إلى قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿والملائكةُ وأولو العلمِ﴾؟ وقالَ بعضُ العلماءِ: الأئمَّةُ شهداءُ اللّهِ على خلقِهِ[3]. فإمامُ كلِّ زمانٍ شهيدُ اللّهِ على أهلِ زمانِهِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿يومَ يقومُ الأشهادُ﴾ [غافر: ٥١]، وقالَ ﴿يومَ ندعو كلَّ أناسٍ بإمامِهِم﴾ [الإسراء: ٧١]. قالَ: يشهدُ كلُّ إمامٍ على أهلِ زمانِهِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وَجِيَء بالنَّبيِّينَ والشُّهداءِ﴾ [الزمر: ٦٩]. قالَ: الشُّهداءُ الأئمَّةُ عليهم السَّلام في كلِّ زمانٍ، والمؤمنونَ شهداءُ اللّهِ على خلقِهِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿لتكونوا شُهداءَ على النّاسِ ويكونَ الرَّسولُ عَلَيكم شَهيداً﴾ [البقرة: ١٤٣]. قالَ: والجوارحُ شهداءُ اللّهِ على صاحبِها. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿يومَ تشهدُ عَلَيهم ألسنتُهم وأيديهم وأرجُلُهم بما كانوا يعملونَ﴾ [النور: ٢٤]. وقالَ ﴿وقالوا لجلودِهم لِمَ شَهِدتم عَلَينا﴾ [فصلت: ٢١]. والسَّماءُ والأرضُ وما بينَهما شهداءُ اللّهِ على خلقِهِ، لأنَّها الدالَّةُ عليه عزَّ وجلَّ، وعلى وحدانيَّتِهِ وإلهيَّتِهِ ﴿وكفى باللّهِ شَهيداً﴾ [النساء: ٧٩].

قالَ أبو حاتم[4]: والشَّهادةُ في كلامِ العربِ: الحضورُ. يُقال: شهدتُ هذا

---

(١) ينظر تفسير الصافي للفيض الكاشاني ٣/ ٧٧، نقلاً عن العياشي والكليني ومصادر أخرى.
(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٦٧، وتفسير الطبري ١٣/ ٢٠٩، وفتح القدير للشوكاني ٣/ ٩٢.
(٣) على خلقه: سقطت من ب.
(٤) زيادة من م وأخواتها.

الأمرَ، وشهدتُ فلاناً يصنعُ كذا، أي حَضَرتُهُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ولا تعملونَ مِن عملٍ إلّا كُنّا عَليكم شُهوداً﴾ [يونس: ٦١]. وإنّما قيلَ لمن يشهدُ «شاهد»، لأنَّه يؤدِّي ما حَضَرَهُ ويُخبِرُ بما علمَهُ ورآه. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وما شَهِدنا إلّا بما عَلمنا وما كُنّا للغيبِ حافظينَ﴾ [يوسف: ٨١]. والشُّهودُ ضدُّ الغيبةِ[١]. يُقال: شَهِدَ فلانٌ هذا الأمرَ، وغابَ عنه فلانٌ. والشّاهدُ ضدُّ الغائبِ، والشُّهودُ ضدُّ الغُيَّبِ، والغَيبُ ما غابَ عنك. قالَ أبو عُبَيدة في قولِهِ ﴿ذلكَ مِن أنباءِ الغَيبِ﴾ [آل عمران: ٤٤]، قالَ: الغيبُ ما غابَ عنك[٢]. وقالَ في قولِهِ ﴿في غَيَّابةِ الجُبِّ﴾ [يوسف: ١٠]: مجازُهُ كلُّ شيءٍ غيَّبَ عنكَ شيئاً فهو غيّابةٌ[٣]. وقالَ غيرُهُ: كلُّ ما واراكَ وسَتَرَكَ فهو غَيبٌ، والمكانُ المطمئنُّ من الأرضِ غيبٌ، وأنشد: [الكامل]

ترمي بعينيها الغيوبَ كأنَّها[٤]

قالَ: وإنَّما قيلَ للذينَ قُتِلوا في سبيلِ اللّهِ «شهداء» لأنَّهم حضروا فصدَقوا البأسَ، فصارَ ذلك شهادةً عليهم في أنفسِهم أنَّهم صدقوا البأسَ، وكانوا شهداءَ على مَن حضرَهم، وليس كمن ولَّى الدُّبُرَ، أو كذبَ البأسَ. وقيلَ لإمامِ كلِّ زمانٍ «شاهد» لأنَّه حضرَ أهلَ زمانِهِ، فشهدَ لمن اهتدى، وعلى مَن ضلَّ، فكانَ شاهدَ اللّهِ عليهِم، والشّاهدَ العدلَ الذي يشهدُ بعلمٍ. قال اللّه عزَّ وجلَّ ﴿إلّا مَن شَهِدَ بالحقِّ وهم يعلمونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]. ومَن شَهِدَ بجهلٍ فهو شاهدُ زورٍ. قالَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليهِ وآله «شاهدُ الزُّورِ لا تزولُ قَدَماه حتّى يتبَوَّأَ مقعدَهُ من النّارِ». والزُّورُ مأخوذٌ من الازورارِ، وهو الانحرافُ. فكأنَّه انحرفَ عن الصِّدقِ إلى الكذبِ. قالَ الشّاعر: [الكامل]

---

(١) في م وأخواتها: الغيب.

(٢) مجاز القرآن ١/٩٣. وسقط النص من ب.

(٣) مجاز القرآن ١/٣٠٢.

(٤) البيت في الأصل لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ١/١١، وشرح أشعار الهذليين للسكري ص ٢٧، والرواية فيه:

يرمي بعينيه الغيوب وطرفه ... مغضٍ يصدق طرفه ما يسمع

كما يرد بيت آخر لأبي ذؤيب في أشعار الهذليين للسكري ص ٥٨:

يرمي الغيوب بعينيه ومطرفه ... مغضٍ كما كسف المستأخذَ الرمدُ

فازورَّ مِن وقعِ القنا بلبانِهِ   وشكا إليَّ بعبرةٍ وتحَمْحُمِ[1]

ازورَّ: انحرفَ.

[١٨٦]

المحدَّث والمروَّع

قالَ الأصمعيُّ: الرُّوعُ: النَّفسُ. يُقال: وقعَ في رُوعي كذا، أي في خَلَدي. والأروعُ: الذي يروعُكَ بجمالِهِ. الرُّواعُ: الذَّكيُّ، وقيلَ: الشَّهمُ الفؤادِ، أي الحديدُ الفؤادِ. فأمَّا الرَّيعة فما علا من الأرضِ قيلَ له «رَيعة». و«رِيعة». قالَ اللّهُ تعالى ﴿أتبنُونَ بكُلِّ رِيعٍ آيةً تَعبَثُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨]. وقالَ الشّاعرُ: [الطويل]

طراقُ الخوافي مائلٌ فوقَ رِيعةٍ   نَدَى ليلِهِ في ريشِهِ يَترَقرَقُ[2]

والرَّوعُ معروفٌ. والرَّيعُ: الزِّيادة. يُقال: إنَّ لهذا الزَّرعِ لَرَيعاً، أي زيادةً، بفتحِ الرّاءِ. فأمّا الرَّوع فهو الجبان. يُقال: رجلٌ روعٌ، وقومٌ روعٌ، بمعنى المصدرِ. قالَ الأصمعيُّ: والجخيفُ مثل الرَّوعِ. ويُقال في المثلِ «ليسَ يأمنُ المخيف ما لم يُلقَ في الجخيفِ». ويُقال: فرسٌ رائعٌ، إذا كانَ جميلاً تاماً مُطَهَّماً. ويُقال: راعَني الأمرُ، يروعُني، إذا أفزعَني. قالَ الشّاعر: [الكامل]

ما راعَني إلّا حمولةُ أهلِها   وسطَ الدِّيارِ تَسِفُّ حَبَّ الخِمخِمِ[3]

وقالَ آخرُ: [الرجز]

ما راعَني إلّا جناحٌ هابِطا   على البيوتِ قَوْطَهُ العُلابِطا[4]

ويُقال: راعيتَ فُلاناً، إذا صاديتَهُ بنظرِكَ. وقد قرئ «راعناً»، منوَّناً، قرأَ الحسن ﴿لا تقولوا راعِنا﴾ [البقرة: ١٠٤]، قالَ: من الرُّعونة. والرَّعْنُ من الجبلِ ما بدا لكَ. قالَ الأصمعيُّ: رَعن، ورُعنان، ورِعان، وكذلك الرَّيد. فكأنَّ

---

(١) لعنترة في شرح القصائد العشر ص ٢١٢، وديوانه ص ٨٣.

(٢) ديوان ذي الرمة ص ٤٠٠. والرواية فيه: طراق الخوافي واقع.

(٣) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ٢/ ١١٣، ديوان عنترة بن شداد ص ٨٠.

(٤) لسان العرب، مادة (قوط) بلا نسبة في قطعة. والقوط: القطيع، والعلابط: الخمسون والمائة من الإبل.

المحدَّثَ الذي يظنُّ الظَّنَّ، فيكونُ ذلك كما ظنَّهُ. وقد قالَ بعضُ المحدثينَ: [السريع]

تـزيـدُهُ الـدُّنـيـا إذا أقـبـلـتْ ... حِـلـمـاً وعِـلـمـاً بـتـصـاريـفِـهـا
كـأنَّـهـا فـي وقـتِ إسـعـافِـهـا ... تُـسـمِـعُـهُ صوتَ تـخـاويـفِـهـا[١]

وروى الحَسَنُ البصريُّ عن النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليهِ قالَ «إنَّ في كلِّ أُمَّةٍ محدَّثينَ ومروَّعينَ، فإن يكنْ في هذه الأُمَّةِ أحدٌ فإنَّ عُمَرَ[٢] منهم»[٣]. وفي حديثٍ آخرَ: إنَّ المروَّعَ هو الذي تنطقُ الملائكةُ على لسانِهِ. قالَ بعضُ العلماءِ[٤]: المحدَّثُ: الذي يصيبُ رأيُهُ، ويصدقُ ظنُّهُ إذا توهَّمَ، فكأنَّه حُدِّثَ بذلك، وهو كقولِ عليٍّ عليه السَّلام في ابن عبّاس «إنَّه لينظرُ إلى الغيبِ من وراءِ سترٍ رقيقٍ»[٥]. وقالَ الشّاعر في هذا المعنى: [الطويل]

وأبغي صوابَ الظنِّ أعلمُ أنَّه ... إذا طاشَ ظنُّ المرءِ طاشتْ مقادرُهْ[٦]

ومثلُهُ لأوس: [المنسرح]

الألمعيُّ الذي يظنُّ بكَ الظنَّ ... كـأن قـد رأى وقـد سـمـعـا[٧]

وفي بعضِ الأمثالِ: من لم ينفعْكَ ظنُّه لم ينفعْكَ يقينُهُ[٨].

وفي حديثِ عُمَر أنَّه ولَّى ساريةَ بنَ زُنَيم الدُّؤليَّ جيشاً، فوقعَ في قلبِ عُمَر أنَّه لقيَ العدوَّ، وأنَّ خيلاً بالقربِ منه، فجعلَ عُمَر يُناديه: يا ساريةُ الجبلَ، الجبلَ. ووقعَ في قلبِ ساريةَ ذلك، فاستندَ هو وأصحابُهُ إلى الجبلِ، فقاتلوا العدوَّ من جانبٍ واحدٍ[٩]. ورُوِيَ في حديثٍ آخرَ أنَّه قالَ: سمعنا صوتاً يقولُ: يا ساريةُ

---

(١) من بداية المقطع إلى هنا زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب ول. وانظر في البيتين ديوان أبي العتاهية ص ٢٨٢.

(٢) هكذا في ب وم وأخواتها وهـ وغريب الحديث لابن قتيبة، وفي ل: فإن علياً منهم.

(٣) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٣١٢، الفائق في غريب الحديث ١/ ٢٦٥.

(٤) هو ابن قتيبة، والنص التالي له في غريب الحديث.

(٥) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٣١٢، وعيون الأخبار ١/ ٧٦.

(٦) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٣١٢، وعيون الأخبار ١/ ٧٦.

(٧) ديوان أوس بن حجر ص ٥٣.

(٨) غريب الحديث ١/ ٣١٣، وعيون الأخبار ١/ ٧٦.

(٩) في م وأخواتها: من وجه واحد.

الجبلَ، الجبلَ، ما شككنا أنَّه صوتُ عُمَر، فاستندنا إلى الجبلِ[١].

وأمّا المروَّعُ فهو الذي يُلقى في روعِهِ، كأنَّ اللّهَ ألقاه فيه. وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليهِ وآله أنَّه قالَ «إنَّ روحَ القدسِ نفثَ في رُوعي أنَّ نفساً لن تموتَ حتّى تستوفيَ رزقَها، فاتَّقوا اللّهَ وأجملوا في الطَّلَبِ»[٢].

قالَ: والرُّوعُ: النَّفسُ. ويُقال: وقعَ في رُوعي أي في خَلَدي ونفسي[٣].

والمحدَّثُ والمروَّعُ هما اللَّذانِ يتكلَّمانِ بالحكمةِ، ويُلهَمانِ ذلك، كأنَّ المَلَكَ يحدِّثُهما به، ويُلقيه في رُوعِهما، ويكونانِ مؤيَّدَينِ بذلك الإلهامِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ونفسٍ وما سوّاها فألهمَها فُجُورَها وتَقواها﴾ [الشمس: ٧-٨]. فالذي يُلهَمُ الحكمةَ يحدِّثُ نفسَهُ بها، ثمَّ يُخرِجُها إلى النّاسِ.

[١٨٧]

الحُنَفاء

الحُنَفاءُ: جمعُ الحنيفِ، والحنيفُ: المسلمُ. قال اللّهُ عزَّ وجلَّ في إبراهيمَ صلّى اللّهُ عليهِ ﴿ما كانَ إبراهيمُ يهوديّاً ولا نصرانيّاً ولكنْ كانَ حَنيفاً مُسلِماً﴾ [آل عمران: ٦٧]. وقالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿حُنَفاءَ ويُقيموا الصَّلاةَ ويُؤتوا الزَّكاةَ﴾ [البينة: ٥]. وقالَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليهِ «بُعِثتُ بالحنيفيّةِ السَّهلةِ السَّمحةِ»[٤]. وقالَ «لقد أتيتُكم ببيضاءَ نقيّةٍ»، يعني الملَّةَ الحنيفيّةَ البيضاءَ.

وقالَ أبو عُبَيدة[٥] في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿ملَّةَ إبراهيمَ حنيفاً﴾ [البقرة: ١٣٥]، قالَ: الحنيفُ في الجاهليَّةِ مَن كانَ على دينِ إبراهيمَ، ثمَّ سُمِّيَ مَن اختتَنَ وحجَّ البيتَ حنيفاً. ولمّا تناسختِ السُّنونَ[٦]، وبقيَ مَن يعبدُ الأوثانَ مِن العربِ، قالوا: نحن حنفاءُ على دينِ إبراهيمَ. ولم يتمسَّكوا منه إلّا بالختانِ وحجِّ البيتِ. والحنيفُ

---

(١) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/٣١٣.
(٢) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/٣١٣.
(٣) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/٣١٣.
(٤) النهاية في غريب الحديث ١/٤٥١.
(٥) في ك: أبو عبيد.
(٦) هكذا في ب ول ومجاز القرآن، وفي م وأخواتها وهـ: السنن.

اليومَ هو المسلمُ[1]. قالَ ذو الرّمّة: [الطويل]

إذا خالفَ الظِّلُّ العشيَّ رأيتَهُ[2] حَنيفاً وفي قَرنِ الضُّحى يَتَنَصَّرُ[3]

يصفُ الحرباءَ[4]، لأنَّه يميلُ مع الشَّمسِ، يعني أنَّه بالضُّحى يستقبلُ المشرقَ، وهي قبلةُ النَّصارى، وإذا مالَ الظِّلُّ بعدَ الزَّوالِ، استقبلَ قبلةَ المسلمينَ، يدورُ مع الشَّمسِ حيثُما دارتْ.

وقالَ غيرُهُ (حَنيفاً مُسلِماً) وذلك أن يحنفَ إلى الإسلامِ: أي يميلَ إليه. يُقال: حَسَبٌ حنيفٌ، أي إسلاميٌّ[5]. قالَ: وكانَ ابنُ عبّاس[6] يقولُ: الحنيفُ: الحاجُّ. وقالَ أبو ذؤيب في الحنيفِ إنّه المسلمُ: [المتقارب]

أقامتْ بهِ كمقامِ الحنيفِ شهرَي جُمادى وشهرَي صَفَرْ[7]

الحنيفُ هاهنا المسلمُ.

وأصلُ الحَنَفِ: الميلُ، كأنَّ مَن مالَ إلى الإسلامِ قيلَ له: حنيف. وكذلك في الجاهليَّةِ، مَن تركَ عبادةَ الأصنامِ، ومالَ إلى دينِ إبراهيمَ، سُمِّيَ حنيفاً. وأصلُهُ من الميلِ. يُقال: رجلٌ أحنفُ: إذا مالتْ قَدَماه، كلُّ واحدةٍ منهما أقبلتْ على الأخرى[8]. ومن ذلك سُمِّيَ الأحنفُ بنُ قيسٍ، قالتْ أمُّهُ فيه، وهي ترقِّصُهُ: [الرجز]

واللّهِ، لولا حَنَفٌ في رِجلِهِ ما كانَ في الحيِّ غلامُ مثلِهِ[9]

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٥٨. ونسب هذا الرأي للأخفش في اللسان ٣/ ٣٦٢ مادة (حنف)، وانظر أمالي الزجاجي ص ٢.

(٢) رأيته: سقطت من ب.

(٣) مجاز القرآن ١/ ٥٨، وديوان ذي الرمة ص ٢٢٩.

(٤) في م وأخواتها وهـ: قال أبو حاتم: يصف الحرباء.

(٥) إسلامي: هكذا في ب ول، وفي م وأخواتها: مائل إلى الإسلام.

(٦) هكذا في ل وهـ، وفي ب: ابن مسلم.

(٧) أشعار الهذليين بشرح السكري ص ١١٢، ولسان العرب ٣/ ٣٦٣ مادة (حنف).

(٨) النقائض لأبي عبيدة ١/ ٩٥. وانظر: العين للفراهيدي ٣/ ٢٤٨.

(٩) هكذا في ب ول، وكذلك في طبقات ابن سعد ٧/ ٩٣، وفي م وأخواتها وهـ: ما كان في أولادكم كمثله، والرواية قريبة مما في فتح القدير للشوكاني ١/ ١٤٧.

وقالَ مغيرةُ بنُ حبناءَ: [الوافر]

وماذا غيرَ أنَّكَ ذو سبالٍ ... تمسِّحُها وذو حَسَبٍ حنيفِ[1]

وقالَ آخرُ: [الطويل]

فكلتاهما خرَّت وأسجَدَ رأسُها ... كما سجدتْ نصرانةٌ لم تَحَنَّفِ[2]

فالحَنَفُ هاهنا: الاعوجاجُ. فكأنَّ الحنيفَ هو المسلمُ المخلصُ الذي قد مالَ إلى اللّهِ بالعبادةِ، وتخلَّى إليه عن النّاسِ. وقالَ الحُطَيئة: [الطويل]

يقولونَ هل يبكي من الشَّوقِ حازمٌ ... تخلّى إلى ذاتِ الإلهِ حنيفُ[3]

[١٨٨]

الأوّاه والتوّاب والأوّاب والمنيب

قالَ أبو عُبَيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿إنَّ إبراهيمَ لأوّاهٌ حليمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، قالَ: الأوّاهُ والمتأوِّهُ: [المتضرِّعُ][4] شفَقاً وفَرَقاً ولُزوماً للطّاعةِ[5]. وأنشدَ للمثقَّب العبديِّ: [الوافر]

إذا ما قمتُ أحدجُها بليلٍ ... تأوَّهُ آهةَ الرَّجُلِ الحزينِ[6]

فالتَّأوُّهُ هو شبهُ التَّنفُّسِ من الغمِّ والكربِ، وهو أيضاً أن تقولَ للرَّجُلِ عندَ أمرٍ يوجعُهُ: أوه. فالأوّاهُ أبَداً يتوجَّعُ حَذَراً من المعاقبةِ على الذُّنوبِ. وقالَ غيرُهُ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿مُنيبينَ إليه﴾ [الروم: ٣١]، أي راجعينَ تائبينَ. وأنشد: [الوافر]

وكلٌّ قد أنابَ إلى ابتهالِ[7]

---

(١) لابن حبناء التميمي في العين ٣/ ٢٤٨، واللسان ٣/ ٣٦٣ مادة (حنف).

(٢) البيت لأبي الأخزر الحماني في الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ٤٤٥، ولسان العرب، مادة (نصر). وقد ورد في م وأخواتها، وسقط من ل وب.

(٣) ديوان الحطيئة (ط نعمان) ص ٢٥٣، وشرح السكري ص ٤٠.

(٤) لم ترد في الأصول، وقد أضفتها من المجاز.

(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٢٧٠.

(٦) إصلاح المنطق ص ٣٢١، ومجاز القرآن ١/ ٢٧٠، وديوان المثقب العبدي ص ١٩٤.

(٧) لعمرو ذي الكلب من كاهل في ديوان الهذليين ٣/ ١١٣، وأوله: =

وفي قولِهِ ﴿وأَنِيبُوا إلى ربِّكم وأَسْلِموا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤]، أي ارجعوا إليه بالاستسلامِ. قالَ: والأوّاب: الرَّجّاع، وهو التَّوّاب، ومخرجُهُ من «آبَ»، يؤوبُ إلى أهلِهِ: أي رجعَ. قالَ يزيدُ بن ضَبَّةَ الثَّقَفِيُّ، ويُقال هو لعُبَيد بن الأبرص: [السريع]

وكـلُّ ذي غـيـبـةٍ يـؤوبُ   وغائبُ الموتِ لا يؤوبُ[١]

أي غائبُ الموتِ لا يرجعُ.

وقالَ أبو عُبَيدة في قولِهِ ﴿إنَّه هوَ التَّوّابُ الرَّحيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، الذي يتوبُ على العبادِ، والتَّوّابُ من النّاسِ: الذي يتوبُ من الذُّنوبِ[٢]. فهذه الألفاظُ قريبةُ المعاني بعضُها من بعضٍ، وهي كلُّها معناها الرُّجوعُ إلى اللّهِ بالتَّوبةِ من الذُّنوبِ[٣].

[١٨٩]

المهاجرون والأنصار

المهاجرونَ واحدُهم مهاجرٌ، وهو الذي هاجرَ إلى النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ. والهجرةُ مِن: هجرتُ الرَّجُلَ هجراناً وهجراً: إذا قطعتُهُ وتركتُ كلامَهُ. وكانَ[٤] الرَّجُلُ إذا أسلمَ بينَ قومِهِ، وهم مشركونَ، هجرَهم وهجروه. والمهاجرُ: المفاعلُ، ولا يكونُ إلّا من اثنينِ، إلّا في أحرفٍ شاذَّةٍ[٥]، وقد ذكرناها في بابِ «المنافق». فكانَ المسلمُ[٦]، إذا هجرَ قومَهُ وهجروه، خافَ أن يُفتَنَ في دينِهِ، ففرَّ

= أسـرك لـو قُـتـلـتُ بـأرضٍ فـهـم   وكـل قـد أبـأتُ إلـى ابـتـهـال

وفسر أبأت بمعنى: جعلتهم يبتهلون ويجتهدون. أما في أشعار الهذليين بشرح السكري ص٥٦٧ فالبيت يوافق رواية المؤلف: وكل قد أناب:

بـجـيـلـة دونـهـا ورجـال فـهـم   وكـل قـد أنـاب إلـى ابـتـهـالِ

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ص ٢٢.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٩.

(٣) في ب: بالذنوب والتوبة.

(٤) هكذا في هـ، وفي ب ول: وكأن.

(٥) في م وأخواتها هنا: قال أبو حاتم: وقد ذكرناها.

(٦) في م وأخواتها: المسلم المهاجر.

إلى رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ وعلى آله، فسُمّيَ مسيرُهُ إليه «هجرةً»، وسُمّيَ هو «مهاجراً»، لأنَّه كانَ على هجرانِ قومِهِ له وهجرانِهِ لهم. فلمّا أعزَّ اللّهُ الإسلامَ وأفشاه، وفتحَ عليه مكَّةَ، أمرَهم بالاستقرارِ في مواضعِهم، وقالَ: قد انقطعتِ الهجرةُ.

وفي الحديثِ أنَّه قالَ صلّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ: استقرُّوا على سَكَناتِكم فقد انقطعتِ الهجرةُ. قال: «سَكَناتِكم»، أي في مواضعِكم ومساكنِكم. قالَ الشّاعر: [الطويل]

بضربٍ يُزيلُ الهامَ عن سَكَناتِهِ[1]

ومَن رجعَ بعد الهجرةِ إلى موضعِهِ كانَ[2] بمنزلةِ المرتدِّ. قالَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليهِ: لا تعرُّبَ بعدَ الهجرةِ. وقالَ: ثلاثٌ من الكبائرِ؛ نكثُ الصَّفقة، وليُّ الصَّدَقه، والتَّعرُّبُ بعدَ الهجرةِ. والليُّ: المنعُ والمطلُ، وأنشد: [الكامل]

ولَووا متاعَهمُ وقد سُئِلوا بذلَ المتاعِ فَضُنَّ بالبذلِ[3]

قالَ ابنُ قُتَيبة: يُقال: هاجرَ الرَّجُلُ إذا خرجَ من أرضٍ إلى أرضٍ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿واهجُرُوهُنَّ في المَضاجِعِ﴾ [النساء: ٣٤]، أي اتركوا تعهُّدهنَّ. قالَ أبو العبّاس أحمدُ بن يحيى: ويحتملُ عندي قولُهُ ﴿واهجُرُوهُنَّ﴾ معنىً آخرَ، لكونِهِ مأخوذاً من الهِجارِ، وهو حبلٌ يُشَدُّ به البعيرُ تحت بطنِهِ لئلّا يميلَ بحملِهِ، أي فاربطوهنَّ بالهِجارِ. قالَ: ألا ترى أنَّه إذا هجرَ النّاشزةَ فذلك الذي تريدُهُ[4]. قالَ:

---

(١) هذا صدر أبيات كثيرة، منها بيت طفيل الغنوي في الاختيارين ص ٤٠، وديوان طفيل الغنوي ص ٤٧، وعجزه: وينقع من هام الرجال بمشرب.
وبيت النابغة الذبياني في ديوانه ص ٤٦، وعجزه: وطعن كإيزاغ المخاض الضواربِ.
وبيت زامل بن مصاد في اللسان (سكن)، وعجزه: وطعن كأفواه المزاد المخرقِ
وبيت أبي الطمحان في غريب الحديث للخطابي ٢/ ٢٧٤، وعجزه: وطعن كتشهاق العفا هم بالنهقِ
وبيت الحارث بن صخر في البيان والتبيين للجاحظ ٢/ ٤٠، وعجزه: كما ذيد عن ماء الحياض الغرائبُ.

(٢) في ب: فكان.

(٣) ديوان امرئ القيس بشرح السكري ص ٦٠٠، وشرح النحاس ص ٧٦، وطبعة المعارف ص ٢٠٣.

(٤) النص من «قال أبو العباس» زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ل وب. وأحمد بن يحيى =

وسمُّوا «مهاجرينَ» لأنَّهم هجروا الدِّيارَ والعشيرةَ والأهلَ والولدَ، كفعلِ أهلِ الرَّقيمِ. وأنشدَ[1]: [الطويل]

وأُكثِرُ هَجْرَ البيتِ حتّى كأنَّني ... مللتُ وما بي من ملالٍ ولا هجرِ[2]

والهجرُ والهجرانُ: تَرْكُ ما يلزمُكَ تعهُّدُهُ. قالَ أبو عُبَيدة[3] في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وهاجَروا﴾ [الأنفال: ٧٢]، مجازُهُ: هاجَروا قومَهم وبلادَهم وأُخرِجوا منها[4]. وقالَ في قولِهِ ﴿إنّي مهاجرٌ إلى ربِّي﴾ [العنكبوت: ٢٦]، قالَ: كلُّ مَن خرجَ من دارِهِ وقطعَ شيئاً فقد هاجرَ، ومهاجرو المسلمينَ مثلُهُ[5]. وقالَ عُمَر في خطبتِهِ بالجابية: مَن أسرعَ إلى الهجرةِ أسرعَ به العطاءُ، ومَن أبطأَ عن الهجرةِ أبطأَ عنه العطاءُ، فلا يلومنَّ أحدٌ إلّا مناخَ راحلتِهِ. أرادَ أنّا نقدِّمُ النّاسَ حسبَ تقدُّمِهم في الهجرةِ، فلا يلومنَّ أحدٌ إلّا نفسَهُ حينَ أناخَ راحلتَهُ[6] وتخلَّفَ.

وفي الحديثِ: لا يهجرِ الرَّجُلُ أخاه فوقَ ثلاثةِ أيّامٍ. وأمرَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليهِ وسلم بالهجرةِ[7]، فأوَّلُ الهجرةِ كانتْ من مكَّةَ. وسُمِّيَ كلُّ مَن هاجرَ إلى رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ من مكَّةَ «مهاجراً»، ثمَّ سُمِّيَ كلُّ مَن هاجرَ إليه من البدوِ ومن أيِّ أرضٍ كانَ «مهاجراً». وكانتِ الهجرةُ أيضاً إلى أرضِ الحبشةِ، فقيلَ لهم «مهاجرة الحبشة»، منهم جعفر بن أبي طالب ذو الجناحَينِ.

والمهاجرُ ضدُّ الأعرابيِّ، لقولِ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ «لا تعرُّبَ بعدَ الهجرةِ». يُقال: تعرَّبَ الرَّجُلُ، إذا صارَ أعرابيّاً، والأعرابيُّ مَن[8] يسكنُ الباديةَ،

= هو ثعلب النحوي. ومن المحتمل أن النص من كتابه «غريب القرآن»، الذي وصفه ابن النديم بأنه «لطيف»، أو من «معاني القرآن».

(١) في م وأخواتها: وأنشد أبو عبيد.
(٢) العين ٣/ ٣٨٧.
(٣) في م وأخواتها: أبو عبيد.
(٤) مجاز القرآن ١/ ٢٥٠.
(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١١٥، وفيه: (ومنه مهاجرو المسلمين).
(٦) الجملة من «أراد» سقطت من ب.
(٧) الجملة من «وأمر» سقطت من ب.
(٨) في م وأخواتها: أن يسكن.

وإن كانَ أعجميَّ اللِّسانِ، أعجميَّ النَّسَبِ. فالأعرابيُّ اسمٌ جامعٌ لمن يسكنُ البدوَ من العربِ والعجمِ. قالَ القطاميُّ: [الطويل]

فليسَ من الأحياءِ إلا مسوَّدٌ ربيعةُ أعرابيُّهُ ومهاجِرُهْ[١]

فجعلَ الأعرابيَّ ضدَّ المهاجرِ. وممّا تمثَّلَ به الحجّاجُ في خطبتِهِ: [الرجز]

قد لفَّها اللَّيلُ بعصلبيٍّ أروعَ خرّاجٍ من الدُّويِّ
مهاجرٍ ليسَ بأعرابيِّ[٢]

فجعلَ المهاجرَ ضدَّ الأعرابيِّ، ودويّ: جمعُ داويةٍ، وهي الفلاةُ، يُقال لها: دوية وداوية، سُمِّيَتْ بذلك لأنَّه يُسمَعُ فيها دويٌّ. والعصلبيُّ: الشَّديدُ من الرِّجالِ. والأروعُ: الجميلُ. وخرّاج: يعني أنَّه صاحبُ أسفارٍ، فهو لا يزالُ يخرجُ في الفَلَواتِ[٣].

فأصحابُ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ كانوا طائفتَينِ؛ المهاجرينَ والأنصارَ[٤]، لأنَّ النَّبيَّ صلّى اللّهُ عليهِ هاجرَ من مكَّةَ إلى المدينةِ، وهجرَ قومَهُ ودارَهُ، فمَن لحقَ به سُمِّيَ «مُهاجراً». والأنصارُ كانوا مُقيمينَ بالمدينةِ في ديارِهم وأهاليهم، ولم تكنْ لهم هجرةٌ. وقدَّمَ اللّهُ المهاجرينَ على الأنصارِ.

والأنصارُ واحدُهم «ناصر»، سمُّوا بذلكَ لنُصرتِهم رسولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ بأنفسِهم وأهليهم[٥] وأموالِهم. فالمهاجرونَ أفضلُ من الأنصارِ لأنَّهم هاجروا ونصروا[٦]، فاجتمعتْ لهم الهجرةُ والنُّصرةُ. والأنصارُ لهم النُّصرةُ، وليستْ لهم الهجرةُ، لأنَّهم نصروه في دارِ الهجرةِ، وهي المدينةُ. وكانوا قاطنينَ بها، وهم من الأوسِ والخزرجِ، مدحَهم اللّهُ عزَّ وجلَّ فقالَ في كتابِهِ ﴿والذينَ آوَوا ونَصَروا﴾

---

(١) ديوان القطامي ص ٩٦.
(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٥٣٥، الكامل للمبرد ١/ ٢٨٢، غريب الحديث لابن قتيبة ٣/ ٦٩٣، تاريخ الطبري (معارف) ٦/ ٢٠٣.
(٣) قارن بما جاء في غريب الحديث لابن قتيبة ٣/ ٦٩٥.
(٤) في ل: مهاجرين والأنصار، وفي ب وك وهـ: مهاجرين وأنصار.
(٥) وأهليهم: زيادة من م وأخواتها.
(٦) في ك وهـ زيادة هنا: ولأنهم هجروا آباءهم وأبناءهم وديارهم وأموالهم، فأخذوا فضيلة الهجرة والنصرة، والأنصار لهم النصرة، وليس لهم الهجرة.

[الأنفال: ٧٢]. فاجتمعتْ لهم الهجرةُ والنُّصرةُ. وذلك أنَّ رسولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ وآله لمّا هاجرَ إلى المدينةِ، نزلَ عليهم، فآووه، ثمَّ نصروه، فسمّاهم رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ بهذا الاسمِ، وأثنى عَلَيهم، فقالَ: الأنصارُ كرشي وعيبتي ومعدنُ سرِّي، ولو سلكَ النّاسُ شعباً، وسلكَ الأنصارُ شعباً، لسلكتُ شعبَ الأنصارِ، ولولا الهجرةُ لكنتُ امرأً من الأنصارِ[١]، يعني أنَّه هو عليه السَّلام مهاجرٌ، وقد لزمَهُ اسمُ «الهجرة». وهذانِ اسمانِ سمَّى بهما رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ أصحابَهُ، لم يُسَمَّ بهما أحدٌ قبلَ ذلكَ. قالَ الكُمَيت: [المنسرح]

فـي طَـلَـقٍ مـيـحَ فـيـهِ لـلأوسِ　　　والـخزرجِ ما لا تَـضمَّنُ الـقُـلُـبُ
مـجـدُ حـيـاةٍ ومـجـدُ آخـرةٍ　　　سَجلانِ لا يَنزَحانِ ما شَرِبوا
واسـمٌ هـو الـمـستفـادُ لا الـنَّـبَزُ　　　الـكـاذبُ مَـن قـالَـهُ ولا الـلَّـقَبُ
لا مـن تـلادٍ ولا تـراثِ أبٍ　　　إلّا عـطـاء الـذي لـه غَـضِـبـوا[٢]

طلَقٌ: وجهٌ. يقولُ: كانتْ هجرةُ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ وسلَّم في وجهِ رزقَ اللّهُ عزَّ وجلَّ فيه الأوسَ والخزرجَ، فميحَ لهم مجدَ حياةٍ ومجدَ آخرةٍ. ولم يميّحْ لهم الماءَ الذي يخرجُ من القُلُب، بل المجدُ الذي أعطاه اللّهُ للأنصارِ، فصارَ فخراً[٣] لهم في الدُّنيا وذخراً في الآخرةِ، وهو مجدُ حياةٍ ومجدُ آخرةٍ، سَجلانِ لا يَنزَحانِ. والسَّجلانِ: الدَّلوانِ العظيمانِ. وجعلَهُ مَثَلاً لذلك. ولا يَنزَحانِ: لا يفنيانِ. ثمَّ قالَ: واسمٌ هو المستفادُ، ليس هو بنبزٍ ولَقَبٍ كاذبٍ، بل هو اسمٌ حقٌّ. أرادَ أنَّهم سمُّوا «الأنصار» لنُصرتِهم رسولَ اللّه صلّى اللّهُ عليهِ وسلَّم، وليسَ هذا الاسمُ من تلادٍ، ولا تراثٍ، ولكن عطاءُ اللّهِ عزَّ وجلَّ، لأنَّهم غَضِبوا للّهِ، فأعطاهم اللّهُ بذلك مجدَ الدُّنيا والآخرةِ، وأكسبَهم هذا الاسمُ هبةً منه لهم، وجزاءً على فعلِهم عاجلاً وآجلاً. وقالَ الكُمَيت في ذلك أيضاً: [الخفيف]

هجرةٌ حوّلَتْ إلى الأوسِ والخز　　　رجِ أهـلِ الـفـسـيـلِ والآطـامِ[٤]

---

(١) الجملة سقطت من ب.
(٢) ديوان الكميت ص ٥٦٧.
(٣) في ب: مجداً.
(٤) ديوان الكميت ص ٥٠١.

عزَّ دُنيا مُحالِفاً واسمَ صدقٍ   باقياً مجدُهُ بقاءَ السَّلامِ

يعني حينَ هاجرَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليهِ وآله إلى المدينةِ، كانتْ هجرتُهُ قد حوّلت عزَّ الدُّنيا إلى الأوسِ والخزرجِ، وهم الأنصارُ، فسمُّوا «الأنصارَ» لنُصرتِهم رسولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ. فكانَ هذا اسمَ صدقٍ، لأنَّهم استحقُّوا هذا الاسمَ لنُصرتِهم رسولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه[1]. فالأنصارُ إخوانُ المهاجرينَ، ورسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ آخى بينَهم، وقرنَ بينَ كلِّ مهاجرٍ وأنصاريٍّ، وجعلَهم إخواناً بعضَهم لبعضٍ، بعد أن كانَ قد آخى بينَ المهاجرينَ بعضَهم مع بعضٍ. يريدُ أن يُبيِّنَ فضلَهم، وأنَّهم قُرَناؤُهم في الفضيلةِ.

وذكرَهم اللّهُ عزَّ وجلَّ في كتابِهِ فقالَ ﴿لقد تابَ اللّهُ على النَّبيِّ والمهاجرينَ والأنصارِ﴾ [التوبة: ١١٧]، ثمَّ ذكرَ التّابعينَ فقالَ ﴿والذينَ اتَّبعوهم بإحسانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]. فهذا في التّابعين، وهم الذينَ لحقوا أصحابَ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ، ولم يُدرِكوا رسولَ اللّهِ، وكانوا على أثرِهم، واقتدوا بهديِهم في النُّصرةِ والمجاهدةِ.

فالمهاجرونَ أشكالُ الأنصارِ وقُرَناؤُهم ونُظَراؤُهم. فيُقال: مهاجرونَ وأنصارٌ، وربَّما قالوا: قُرَيش والأنصارُ. فيُجعَلُ الأنصارُ أشكالَ قُرَيش ونظراءَهم. وذلك أنَّ أوَّلَ مَن هاجرَ إليهم رسولُ اللّه صلّى اللّهُ عليهِ ومَن معه من قُرَيش، ثمَّ صارَ كلُّ مهاجرٍ معدوداً معَهم. فإذا قالوا: قُرَيش والأنصارُ، يعنونَ بقُرَيش «المهاجرينَ»، وما أكثرَ مَن يتكلَّمُ بهذا. قالَ الأخطلُ في هجاءِ الأنصارِ، وذلك أنَّ عبد الرَّحمن بن حسّان كانَ من الأنصارِ، وشبَّبَ بابنةٍ لمعاويةَ، وذكرَها في شعرِهِ، فقالَ: [الخفيف]

ثمَّ خاصرتُها إلى القبَّةِ الخضْـ   ـراءِ تمشي في مرمرٍ مسنونِ[2]

في شعرٍ له. فحملَ يزيدُ بنُ معاويةَ الأخطلَ على هجاءِ الأنصارِ، فقالَ فيهم: [الكامل]

---

(١) الجملة من «فكان هذا» سقطت من ل.

(٢) الكامل للمبرد ١/ ٢٢٣، والعقد الفريد ٥/ ٣١١.

ذهبتْ قُرَيشٌ بالسَّماحةِ والنَّدى واللؤمُ تحتَ عمائمِ الأنصارِ[1]

فجعلَ الأنصارَ قُرناءَ لقُريش، وعنى بقُرَيش المهاجرينَ. فدخلَ النُّعمانُ بنُ بشير الأنصاريُّ على معاويةَ، ووضعَ عمامتَهُ عن رأسِهِ، فقالَ: هل ترى لُؤماً، يا أميرَ المؤمنينَ؟ قالَ: بل أرى كَرَماً، فما ذاكَ؟ فأخبرَهُ ما قالَ الأخطلُ. فيُقال إنَّه وهبَ له لسانَهُ. فمنعَهُ منه يزيدُ، وقالَ: هو جاري[2].

وقالتِ الأنصارُ يومَ السَّقيفةِ لأبي بكر: منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ. فاحتجَّ عليهم أبو بكر أنَّها لا تصلحُ للأنصارِ بقولِ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ: «الأئمَّةُ من قُرَيش»، فأوجبَها للمهاجرينَ، دونَ الأنصارِ، بل للمهاجرينَ من قُرَيش. واحتجَّتِ الشِّيعةُ بذلك، فقالوا: إن كانتْ قُرَيش أحقَّ بها من الأنصارِ، فإنَّ بني هاشمٍ أحقُّ بها من سائرِ قُرَيش، وأحقُّ بها الأقربُ فالأقربُ. وفي ذلك يقولُ الكُمَيت: [الطويل]

يقولونَ لم يورثْ ولولا تراثُهُ لقد شرِكَتْ فيه بكيلٌ وأرحبُ
وعكٌّ ولخمٌ والسُّكونُ وحميرٌ وكندةُ والحيّانِ بكرٌ وتغلبُ
ولانتشلتْ عضوينِ منها يحابرٌ وكانَ لعبدِ القيسِ عضوٌ مؤرَّبُ
ولانتقلتْ من خندفٍ في سواهمُ ولاقتدحتْ[3] قيسٌ بها ثمَّ أثقبوا[4]
وما كانتِ الأنصارُ فيها أذلَّةً ولا غيَّباً عنها إذِ الناسُ غُيَّبُ
هم شهدوا بدراً وخيبرَ بعدَها ويوم حُنينٍ والدِّماءُ تَصَبَّبُ
وهم رئموها غيرَ ظأرٍ وأشبلوا عليها بأطرافِ القنا وتحدَّبوا
فإن هي لم تصلحْ لحيٍّ سواهمُ فإنَّ ذوي القُربى أحقُّ وأقربُ[5]

فذكرَ هذه الفضائلَ، وقالَ لولا أنَّها لقُرَيش خاصَّةً، لادَّعى فيها هؤلاءِ القبائلُ كلُّها من سائرِ العربِ، ولكانَ أولى النّاسِ بها الأنصارُ، ولما لزمتْهم الحجَّةُ يومَ السَّقيفةِ حتّى قُهِروا وانصرفوا أذلَّةً مغلوبينَ، معَ مشاهدِهم[6] التي قد شهدوها، مثلَ

---

(١) ديوان الأخطل ص ٣١٤.

(٢) زيادة من م وأخواتها.

(٣) في ب: ولاقترحت.

(٤) في ب: ثم أنقبوا.

(٥) هاشميات الكميت ص ٤٣ وما بعدها، وديوان الكميت ص ٥٢٦ وما بعدها.

(٦) في ب: مع شاهدهم.

بدرٍ وحُنَين، ومعَ قبولِهم النَّبيَّ صلّى اللّهُ عليهِ من غير إكراهٍ، ومُحاماتِهم عن نُصرتِهِ. ويعني قولُهُ «رئموها غيرَ ظأرٍ» أي قبلوها من غير إكراهٍ، يعني بيعةَ أبي بكر، ولم يدَّعوا فيها لمعرفتِهم بأن لا حقَّ لهم في الخلافةِ. وأشبلوا: أقاموا. يُقال: أشبَلَ فلانٌ على الأمرِ، أي أقامَ عليه. وأشبَلَتِ المرأةُ على وَلَدِها: أقامتْ عليه[1].

[١٩٠]

الرَّبّانيُّون والأحبار

قالَ أبو عبيد[2]: ﴿كونوا ربّانيِّين﴾ [آل عمران: ٧٩]، رُوِيَ عن الحسنِ قالَ: كونوا فقهاءَ علماءَ، وعن أبي رزين قالَ: حكماءَ[3] علماءَ[4]. وكذلك قالَ محمَّد بن الحنفيَّة[5] رضوانُ اللّهِ عليه في ابنِ عبّاسٍ حينَ ماتَ: اليومَ ماتَ رَبّانيُّ هذه الأُمَّة[6]. وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليهِ لأميرِ المؤمنينَ عليٍّ عليه السَّلام: إنَّكَ رَبّانيُّ هذه الأُمَّةِ وإنَّكَ لذو قَرْنَيها[7]. قالَ أبو عبيد: سمعتُ رجلاً عالماً بالكتبِ يقولُ: الرَّبّانيُّونَ العلماءُ بالحلالِ والحرامِ، والأمرِ والنَّهيِ، والأحبارُ أهلُ المعرفةِ بأنباءِ الأُمَمِ. ولكنّي أحسبُ أنَّ الكلمةَ ليستْ بعربيَّة، إنَّما هي عبرانيَّة أو سريانيَّة. وذلك أنَّ أبا عُبيدة زعمَ أنَّ العربَ لا تعرفُ الرَّبّانيَّ. قالَ أبو عبيد: وإنَّما عرفَها الفقهاءُ والعلماءُ. قالَ: ورُوِيَ عن عدَّةٍ من الفقهاءِ في أحرفٍ كثيرةٍ أنَّها بلغاتِ العجمِ، منها «طه» و«الطُّور» و«الربّانيُّون» و«الرِّبِّيُّون». فيُقالُ إنَّ هذه الأحرفَ بالسُّريانيَّة.

---

(١) أقامت عليه: زيادة من م وأخواتها وهـ.
(٢) هكذا في ب ول، وفي البقية: أبو عبيدة.
(٣) في ب ول: حلماء.
(٤) تفسير الطبري ٣/ ٣٧٩، ومعاني القرآن للنحاس ١/ ٤٢٦.
(٥) في م وأخواتها: محمد بن حنيف.
(٦) ابن الأنباري: الزاهر ١/ ٢٧٩، السجستاني: غريب القرآن ص ٩٧، ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٨١.
(٧) حديث أنك لذو قرنيها في غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٤٤٣: «إن لك بيتاً في الجنة، وإنك لذو قرنيها»، وقال: يريد أنك ذو طرفيها.

قالَ الأخفش: الرِّبِّيُّون هم الذين يعبدونَ الرَّبَّ[١].

قالَ ثعلب: لو كانَ كذلك لَوَجبَ أن يفتحَ الراءَ، فيقولَ رَبِّيٌّ[٢].

قالَ أبو عُبَيدة: الرِّبِّيُّونَ: الجماعةُ الكثيرةُ، والواحدُ رِبِّيٌّ[٣]. والرِّبابةُ: خرقةٌ تجمعُ قِداحَ الميسرِ. وكذلك الرِّبابُ القبائلُ التي تجمَّعت من عكٍّ ومُزَينةَ وغيرِهما. قالَ:

وكأنَّهن رِبابةٌ وكأنَّه ... يَسَرٌ يفيضُ على القِداحِ ويصدعُ[٤]

وقالَ الفرّاء: الرِّبِّيُّون الألفُ[٥]. والرِّبِّيُّون: العلماءُ، هكذا في التَّفسير، وأصلُهُ من الرِّبّة، وهي الجماعةُ. ويُقال للواحدِ رِبِّيّ، كأنَّه نُسِبَ إلى الرِّبّة، والجمعُ «رِبِّيُّون»[٦] بالواو والنُّون.

قالَ ابنُ قُتَيبةَ: رِبِّيُّونَ: جماعاتٌ كثيرةٌ، ويُقال: الألوفُ. وأصلُهُ من الرِّبّةِ، وهي الجماعةُ[٧]. وذكرَ نحوَ قولِ الفرّاءِ.

قالَ المبرِّد: إنَّما هو منسوبٌ إلى العلمِ بدينِ الرَّبِّ جلَّ وعزَّ. والدَّليلُ على ذلك قوله عزَّ وجلَّ ﴿قاتلَ معَهُ رِبِّيُّونَ كثيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، فيكونونَ جماعةً منسوبةً إلى الرِّبِّ، ويُكسرُ أوَّلُهُ، كما قالوا في النَّسَبِ إلى البصرةِ «بِصريّ»، وكأنَّه مأخوذٌ من الرِّبَّة، وهي[٨] الخرقةُ التي تُجمَعُ فيها السِّهامُ، وبها سُمِّيَت «الرِّباب». وقالوا في النَّسَبِ إلى البحرينِ[٩] «بحرانيّ»، وكانَ حقُّهُ «بحريّ»[١٠]، ولكن كرهوا

---

(١) معاني القرآن للأخفش ص ٢٣٥، وانظر: تفسير الطبري ٤/ ١٤٨. ونسب الرأي لبعض نحويي البصرة.

(٢) تفسير الطبري ٤/ ١٤٩. ونسب الرأي لبعض نحويي الكوفة.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ١٠٤.

(٤) النص من «الربابة خرقة» زيادة من م وأخواتها. والبيت لأبي ذؤيب الهذلي في أشعار الهذليين بشرح السكري ص ١٨.

(٥) في معاني القرآن للفراء ١/ ٢٣٧: الربيون: الألوف. ولم ترد الزيادة التالية.

(٦) هكذا في م وأخواتها.

(٧) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١١٣.

(٨) في ب: ومن الخرقة.

(٩) هكذا في ل وم وأخواتها، وفي ب: إلى البحر.

(١٠) كتاب سيبويه ٣/ ٣٣٦.

أن يلتبسَ بالنَّسبِ إلى البحرِ[1]، وإلى اللِّحيةِ «لحيانيّ»، وإلى الرَّقبة «رقبانيّ»، وهو مطَّردٌ في هذا الخبرِ. قالَ سيبويه: الذينَ قالوا «لحيانيّ» و«شعرانيّ» إنَّما زادوا الألفَ والنُّونَ علامةً لهذا المعنى، أي طويلُ اللِّحيةِ، وغليظُ الرَّقَبَةِ، وكثيرُ الشَّعرِ. فإن نسبتَ إلى الرَّقَبة لم تقُلْ إلّا «رَقبيّ»، وإلى الشَّعر «شَعريّ»[2].

فالرَّبّانيُّ منسوبٌ إلى العلمِ بدينِ الرَّبِّ كما أخبرتُ. فهذه الحكاياتُ عن الفقهاءِ والعلماءِ باللُّغةِ والعربيَّة على هذا. قالَ أبو حاتم[3]: وأحسنُ هذه الأقوالِ وأقربُها مأخذاً ما قالَ سيبويه. وإنَّما يعني سيبويه أنَّ الألفَ والنُّونَ يُزادانِ هاهنا لمعنىً مخصوصٍ به الاسمُ الذي نُسِبَ بالألفِ والنُّونِ دونَ غيرِهِ، لأنَّ قولَهُ «لحيانيّ» خُصَّ به دون غيرِهِ، لأنَّه مخصوصٌ بطولِ اللِّحية، وغِلَظِ الرَّقَبة دونَ غيرِهِ[4]. وكذلكَ الرَّبّانيُّ هو المخصوصُ بعلمِ الرَّبِّ دونَ غيرِهِ، معناه صاحبُ العلمِ بالرَّبِّ دونَ غيرِهِ، الذي قد اختصَّهُ الرَّبُّ بعلمٍ دون سائرِ النّاسِ، أو اختصَّهُ بالولايةِ والنِّسبةِ إلى نفسِهِ دونَ غيرِهِ. فقيلَ له «رَبّانيّ» لذلك.

وأمّا «الحبر» فإنَّ أبا عبيد[5] زعمَ أنَّه قيلَ «كعبُ الأحبارِ» مضافٌ إلى «الحِبر» الذي يُكتَبُ به[6]. وأنكرَ ابنُ قُتَيبةَ ذلك، وقالَ: لا أدري لِمَ نسبَهُ إلى الحِبرِ الذي

---

(١) الجملة زيادة من م وأخواتها، لم ترد في ل وب.

(٢) كتاب سيبويه ٣/ ٣٨٠، بتصرف.

(٣) زيادة من م وأخواتها.

(٤) هذا التعليل تبسيطي إلى حد ما من الناحية اللغوية، لأن اللغويين العرب كانوا يفسرون الظواهر اللغوية بما يتوافر بين أيديهم. والحال أن «بحراني» ليست نسبة إلى «البحر»، بل إلى «البحرين»، والقاعدة في النسبة إلى العدد المركب هو أن يبنى على ما يرفع به، ثم تضاف له ياء النسبة. فيقال في البحرين «بحران» ثم تضاف له ياء النسبة، وفي اثني عشر: «اثناعشري»، وفي الرافدين: «رافداني». أما «لحيان» فليست مشتقة من اللحية، بل من اسم «الحيان»، وهي قبيلة عربية أسست مملكة قبل المسيحية، في شمال الحجاز، ثم أخضعها الأنباط لهم، واستمرت حتى القرون الأولى بعد الميلاد. ويصح القول نفسه على «صنعاني»، فهي ليست نسبة إلى «صنعين»، بل إلى الاسم القديم لصنعاء، الذي يرد في النقوش بصيغة «صنعان». والأرجح أن «رباني» مأخوذ من الآرامية على النحو نفسه.

(٥) في م وأخواتها: أبا عبيدة، وهو خطأ.

(٦) أبو عبيد: غريب الحديث ١/ ٢٢٢، وابن قتيبة: إصلاح غلط أبي عبيد ص ١٤٥، وينظر: معاني القرآن للنحاس ٢/ ٣١٤.

يُكتَبُ به، على وصفِهِ بالعلمِ، وهو لا يرويه عن أحدٍ. فإن كانَ كذلك لأنَّه سمعَ قوماً يقولونَ «كعب الحِبر»، فإنَّ العربَ تقولُ للعالِمِ «حَبْر» و«حِبْر»، وهو معروفٌ عنهم فيما جاءَ على «فَعْل» و«فِعْل»، باتِّفاقِ المعنى[1]، مثل رَطْل ورِطل، وجَسْر وجِسر، وثوبٍ شَفٌّ وشِفٌّ. قالَ: والدَّليلُ على أنَّه ليسَ بمنسوبٍ إلى الحِبرِ الذي يُكتَبُ به أنَّ الأكثرَ على ألسنةِ النّاسِ «كعب الأحبار»، والأحبارُ: العلماءُ، كأنَّه عالمُ العلماءِ أو صاحبُ العلماءِ أو واحدُ العلماءِ وما أشبهَهُ[2].

وأمّا الحِبرُ الذي يُكتَبُ به فقالَ قومٌ سُمِّيَ بذلك لأنَّه أُخِذَ من الحسنِ. يُقال: حَبَرتُ الشَّيءَ أي حسَّنتُهُ، ومحبَّرٌ: محسَّنٌ. وقيلَ لثيابٍ تُحمَلُ من اليمنِ «حِبَر»، واحدُها «حِبَرة»، سُمِّيَت بذلك لحسنِها. وأنشدَ: [الكامل]

نُبِّئتُ أنَّ دماً حراماً نلتَهُ ... وهريقَ في بُردٍ عليكَ محبَّرِ[3]

وقالَ أوس: [الطويل]

وإن هزَّ أقوامٌ إليَّ وجرَّدوا ... كسوتهمُ من حَبْرِ بزٍّ متحَّمِ[4]

ويُروى: من خيرِ حَبرٍ. قالَ أبو عمرو: من خيرِ حَبرٍ، وهو من الحَبرة. قالَ الباهليُّ: حَبْرة: بهجةٌ وسرورٌ، يُقال: ما أبينَ حَبرَ الغنى عليه، أي بهجتَهُ. ويُقال: عليه حَبرةُ الملوكِ، حَبرةٌ: بهجةٌ وسرورٌ. قالَ ابنُ أحمرَ: [الوافر]

لَبِسْنا حِبْرَهُ[5] حتّى اقتضينا ... لأعمالٍ وآجالٍ قُضِينا[6]

ومنه قولُهم «لم تُملأْ دارٌ حَبرةً، إلّا مُلِئَتْ عِبرةً»[7]. قالَ أبو عمرو يُقال: رجلٌ عليه حبرُ الشَّبابِ، أي حُسنُهُ. وفي الحديثِ أنَّ عليّاً عليه السَّلام مرَّ على يهوديٍّ يسألُ مسلماً عن شيءٍ من أمرِ الدِّينِ، فقالَ له عليه السَّلام: سلْني ودعِ

---

(١) باتفاق المعنى: زيادة من م وأخواتها.
(٢) ابن قتيبة: إصلاح غلط أبي عبيد ص ١٤٥.
(٣) ديوان أوس بن حجر ص ٤٧.
(٤) ديوان أوس بن حجر ص ١٢٣.
(٥) في الأصول: حبرة، وأثبت ما في غريب الحديث وشعره.
(٦) غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٢٢٠، وشعر عمرو بن أحمر ص ١٦٤.
(٧) زيادة من م وأخواتها.

الرَّجُلَ. فقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ، أنتَ حَبرٌ، أي عالِمٌ. فقالَ عليٌّ رضوانُ اللّهِ عليه: أن تسألَ عالِماً أجدى عليكَ[1].

وقالَ أبو زبيد[2] يرثي علياً عليه السَّلام: [البسيط]

إنَّ الكرامَ على ما كانَ من خُلُقٍ … رهطُ امرئٍ خارَهُ للدِّينِ مختارُ[3]
طبٌّ بصيرٍ بأضغانِ الرِّجالِ ولم … يُعدَلْ بحبرِ رسولِ اللّهِ أحبارُ

فالحبرُ: العالمُ. ويُقال له: حِبر وحَبر. قالَ ثعلب: الكسرُ أجودُ وأفصحُ. ويُقال: حبرَ بالشَّيءِ حبراً، أي فرحَ به. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فَهُمْ في روضةٍ يُحبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥]. قالَ الشّاعر: [الطويل]

نعى ابني مجلٍّ صوتُ ناعٍ أصمَّني … فلا آبَ محبوراً بريدٌ نعاهما[4]

والحبارةُ: البشارةُ، والحَبرُ والسَّبرُ: الهيئةُ واللَّونُ[5]. ويُقالُ: ما أحسنَ حِبارَ بلدِكم. فكأنَّ العالِمَ سُمِّيَ «حبراً» إذا تناهى في العلمِ، فأوردَ على المتعلِّمِ أحسنَ العلومِ، أو يُحسِّنُ العلمَ[6] في عينِ المتعلِّمِ لحسنِ بيانِهِ، حتّى يفرحَ به قلبُهُ، فيكونَ محبوراً به، مسروراً، فسُمِّيَ «حبراً» لذلك.

[١٩١]
القسِّيسونَ[7] والرُّهبان

واحدُ القِسِّيسينَ: قِسيسٌ وقِسٌّ، ويجمع أيضاً قُسوس. قالَ جرير: [المتقارب]

---

(١) الكامل للمبرد ٣/ ١٤٥، وفيه: خبر، بالخاء، وهو خطأ.
(٢) في ك وج وخ: زبير.
(٣) في عدة أبيات في الكامل للمبرد ٣/ ١٤٥، وشعر أبي زبيد الطائي في «شعراء إسلاميون» ص ٦١٢.
(٤) لمحياة بنت طليق في أشعار النساء للمرزباني ص ١١٣، والموازنة للآمدي ص ١٠٣.
(٥) هكذا في م وأخواتها، وفي ب ول: الحبار والسمار والحبر والحبر الهيئة واللون، وفي ب: الهيبة واللون.
(٦) في ب: العمل.
(٧) في جميع الأصول: القسيسين.

وقد شبرتْ هنَّ قَسّ القُسوسِ فكانَ ثلاثةَ أشبارِها[1]

والقَسُّ عندَهم العظيمُ العالمُ العابدُ. والكلمةُ ليستْ بعربيَّةٍ. والرُّهبانُ واحدُهم راهبٌ. والقَسُّ عندَهم أعظمُ من الرّاهبِ. والرّاهبُ الذي قد تحلَّى[2] بالعبادةِ، وجمعُهُ رُهبان. ويكون الرُّهبانُ أيضاً واحداً في بعضِ اللُّغاتِ. وأنشدَ لابنِ أحمرَ[3]: [الرجز]

لو كلَّمَتْ رُهبانَ ديرٍ في القُلَلْ لأقبلَ الرُّهبانُ يسعى ونَزَلْ[4]

فجعلَهُ واحداً. ويُقال: قد ترهَّبَ رَهَباً ورُهباً[5]، وهو من الرَّهبة. والرَّهبةُ: الخوفُ والخشيةُ، كأنَّه أُخِذَ من أنَّهم يرهبونَ اللّهَ. وأصلُهُ مأخوذٌ من التَّذلُّلِ والهزالِ. قالَ الأعشى: [المتقارب]

ولا بدَّ من غزوةٍ في المصيفِ رَهْبٍ تُكلُّ الوقاحَ الشَّكورا[6]

غزوةٌ رَهْبٌ: أي مذلَّلةٌ، يعني تُهزِلُ الخيلَ وتُذلِّلُها. والرَّهيبُ: المهزولُ، والرّاهبُ: الذي قد كَلَّ وأعيا وهَزُلَ. فكأنَّ الرّاهبَ هو الذي هزلتْهُ العبادةُ والخوفُ والخشيةُ ونهكتْهُ. و«راهب»: «فاعل» من ذلك، لأنَّه حملَ نفسَهُ على الضُّرِّ والهزالِ[7].

[١٩٢]

الأولياء والموالي والولاية والموالاة

الأولياءُ جمعُ الوليِّ. قالَ أبو عبيد[8] في قولِهِ ﴿إنَّما وليُّكمُ اللّهُ ورسولُهُ والذينَ آمنوا الذينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤتُونَ الزَّكاةَ وهم راكعونَ﴾ [المائدة: ٥٥]،

(١) ديوان جرير ص ٣٧١.
(٢) في الأصول: تخلى.
(٣) هكذا في ب، وفي ل وهـ: الأحمر.
(٤) تفسير الطبري ٨/٧، بلا نسبة، ولم يرد في شعر عمرو بن أحمر المجموع.
(٥) إلى هنا ينتهي نص المخطوطة ل.
(٦) ديوان الأعشى ص ٨٨، وفيه: (حت) بدل (رهب).
(٧) النص من «غزوة رهب» زيادة من م وأخواتها وهـ، سقطت من ب.
(٨) هكذا في ب، وفي م وأخواتها وهـ: أبو عبيدة.

قالَ: حدَّثَنا هيثم بن يزيد[1] عن عبد الملك بن سليمان عن أبي جعفرٍ محمَّد بن عليّ رضوانُ اللّهِ عليه، أنَّه قالَ: نزلتْ في الذينَ آمَنوا. قالَ: قلتُ له: بلغنا أنَّها نزلتْ في عليٍّ. قالَ: عليٌّ من الذينَ آمَنوا. قالَ أبو عبيد[2]: وفي هذه الآيةِ[3] تفسيرُ الحديثِ المرفوعِ «مَن كنتُ مولاه، فعليٌّ مولاه»، لأنَّ المولى والوليَّ في كلامِ العربِ واحدٌ، وكذلكَ هو في التَّنزيلِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿اللّهُ وليُّ الذينَ آمَنوا يُخرِجُهم مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ والذينَ كَفَروا أولياؤُهم الطّاغوتُ يُخرِجُونَهم مِنَ النُّورِ إلى الظُّلُماتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. قال هاهنا «وليّ»، وقالَ في موضعٍ آخرَ ﴿ذلكَ بأنَّ اللّهَ مَولى الذينَ آمَنوا وأنَّ الكافرينَ لا مَولى لهم﴾ [محمد: ١١]، أفليسَ معناهما واحداً؟ وإنَّما وجهُ الحديثِ عن الولايةِ في الدِّينِ، وهي أشرفُ الولاياتِ. والوليُّ في غيرِ هذا الموضعِ في النَّسَبِ، ومنه قولُهُ عزَّ وجلَّ ﴿ومَن قُتِلَ مَظلوماً فقد جَعَلنا لوليِّهِ سُلطاناً﴾ [الإسراء: ٣٣]، قالَ هاهنا «وليّ». وقالَ في موضعٍ آخَرَ: ﴿يومَ لا يُغني مَولىً عن مَولىً شيئاً﴾ [الدخان: ٤١]، أفليسَ معناهما واحداً؟ وكذلك ﴿إنِّي خفتُ المواليَ مِن ورائي﴾ [مريم: ٥]، الوراءُ[4] في التَّفسيرِ العصبةِ، فهو لأولياءِ النَّسَبِ[5]. وكذلك قولُ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليهِ وآله «أيُّما امرأةٍ نكحتْ لغيرِ أمرِ وليِّها فنِكاحُها باطلٌ»[6]. وكذلك قوله «أسألك غنائي وغناء مولاي». ومثلُهُ كثيرٌ. وفي قولِهِ ﴿ما لكم من وَلايتِهم من شيءٍ حتّى يُهاجِروا﴾ [الأنفال: ٧٢]. قرأ الكسائيُّ: التي في «الأنفال» من وَلايتهم، بفتحِ الواو[7] وقالَ: لأنَّها من النُّصرةِ، والتي في «الكهف» هناك للولايةِ للّهِ بكسرِ الواو[8]. قالَ: لأنَّها من السُّلطانِ. وأبو عُبَيدة يفتحُ الواوَ فيهما جميعاً.

---

(١) هكذا في هـ، وفي ب: هشيم عن يزيد.

(٢) في م وأخواتها وهـ: أبو عبيدة.

(٣) هكذا في هـ، وفي ب: وفي هذا الحديث.

(٤) زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.

(٥) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/ ٥٩٢.

(٦) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/ ٥٩٢.

(٧) زيادة من م وأخواتها وهـ.

(٨) زيادة من م وأخواتها وهـ.

قالَ الفرّاءُ: والوَلايةُ في السُّلطانِ، والوِلايةُ في الدِّينِ[1]. وقولُهُ ﴿ما لَكُم من وَلايتِهم من شيءٍ حتّى يُهاجِروا﴾ [الأنفال: ٧٢]. وقالَ أبو حاتم السِّجستانيُّ[2]: القراءةُ بالفتحِ، لأنَّه من الموالاةِ في الدِّينِ، والوِلاية بالكسرِ من ولايةِ السُّلطان. وقد قُرِئَ بهما، ولا أستحسنُها في هذا الموضعِ.

قالَ أبو عبيد[3]: مَن قرأَ الوِلايةَ بالكسرِ، ذهبَ مذهبَ السُّلطانِ والمُلكِ، ومَن فتحَها أرادَ وَلايةَ الدِّينِ، كقولِهِ ﴿اللّهُ وليُّ الذينَ آمَنوا﴾، وكقوله ﴿ذلك بأنَّ اللّهَ مَولى الذينَ آمَنوا وأنَّ الكافرينَ لا مَولى لهم﴾. قالَ: وهذا أجودُ الوجهَينِ، لأنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ ليسَ يُسَمَّى سُلطانُهُ «ولايةً»، مثل الإمارةِ، وهذا إنَّما يكونُ للبشرِ، وهو يجلُّ عن ذلكَ، تعالى اللّهُ عُلُوّاً كبيراً.

ورُوِيَ عن أبي صالحٍ في قولِهِ ﴿إنِّي خفتُ المواليَ مِن ورائي﴾ [مريم: ٥]، قالَ: الكلالة[4]. وعن مجاهد، قالَ: العصبة[5]. وعنِ ابنِ عبّاس في قولِهِ ﴿أنتَ مَولانا﴾ [البقرة: ٢٨٦] قالَ: اللّهُ مولاكَ ومَولى جميعِ الخلقِ. وروى أبو معاوية عن الأعمشِ عن سعيد بن عبيدة عن ابنِ أبي بُرَيدةَ عن أبيه، قالَ: بعثَنا رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ في سريَّةٍ، فاستعملَ علينا عليّاً. فلمّا قدمْنا، قالَ: كيفَ رأيتم أميرَكم؟ فلمّا شكوتُهُ أو شكاه غيري[6]، قالَ: وكنتُ رَجُلاً مِكباباً فرفعتُ رأسي، فإذا النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليهِ قد احمرَّ وجهُهُ، فقالَ: مَن كنتُ وليَّهُ فعليٌّ وليُّهُ.

وقالَ أبو عُبَيدة في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿ما لَكُم مِن ولايتِهم من شيءٍ حتّى يُهاجِروا﴾، إذا فتحتَها فهي مصدرُ الوليِّ الذي يلي الأمرَ[7]، وإذا كسرتَها فهي من قولِكَ: وليتُ العملَ، أليه[8]. وقالَ في قولِهِ ﴿وهو كَلٌّ على مَولاه﴾ [النحل:

(١) قال الفراء: وكسر الواو في الولاية أعجب إليَّ من فتحها، لأنها إنما تفتح أكثر من ذلك إذا كانت في معنى النصرة. معاني القرآن ١/٤١٨.
(٢) السجستاني: زيادة من م وأخواتها وهـ.
(٣) في م وأخواتها وهـ: أبو عبيدة.
(٤) تفسير الطبري ١٦/٥٦.
(٥) تفسير الطبري ١٦/٥٦.
(٦) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: فإما شكوته وإما شكاه غيري.
(٧) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/٢٥١.
(٨) وإذا كسرتها: زيادة لم ترد في ب ومجاز القرآن.

٧٦]، أي عِيالٌ على ابنِ عمِّهِ وكلٌ وليٌّ له[١]. وقالَ سُحَيم بن وشيل الرِّياحيُّ:

هـمُ أكرموني في الجوارِ وخلتَني متى كنتُ مولى نعمةٍ لا أُضيعُها[٢]

وفي قولِهِ ﴿ولكلٍّ جَعَلنا مَواليَ﴾ [النساء: ٣٣]، يعني أولياءَهُ وورثتَهُ والذينَ عاقدتْ أيمانُكم[٣]. وفي قولِهِ ﴿إنِّي خفتُ الموالِيَ مِن ورائي﴾، يعني بني العمِّ[٤]. وأنشدَ للفضلِ بنِ العبّاس: [البسيط]

مهلاً بني عمِّنا مهلاً موالينا لا تُظهِرَنَّ لنا[٥] ما كانَ مدفونا[٦]

اللّهُ يعلمُ أنّا لا نُحبُّكمُ ولا نلومُكمُ أن لا تُحبُّونا[٧]

وقالَ أبو عُبَيدة: المولى: العقيد، الذي عاقدَهُ وحالفَهُ، والمولى: الأسفل، والمولى: الوليُّ، مِن: مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، والمولى: المنعمُ[٨]. قالَ الشّاعر [من الطويل]:

ومولىً كداءِ البطنِ لو كانَ قادراً على الموتِ أفنى الموتُ أهلي وماليا[٩]

يعني بالمولى هاهنا ابنَ العمِّ. وقالَ الطَّيفان[١٠] من بني عبد اللّه بن دارم، والطَّيفانُ أمُّهُ: [الطويل]

ومولىً كمولى الزِّبْرِقانِ ادَّملتُهُ كما اندَمَلَتْ ساقٌ يُهاضُ بها كسرُ[١١]

ادَّملتُهُ: احتملتُهُ واحتملتُ ما جاءَ منه[١٢].

وقالَ أبو عمرو في قولِهِ ﴿فَهَبْ لي مِن لَدُنْكَ وَليّاً يَرِثُني ويَرِثُ من آلِ يعقوبَ﴾

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣٦٤.
(٢) سقط من ب.
(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٢٤.
(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ١.
(٥) هكذا في ب والمجاز، وفي هـ: لا تبعثوا بيننا.
(٦) مجاز القرآن ١/ ١٢٥، وديوان الفضل بن العباس ص ٤٢.
(٧) البيت زيادة من م وأخواتها وهـ، سقط من ب.
(٨) في الأصول شيء من الارتباك، والنص لأبي عبيدة في مجاز القرآن ١/ ١٢٤.
(٩) مجاز القرآن ١/ ١٢٥.
(١٠) في ب: الطغيان.
(١١) مجاز القرآن ١/ ١٢٥.
(١٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٢٥.

[مريم: ٥-٦] قالَ: وارثاً ووصيّاً وعَضُداً، وفي قولِهِ ﴿لَبِئْسَ المَولى ولَبِئسَ العشيرُ﴾ [الحج: ١٣]، قالَ: المولى: ابنُ العمِّ، والعشيرُ: الخليطُ، وفي قولِهِ ﴿لا يُغني مَولىً عن مَولىً شيئاً﴾: ابنُ عمٍّ عن ابنِ عمٍّ. وقالَ عامر الخصفيُّ: [الوافر]

هُمُ المولى وقد جَنَفوا عَلَينا وإنّا مِن لِقائِهِم لَزُورُ[1]

قالَ: المولى هاهنا في معنى الموالي، أي بني العمِّ. وقالَ في قولِهِ ﴿هو مولاكم﴾ [الحج: ٧٨]: أولى بكم. وأنشدَ للبيد: [الكامل]

فغدتْ كلا الفَرْجينِ تحسَبُ أنَّه مَولى المخافةِ خلفُها وأمامُها[2]

والوليُّ ضدُّ العدوِّ. يُقال: هذا وليُّهُ، وهذا عدوُّهُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا لا تتَّخذوا عَدوِّي وعَدوَّكم أولياءَ تُلقُونَ إليهم بالمودَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، فجعلَ الوليَّ ضدَّ العدوِّ. فكأنَّ معنى الوليِّ معنى الصَّديقِ. ويكونُ الوليَّ الأعلى والسَّيِّدَ، ويكونُ المسودَ، وكذلك المولى يكونُ السَّيِّدَ، ويكونُ العبدَ. ويُقال للمعتَقِ «المولى»، وللمعتِقِ «المولى»، والمولى ابنُ العمِّ، والمولى الجارُ، والمولى الحليفُ. وأنشد: [البسيط]

أُنبِئتُ حيّاً على نعمانَ[3] أسلمَهم مولى اليمينِ ومولى الدّارِ والنَّسَبِ[4]

مولى اليمينِ: الحليفُ، ومولى البَلَدِ: الجارُ، ومولى النَّسَبِ: ابنُ العمِّ. وقالَ في الحليفِ: [الطويل]

فما وَجَدونا بالفُروقِ أُشابَةً ولا كُشُفاً ولا وُجِدنا مواليا[5]

أي حلفاءَ. وأنشدَ في الجارِ: [الطويل]

كريمُ النَّثا مولاهُ غيرُ ذليلِ[6]

---

(١) مجاز القرآن ١/٦٦.
(٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص ٣١١.
(٣) في ب: سهمان، وفي هـ: استعمان.
(٤) العمدة لابن رشيق ٢/١٩٨.
(٥) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ٢/ ١٣٠، وديوان عنترة بن شداد ص ٩٦.
(٦) ديوان الحطيئة، طبعة نعمان ص ٩، طبعة دار الجيل ص ١٥٩، وأوله: أخو ثقة ضخم الدسيعة ماجد.

وأنشدَ في الصّاحبِ للنّابغة: [البسيط]

وإنَّ مَولاكَ لم يَسْلَمْ ولم يَصِدِ[1]

قالَ أبو عُبَيدةَ: مَولاكَ يعني صاحبَ الكلابِ. وقالَ الأصمعيُّ: مَولاكَ هاهنا يعني الكلبَ الآخرَ. وقالَ: المولى: القَيِّمُ. وأنشد[2]: [الوافر]

ألا أبلغْ لديكَ بني كلابٍ ... وكعبٍ والخطوبُ لها موالي[3]

موالي: يعني قوماً يقومونَ بها، ويلونَها. وقالَ بشر: [الطويل]

أجَبنا بني سَعْدِ بن ضَبَّةَ إذ دَعَوا ... وللّهِ مولى دعوةٍ لا يجيبُها[4]

قالَ الأصمعيُّ: مولى دعوةٍ: صاحبُ دعوةٍ. وهكذا قالَ ابنُ الأعرابيِّ.

والوليُّ الذي بيدِهِ مُلكُ الشَّيءِ، من ذلك وليُّ المرأةِ، ووليُّ النِّكاحِ ومولاه واحدٌ. ويُقال لأوَّلِ مطرِ[5] الرَّبيعِ «الوَسْميّ»، لأنَّه يسمُ الأرضَ بالنَّباتِ، وللآخرِ «الوليّ»، لأنَّه يلي الأوَّلَ، ويجيءُ[6] بعدَهُ ومتَّصلاً به. ويُقال: وُلِيَتِ الأرضُ، فهي مَوليَّة، إذا أصابَها الوليُّ، وهو المطرُ الثّاني. وقالَ أبو دؤاد الإياديُّ[7]: [الخفيف]

مَن لعينٍ بدمعِها مَوليَّةْ ... ولنفسٍ ممّا عَناها شَجِيَّةْ[8]

فالمولى قد جاءَ على هذه الوجوهِ؛ المولى: السَّيِّد، والمولى: العبدُ، والمولى: القَيِّم، والمولى: الصّاحبُ، والمولى: العقيدُ والحليفُ، والمولى: الجارُ، والمولى: المُعتِقُ، والمولى: المُعتَقُ، والمولى: العصبةُ، والمولى: ابنُ العمِّ[9]. وقد جاءَ في الوليِّ والمولى عن أهلِ التَّفسيرِ وأصحابِ اللُّغةِ ما قد

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٢٠، وأوله: قالت له النفس إني لا أرى طمعاً.

(٢) من «وإن مولاك» سقط من ب.

(٣) للبيد بن ربيعة العامري في سيرة ابن هشام ١/ ١٨٥، وديوانه ص ٢٧٦.

(٤) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي ص ١٥.

(٥) في ب: المطر.

(٦) في ب: وجاء بعده.

(٧) الإيادي: سقطت من ب.

(٨) ديوان أبي دؤاد الإيادي ص ٣٤٨.

(٩) زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.

ذكرناه. وقالوا: المولى والوليُّ واحدٌ، وقد فسَّروه من القرآنِ، ومن الشِّعرِ على نحوِ ما بيّناه. فكأنَّ الوليَّ سُمِّيَ بذلك على ما دلُّوا عليه لأنّه يلي الشَّيءَ، ويتَّصلُ به، فقيلَ للسَّيِّدِ «وليّ» لأنَّه يلي مَن هو دونَهُ ويسوسُهم ويدبِّرُهم. وسُمِّيَ أولياءُ الرَّجُلِ «أولياء» لأنَّهم متَّصلونَ به، وكذلك ابنُ العمِّ والصّاحبُ والعشيرُ والسَّيِّدُ والعبدُ. وكلُّ هذه المعاني تدلُّ على الاتِّصالِ[1]. فكأنَّ الوَلايةَ والوِلاية هو الاتِّصال. وقولُ اللّهِ ﴿اللّهُ وليُّ الذينَ آمَنوا﴾ [البقرة: ٢٥٧]، و﴿إنَّ اللّهَ مولى الذينَ آمَنوا﴾ [محمد: ١١]، لأنَّه عزَّ وجلَّ وصلَهم برحمتِهِ، فهو يلي أمورَهم، ويختصُّهم[2] بالرَّحمةِ دونَ غيرِهم. وأولياءُ اللّهِ هم المختصُّونَ به دونَ غيرِهم. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿يا أيُّها الذينَ هادُوا إن زَعَمتم أنَّكم أولياءُ للّهِ من دونِ النّاسِ فتمنَّوا الموتَ إن كنتُم صادقينَ﴾ [الجمعة: ٦]. وقولُ[3] رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ في علي «مَن كنتُ مولاه، فعليٌّ مولاه، ومَن كنتُ وليَّهُ، فعليٌّ وليُّهُ» معناه، واللّهُ أعلمُ، مَن كنتُ صاحبَهُ ووليَّ أمرِهِ وحليفَهُ وجارَهُ والقائمَ بأمرِهِ، فعليٌّ يلي ذلك كلَّهُ منه[4]. وكذلك الولايةُ في السُّلطانِ، لأنَّه يلي أمورَ النّاسِ، والنّاسُ متَّصلونَ به، والولايةُ في الدِّينِ لأنَّهم يتولَّونَهُ، فهو يلي أمرَ دينِهم. وفرَّقَ بينَ اللَّفظينِ، ففتحَ الواوَ وكسرَها ليدلَّ على المعنَيينِ. وهذه المعاني كلُّها راجعةٌ إلى ما ذكرنا[5]، واللّهُ أعلمُ.

[١٩٣]

الآل والأهل وأهل البيت

قالَ أبو عُبَيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿آل فِرعَونَ﴾ [البقرة: ٤٩] أهلُ بيتِهِ وقومُهُ وأهلُ دينِهِ وملَّتِهِ[6]. وقالَ في قولِهِ ﴿وعلى آلِ يَعقوبَ﴾ [يوسف: ٦]، أي

(١) في ب: الأنصار.
(٢) ويختصهم: سقطت من ك وهـ.
(٣) في هـ: وقال.
(٤) تختلف صيغة الشرح في ب قليلاً.
(٥) في هـ: إلى ما قلنا.
(٦) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٤٠.

أهلِ يعقوبَ. والدَّليلُ على ذلك أنَّكَ إذا صغَّرتَهُ قلتَ «أُهَيل»[1]. قالَ أبو عمرو في قولِهِ ﴿آل ياسينَ﴾: أهلُهُ وأهلُ بيتِهِ جميعهم، بغيرِ إضافةِ الياءِ إلى العددِ. قالَ ﴿سلامٌ على آلِ ياسينَ﴾ [الصافات: ١٣٠]. وأنشد: [الرجز]

قَدْنيَ من نصرِ الخُبَيبينَ قَدي ... ليسَ أميري بالشَّحيحِ الملحدِ[2]

يعني أبا خُبيب، وهو عبدُ اللّهِ بنَ الزُّبَير ومَن كانَ معَهُ على دينِهِ ورأيِهِ عدداً. ولم يصفْهُ بالياءِ، فيقول «خُبَيبيُّون». والعربُ تفعلُ هذا. وقالَ أبو عمرو بن العلاء: نادى منادٍ يومَ الكلابِ: «هلكَ اليزيدونَ». يعني يزيدَ بنَ عبد المدان، ويزيدَ بنَ هوبر، ويزيدَ بنَ المخرَّم[3].

وفي قراءةِ أهلِ المدينةِ (سلامٌ على آلِ ياسينَ)، قالَ: هم قومُهُ ومَن كانَ على دينِهِ. واحتجُّوا بقولِهِ ﴿ادخلوا آلَ فِرعَونَ أشدَّ العذابِ﴾ [غافر: ٤٦]، قالَ: هم قومُهُ ومَن كانَ على دينِهِ. وقالوا: آلُ محمَّدٍ صلّى اللّهُ عليهِ: أهلُ بيتِهِ. واحتجُّوا بأنَّكَ إذا صغَّرتَ «الآل» قلتَ «أُهَيل»[4].

قالَ الكسائيُّ: (آلَ فِرعَونَ) تقولُ العربُ: آلُ فلانٍ، إذا ذكروا اسمَ رجلٍ أو كنيتَهُ، أو اسمَ المرأةِ، ولا يُقال في المكنيِّ ولا في البلادِ. فلا يُقال «من آلِ الكوفةِ»، ولا «من آلِ البصرةِ»، ولا يُقال من آلِهِ، يُريدُ من آلِ فلانٍ. وقالَ بعضُ أهلِ اللُّغة: الآلُ ولدُ الرَّجُلِ ونسلُهُ. وأنشدَ للنّابغة: [الطويل]

قعوداً على آلِ الوجيهِ ولاحقٍ ... يقيمونَ حوليّاتِها بالمقارعِ[5]

وأنشدَ للكُمَيت: [الطويل]

على الجُردِ من آلِ الوجيهِ ولاحقٍ ... تُذكِّرُنا أوتارَنا حينَ تَصهَلُ[6]

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣٠٢.

(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ١٧٣، والبيت لحميد الأرقط في إصلاح المنطق ص ٣٤٢، الاختيارين ص ٥٢٣، الأمالي الشجرية ص ١٤، لسان العرب ١١/ ٥٥ مادة (قدد).

(٣) ينظر النقائض لأبي عبيدة ١/ ١٥١، وأيام العرب ص ٨١: قتل اليزيديون، والعقد الفريد ٥/ ٢١٥، وابن الأثير ٢/ ٤٠٦. وابن المخرم: في ب: ابن مخزوم، وفي هـ: بن محرم.

(٤) تنظر: رسالة الغفران للمعري.

(٥) ديوان النابغة الذبياني ص ٨٦.

(٦) ابن الكلبي: أنساب الخيل ص ٣٤، وهو في ديوان الكميت ص ٣٢٩ (نقلاً عن تاج العروس).

وأنشدَ للجعديِّ: [الرمل]

نـجـلُ فـيّـاضٍ ومـن آلِ سَـبَـلْ[1]

قال أبو حاتم:[2] فهذا يدلُّ على أنَّ الآلَ الولدُ والنَّسلُ. ثمَّ قيلَ لكلِّ مَن شايعَ رجلاً على دينِهِ ومذهبِهِ «هو من آلِهِ». قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ادخلوا آلَ فِرعَونَ أشدَّ العذابِ﴾ [غافر: ٤٦]، يعني أهلَ دينِهِ ومذهبِهِ[3]. قالَ: وآلُ الرَّجُلِ يكونُ أهلَ بيتِهِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وقالَ رَجُلٌ مؤمِنٌ من آلِ فِرعَونَ يكتُمُ إيمانَهُ﴾ [غافر: ٢٨] قالَ أبو عبيدةَ: في الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ، وإنَّما[4] معناه: رجلٌ يكتمُ إيمانَهُ من آلِ فِرعَونَ. فالصِّفةُ صلةٌ لـ«يكتمُ إيمانَهُ». وقالَ بعضُ العلماءِ: كانَ ابنَ عمِّهِ من أهلِ بيتِهِ، وكانَ اسمُهُ «حرمل»[5]، وهو الذي قالَ لموسى ﴿إنَّ الملأَ يأتمرونَ بِكَ ليقتلوكَ﴾ [القصص: ٢٠]. ويُروى عن النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليهِ أنّه قالَ «الصِّدِّيقونَ ثلاثةٌ؛ حرملُ المؤمنُ من آلِ فِرعَونَ، وحبيب النَّجّارُ من آلِ ياسينَ، وعليّ بن أبي طالب من آلِ محمَّدٍ، وهو أكرمُ الثَّلاثةِ على اللّهِ».

قالَ: وسُئِلَ جعفر بن محمَّد عليه السَّلام عن آلِ محمَّدٍ فقالَ: أهلُ بيتِهِ خاصَّةً من دونِ النّاسِ. فقالَ له السّائلُ: إنَّ النّاسَ من العامَّةِ يزعمونَ أنَّ المسلمينَ كلَّهم آلُ محمَّدٍ. قالَ: كذبوا وصدقوا. قالَ: فما معنى كذبوا وصدقوا؟ قالَ: كذبوا أنَّ المسلمينَ كلَّهم، على ما هم عليه من التَّقصيرِ في دينِهم والتَّفريطِ فيه، آلُ محمَّدٍ. وصدقوا أنَّ المسلمينَ هم آلُ محمَّدٍ، إلّا أنَّهم ليسوا آلَ محمَّدٍ بأعيانِهم الذينَ عناهم اللّهُ في القرآنِ. وذلك [أنَّ][6] مَن قامَ بشريطةِ اللّهِ فهو من آلِ محمَّدٍ، وإن بَعُدَ نَسَبُهُ من محمَّدٍ صلّى اللّهُ عليهِ، ومَن وضعَ[7] الشَّريطةَ فليس منهم. قالَ: وما

---

(١) أنساب الخيل لابن الكلبي ص ٢٧، والخيل لأبي عبيدة ص ٦٧، وديوان النابغة الجعدي ص ١١٤، وأوله: وعناجيجُ جيادٌ نُجُبٌ.

(٢) زيادة من م وأخواتها وهـ.

(٣) ومذهبه: زيادة من م وأخواتها وهـ.

(٤) من «قال أبو عبيدة» سقط من ب.

(٥) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: حزقيل. وانظر: تفسير الطبري ٢٤/٦٨، وقد تصحف اسمه من «حرمل» إلى «جبريل». وفي تاريخ الطبري (معارف) ١/٤٠٧: «حبرك».

(٦) في الأصول: لمن قام.

(٧) في ب: لمن وضع، وفي م وأخواتها وهـ: ومن ضيع.

تلك الشَّريطةُ؟ قال: أن يتولّى آلَ محمَّدٍ الذين عناهم اللّهُ في القرآنِ من أهلِ بيتِهِ، الذينَ أذهبَ اللّهُ عنهم الرِّجسَ وطهَّرَهم تطهيراً. فمَن تولّاهم على جميعِ النّاسِ، كما قدَّمَهم اللّهُ من قرابةِ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ، فهو من آلِ محمَّدٍ، لتولِّيه[1] آلَ محمَّدٍ، لا أنَّه من القومِ بأعيانِهم، إنَّما هو منهم بتولِّيه لهم واتِّباعِهِ إيّاهم.

وقد حكمَ اللّهُ عزَّ وجلَّ في كتابِهِ فقالَ ﴿ومَن يَتولَّهم مِنْكُم فإنَّهُ مِنْهُم﴾ [المائدة: ٥١]، وقالَ[2] إبراهيمُ عليه السَّلام ﴿فمَن تبعَني فإنَّه منّي ومَن عَصاني فإنَّكَ غفورٌ رحيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]. وقالَ ﴿إنَّ اللّهَ اصطفى آدمَ ونوحاً وآلَ إبراهيمَ وآلَ عُمرانَ على العالمينَ ذُرِّيَّةٌ بعضُها من بعضٍ﴾ [آل عمران: ٣٣- ٣٤]، فلا تكونُ الذُّرِّيَّةُ إلّا من نسلِهم، من ولدِ أصلابِهم. وقالَ ﴿اعملوا آلَ داودَ شكراً﴾ [سبأ: ١٣]، وقالَ عزَّ وجلَّ ﴿وقالَ رَجُلٌ مؤمِنٌ من آلِ فِرعَونَ يكتُمُ إيمانَهُ﴾ [غافر: ٢٨]. وإنَّما كانَ ابنَ عمِّ فِرعَونَ من أهلِ بيتِهِ، فنسبَهُ إليه لقرابةِ النَّسبِ، وهو مخالفٌ له في الدِّينِ والاتِّباعِ. وقالَ ﴿أدخِلوا آلَ فِرعَونَ أشدَّ العذابِ﴾ [غافر: ٤٦] يعني أهلَ بيتِهِ خاصَّةً وأتباعَهم عامَّةً، بتولِّيهم إيّاه واتِّباعِهم له، وإن لم[3] يناسبْهم في الولايةِ[4]. وقالَ ﴿سلامٌ على آلِ ياسينَ﴾ [الصافات: ١٣٠] يعني محمَّداً صلّى اللّهُ عليهِ. وقالَ ﴿وبقيَّةٌ ممّا تركَ آلُ موسى وآلُ هارونَ﴾ [البقرة: ٢٤٨]. فمَن تولّى بيوتاتِ الأنبياءِ والأئمَّةِ فهو منهم في الولايةِ. ومَن زعمَ أنَّه لا فرقَ بينَهُ وبينَ آلِ محمَّدٍ، ولا فضلَ لهم عليه، وهم أهلُ بيتِ النُّبوَّةِ، ومعدنُ الحكمةِ والعلمِ والرَّحمةِ، وموضعُ الرِّسالةِ، ومهبطُ الوحيِ، ومنزلُ الكتابِ، وأهلُ الذِّكرِ، ومختَلَفُ الملائكةِ، فهو كافرٌ. فعلى هذا المعنى، فالآلُ والأهلُ وأهلُ البيتِ بمعنىً واحدٍ.

وفي حديثٍ لعُمَر أنَّه قالَ لنافع بنِ الحارثِ: من استخلفتَ على آلِ اللّهِ؟ يعني أهلَ مكَّةَ.

---

(١) هكذا في هـ، وفي ب: لتوليته.

(٢) في ب: وقول.

(٣) لم: سقطت من ب.

(٤) في ب: في الولادة.

وفي الحديثِ: أنَّ لكلِّ شيءٍ أهلاً، وأهلُ اللّهِ القرآنُ.

وقالَ الشّاعر: [الرمل]

نـحـنُ آلُ الـلّـهِ فـي بـلـدتِـهِ ... لـم نَـزَلْ آلاً عـلـى عـهـدِ ابـرَهَـمْ[1]

فقالَ عُمَر: آلُ اللّهِ، وقيلَ جاءَ في الشِّعرِ: أهلُ اللّهِ، وهما بمعنىً واحدٍ.

وقالَ الكسائيُّ: آلُ الشَّيءِ: شخصُهُ. قالَ الأخطلُ: [البسيط]

منَ اللَّواتي إذا لانتْ عريكتُها ... يبقى لـهـا بـعـدَهُ آلٌ ومـجـلـودُ[2]

آلُها: شخصُها، ومجلودُها: جلدُها.

والآلُ: عيدانُ الخيمةِ وأعمدتُها. قالَ أبو دؤاد[3]: [المتقارب]

عـرفـتُ لـهـا مـنـزلاً دارسـاً ... وآلاً عـلـى الـمـاءِ يـحـمـلـنَ آلا[4]

يعني بالآلِ: أعوادَ الخيمةِ التي بُنِيَتْ على الماءِ الذي كانوا تركوه[5] بعدَ تقويضِ الخيامِ.

وقالَ أبو زيد: الآلُ: الخشبةُ المنصوبةُ تحملُ ما عليها من السَّقائفِ. قالَ أبو ذؤيب: [المتقارب]

وأشـعـثَ فـي الـدّارِ ذي لـمّـةٍ ... لـدى آل خـيـمِ نـفـاه الأتـيُّ[6]

الأشعثُ: الوَتَدُ. يعني وتداً ضُرِبَ للخيمةِ. ولمَّتُهُ: حمته. لدى آل خيمٍ: يعني عندَ الخيمةِ. وقالَ آخرُ: [الخفيف]

غـيـرُ آلٍ وعُـنَّـةٍ وعَـريـشٍ ... دَعـذَعـتْـه الـرِّيـاحُ والأمـطـارُ[7]

وقالَ يصفُ النّاقة: [الوافر]

---

(١) البيت لعبد المطلب بن هاشم في قطعة في الإكليل للهمداني ٢/٥٩، والحور العين ص ١٧٣.

(٢) ديوان الأخطل ص ١٤٨.

(٣) هكذا في ب، وهو الصحيح، وفي م وأخواتها: أبو ذؤيب.

(٤) ديوان أبي دؤاد ص ٣٣١، العمدة ١/٣١٩.

(٥) في ب: نزلوه.

(٦) ديوان الهذليين ١/٦٦، برواية أخرى.

(٧) ديوان لبيد ص ٤٥. وفي ب: غير آل وخيمة وعريش، غيرته الأرواح والأمطار، وفي ك: دعدعته.

فأبتْ بنفسِها والآلِ منها وقد أطعمتْ ذروتَها السِّفارا[1]

آلُها: قوائمُها. شبَّهَها بعيدانِ الخيمةِ لمّا هزلتْ.

وآلُ الشَّيءِ: ما حولَهُ. أنشدَ: [الطويل]

يمانيةٌ أحيا بها مظَّ مأبدٍ وآلَ قَراسٍ صوبُ أسقيةٍ كُحْلِ[2]

المظُّ: الرُّمّانُ البرِّيُّ. وقَراس: جبلٌ، وآلُهُ: ما حولَهُ من الأرضِ. وقالَ آخرُ: آلُ قراسٍ: جبالٌ صغارٌ حولَ هذا الجبلِ.

والآلُ أيضاً يكونُ جمع «آلة»، وهي الحالة. قالتِ الخنساءُ: [المتقارب]

سأحملُ نفسي على آلةٍ فإمّا عليها وإمّا لها[3]

وأنشدَ أبو زيد: [الرجز]

قد أركبُ الآلةَ بعدَ الآلةْ وأتركُ العاجزَ بالجدالةْ[4]

فالآلةُ: الحالةُ، والجدالةُ: الأرضُ. يُقال: رَماهُ فجدَّلَهُ، أي رمى به إلى الأرضِ. والمجادلةُ من ذلك، وهو «مفاعلة»، كأنَّ أحدَهم يجادلُ صاحبَهُ، أي يريدُ أن يرميَ به إلى الأرضِ، فيصرعَهُ بالكلامِ، كما قيلَ: مصارعة.

والآلُ: السَّرابُ. ولا يكادُ النّاسُ يفرِّقونَ بين الآلِ والسَّرابِ. قال أبو حاتم: وإنَّما الآلُ أوَّلَ النَّهارِ وآخرَهُ الذي يرفعُ كلَّ شيءٍ. وسُمِّيَ «آلاً» لأنَّ الشَّخصَ هو الآلُ. فلمّا رُفِعَ الشَّخصُ قيل: هذا آلٌ قد بدا. قالَ الجعديُّ: [البسيط]

حتّى لحقنا بهم تُعدي فوارسُنا كأنَّنا رَعْنُ قفٍّ يرفعُ الآلا[5]

وهذا من المقلوبِ، أرادَ كأنَّنا رعنُ قفٍّ يرفعُهُ الآلُ. والسَّرابُ هو الذي تراه

---

(١) ديوان الراعي النميري ص ١٤٣، منتهى الطلب ٦/ ٢٠.

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة ٣/ ٦٧١، وديوان الهذليين ١/ ٤٢، وأشعار الهذليين بشرح السكري ص ٩٦، ومعجم البلدان ١/ ٥٥.

(٣) التعازي والمراثي للمبرد ص ٩٩، ديوان الخنساء بشرح ثعلب ص ٨٤، وشرحه بقوله: قوله على آلة، أي حالة، فإما أموت أو أنجو.

(٤) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ١٣١، اللسان ٢/ ٢١١ مادة (جدل). وانظر ملحق ديوان العجاج ص ٨٧.

(٥) ديوان النابغة الجعدي ص ١٢٥.

نصفَ النَّهارِ عندَ الهاجرةِ كأنَّه ماءٌ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿كسرابٍ بقيعةٍ يحسَبُهُ الظَّمآنُ ماءً﴾ [النور: ٣٩].

فقد جاءَ في الآلِ هذه المعاني كلُّها. والذي أردنا تفسيرَهُ فمعناه الأهلُ، كما قالَهُ أهلُ اللُّغة والعلماءُ، ومعناه أهلُ البيتِ. وإنما سُمِّيَ الأهلُ «آلاً» لأنَّهم معتَمَدُ الرَّجُلِ الذينَ عليهم يعوِّلُ في أمورِهِ، فهم بمنزلةِ أعوادِ الخيمةِ التي يُبنى عليها بيتُهُ. فكذلكَ هؤلاءِ هم أعمدةُ أمرِهِ، وأمرُهُ بمنزلةِ البيتِ. فهؤلاءِ بمنزلةِ أعمدةِ البيتِ. فهم آلُهُ وأهلُهُ وأهلُ بيتِهِ الذينَ يتَّكِلُ عليهم في مهمّاتِهِ وأمورِهِ. فلذلك سُمّوا «آلاً».

[١٩٤]

العترة

العترةُ عندَ النّاسِ ولدُ الرَّجُلِ ونسلُهُ وذرِّيَّتُهُ. وفي الحديثِ أنَّ أبا بكر قالَ يومَ السَّقيفةِ حينَ قالتِ الأنصارُ: منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ، قالَ أبو بكر: «إنّا معشرَ هذا الحيِّ من قُرَيش أكرمُ النّاسِ أحساباً، وأثقبُهُ أنساباً، ثمَّ نحنُ عترةُ رسولِ اللّهِ التي خرجَ منها، وبيضتُهُ التي تفقَّأَتْ عنه. وإنَّما جيبتِ العربُ عنّا[١] كما جيبتِ الرَّحى عن قطبِها»[٢]. قالَ ابن قُتَيبة: قولُ أبي بكر: نحن عترةُ رسولِ اللّهِ يُريدُ رهطَهُ[٣].

والعترةُ عندَ كثيرٍ من النّاسِ النَّسلُ والذُّرِّيَّة، دونَ السَّلف. قالَ: ويذهبُ النّاسُ إلى أنَّ عترةَ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليهِ ولدُ فاطمةَ، وليسَ كذلكَ. وإنَّما عترةُ الرَّجُلِ ذرِّيَّتُهُ وعشيرتُهُ الأدنونَ مَن مضى ومَن غبرَ[٤]. وهو يجمعُ المعنيينِ. ويُقال: هم أسرتُهُ وفصيلتُهُ من قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وَفَصِيلَتُهُ التي تُؤويه﴾ [المعارج: ١٣]. وعترتُهُ، أي رهطُهُ الأدنونَ. قالَ: ولم يكنْ أبو بكر يدَّعي بحضرةِ القومِ ما لا يعرفونَهُ.

---

(١) زيادة من م وأخواتها وغريب الحديث. وجيبت العرب عنا: أي توسطنا العرب، كما يتوسط القطب الرحى ويقع في منتصفها.

(٢) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٥٧٦، مسائل الإمامة ص ١٣.

(٣) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٥٧٦.

(٤) قال ابن قتيبة: لولده وولد ولده الذكور والإناث ولعشيرته الأدنين. غريب الحديث ١/ ٢٣٠.

وقالَ بعضُ أهلِ اللُّغة: العترةُ: أصلُ الشَّجَرَةِ، يبقى بعد القطعِ، فينبتُ من أصولِها وعروقِها. ويُقال: العترةُ: الصَّخرةُ العظيمةُ، يتَّخِذُ الضَّبُّ عندَها جحراً ويأوي إليها، ليهتديَ إليه، وذلك لقلَّةِ هدايتِهِ. قالَ ابنُ أحمرَ: [الكامل]

إنَّ امـرأً سـبـقـوا بـذمَّـتِـهِ ... طـلـقـاً بـلا صـحـوٍ ولا سـكـرِ[1]
لَكَعترةِ الضَّبِّ الذَّليلةِ يَحْرَ ... نْبي على أرحائِها الخضرِ

يَحْرَنْبي: يتنفَّس. وأرحاؤُهُ: جوانبُهُ.

فكأنَّ عترةَ الرَّجُلِ أسرتُهُ وقومُهُ الذينَ يأوي إليهم، ويعتمدُ عليهم. ومنه حديثُ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه «إنّي تاركٌ فيكم الثَّقلينِ؛ كتابَ اللّهِ، وعترتي». وروى قومٌ «كتاب اللّه وسنَّتي». وتأوَّلوا في العترةِ هاهنا أهلَ بيتِهِ. قالوا: لأنَّهم أسرتُهُ وفصيلتُهُ التي تُؤويهِ، ورهطُهُ الأدنونَ. والذي قالَه ابنُ قُتَيبةَ هو راجعٌ إلى هذا المعنى، لأنَّه ليس أحدٌ اليومَ أقربَ إلى رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ ممّن هو من نسلِهِ، وكانَ في حياتِهِ عليه السَّلام يأوي إليهم، ويثقُ بهم، ويعتمدُ عليهم، فصاروا له بمنزلةِ العترةِ، وهي الصَّخرةُ التي يأوي إليها الضَّبُّ، وبمنزلةِ أصلِ الشَّجرةِ المقطوعةِ التي تنبتُ من أصلِها وفروعِها، لأنَّهم نبتوا من أصلِهِ.

والعتيرةُ[2] في غيرِ هذا المعنى. قالَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليهِ: «لا فرعة ولا عتيرة»[3]. قالَ الأصمعيُّ: كانَ الرَّجُلُ في الجاهليَّةِ ينذرُ نذراً على شائِهِ إذا بلغتْ مائةً أن يذبحَ عن كلِّ عشرةٍ منها شاةً في رَجَب، وكانتْ تُسمَّى تلك الذَّبائحُ «رَجَبيَّةً» و«عتائرَ». فكانَ الرَّجُلُ ربَّما يبخلُ بشاتِهِ، فيصيدُ الظِّباءَ ويذبحُها عن غنمِهِ عندَ آلهتِهم، ليُوَفِّيَ بها نذرَهُ[4]. وأنشدَ للحارثِ بنِ حلِّزة: [الخفيف]

عَنَتاً باطلاً وظُلماً كما تُعتَرُ ... في حجرةِ الرَّبيضِ الظِّباءُ[5]

(١) ورد الثاني منهما فقط في شعر عمرو بن أحمر المجموع ص ١١٣، برواية أخرى.
(٢) في الأصول: والعترة.
(٣) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٢٧٩.
(٤) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٢٧٩.
(٥) ديوان الحارث بن حلزة ص ٤٦.

يعني أتأخذونَنا بذَنْبِ غيرِنا، كما يُذبَحُ أولئك الظِّباءُ عندَ آلهتِهم عن غَنَمِهم[١].

وقالَ الأصمعيُّ: العترُ: الذَّبح[٢].

قالَ آخرُ: [البسيط]

فزلَّ عنها ووافى رأسَ مرقبةٍ كمنصبِ العِتْرِ دمّى رأسَهُ النُّسُكُ[٣]

والعترةُ أيضاً شجرةٌ كثيرةُ اللَّبنِ، صغيرةٌ، تكون بنجد وتهامةَ. والعترُ هو الذَّكرُ، عترَ، يعترُ، عتراً: إذا أنعظَ. قالَ الرِّياشيُّ: سألتُ الأصمعيَّ عن العِتْرِ، فقالَ: نبتٌ مثل المرزنجوشِ، ينبتُ متفرِّقاً[٤]. وأنشدَ للهذليِّ، وذكرَ غيبةَ قومِهِ عنه بمصرَ: [الطويل]

وما كنتُ أخشى أن أعيشَ خلافَهم بستّةِ أبياتٍ كما نبتَ العِتْرُ[٥]

يعني في تفرُّقِهِ.

وفي حديثِ عطاءِ بن أبي رياحٍ: لا بأسَ بأن يَتَداوى المُحرِمُ بالسَّنى والعِتْرِ[٦]. قالَ: السَّنى معروفٌ، يُتَداوَى به. والعِتْرُ هو الذي قد ذكرناه.

[١٩٥]

الذُّرِّيَّة

قالَ أبو عبيد[٧] في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿ذرِّيّاتهم﴾، قالَ: تأويلُ الذُّرِّيَّة عندَنا إذا كانتْ بالألِفِ: الأعقابُ والنَّسلُ، فأمّا الذين في حجورِهم خاصَّةً فإنَّها الذّرّيَّة، مثل التي في القرآنِ ﴿هَبْ لنا مِن أزواجِنا وذرِّيّاتِنا قرَّةَ أعينٍ﴾ [الفرقان: ٧٤] قرأَها عليّ بن أبي طالب عليه السلام واحدةً بهذا المعنى، والتي في «يس» ﴿وآيةٌ لهم إنّا

---

(١) يبدو أن أبا حاتم الرازي ينقل الشرح من نص ابن قتيبة، لكن ابن قتيبة شرح بيتاً سابقاً: هما سيدنا يزعمان. . .إلخ، ثم ذكر هذا البيت. انظر: غريب الحديث ١/ ٢٧٩.

(٢) غريب الحديث ١/ ٢٧٩.

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب ص ١٣٥.

(٤) ابن قتيبة: غريب الحديث ٣/ ٦٦٥.

(٥) غريب الحديث ٣/ ٦٦٥، والبيت للبريق الهذلي في ديوان الهذليين ٣/ ٥٩.

(٦) ابن قتيبة: غريب الحديث ٣/ ٦٦٤.

(٧) في م وأخواتها: أبو عبيدة.

حملنا ذرِّيَّتَهم في الفُلْكِ المشحونِ﴾ [يس: ٤١] فإنَّ عليّاً قرأها واحدةً لقولِهِ ﴿ذرِّيَّةَ مَن حملنا معَ نوحٍ﴾ [الإسراء: ٣]. قالَ الكسائيُّ في قولِهِ ﴿ذرِّيَّةِ قوم آخرينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣] فيه لغتانِ: ذُرِّيَّة، وذِرِّيَة، مثل عُليَّة وعِليَّة. وكانتْ قراءتُهُ بالضَّمِّ. وكذلك قرأها أبو عمرو، وهي قراءةُ أهلِ المدينةِ، إلّا ما يُروى عن زيد بن ثابت أنَّه قرأ «ذِرِّيَّة»، بكسرِ الذّالِ. وعن مجاهد ﴿إلّا ذرِّيَّةٌ من قومِهِ﴾ [يونس: ٨٣]، قالَ: أولادُ الزِّنى أرسلَ اللّهُ إليهم موسى، وماتَ آباؤُهم. وقالَ الفرّاءُ: إنَّما سمُّوا «ذرِّيَّةً» لأنَّ آباءَهم من القبطِ، وأمَّهاتِهم من بني إسرائيلَ. قالَ: وذلك كما قيلَ لأولادِ أهلِ فارسَ الذينَ سقطوا إلى اليمنِ «الأبناء»، لأنَّ أمَّهاتِهم من غيرِ جنسِ آبائِهم. قال أبو عبيد: يريدُ الفرّاءُ أنَّهم يُسَمَّونَ «ذرِّيَّة»، وهم رجالٌ مذكورونَ بهذا المعنى.

وذرِّيَّة الرَّجُلِ كأنَّهم النَّشءُ الذينَ خرجوا منه. وهو من «ذروتُ»، على ما رُوِيَ عن الفرّاءِ والكسائيِّ وغيرِهما، فإنَّهم زعموا أنَّه من «ذروتُ» أو «ذريتُ»، وليسَ بمهموزٍ.

وقالَ أبو عُبَيدةَ: أصلُهُ مهموزٌ، ولكنَّ العربَ تركتِ الهمزَ فيه، وفي أحرفٍ غيرِهِ، قد ذكرناها في غيرِ هذا الموضعِ. وهو في مذهبِ أبي عبيدةَ مِن «ذرأَ» اللّهُ الخلقَ، كما قالَ: ﴿ولقد ذرأنا لجهنَّمَ كثيراً من الجنِّ والإنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فذرأَ لهم أي أنشأهم وخلقَهم[١]. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿يذرؤكم فيه﴾ [الشورى: ١١]، أي يخلقُكم[٢]. فكأنَّ ذرِّيَّةَ الرَّجُلِ خلقُ اللّهِ منه ومن نسلِهِ ومَن أنشأَهُ اللّهُ من صلبِهِ.

[١٩٦]
السُّلالة

السُّلالةُ معناه الصَّفوةُ من كلِّ شيءٍ، يُقال «سُلالة» و«سَليل». وفي الحديثِ قالَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليهِ «اللهمَّ اسقِ عبدَ الرَّحمنِ بنَ عوفٍ من سليلِ الجنَّةِ».

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٢٣٣.
(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ١٩٩.

وروى قومٌ «من سلسبيلِ الجنَّةِ». وفسَّروا السَّليلَ أنَّه الصّافي من شرابِها، وإنَّما قيلَ له «سليل» لأنَّه سُلَّ حتّى خلصَ، فهو «فعيل» في معنى «مفعول». وقالوا في تفسيرِ قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿ولقد خَلَقنا الإنسانَ مِن سُلالةٍ مِن طينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، سُلَّ مِن صُنوفِ طينِ الأرضِ، ثمَّ خُلِقَ منه آدمُ. والسُّلالةُ: النِّتاجُ: سُلَّ مِن أُمِّهِ، أي نتجَ. وقالتْ هند بنت أسماء، وكانتْ تحتَ الحجّاجِ: [الطويل]

وهل هندُ إلّا مهرةٌ عربيَّةٌ ... سليلةُ أفراسٍ تجلَّلَها بغلُ[1]

فإن نتجتْ مهراً كريماً فبالحرى ... وإن يكُ إقرافٌ فمن قِبَلِ الفحلِ

والسَّليلُ: المنتوجُ، والسَّليلة: المنتوجة، كأنَّه النِّتاجُ الخالصُ الصّافي. وقيلَ للحسنِ والحسينِ عليهما السَّلام سلالة رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ، أي هما الصَّفوةُ من ولدِهِ رضوانُ اللّهِ عليهما.

[١٩٧]

الأسباط[2]

قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وقطعناهم اثنتي عشرةَ أسباطاً أُمَماً﴾ [الأعراف: ١٦٠]. قالَ أبو عبيدةَ: الأسباطُ: قبائلُ بني إسرائيلَ. يُقال من أيِّ سبطٍ أنتَ؟ أي من أيِّ قبيلةٍ وجنسٍ[3]. وقالَ أبو حاتم: رُوِيَ عن ابنِ عبّاس في قولِهِ تعالى ﴿أنّى يكونُ له المُلكُ عَلَينا ونحنُ أحقُّ بالملكِ منه﴾ [البقرة: ٢٤٧]، قالَ: لأنَّ طالوتَ كانَ من سبطِ بن يامينَ، ولم تكنْ في هذا السِّبطِ نبوَّةٌ، ولا مُلكٌ، وكانتِ النُّبوَّةُ والمُلكُ في سبطِ لاوي بن يعقوبَ ويهوذا بن يعقوبَ. وكانَ موسى عليه السَّلام من سبطِ

---

(١) نسب البيتان لمالك بن أسماء، الذي تزوج الحجاج أخته هند في غريب الحديث لابن قتيبة ٢/ ٣٢٦، وأدب الكاتب ص ٤١، والأغاني ١٦/ ٣٩، ونسبا لحميدة بنت النعمان بن بشير التي تزوجها روح بن زنباع في بلاغات النساء ص ٩٧، والبغال للجاحظ، الرسائل ٢/ ٣٥٨، والتذكرة الحمدونية ٥/ ١٦٩. ومن قبل الفحل: هذه رواية ب، أما م وأخواتها ورواية الحمدوني: وإن يك إقراف فما أنجب الفحل. وعلق عليها قائلاً: كذا يرويه من تجنب الإقواء.

(٢) هكذا العنوان في ب، وفي م وأخواتها: السبط.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٢٣٠.

لاوي. وقالَ أبو عُبَيدةَ في قولِهِ ﴿اهبطوا مِصراً﴾ [البقرة: ٧١]، أي مِصراً من الأمصارِ، لأنَّهم كانوا في التِّيهِ فرزَقَهم المنَّ والسّلوى، وفجَّرَ لهم الماءَ من الحجارةِ. وكانَ مع كلِّ سِبطٍ حجرٌ عظيمٌ يحملونَهُ على حمارٍ. فإذا نزلوا، وضعوا الحجرَ، فيبجس اللّهُ لهم منه الماءَ.

والسِّبطُ دونَ القبيلةِ. وقالَ المفسِّرونَ: الأسباطُ ولدُ يعقوبَ، وكانوا اثني عشر رَجُلاً. وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليهِ «الحسنُ والحسينُ سِبطايَ من هذه الأُمَّةِ». وفي حديثٍ آخرَ أنَّه سُئِلَ، فقيلَ له: إنَّ لكلِّ نبيٍّ وصيّاً وسِبطينِ، فمَن وصيُّكَ وسِبطاكَ؟ فسكتَ، ولم يرجعْ إلى السّائلِ شيئاً، فانصرفَ السّائلُ حزيناً. وهو سلمانُ الفارسيُّ رحمَهُ اللّهُ. فلمّا كانَ الظُّهر، قالَ: ادنُ يا سلمانُ. فجعلَ يدنو ويقولُ «أعوذُ باللّهِ من غضبِ اللّهِ وغضبِ رسولِهِ». ثمَّ قالَ: إنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ بعثَ أربعةَ آلافِ نبيٍّ، وكانَ لهم أربعةُ آلافِ وصيٍّ، وثمانيةُ آلافِ سِبطٍ. والذي نفسي بيدِهِ، لَأَنَا خيرُ النَّبيِّينَ، ووصيِّي خيرُ الوصيِّينَ، وسِبطايَ خيرُ الأسباطِ.

فالأسباطُ، على ما رُوِيَ، القبائلُ. وقالوا السِّبطُ دونَ القبيلةِ، ولم يقولوا «أسباطُ العربِ». وقالوا: «قبائلُ العربِ»، و«أسباطُ بني إسرائيلَ». فكأنَّ الأسباطَ هم قبائلُ الأنبياءِ، لأنَّ بني إسرائيلَ من ولدِ إسحاقَ، والعربَ من ولدِ إسماعيلَ. وكانَ الأنبياءُ أكثرُهم قبلَ مبعثِ محمَّدٍ صلّى اللّهُ عليهِ من ولدِ إسحاقَ، وكانتِ النُّبوَّةُ في ولدِهِ. وكانَ نبيُّ اللّهِ يعقوبُ بنُ إسحاقَ هو الذي يُسمَّى «إسرائيل»، وولدُهُ اثنا عشرَ رَجُلاً. وهم بنو يعقوبَ، الذينَ قيلَ لهم «بنو إسرائيلَ»، وإليهم نُسِبَ جميعُ بني إسرائيلَ. وهم الذينَ سمُّوا «الأسباط» أوّلاً. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ﴾ [البقرة: ١٣٦]، فسمَّى الأسباطَ بعدَ يعقوبَ. فلذلكَ قُلنا إنَّ الأسباطَ قبائلُ الأنبياءِ، ولا يُقال لسائرِ القبائلِ «أسباط»، لأنَّ معنى السِّبطِ كانَ لهذه العلَّةِ، ثمَّ صارَ مستفيضاً[1]، فَبَقِيَ الاسمُ فيهم. فلمّا زالتِ النُّبوَّةُ عنهم إلى ولدِ إسماعيلَ بظهورِ محمَّدٍ صلّى اللّهُ عليهِ، زالَ معنى السِّبطِ عنهم، وبَقِيَ الاسمُ عاريةً فيهم. وصارَ معنى السِّبطِ في ولدِ محمَّدٍ

(١) في ب: مستقيماً.

صلّى اللّهُ عليهِ، فقيلَ للحسنِ والحسينِ «سِبْطَي» رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه.

وقد ذهبَ قومٌ من الكَيسانيَّةِ إلى أنَّ محمَّد بنَ الحنفيَّةِ وأولادَهُ من الأسباطِ، وهو خطأٌ. وقد قالَ فيه شعراؤُهم[1]: [الوافر]

عليٌّ والثلاثةُ من بنيهِ — همُ الأسباطُ ليسَ بهم خَفاءُ
فسِبطٌ سِبْطُ إيمانٍ وبرٍّ — وسِبطٌ غيَّبَتْهُ كَرْبَلاءُ
وسِبْطٌ لا يذوقُ الموتَ حتّى — يقودَ الخيلَ[2] يقدمُها اللِّواءُ
تغيَّبَ حيث لا أحدٌ يراهُ — برضوى عندَهُ عَسَلٌ وماءُ[3]

يعني بسبطِ إيمانٍ وبرٍّ الحسنَ، وبسبطٍ غيَّبَتْهُ كَرْبَلاءُ الحسينَ، وبالذي لا يذوقُ الموتَ محمَّد بن الحنفيَّة، لأنَّ مذهبَهُ أنَّ محمَّد بن الحنفيَّةِ حيٌّ لم يَمُتْ، ولا يموتُ، حتّى يظهرَ ويزعمَ أنَّه القائمُ من ولدِ عليٍّ. هذا على مذهبِهِ. فلم يرضَ أن أخطأَ في المذهبِ، حتّى أخطأَ في معنى السِّبطِ، فجعلَهُ من الأسباطِ.

فإن قالَ قائلٌ: فإنَّ ولدَ إسماعيلَ أيضاً من قبائلِ الأنبياءِ، لأنَّ إسماعيلَ أيضاً نبيٌّ، قلنا: انقطعتِ النُّبوَّةُ عن ولدِهِ وصارتْ في ولدِ إسحاقَ. فمن أجلِ ذلك لم تُسَمَّ قبائلُ العربِ «أسباطاً» حتّى ظهرَ محمَّدٌ صلّى اللّهُ عليهِ، كما ذكرنا. وكذلكَ رجعَ معنى السِّبْطِ إلى ولدِ محمَّدٍ، فبَقِيَ الاسمُ والمعنى فيهم، لأنَّ الإمامةَ في ولدِهِ، بَدَلاً من النُّبوَّةِ. وقد قالَ قومٌ إنَّ [قومَ][4] هودٍ وصالحٍ وشعيبٍ كانوا من العربِ، ولكنَّهم كانوا من قدماءِ العربِ، الذينَ كانَ يُقال لهم «العرب العاربة»، وهم الذينَ انتسبَتْ إليهم اليمنُ، ولم يكونوا من ولدِ إسحاقَ ولا من ولدِ إسماعيلَ، فيكونوا من الأسباطِ، ولا من القبائلِ.

---

(١) مرت هذه الأبيات المنسوبة لكثير والسيد الحميري في مادة (الكيسانية) وجرى توثيقها هناك سابقاً.

(٢) في ب: الجيش.

(٣) سقط من ب.

(٤) زيادة منا لم ترد في الأصول.

[١٩٨]

القبيلة والعشيرة[١]

قالَ أبو حاتم[٢]: روى محمَّد بن حبيب وغيرُهُ عن هشام بن محمَّد بن السّائب الكلبيِّ، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابنِ عبّاس في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿إنّا خَلَقناكُم مِن ذَكَرٍ وأُنثى وجَعَلناكم شُعوباً وقبائلَ﴾ [الحجرات: ١٣]، قالَ: الشُّعوبُ من اليمنِ، والقبائلُ من ربيعةَ ومُضَر. ﴿لتعارفوا﴾ يا معشرَ العربِ ﴿إنَّ أكرمَكُم عندَ اللّهِ أتقاكُم﴾ [الحجرات: ١٣] يعني محمَّداً صلّى اللّهُ عليهِ.

وروى هشامٌ عن أبيه قالَ[٣]: إنَّما وُضِعَتِ الشُّعوبُ والقبائلُ والعمائرُ والبطونُ والأفخاذُ والفصائلُ والعشائرُ على خلقِ الإنسانِ. قالَ: والإنسانُ يُسمَّى «شعوباً»، وهو الشَّعب، لأنَّ الجسدَ تشعَّبَ منه، ثمَّ القبيل، وهو رأسُهُ، وقبائلِ الرَّأسِ شؤونُهُ وأطباقُهُ، ثمَّ العمائرُ، الصَّدرُ وفيه القلبُ، ثمَّ البطونُ، وهو البطنُ فيه استبطنَ الكَبِدُ والرِّئةُ والطِّحالُ والأمعاءُ، فصارَ مسكناً لها، ثمَّ الأفخاذُ، والفخذُ أسفلُ من البطنِ، ثمَّ الفصائلُ، الرُّكبةُ، لأنَّها انفصلتْ من الفخذِ، ثمَّ العشائرُ: السّاقانِ والقَدَمانِ، لأنَّها حملتْ ما فوقَها بالحبِّ وحسنِ المعاشرةِ، ولم يثقلْ عليها حملُهُ. قالَ: وإنَّما سُمِّيَتِ العربُ «الشُّعوب» لأنَّهم قيلَ لهم ذلك حينَ تفرَّقوا من إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ ومن قحطانَ بنِ عابرٍ، فتشعَّبوا، أي تفرَّقوا.

قالَ أبو حاتم: هذا حرفٌ من الأضدادِ، يُقال: شعبتُ الشَّيءَ، فرَّقتُهُ، وشعبتُهُ: لأمتُهُ، وهو الشَّعبُ، بفتحِ الشِّينِ. وأمّا الشِّعبُ فهو الطَّريقُ الآخذُ في الجبلِ، بكسرِ الشِّينِ، ودونَهُ اللِّهْبُ، ودونَهُ اللِّصْبُ. قالَ الشّاعرُ: [الوافر]

فبادوا بعدَ إمَّتِهم وكانوا   شعوباً أُشعبتْ من عهدِ عادِ[٤]

---

(١) هكذا هو العنوان في ب، وفي م وأخواتها: الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة والعشيرة.

(٢) زيادة من م وأخواتها.

(٣) ورد نص ابن الكلبي عن أبيه بطوله في نور القبس المختصر من المقتبس ص ٢٥٦- ٢٥٨، مع اختلاف قليل في الرواية.

(٤) نور القبس ص ٢٥٦.

ثمَّ القبائلُ، حينَ تقابلوا ونظرَ بعضُهم إلى بعضٍ في حالةٍ واحدةٍ، وكانوا كقبائلِ الرَّأسِ. قالَ صبح بن معبد الطائيُّ للأَجَئِيّنَ: [الوافر]

قبائلُ من شعوبٍ ليسَ منهم كـريـمٌ قـد يُـعَـدُّ ولا نَـجـيـبُ[1]

وقالَ آخرُ: [البسيط]

قبيلةٌ من شُعوبٍ ضلَّ سعيُهُمُ لا خيرَ فيهم سوى كثرٍ من العددِ[2]

ثمَّ العمائرُ، حينَ عَمَروا الأرضَ وسَكَنوها. قالَ الشّاعر: [الطويل]

عمائرُ من دونِ القبيلِ أَتَوهُمُ نفاهم إلينا عامرٌ ومساجمُ[3]

ثمَّ البطونُ، حينَ استبطنوا الأوديةَ، ونزلوها وبنوا البيوتَ الشَّعَرَ ودعموها، فقالتِ العربُ: بيتُ فلانٍ، وبقيَ من آلِ فلانٍ بيتانِ، وهم أهلُ أبياتٍ. قال الأزديُّ: [الرجز]

بطونُ صدقٍ من ذوي العمائرِ مِ الأزدِ فانضمَّت إلى يحابرِ[4]

يحابر يعني مراداً. واليحبورُ: ضربٌ من الطَّيرِ. قالَ سميع الطائيُّ: [البسيط]

استبطنوا البطنَ أو ساروا وقد علموا ألّا رجوعَ لهم ما حنَّتِ النِّيبُ[5]

ثمَّ الأفخاذُ والفخذُ أصغرُ من البطنِ. وأنشدَ: [البسيط]

مقرى بني أرحبٍ للضَّيفِ مترعةٌ وكلُّ مقرى لهم تأتيهِ أفخاذُ[6]

ثمَّ الفصائلُ، حينَ انفصلوا من الأفخاذِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وفَصِيلتِهِ التي تُؤويه﴾ [المعارج: ١٣]. وقالَ الشّاعر: [الرجز]

فصيلةٌ بانتْ من الأفخاذِ فخالفوا جَهلاً بني معاذِ[7]

---

(١) نور القبس ص ٢٥٧.

(٢) نور القبس ص ٢٥٧.

(٣) نور القبس ص ٢٥٧. وقد نسب القول لرجل من بني عمرو بن عامر، وأورد بعده:

ضممناهمُ ضم الهبلّ بناته فنحن لهم سلمٌ وإن لم يسالموا

وشرح الهبلّ بأنه الشيخ.

(٤) نور القبس ص ٢٥٧. وقال إن يحائر: مراد.

(٥) لم يرد البيت في نور القبس.

(٦) نور القبس ص ٢٥٧، وفيه: يا نهم.

(٧) نور القبس ص ٢٥٧، ونسب البيت للكناني.

ثمَّ العشائرُ، حينَ انضمَّ كلُّ بني أبٍ إلى أبيهم دونَ بني أعمامِهم، فحسنتْ معاشرتُهم. وأنشدَ: [الوافر]

فكنتَ لهم عشيراً من أبيكم ... بلا صفةٍ ولا قولٍ جميلِ[1]

وليسَ بعدَ العشيرةِ شيءٌ يُنتَسَبُ إليه.

قالَ: والعشيرةُ مثل عبد مناف. قالَ ابنُ عبّاس: لمّا نزلتْ ﴿وأنذرْ عشيرتَكَ الأقربينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، خرجَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليهِ، فمشى حتّى قامَ على الصَّفا. ثمَّ قالَ: يا آلَ فهرٍ، فجاءتْه قُرَيش. قالَ أبو لهب[2]: هذه فهرٌ عندَكَ. ثمَّ قالَ: يا آلَ غالبٍ. فرجعَ بنو محاربٍ وبنو الحارثِ ابنا فهرٍ. ثمَّ قالَ: يا آلَ لؤيٍّ. فرجعَ بنو الأدرمِ وبنو تيم بن غالب. فقالَ: يا آلَ كعبٍ، فرجعَ بنو عامر بن لؤيٍّ. فقالَ: يا آلَ مرَّةَ، فرجعَ بنو جمحٍ وبنو سهمٍ ابنا عمرو، وبنو عديّ بن كعبٍ. فقالَ: يا آلَ كلابٍ، فرجعَ بنو تيم بن مرَّةَ وبنو مخزومٍ. فقالَ: يا آلَ قُصَيٍّ، فرجعَ بنو زهرةَ. فقالَ: يا آلَ عبدِ منافٍ، فرجعَ بنو عبدِ الدّارِ وبنو أسدٍ. فقالَ أبو لهب: هذه عبدُ منافٍ عندَكَ. فقالَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليهِ: إنَّ اللّهَ تعالى أمرَني أن أُنذِرَ عشيرتي الأقربينَ، وأنتم الأقربونَ من قُرَيش، فإنّي لا أملكُ لكم من الدُّنيا حظّاً، ولا من الآخرةِ نصيباً، إلّا أن تقولوا لا إلهَ إلّا اللّهُ، فأشهدُ بها لكم عندَ ربِّكم، وتدينُ لكم بها العربُ، وتذلُّ بها العجمُ. قالَ أبو لهب: تبّاً لَكَ، ألهذا دعوتَنا؟ فأنزلَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿تبَّتْ يدا أبي لَهَبٍ وتبَّ﴾ [المسد: ١][3]. يقولُ: خسرتْ يدا أبي لَهَبٍ، وتبَّ أي خسرَ. فهذه العشيرةُ.

قالَ أبو حاتم[4]: ويُقال للجماعةِ من النّاسِ «فِئام»، والنَّفَرُ والرَّهْطُ ما دونَ العشيرةِ، والعصبةُ من العشرةِ إلى الأربعينَ، والقبيلُ: الجماعةُ يكونونَ من الثّلاثةِ فصاعداً من قومٍ شتّى، وجمعُهُ قبلٌ، والقبيلةُ بنو أبٍ واحدٍ. وأسرةُ الرَّجُلِ رِهْطُهُ

---

(١) نور القبس ص ٢٥٧، وفيه: وقال نهيك بن قعنب الطائي، وأورد بعده:

فصرتُ لكم عدواً ما بقيتم ... بني المقناب ما جنح الأصيلُ

(٢) في ب: أبو جهل.

(٣) رواية ابن عباس في صيغ متعددة في أنساب الأشراف ١/ ١٢٠ وما بعدها.

(٤) زيادة من م وأخواتها.

الأدنونَ، ومَن قَرُبَ من أهلِ بيتِهِ. والعشيرةُ والفصيلةُ كذلك. ويُقال العترةُ أيضاً كذلك، وقد فسَّرنا العترةَ أيضاً. وكذلك فسَّرنا في العترةِ وغيرِها ما تقدَّمَ تفسيرُهُ. وحيُّ القومِ أهلوهم. ويُقال للمرأةِ «الحيّ». يُقال: كيفَ الحيُّ؟ يعني امرأتَهُ وأُمَّهُ. وكأنَّه على طريقِ الكنايةِ[١].

(١) جاء في ب هنا: انتهى الثلثان من الكتاب، وبقي الثلث وهو قوله الكتاب، والحمد للّه شكراً.

[١٩٩]

الكتاب

يُقال: كتبتُ الكتابَ، إذا جمعتُ الحروفَ بعضَها إلى بعضٍ. ويُقال: تكتَّبَ بنو فلانٍ، إذا اجتمعوا. وأنشدَ: [المتقارب]

بـألـفٍ يُـكـتَّـبُ أو مِـقْـنَـبِ[١]

وقالَ عُبَيد: [الكامل]

نُبِّيتُ أن بَني جَدِيلةَ أوعبَوا نَفْراءَ من سلمى لنا وتَكتَّبوا[٢]

أي تجمَّعوا. ومنه قيلَ لجماعةِ الخيلِ «كتيبة». قالَ النّابغة: [البسيط]

يهدي كتائبَ خُضراً ليس يعصمُها إلا ابـتـدارٌ إلى مـوتٍ بـإلـجـامِ[٣]

الكتائبُ: جمعُ كتيبةٍ، وهي جماعةُ الخيلِ، ومنه قولُهم: كتبتُ البغلةَ: إذا جمعتُ بين شفرَيها بحلقةٍ [لئلّا يُنزَى عليها][٤]. وبغلةٌ مكتوبةٌ: إذا كانتْ كذلك. وأنشدَ: [البسيط]

لا تـأمـنـنَّ فـزاريّاً خَـلَـوتَ بـه على قَلُوصِكَ واكتبْها بأسيارِ[٥]

ويُقال: كتبتُ الخرزَ: إذا جمعتُهُ. فكأنَّ الكتابَ سُمِّيَ بذلك لما اجتمعَ فيه من المعاني، بالخطِّ والحروفِ. ويُقال أيضاً لما يُجمَعُ من الحروفِ بعضُها إلى بعضٍ «كتاب». ويُقال لِمَن تعلَّمَ الهجاءَ: قد تعلَّمَ الكتابَ. وفي الحديثِ: علَّمت رَجُلاً من أصحابِ الصُّفَّةِ القرآنَ والكتابَ، يعني به الخطَّ والهجاءَ.

ويُقال للقَدَرِ «كتاب». قالَ الجعديُّ: [البسيط]

---

(١) انظر: شرح السكري لديوان كعب بن زهير ص ٢٦ (الطبعة المصرية)، ص ٢٨ (طبعة بيروت)، والبيت للنابغة الجعدي في ديوانه ص ٣٣، وأوله: خرجنَ شماطيطَ من غارة. والمقنب: الألف وما دونها.

(٢) نسب لعبيد في غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٦٣٩، وأدب الكاتب للصولي ص ١١٤. والبيت لأوس بن حجر في ديوانه ص ٩.

(٣) ديوان النابغة ص ٨٤.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من لسان العرب ١٢/ ٢٤، مادة (كتب).

(٥) لسالم بن دارة في المعاني ص ٥٧٩، وعيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ٦٠٠، والكامل للمبرد ٣/ ٦٣.

يا بنتَ عمّي كتابُ اللّهِ أخرجَني عنكمْ[1] وهل أمنعنَّ اللّهَ ما فَعَلا[2]

يعني به قدَرَ اللّهِ. وقالَ أسامةُ الهذليُّ: [المتقارب]

أبـى جِـذْمُ قـومِـكَ إلّا ذَهـابـا أنـابـوا وكـانَ عـلـيـهـمْ كـتـابـا[3]

يعني كانَ مقدَّراً[4] عليهم.

وقيلَ لبعضِهم: ما الذي جعلَ بني فلانٍ أشرفَ من بني فلانٍ؟ فقالَ: الكتابُ. يعني: القَدَرَ. قالَ: وسألتُ الأصمعيَّ: ما الكتابُ؟ فقال: القَدَر. وأنشدَ: [الكامل]

كُتِبَ البياضُ لها وبوركَ لونُها فعيونُها حتّى الحواجبِ سُودُ[5]

وإنَّما قيلَ للقَدَرِ «كتاب» لأنَّهم ذهبوا إلى أنَّ اللّهَ تباركَ وتعالى كتبَ كلَّ شيءٍ قَدَّرَهُ في اللَّوحِ المحفوظِ. قالَ اللّهُ تعالى ﴿قلْ لن يُصيبَنا إلّا ما كَتَبَ اللّهُ لنا﴾ [التوبة: ٥١]. قالَ أهلُ التَّفسيرِ: يعني ما قدَّرَ وقضى[6]. وقالوا في قولِهِ ﴿كَتَبَ اللّهُ لأغلبَنَّ أنا ورُسُلي﴾ [المجادلة: ٢١]، أي قضى بذلكَ، وفرغَ منه[7]. وقالوا في قولِهِ ﴿لبرَزَ الذينَ كُتِبَ عليهمُ القتلُ إلى مضاجِعِهم﴾ [آل عمران: ١٥٤]، أي قُضِيَ عليهم[8].

ويُقال للفرضِ أيضاً «كتاب». قالَ ابنُ عبّاس في قولِ اللّهِ تعالى ذكره ﴿كُتِبَ علَيكمُ القِصاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨]، أي فُرِضَ. وفي قولِهِ ﴿لِمَ كتبتَ عَلَينا القِتالَ﴾ [النساء: ٧٧]، أي فرضتَ[9]. ومن ذلكَ قيلَ للصَّلاةِ «الفريضة المكتوبة». قالوا: وإنَّما قيلَ للفريضةِ «كتاب» لأنَّها نزلَ بها الكتابُ، وذُكِرَتْ في الكتابِ.

---

(١) في ب: إليكم، والتصحيح من المصادر الأخرى.
(٢) الشعر والشعراء ص ٢٨٣، وديوان النابغة الجعدي ص ١٣٨، وفيه مصادر أخرى.
(٣) لأسامة بن الحارث في ديوان الهذليين ٢/ ١٩٧.
(٤) في م وأخواتها: مقدوراً.
(٥) لقيس بن العيزارة في ديوان الهذليين ٣/ ٧٥.
(٦) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٥٦.
(٧) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٥٦.
(٨) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٥٦.
(٩) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٥٦.

وقالوا: الكتابُ: الأمرُ. وقالوا في قولِهِ ﴿ادخُلوا الأرضَ المقدَّسةَ التي كتبَ اللّهُ لَكُم﴾ [المائدة: ٢١]، أي أمرَكم أن تدخلوها[1]، كأنَّه نزلَ بهم الأمرُ في كتابِهم. وقالَ آخرونَ: كتبَها اللّهُ لولدِ إبراهيمَ[2] عليه السَّلام، أي جعلَها لهم[3]، كأنَّه قدَّرَها لهم فيما قدَّرَ.

ويُقال: كتبَ بمعنى جعلَ: ﴿أُولئكَ كَتَبَ في قُلوبِهم الإيمانَ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وفي قولِهِ ﴿فاكتبْنا مَعَ الشَّاهِدينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، وفي قولِهِ ﴿فسأكتبُها للَّذينَ يتَّقونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فسَّروا هذا كلَّهُ بمعنى «جعلَ»[4].

فقد جاءَ في «الكتابِ» هذه المعاني كلُّها كما قد ذكرنا. يُقالُ: «كتبَ» بمعنى قدَّرَ، وقضى، وأمرَ، وجعلَ. فهذه تُسَمَّى كلُّها «كتاب»، لأنَّها ظهرتْ من اللّهِ عزَّ وجلَّ، وظهورُها منه بمنزلةِ الكتابِ. ويكونُ أيضاً لما بيَّنتُ كأنَّها قد كُتِبَتْ. فبيانُها[5] هو الكتابُ، لأنَّ اللّهَ تعالى بيَّنَ الأشياءَ كلَّها فيما أنزلَ على أنبيائِهِ عليهم السَّلام في الكُتُبِ. فسمَّى ما جمعَ لهم وأعطى ورسمَ «كتاباً».

والكتبُ التي ذكرَها اللّهُ عزَّ وجلَّ وسمّاها بأعيانِها، وكانتْ أساميها من اللّهِ عزَّ وجلَّ، أربعةٌ؛ كتبَ القرآنَ، كتابَ محمَّدٍ صلّى اللّهُ عليه، وسمّاه قرآناً وفرقاناً، وسمّاه بأساميَ سوى هذينِ الاسمينِ، نذكرُها إن شاءَ اللّهُ؛ والتَّوراةَ، كتابَ موسى عليه السَّلام، سمّاه «توراة»، وذُكِرَ في القرآنِ بهذا الاسمِ، وسمّاه أيضاً في القرآنِ كتاباً، وسمّاه فرقاناً ونوراً وضياءً وذكراً، فقالَ ﴿آتينا موسى الكتابَ﴾ [البقرة: ٥٣]، وقالَ ﴿ولقد آتينا موسى وهارونَ الفُرقانَ وضياءً وذكراً﴾ [الأنبياء: ٤٨]، وقالَ ﴿قل مَن أنزلَ الكتابَ الذي جاءَ به موسى نوراً﴾ [الأنعام: ٩١]؛ والإنجيلَ، كتاب عيسى عليه السَّلام، سمّاه اللّهُ في القرآنِ «إنجيلاً». قالَ جلَّ ذكرُهُ وقفَّينا بعيسى ﴿وآتيناه الإنجيلَ﴾ [المائدة: ٤٦]؛ والزَّبور، كتابُ داودَ عليه السَّلام،

---

(١) مقاتل بن سليمان: الوجوه والنظائر ص ٦٣، وابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٥٦.

(٢) في ب: لولد آدم، والتصحيح من تأويل مشكل القرآن.

(٣) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٥٦، وفي ب: جمعها.

(٤) نقلاً عن تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٥٦ بتصرف. وقد استشهد مقاتل بن سليمان بهذه الآيات نفسها في معنى الفرض للكتاب في الوجوه والنظائر ص ٦٢.

(٥) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: فشأنها.

سمّاه اللّهُ زبوراً، وقالَ ﴿وآتينا داودَ زبوراً﴾ [النساء: ١٦٣].

فهذه أربعةُ كتبٍ لها أسامٍ من اللّهِ عزَّ وجلَّ مشهورةٌ، غيرُ «الكتابِ» الذي هو اسمٌ لكلِّ كتابٍ. ولسائرِ الأنبياءِ كتبٌ ليستْ لها أسماءٌ مخصوصةٌ في القرآنِ، إلّا «الصُّحُفَ» التي ذكرَها اللّهُ تعالى، فقال تقدَّسَ ذكرُهُ ﴿صُحُفِ إبراهيمَ وموسى﴾ [الأعلى: ١٩]. وسَمَّى أيضاً الكُتُبَ المتقدّمة «زُبُراً»، وكلّ كتابٍ سمّاه زبوراً[١]، غير أنَّه لم يخصَّ بهذا الاسمِ إلا كتابَ داودَ عليه السَّلام، وصارَ عَلَماً لسائرِ الكتبِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وآتينا داودَ زبوراً﴾ [النساء: ١٦٣]، وقالَ ﴿وإنَّه لَفي زُبُرِ الأوَّلينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦].

وأمّا القرآنُ والتَّوراةُ والإنجيلُ فهي الكُتُبُ التي فيها الأمرُ والنَّهيُ والحلالُ والحرامُ والشَّرائعُ، وليس الزَّبورُ كذلك. إنَّما الزَّبورُ فيه تسبيحٌ وتهليلٌ، ودعاءٌ وحكمةٌ، مثل سائرِ كتبِ الأنبياءِ التي ليس فيها حلالٌ وحرامٌ، وأمرٌ ونهيٌ[٢]. ولكنَّ اللّهَ فضَّلَهُ من بينِ سائرِ كتبِ الأنبياءِ، وذكرَهُ في كتابِهِ مع القرآنِ والتَّوراةِ والإنجيلِ، واختصَّ له اسماً[٣]، ولم يختصَّ لسائرِ الكتبِ أسماءً. فقد قيلَ إنَّ لبني إسرائيلَ أربعةً وعشرينَ كتاباً[٤]، مثل كتابِ «أشعيا» و«أرميا» وكتابِ «دانيالَ» وكتاب «سُلَيمانَ» وغيرُ ذلك. ولكتبِ سُلَيمانَ أسامٍ، مثل «قوهلت»[٥] و«شير شيرين»[٦]، وغير ذلك ولكن ليسَ لها في القرآنِ ذكرٌ.

واليهودُ يسمُّونَ كُتُبَ بني إسرائيلَ على الجملةِ «پنج خمشي»[٧]، معناه «خمسة أخماس». وخمسةُ أخماسٍ تكونُ خمسةً وعشرينَ. وقد احتجَّتْ عليهم النَّصارى فقالوا: قد أقررتم لنا أنَّ كتبَ بني إسرائيلَ «پنج خمشي»، أي أنَّها خمسةُ

---

(١) الجملة زيادة من ب، لم ترد في م وأخواتها.

(٢) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: ليس فيها شرائع ولا أمر ولا نهي.

(٣) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: مع الكتبِ الثَّلاثةِ، واختصَّ لها أسماءً.

(٤) كتاباً: سقطت من ب.

(٥) «قوهلت»: هو سفر الجامعة.

(٦) «شير هشيريم»: نشيد الأناشيد. وفي الأصول ارتباك.

(٧) تنطوي تسمية «بنج خمشي» على ازدواجية لغوية واضحة، فبنج: في الفارسية: خمسة، وخمشي: خمسة في العبرانية.

أخماسٍ، وخمسةُ أخماسٍ هي خمسةٌ وعشرونَ، وفي أيديكم أربعةٌ وعشرونَ كتاباً. فالإنجيلُ هو الخامسُ والعشرونَ.

[٢٠٠]
القرآن

والقرآنُ سمّاه اللّهُ عزَّ وجلَّ «كتاباً» فقالَ جلَّ ذكرُهُ ﴿ألم ذلك الكتابُ لا ريبَ فيهِ﴾ [البقرة: ٢]، قالَ أصحابُ العربيَّة: هو القرآنُ، ومعناه هذا الكتابُ، يعني القرآنَ[١]. وقد مضى تفسيرُ «الكتابِ». ومعناه سمّاه اللّه «قرآناً». قالَ أبو عُبَيدة: سُمِّيَ «قرآناً» لأنَّه جمعَ السُّوَرَ وضمَّها، وتفسيرُ ذلك في آيةٍ من القرآنِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿إنَّ علينا جمعَهُ وقرآنَهُ﴾[٢]. ﴿فإذا قرأناه فاتَّبِعْ قُرآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧]، قالَ: معناه: إذا ألَّفنا منه شيئاً وضممناهُ إليكَ، فاعملْ به، وخُذْ به، وضمَّه إليكَ[٣]. وقالَ: وقيلَ للتي لم تلدْ من النُّوقِ: ما قرأتْ جنيناً قطُّ، أي ما ضمَّتْ في رَحِمِها ولداً[٤]. وأنشدَ لعمرو بن كلثوم: [الوافر]

ذراعَــي حــرَّة أدمــاءَ بــكــرٍ هِجانِ اللَّون لم تقرأْ جنينا[٥]

أي لم تضمَّ في رحمِها ولداً. وفي آيةٍ أخرى ﴿فإذا قرأتَ القرآنَ﴾ [النحل: ٩٨]، مجازُهُ: إذا تلوتَ بعضَهُ على إثرِ بعضٍ، حتى يجتمعَ وينضمَّ بعضُهُ إلى بعضٍ. ومعناه يصيرُ إلى معنى التَّأليفِ والجمعِ[٦]. وحكى العتبيُّ عن محمَّد بن مسعر قالَ: كنّا عندَ عبدِ اللّهِ بن سالم، فدخلَ علينا عقبةُ بن رؤبةَ، فأنشدَنا رَجَزاً، ثمَّ دخلَ رؤبةُ، فقامَ عقبةُ وخرجَ، فأخبرناه عن إنشادِهِ، فقال: هو راجزٌ لأنَّه ليسَ شعرُهُ بقرآنٍ. أي تأليفٍ.

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٢٨.
(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١.
(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٢.
(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٧، بتصرف. وهي زيادة من ب.
(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ٢٧٨.
(٦) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣.

وقالَ غيرُ أبي عُبَيدة: يُقال أيضاً: قروتُ[١] الماءَ في الحوضِ، إذا جمعتُهُ فيه. قالَ: وإنَّما سُمّيَ قرآناً لما جُمِعَ فيه من الحلالِ والحرامِ، والأمرِ والنهيِ، والمحكمِ والمتشابهِ، والنّاسخِ والمنسوخِ، ونبأُ ما كانَ وما يكونُ، وكلُّ ما يحتاجُ إليه النّاسُ من أمرِ دينِهم، وتفصيلُ ما اختلفوا فيه من الأحكامِ وغيرِها. قالَ اللّهُ تباركَ وتعالى ﴿ما فرَّطنا في الكتابِ من شيءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقالَ ﴿ما كانَ حَديثاً يُفترى ولكنْ تصديقَ الذي بينَ يَدَيهِ وتفصيلَ كلِّ شيءٍ﴾ [يوسف: ١١١]، فسمّاه «قرآناً» لأنَّه قد جمعَ فيه كلَّ شيءٍ، وألَّفَهُ فيه.

وقالَ آخرُ: سُمِّيَ «قرآناً» لأنَّه قرنَ آيةً إلى آيةٍ، وسورةً إلى سورةٍ. وهو معنى قولِ أبي عُبَيدة، وأنشد لذي الرّمَّة: قرانى وأشتاتاً[٢]. يصفُ الوحشَ، أي منها متفرِّقةٌ، ومنها مجتمعةٌ. وقالَ في قولِ اللّهِ تعالى ﴿يتربَّصنَ بأنفسِهنَّ ثلاثةَ قُروءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. قالَ قومٌ: هي الأطهارُ. وقالَ آخرونَ: هي الحيضُ. وكلٌّ قد أصابَ، لأنَّه خرجَ من شيءٍ، فخرجتْ من الطُّهرِ إلى الطُّهرِ إلى الحيضِ. قالَ: وهو من: أقرأَتِ النُّجومُ، إذا غابتْ. قالَ: ومرجعُهُ إلى ذلك المعنى، لأنَّ الحيضَ يجتمعُ في الرَّحِمِ، ثمَّ ينزلُ. وإن شئتَ يجتمعُ، ثمَّ ينقطعُ. ويُقال: قرى الماءَ في الحوضِ، أي جمعَهُ. قالَ ابنُ مقبل: [الطويل]

قرتْ ليَ قيسٌ في حياضٍ مسيكةٍ ... وأنت شقيٌّ حار حوضُكَ ما تقري[٣]

ويُقال للحوضِ «مِقراة» و«مِقرى»، وللجمعِ «مقاري». قالَ الحُطَيئة: [الكامل]

يا جفنةً تركَ ابنُ هوذةَ خلفَهُ ... ملأى لصحبتِهِ كحوضِ المُقتري[٤]

المقتري: المفتَعِلُ من قولِكَ: قريتُ الماءَ في الحوضِ. والقَريُ: جريُ الماءِ إلى الرَّوضةِ، سُمّيَ بذلك لأنَّ الماءَ فيها أثبتُ وأبقى. ويُقال: سُمِّيَت «القَريَة»

---

(١) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: قريت الماء.

(٢) الإشارة إلى قول ذي الرمة:

قرانى وأشتاتا وحادٍ يسوقُها ... إلى الماءِ من حورِ التنوفةِ مطلقُ

الديوان ص ٤٠٢.

(٣) ديوان تميم بن مقبل ص ٩٣.

(٤) ديوان الحطيئة ص ٢٦٧.

بذلك كأنَّه كانَ في الأصلِ قَرِيّة، أي البقعةُ التي يجري إليها الماءُ، ثمَّ خُفِّفَ، فقيلَ لها «قَرْيَة». والقِرى: الضِّيافة. يُقالُ قريتَ الأضيافَ قِرىً، أي جمعتَهم في بيتِكَ للطَّعامِ. قالَ الكُمَيت: [المتقارب]

مقاريَ للضَّيفِ تحتَ الظلامِ　　مواريَ للقادحِ المثقبِ[1]

ويُقال: مرَّ فلانٌ يقرو الأرضَ، إذا جازَ من أرضٍ إلى أرضٍ. ويقرو المرعى: يتتبَّعُهُ. والقَروُ أصلُ النَّخلةِ، يُنقَرُ[2] ويُتَّخذُ منه المِركنُ، يُشرَبُ فيه. قالَ: [الكامل]

قَتَلوا أخانا ثمَّ زاروا قَرْوَنا　　زعموا بأنّا لا نُحَسُّ ولا نُرى[3]

وقالَ الأعشى: [المتقارب]

وأنتَ بينَ القَروِ والعاصرِ[4]

يعني جذعَ النَّخلةِ يُنقَرُ نَقْراً.

ويرجعُ هذا كلُّهُ إلى معنى الجمعِ. يُقال: قرأتُ القرآنَ، وأقرأتُهُ غيري. ويُقال: قرأتُ من سَفَري، إذا انصرفتُ، وأقرأتُ من أهلي، أي دنوتُ منهم. وأقرأتُهُ، أي حبستُهُ، وأقرأتُ، أي صرتُ قارِئاً ناسِكاً، وتقرَّأتُ تقرُّؤاً، ويُقال: تقرَّأتُ: أي تفهَّمتُ. وأقرأتُ الشِّعرَ وهذا الشِّعرَ على قرّاءِ هذا الشِّعرِ. وقارأتُ فلاناً، إذا دارستُهُ. والقرى: الظّهر. ويُقال: هو من قوارئِ اللّهِ في الأرضِ، وهو من شهودِ اللّهِ[5]. وقالَ بعضُ الناسِ: الصّالحون، الواحدُ: قارئةٌ وقوارئُ.

فمعنى القرآنِ يرجعُ إلى ما ذكرنا من معنى الجمعِ، وسُمِّيَ «قرآناً»[6] لأنَّه جمعَ

---

(١) لم يرد في ديوان الكميت المجموع.

(٢) هكذا في م وأخواتها، وهي غير منقوطة في ب، ويمكن أن تقرأ: يقر.

(٣) النخلة لأبي حاتم السجستاني ص ٩٤.

(٤) لم يرد في ديوان الأعشى، طبعة بيروت، والشطر بلا نسبة في الغريب المصنف ١/ ٣٤٤، وله في النخلة لأبي حاتم السجستاني ص ٩٤، وغريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤٦٨، ونسبه للأعشى في لسان العرب ١١/ ١٤٥، مادة (قرأ)، وأوله: أرمي بها البيداء إذ أعرضت.

(٥) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: وفي الحديث: الصالحون قوارئ اللّه في الأرض، وهم شهود اللّه. وقال بعض الناس. .إلخ.

(٦) وسمي قرآنا: زيادة من ب.

فيه كلَّ شيءٍ يُحتاجُ إليه من أمرِ الدِّينِ. والقرآنُ يجمعُ السُّوَرَ، والسُّوَرُ تجمعُ الآياتِ، والآياتُ تجمعُ الكلماتِ، والكلماتُ تجمعُ الحروفَ.

[٢٠١]

الفرقان

قالَ أبو عُبَيدة: سُمِّيَ «فرقاناً» لأنَّه يفرِّقُ بين الحقِّ والباطلِ، وبين المؤمنِ والكافرِ[١]. قالَ: وخرجَ تقديرُهُ على تقديرِ رجلٍ قُنعان، والمعنى أنَّه يرضى بِهِ الخصمانِ المختلفانِ في الأمرِ، يحكمُ بينَهما[٢]. وعن ابنِ عبّاس في قولِ اللّهِ تباركَ وتعالى ﴿وأنزلَ الفُرقانَ﴾ [آل عمران: ٤]، قالَ: المُخرِجُ من الشُّبهاتِ. وسمَّى اللّهُ عزَّ وجلَّ التَّوراةَ «فرقاناً» و«ضياءً»، فقالَ ﴿ولقد آتينا موسى وهارونَ الفُرقانَ وضياءً﴾ [الأنبياء: ٤٨]، لأنَّ سبيلَهُ في تلك الأمَّةِ كانَ كسبيلِ القرآنِ في هذه الأُمَّةِ، منه خرجَ الضِّياءُ والهديُ، وبِهِ فُرِّقَ بين الحقِّ والباطلِ. قالَ أبو عمرو في قوله ﴿آتينا موسى الكتابَ﴾ [البقرة: ٥٣]، قالَ: التَّوراةُ والفرقانُ ما فرَّقَ بين الحقِّ والباطلِ[٣]. وقالَ أبو عبيد: الفُرقانُ: المخرجُ من الشُّبهاتِ. وأنشدَ لمزرِّد[٤]: [الخفيف]

بادرَ اللَّيلُ أن يبيتَ فلمّا ... أظلمَ اللَّيلُ لم يجدْ فُرقانا[٥]

ومن ذلك قيلَ للرَّجُلِ: «فاروق» لأنَّه أيضاً يفرِّق بينَ الحقِّ والباطلِ، وقد ذكرناه في غيرِ هذا الموضعِ. وفرقان تقديرُهُ «فعلان»، وهو من: فرَقَ، يفرُقُ، فُرقاناً وفَرقاً. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿إن تتَّقوا اللّهَ يجعلْ لكُم فُرقاناً﴾ [الأنفال: ٢٩][٦]، وقالَ ﴿وما أنزَلْنا على عبدِنا يومَ الفُرقانِ يومَ التَقى الجمعانِ﴾ [الأنفال:

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/١٨.

(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/٣، بتصرف. وفي م وأخواتها: إذا حكم بينهما.

(٣) من «قال أبو عمرو» زيادة من م وأخواتها.

(٤) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: لمروان.

(٥) تنسب كتب التفسير البيت لمزرد بن ضرار.

(٦) هنا توجد زيادة في ب: وقال (وإذ فرقنا بكمُ البحرَ). فيومُ الفُرقانِ هو يوم بدر.

٤١]. قالَ المفسّرونَ: يوم بدر، يُريد يومَ البيانِ، حيثُ فرَّقَ اللّهُ بين الحقِّ والباطلِ، وبينَ أهلِ الإسلام وعَبَدةِ الأوثانِ، يومَ التقى الجمعانِ. وقالَ في قولِهِ ﴿يجعلْ لكم فرقاناً﴾ يقولُ [باباً][1] ومخرجاً من الشُّبهةِ والضَّلالةِ.

وفَرْقُ الرَّأسِ: وَسَطُهُ، وهو الخطُّ المكشوفُ بين الذُّؤابتينِ. قالَ أبو النَّجم يصفُ خفَّ النَّعام: [الرجز]

يحفرُ بالمنسمِ من فَرقائِهِ[2]

والفَرقاءُ[3]: الفَرقُ الذي في منسمِهِ، لأنَّ له منسمينِ متفرِّقينِ، وإنَّما أنَّثَ لأنَّه ذهبَ إلى الرِّجلِ، ومن ذكَّرَ أرادَ به الخفَّ.

وقوله عزَّ وجلَّ ﴿وإذ فَرَقنا بِكُمُ البَحْرَ﴾ [البقرة: ٥٠]، أي عبرنا بكم. وذلك أنَّه انفرقَ وانفرجَ وانكشفَ حتّى جازوا.

وروى أبو عبيد بإسنادٍ له عن مجاهد ﴿يجعلْ لكم فُرقاناً﴾ قالَ: مخرجاً. قالَ أبو عبيد: والفُرقانُ عند النَّحويّين من: فَرقت بينَ الشَّيءِ والشَّيءِ، أفرُقُ بينَهما، فَرقاً وفُرقاناً[4]. قالَ: ورُوِيَ عن مجاهد ما يصدِّقُ هذه الآيةَ في قولِهِ ﴿يومَ الفرقانِ﴾، قالَ: يوم بدرٍ، فرَّقَ فيه بينَ الحقِّ والباطلِ.

وقالَ أبو عُبَيد[5] في قولِهِ ﴿وقرآناً فرَقناه﴾ [الإسراء: ١٠٦] بالتَّخفيفِ، قرأه أهلُ المدينةِ (جعلناه فُرقاناً). قالَ: ومعناه بيَّناه، إذا خُفِّفَ، ومن شدَّدَ أرادَ أنزلناه متفرِّقاً. وذكرَ عن الكسائيِّ (فرَّقناه) بالتَّشديدِ. قالَ: وكذلك يُروى عن ابنِ عبّاس أنَّه قرأَهُ بالتَّشديدِ، وقالَ: لم ينزلْ بيوم ولا يومينِ، ولا شهرٍ ولا شهرينِ. ورُوِيَ عن ابنِ عبّاس قالَ: نزلَ إلى السَّماءِ الدُّنيا في ليلةِ القدرِ، ثمَّ نزلَ بعدُ في عشرينَ سَنَةً. وقرأَ قومٌ ﴿وقرآناً فَرَقناه لتقرأَهُ على النّاسِ على مُكثٍ ونزَّلناه تَنْزيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦]. ورُوِيَ عنه أيضاً أنَّه قال: فرَّقناه: فصَّلناه.

---

(١) في الأصول: بياناً، وأرجح أنها تصحيف.
(٢) المعاني لابن قتيبة ١/ ٣٣٩، وديوان أبي النجم العجلي ص ٦٧. وفي الأصول: فرقانها.
(٣) في الأصول: والفرقان.
(٤) انظر: إصلاح المنطق لابن السكيت ص ٢٣٧.
(٥) هكذا في ك وهـ.

فهذا ما جاءَ في معنى الفُرقانِ. ويُقال: فراق السَّحاب متفرِّق[1]، والفارقُ من الإبلِ التي إذا ضربَها المخاضُ تركتِ الإبلَ وذهبتْ.

[٢٠٢]

الوحي

والوحيُ من أسماءِ القرآنِ، وصفةٌ من صفاتِهِ. يُقالُ له «وحي»، كما يقالُ له «قرآن»، وكما يقالُ له «تنزيل». قالتِ الأمَّةُ بأجمعِها: القرآنُ كلامُ اللّهِ ووحيُهُ وتنزيلُهُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿قلْ إنَّما أُنذرُكم بالوحيِ ولا يسمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إذا ما يُنذَرونَ﴾ [الأنبياء: ٤٥]، وقالَ ﴿وما كانَ لبَشَرٍ أن يكلِّمَهُ اللّهُ إلّا وَحياً أو من وراءِ حجابٍ أو يُرسِلَ رسولاً فيُوحي بإذنِهِ ما يشاءُ﴾ [الشورى: ٥١]. وفي الوحيِ معانٍ جليلةٌ حِسانٌ وحكمةٌ بليغةٌ. ونحنُ نشرحُ منها شيئاً.

أصلُ الوحيِ الإشارةُ التي دونَ الإفصاحِ بالكلامِ[2]، والإيماءُ إليه، والتَّعريضُ دون التَّصريحِ، كأنَّ الموحيَ يُريد أن يُفهِمَ قوماً دونَ قومٍ. وهو في اللُّغة على وجهَينِ؛ يكونُ من «أفعلَ»، «يُفعِلُ»، ومن «فعلَ»، «يفعلُ». والقرآنُ جاءَ على «أفعلَ». قالَ اللّهُ تباركَ وتعالى ﴿وإذْ أوحيتُ إلى الحَوارِيِّينَ﴾ [المائدة: ١١١]، وقالَ ﴿وأوحى ربُّكَ إلى النَّحلِ﴾ [النحل: ٦٨]، وقالَ ﴿وأوحَينا إليهم فعلَ الخيراتِ﴾ [الأنبياء: ٧٣]. فإذا جئتَ إلى المصدرِ، ففي القرآنِ هو من «فعلَ»، «يفعلُ». قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وما كانَ لبَشَرٍ أن يكلِّمَهُ اللّهُ إلّا وَحياً﴾ [الشورى: ٥١]، وقالَ ﴿إنَّما أُنذرُكم بالوحيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥]. ولو كانَ من «أفعلَ»، لكانَ «إيحاءً». يُقال منه «أوحى»، «يُوحي»، «إيحاءً». وقد جاءتِ اللُّغتانِ جميعاً عن العربِ. قالَ الشّاعر[3]: [الرجز]

وحى لها القرارَ فاستقرَّتِ[4]

(١) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: متفرقة.
(٢) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: الإشارة إلى شيء دون الإيضاح بالكلام.
(٣) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: قال العجاج.
(٤) ديوان العجاج ص ٥.

فهذا من فعل «وحى»، «يَحِي»، «وحياً». وقالَ علقمةُ: [البسيط]

يُوحي إليها بإنقاضٍ ونقنقةٍ ... كما تراطنُ في أفدانِها الرُّومُ[1]

فهذا من أفعلَ، أوحى، يُوحي، إيحاءً. وقالَ طُفيل في صفةِ القِداحِ: [الطويل]

يُراقبُ إيحاءَ الرَّقيبِ كأنَّه ... لِما وَترونِي آخرَ اللَّيلِ مُغضَبُ[2]

ويُقال: وَحْي ووَحِيّ، كما يُقال: سَبْي وسَبِيّ، وحَلْي وحَلِيّ، ووَشْي ووَشِيّ. ويُقال: إنِّي لأَعرفُ الحيَّ من اللَّيِّ، يُقال: الحيُّ: فالحيُّ أن يُوحى إليه شيءٌ يعرفُهُ، واللَّيُّ أن يلويَهُ عن صاحبِهِ لئلّا يُعرَفَ[3].

قالَ أبو عبيد: الوحيُ في كلامِ العربِ على أوجهٍ، منها وحيُ النُّبوَّةِ، ومنها الإلهامُ، ومنها الإشارةُ، ومنها الكتابةُ. وفي كلٍّ ذلك شواهدُ من الكتابِ والشِّعرِ والكلامِ. فأمّا الوحيُ في النُّبوَّةِ فإرسالُ اللّهِ الملائكةَ إلى الأنبياءِ، كقولِهِ ﴿وما كانَ لبَشَرٍ أنْ يكلِّمَهُ اللّهُ إلّا وَحياً أو من وراءِ حجابٍ أو يُرسِلَ رسولاً فيُوحي بإذنِهِ ما يشاءُ﴾ [الشورى: ٥١]. وقالَ في الإلهامِ ﴿وأوحى ربُّكَ إلى النَّحلِ﴾ [النحل: ٦٨]. وكذلك يُقال في قولِهِ تعالى ﴿وأوحينا إلى أُمِّ موسى﴾ [القصص: ٧]، وكذلك قالَ ﴿بأنَّ ربَّكَ أوحى لها﴾ [الزلزلة: ٥]. والإشارةُ فقولُهُ ﴿فأوحى إليهم أن سبِّحوا بكرةً وعشيّاً﴾ [مريم: ١١]. ورُوِيَ عن مجاهد قالَ: أشارَ إليهم. وفي الكتابةِ رُوِيَ عن الضحّاكِ في هذه الآيةِ (فأوحى إليهم)، وعن ابنِ أبي ليلى وعن الحكم قالَ: كتبَ لهم. قالَ أبو عبيد: فجعلَهُ مجاهد إشارةً، وجعلَهُ الضحّاك وابن أبي ليلى والحكم كتاباً، والمعنى يحتملُ لهما، وذلك أنَّ الوحيَ عند العربُ هو أن يُلقيَ الإنسانُ إلى صاحبِهِ شيئاً بالإشارةِ والإخفاءِ. فقد يكونُ ذلك بالإيماءِ، وقد[4] يكونُ ذلك بالخطِّ، كقولِ عنترةَ حينَ شبَّهَ المنازلَ ودروسَها بالكتابِ، فقالَ: [الوافر]

---

(١) الاختيارين ص ٦٣٨.

(٢) ديوان طفيل الغنوي ص ٧١.

(٣) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: الحي المكشوفُ الذي لا يكادُ يخفى، واللي الذي. .إلخ.

(٤) في ب: ولا يكون. وفي م وأخواتها: ويكون.

كوحيِ صحائفٍ في عهدِ كسرى فأهداها لأعجمَ طمطميٍّ[1]

وأمّا وحيُ الإشارةِ فقوله ﴿وكذلكَ جَعَلنا لكلِّ نبيٍّ عدوّاً شياطينَ الإنسِ والجنِّ يُوحي بعضُهم إلى بعضٍ زُخرُفَ القولِ﴾ [الأنعام: ١١٢]. قالَ: ورُوِيَ عن ابنِ عبّاس أنَّه قالَ: لا وحيَ إلّا القرآنُ. وكيفَ يُنكِرُ ابن عبّاس وهو موجودٌ في مواضعَ من القرآنِ أنَّه أوحى إلى الأرضِ، وأنَّ زكريّا أوحى إليهم، وأنَّ الإنسَ والشّياطينَ يُوحي بعضُها إلى بعضٍ؟ ولكنَّ الذي أرادَ، فيما نرى، أنَّ القرآنَ هو الوحيُ الذي نزلَ به جبريلُ على محمَّدٍ صلّى اللّهُ عليه، وأنَّ ما سوى ذلك من فعلِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وأمرِهِ ونهيِهِ بسُنَنٍ سنَّها هو عليه السَّلام. يقولُ: والسُّنَّة سوى الوحيِ، أي هما اثنانِ؛ الكتابُ، وهو الوحيُ، والسُّنَّة، وهو ما سنَّ النَّبيُّ عليه السَّلام.

وقالَ بعضُ العلماءِ[2]: الوحيُ على تسعةِ أوجهٍ؛ الإشارةُ، والرَّمزُ، والعقدُ، والخطُّ، وضربُ الأمثالِ، والإلهامُ، والرُّؤيا، والنُّصبةُ، وزجرُ الطَّيرِ. فكلُّ شيءٍ من هذه الأوجهِ دللتَ به[3] على شيءٍ فهو وحيٌ، يُريدُ الرَّجُلُ أن يُفهِمَ به قوماً دون قومٍ، ويُفهِمَ مَن يخصُّهُ بمرادِهِ دون غيرِهِ.

فأمّا الإشارةُ فكالإيماءِ باليدِ والعينِ والحاجبِ والمنكبِ والرَّأسِ، إذا تباعدَ الشَّخصانِ، وبالثَّوبِ والسَّيفِ[4]، يشيرُ بذلك من موضعٍ لا يلحقُهُ الصَّوتُ، فيعلمُ صاحبُهُ ما يريدُ. ويُقال لمن يفعلُ ذلك «البشير». قالَ الرّاعي: [المتقارب]

إذا وضعتْه كسا فرجَها كثوبِ البشيرِ إذا يخطرُ[5]

يصفُ ذَنَبَ النّاقةِ، شبَّهه بثوبِ البشيرِ إذا لمعَ[6]. وقالَ الشّاعرُ في الإيماءِ بالعينِ: [الطويل]

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ٢/ ١٤٥، وديوان عنترة بن شداد ص ٩٤.

(٢) لا يبدو أن المؤلف ينقل مباشرة عن الجاحظ في «البيان والتبيين» في حديثه عن أنواع الدلالات، بل الأرجح أنه ينقل عن مصدر وسيط، عدل في آراء الجاحظ قليلاً وأضاف إليها.

(٣) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: إذا استدللت به. وفي ك: إذا استدلك.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ٨٤.

(٥) ديوان الراعي ص ١٠٣، وانظر مادة (البشير).

(٦) الجملة زيادة من ب، سقطت من م وأخواتها.

أشارَتْ بطرفِ العينِ خيفةَ أهلِها ... أشارةَ مذعورٍ ولم تتكلَّمِ[1]
فأيقنتُ أنَّ الطَّرفَ قد قالَ مرحباً ... وسهلاً لدينا بالحبيبِ المتيَّمِ

وقالَ امرؤُ القيس: [الطويل]

مُغَرَّثةً زُرقاً كأنَّ عيونَها ... من الرَّمْزِ والإيحاءِ نُوّارُ عِضْرَسِ[2]

وقالَ آخرُ: [الطويل]

ترى عينَها عيني لتعرفَ وحيَها ... وتعرفَ عيني ما بِهِ الوحيُ يرجعُ[3]

وقالَ في الحاجبِ: [الوافر]

وفي غمزِ الحواجبِ مستراحٌ ... لحاجاتِ الحبيبِ إلى الحبيبِ[4]

وقالَ آخرُ: [الرجز]

يُومِينَ بالأعينِ والحواجبِ ... إيماءَ برقٍ في عماءٍ ناضبِ[5]

أي بعيد.

فأمّا الرَّمزُ بالشَّفتين فقولُ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿فخرجَ على قومِهِ من المحرابِ فأوحى إليهم أن سبِّحوا بُكرةً وعَشِيّاً﴾ [مريم: ١١]، يعني رمزَ لهم رمزاً. وفي آيةٍ أخرى ﴿قالَ آيتُكَ أن لا تُكَلِّمَ النّاسَ ثلاثةَ أيّامٍ إلّا رَمزاً﴾ [آل عمران: ٤١]. وفي آيةٍ أخرى ﴿ثلاثَ لَيالٍ سَوِيّاً﴾ [مريم: ١٠]. قالَ أبو عُبَيدة: الرَّمزُ باللِّسانِ من غيرِ أن يبينَ الكلام، ويخفضُ الصَّوتَ، مثلَ الهمسِ[6]. وقالَ غيرُهُ: الرَّمزُ حركةُ الشَّفتَينِ. وأنشدَ: [الكامل]

تحميهمُ شهباءُ ذاتُ قوانسٍ ... رمّازةٌ تأبى لهم أن يحربوا[7]

---

(١) البيان والتبيين ١/ ٨٤، ١/ ١٩٢، الزهرة للأصفهاني ١/ ٩٥، البرهان في وجوه البيان لابن وهب ص ١٤١، الأغاني ١١/ ٢٣٧، ٢٠/ ٢٠٦، وديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٦٠.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ١٠٣. والرمز: هكذا في الأصول، وفي الديوان: الذمر.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ٨٥.

(٤) لابن أبي طاهر في الزهرة ١/ ٩٣، ومحاضرات الأدباء ٣/ ٢٢٣.

(٥) غريب الحديث للحربي ص ٥٥٠، بلا نسبة، ولسان العرب (نضب). والبيت هكذا في ب، وفي م وأخواتها: إيماض برق في غمام ناضب.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٩٣.

(٧) لساعدة بن جؤية، ديوان الهذليين ١/ ١٨٥، وانظر: أساس البلاغة ص ٣٣٩.

الرَّمّازة: التي تموجُ وتتحرَّكُ. وروى أبو عبيد[1] عن الحجّاج عن ابن جريج قالَ: الرَّمزُ الإيماءُ[2] بالشَّفتينِ دون الكلامِ. قالَ الكسائيُّ: يُقال: رمزَ، يرمُزُ، ورمزَ، يرمِزُ. قالَ ابنُ عبّاس في قولِهِ (ثلاثةَ أيّامٍ إلّا رَمزاً) قالَ: إشارةٌ بالأصابعِ.

قالَ الشّاعرُ: [الكامل]

رمزتْ إليَّ مخافةً من أهلِها ... من غيرِ أن يبدو هناكَ كلامُها[3]

وقالَ الأخطلُ: [الطويل]

أحاديثَ سدّاها ابنُ حدباءَ فرقدٌ ... ورمّازةٌ مالتْ لمن يستميلُها[4]

وأمّا العقدُ بالأصابعِ فكأنْ[5] يُومي الرَّجلُ إلى صاحبِهِ بيدِهِ، ويعقدُ عشرَهُ، أو غيرَ ذلك من العددِ، فقد أوحى إليه.

وأمّا الخطُّ والكتابةُ فيُسَمَّى «وحياً». قالَ زُهير: [البسيط]

دارٌ لأسماءَ بالغمرَينِ ماثلةٌ ... كالوَحْيِ ليسَ بها من أهلِها أَرِمُ[6]

أي أحدٌ. قالَ العجّاجُ: [الرجز]

من مرِّ أعوامِ السِّنينَ العُوَّمِ ... مراجِعُ النِّقْسِ بِوَحْيٍ معجمِ[7]

وقالَ آخرُ: أنشدَهُ خلف: [الكامل]

فيشطُّ ميدانُ الرِّماحِ كما ... وقعَ الغلامُ الوَحْيَ في الصَّخرِ

وقعَ من الميقعةِ، وهي المطرقة. وقالَ لبيد: [الكامل]

فمدافعُ الرَّيّانِ عُرِّيَ رسمُها ... خَلَقاً كما ضَمِنَ الوَحِيَّ سِلامُها[8]

ويُقال: وَحْي وَوَحِيّ.

---

(١) في الأصول: أبو عبيدة.

(٢) في ب: تومئة.

(٣) أمالي الشريف المرتضى ١/ ٤٣١، بلا نسبة.

(٤) ديوان الأخطل ٣/ ٢٤١. والرمازة: الفاجرة. وفي ب بعد هذا الموضع تكرار للجملة السابقة المنقولة عن أبي عبيدة.

(٥) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: كما أن الرجل يومي.

(٦) ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب ص ١١٦.

(٧) ديوان العجاج ص ٥٨.

(٨) ديوان لبيد ص ٢٩٧، وورد في ب الشطر الأول فقط.

قالَ: والخطُّ والكتابةُ أبعدُ من الإشاراتِ، لأنَّ الكتابةَ تُقرأُ في أبعدِ المواضعِ، ويُعرَفُ بها مرادُ الكاتبِ. وقالوا: القَلَمُ أحدُ اللِّسانين[١]. والقَلَمُ أبقى أثراً، واللِّسانُ أكثرُ هَذَراً[٢]. وقالوا: الكتابُ هو الطِّلَّسمُ الأكبرُ. وقالوا: اللِّسانُ مقصورٌ على الحاضرِ، والخطُّ يعرفُ به الشّاهدُ والغائبُ[٣]، فربَّما خطَّ الرَّجلُ كتابَهُ يفهمُهُ مَن واقفَهُ[٤] عليه، ويجهلُهُ غيرُهما.

وأمّا ضربُ الأمثالِ فهو الوحيُ باللَّفظِ، وهو أن يضربَ الرَّجلُ لصاحبِهِ مثلاً، فيعرِّفَهُ أمراً بينَهما، ويسترَهُ عن غيرِهِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿إنَّ هذا أخي له تسعٌ وتسعونَ نعجةً ولي نعجةٌ واحدةٌ﴾ [ص: ٢٣]، فضربَ المَلَكانِ بذلك مَثَلاً لداودَ عليه السَّلام. وقد ضربَ اللّهُ تعالى الأمثالَ للأنبياءِ عليهم السَّلام، وضربَ الأمثالَ للنّاسِ في القرآنِ، فقالَ ﴿وتلكَ الأمثالُ نضربُها للنّاسِ وما يعقلُها إلّا العالمونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

قالَ الأصمعيُّ[٥]: وبعثَ رجلٌ من العربِ إلى آخرَ ثلاثينَ شاةً وزِقّاً من خمرٍ، فأخذَ الرَّسولُ منها شاةً، وشربَ من الزِّقِّ بعضَ الخمرِ، وأوصلَ سائرَ ذلك. فلمّا أرادَ أن يرجعَ[٦]، قالَ المهدى إليه: أبلغْ صاحبَكَ أنَّ شهرَنا محاقٌ ينقصُ يوماً، وأنَّ سُحَيماً راعيَ شاتِنا أتى مرثوماً[٧]. جعلَ أيّامَ الشَّهرِ الثَّلاثينَ مثلاً لعددِ الشّاءِ، وسُحَيماً مثلاً للزِّقِّ. وذلك أنَّ «سُحَيماً» هو من السَّوادِ، والزِّقُّ أسودُ. فدلَّ صاحبَهُ بهذا المثلِ على فعلِ صاحبِهِ[٨]. وقد أفردنا للمثلِ باباً شرحنا ذلك فيه.

وأمّا الإلهامُ فقولُ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وأوحى ربُّكَ إلى النَّحلِ﴾ [النحل: ٦٨]،

---

(١) البيان والتبيين ١/ ٨٥، أدب الكتاب للصولي ص ٧٤، البرهان في وجوه البيان ص ٣١٣.
(٢) البيان والتبيين ١/ ٨٥، البرهان في وجوه البيان ص ٣١٤.
(٣) البيان والتبيين ١/ ٨٦، البرهان في وجوه البيان ص ٣١٤.
(٤) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: من وافقه، وفي ك: من واقعه.
(٥) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: وقال.
(٦) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: فلما أراد الانصراف.
(٧) في ب: مربوباً، والمرثوم: المنزوف الذي يقطر منه الدم.
(٨) الجاحظ: البيان والتبيين ٢/ ١٤٩، وتنظر حكاية امرئ القيس في الأغاني ٩/ ٧٥. وراجع: لسان العرب ٦/ ١٩٩، مادة (سحم).

قالَ أهلُ التَّفسيرِ: ألهمَها[1]. وقالوا في قولِهِ ﴿وإذ أوحيتُ إلى الحواريِّينَ﴾ [المائدة: ١١١]: ألهمَهم. وقالَ آخرونَ: ألقاه في أنفسِهم للصِّدقِ. وقالوا في قوله ﴿وأوحينا إلى أمِّ موسى﴾ [القصص: ٧]: ألهمَها.

وأمّا الرُّؤيا فإنَّ مَلَكَ الرُّؤيا يُوحي لصاحبِهِ بما يضربُ له من الأمثالِ في منامِهِ، ولا يبيِّنُ له ما يريدُ أن يُعرِّفَهُ، حتّى يعبِّرَ تلك الرُّؤيا. ومن أجلِ ذلك قالوا إنَّ الرُّؤيا الصادقةَ جزءٌ من أجزاءِ النُّبوَّةِ، لأنَّها وحيٌ من المَلَكِ.

فهذه كلُّها يُقال لها «وحي»، لأنَّها تشيرُ إلى معنى من غيرِ إفصاحٍ[2]، فتبلغُ الحاجةَ بالإشارةِ من غيرِ تصريحٍ.

وأمّا النُّصبةُ فقالَ بعضُ الحكماءِ هي الحالُ الدّالّةُ التي تقومُ مقامَ هذه الأصنافِ، ولا تقصِّرُ عن تلكَ الدَّلالاتِ، وهي الدّالّة في المواتِ الجامدِ، مثل الدَّلالةِ في الحَيَوانِ النّاطقِ. ومن أجلِ ذلك قالتِ الحكماءُ: كلُّ صامتٍ ناطقٌ من جهةِ الدَّلالة[3]. وقالوا: كلُّ عجماءَ مُعرِبَةٌ من جهةِ البرهانِ. وكلُّ شيءٍ دلَّ على معنىً، واعتبرتَ بالنَّظَرِ إليه، واستدللتَ به، فقد أوحى إليكَ، وإن كانَ صامتاً، وقد أشارَ إليكَ، وإن كانَ ساكتاً، وقد كلَّمَكَ، وإن كانَ غيرَ ناطقٍ. ويعرفُ ذلك الحكيمُ العالمُ اللَّبيبُ، ويخفى على البليدِ الجاهلِ الغبيِّ[4]. قالَ اللّهُ تعالى ﴿أفلَم يَسيروا في الأرضِ فتكونَ لهم قلوبٌ يعقلونَ بها أو آذانٌ يسمعونَ بها فإنَّها لا تَعمى الأبصارُ ولكن تعمى القلوبُ التي في الصُّدورِ﴾ [الحج: ٤٦]. وقلنا إنَّ الاستدلالَ بهذه الأشياءِ «وحيٌ» لمعرفةِ بعضِ النّاسِ به دونَ بعضٍ، فهو للمعتبرِ بها والعارفِ بما فيها من لطيفِ المعنى بمنزلةِ الكلامِ، كأنَّها تكلِّمُهُ، كما قالَ الحكيمُ الأوَّلُ: سلِ الأرضَ فقُلْ: مَن حفرَ أنهارَكِ؟ وغرسَ أشجارَكِ؟ وأخرجَ ثمارَكِ؟ فإن لم تُجبْكَ حواراً، أجابتْكَ اعتباراً[5].

---

(١) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٧٣.

(٢) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: من غير إيضاح.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ٨٦.

(٤) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: العيي.

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ٧٥، والحيوان ١/ ٣٥، ونسب القول للفضل بن عيسى بن أبان، =

ورُوِيَ عن سلمانَ أنَّه وقفَ[1] على مصانعِ قومٍ قد خربتْ[2] وبادَ أهلُها، فقالَ: يا خرابَ الخَربينَ، أينَ أهلُكِ الأوَّلونَ؟ فسألَ على جهةِ الاعتبارِ، وجعلَ الدَّلالةَ فيها بمنزلةِ الجوابِ. وهذا معروفٌ شائعٌ عند جميعِ الأممِ، متَّفقٌ عليه. وقد أكثرتِ العربُ في ذلك، وقالتْ فيه أشعاراً كثيرةً يستنطقونَ رسمَ الدّارِ[3]، ويستدلُّونَ بالمواتِ، ويكلِّمونَ البهائمَ، على جهةِ الاعتبارِ. قالَ ذو الرّمَّة: [الطويل]

وقفتُ على ربعٍ لميَّةَ ناقتي　　　فما زلتُ أبكي عندَهُ وأخاطِبُهْ
وأسقيهِ حتّى كادَ ممّا أبثُّهُ　　　تكلِّمُني أحجارُهُ وملاعِبُهْ[4]

أسقيه: أي أقولُ له سقياً لكَ.

وقالَ ابنُ أحمرَ في صفةِ الدِّيارِ والرِّباعِ[5]: [الكامل]

ورثتْ بلاداً خفَّ عامرُها　　　وخلتْ فلا شَجَرٌ ولا صخرُ[6]
وعرفتُ من شُرُفاتِ مسجدِها　　　حَجَرينِ طالَ عليهما الدَّهرُ
بكيا الخلاءَ فقلتُ إذ بكيا　　　ما بعد مثلِ بكاكما صبرُ

فذكرَ أنَّه وقفَ على دارٍ مضمحلَّةٍ دارسةٍ، لا يستبينُ منها إلّا هذينِ الحجرينِ[7] من شُرُفاتِ المسجدِ، وجعلَهما باكيينِ مستوحشينِ، وذكرَ أنَّه بكى لبكائِهما. والحجرُ لا يبكي على الحقيقةِ، ولكنَّه على سبيلِ الاعتبارِ ووجهِ الاستدلالِ. وقالَ جرير: [الطويل]

لِمَن طَلَلٌ هاجَ الفؤادَ المتيَّما　　　وهمَّ بسلمانَينِ أن يتكلَّما[8]

= والبرهان في وجوه البيان لابن وهب ص ٦٠، وأسرار البلاغة للجرجاني ص ١٢. وانظر مادة (عبارة الرؤيا).

(١) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: قال.
(٢) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: خرجت.
(٣) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: رسوم الديار.
(٤) النوادر لأبي زيد ص ٢١٣، الزهرة لأبي بكر الأصفهاني ١/ ٢١٧، ديوان ذي الرمة ص ٣٨.
(٥) في ب: والرياح.
(٦) ورد البيتان الثاني والثالث في شعر ابن أحمر، ص ٨٩، ولم يرد البيت الأول.
(٧) في م وأخواتها: إلا هذان الحجران.
(٨) ديوان جرير ص ٩٧٩.

وهذا لشدَّةِ وضوحِ المعنى فيه جعلَهُ كأنَّه يهمُّ بالكلام. وقالَ عنترةُ: [الكامل]

يا دارَ عبلةَ بالجواءِ تكلَّمي　　　وعمي صباحاً دارَ عبلةَ واسلمي[1]

وقالَ آخرُ: [الطويل]

ألا انعمْ صباحاً أيُّها الرَّسمُ وانطقِ　　　وحدِّثْ حديثَ الرَّكبِ إن شئتَ واصدقِ[2]

وهذا أكثرُ من أن يُحصى في شعرِهم وكلامِهم، من استنطاقِهم للدّارِ وتحيَّتِهم لها، ومخاطبتِهم إيّاها، مع معرفتِهم بأنَّ الدارَ لا تنطقُ ولا تتكلَّمُ، ولكنْ على ما قُلنا من جهةِ الاعتبارِ. وربَّما كلَّموا البهائمَ واستنطقوها، وجعلوها متكلِّمةً ومجيبةً على هذا المعنى. قالَ عنترةُ في صفةِ فَرَسٍ: [الكامل]

فازورَّ من وقعِ القنا بلبانِهِ　　　وشكا إليَّ بعبرةٍ وتحمحمِ[3]

لو كانَ يدري ما المحاورةُ اشتكى　　　وَلَكانَ لو علمَ الكلامَ مُكَلِّمي

لمّا كانتْ حمحمتُهُ وازورارُهُ لما أصابَهُ من الطَّعنِ والجهدِ، جعلَهُ بمنزلةِ الشّاكي إليه، والمُكلِّمِ له. وقالَ الكُميت: [الخفيف]

أخبرتْ عن فعالِهِ الأرضُ واستنـ　　　طقَ منها اليبابَ والمعمورا[4]

أرادَ أنَّه حفرَ فيها الأنهارَ، وأثَّرَ الآثارَ وعَمرَها. فلمّا تبيَّنَ ذلك للناظرِ صارت كأنَّها[5] مخبرةٌ. وقالَ نُصَيب: [الطويل]

فعاجوا فأثنوا بالذي أنتَ أهلُهُ　　　ولو سكتوا أثنتْ عليكَ الحقائبُ[6]

والحقائبُ لا تتكلَّمُ، ولكن لمّا تبيَّنَ للناظرِ أنَّها قد مُلِئَتْ من العطايا، كانت كأنَّها قد أثنتْ على المُعطي. وقالَ عوف بن الخرع: [المتقارب]

وقفتُ بها ما تُبينُ الجوابَ　　　لسائلِها القولَ إلّا سِرارا[7]

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ٢/ ١١١، وديوان عنترة بن شداد ص ٨٠.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ١٦٨، وفي ب ورد الشطر الأول فقط.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٧٩، وديوان عنترة بن شداد ص ٨٣.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص ٨١، المعاني الكبير ١/ ٥٥٤، أساس البلاغة، ديوان الكميت ص ١٦٨. واليباب: في ب: النبات.

(٥) كأنها: سقطت من ب.

(٦) شعر نصيب بن رباح ص ٥٩.

(٧) تأويل مشكل القرآن ص ٨١، المفضليات ص ٤١٣.

يقولُ: لا تبيِّنُ الكلامَ للسّائلِ، لأنَّ ظاهرَ ما يُرى دليلٌ على الحالِ، وكأنَّه سِرارٌ من القولِ. وقالَ آخرُ في صفةِ ناقةٍ: [الوافر]

تقولُ إذا درأتُ لها وضيني ... أهذا دينُهُ أبداً وديني[1]

أكلَّ الدَّهرِ حلٌّ وارتحالٌ ... أما يُبقي عليَّ ولا يقيني

وهي لم تَقُلْ شيئاً، ولكنَّه لمّا رأى فيها من الجهدِ والكلالِ قضى عليها بأنَّها لو تكلَّمتْ لقالتْ مثلَ هذا القولِ. وقالَ آخرُ: [الرجز]

شكا إليَّ جملي طولَ السُّرى ... صبراً جميلاً فكلانا مُبتَلى[2]

وقالَ أبو النَّجم في صفةِ الذُّبابِ والعُشبِ: [الرجز]

مستأسدٌ ذبابُهُ في غيطلِ ... يقولُ للرّائدِ أعشبتَ انزلِ[3]

والذُّبابُ لا يقولُ شيئاً. ولكنْ لمّا رأى كثرةَ طنينِهِ، استدلَّ به على كثرةِ العشبِ والزَّهرِ، وعلى أنَّه لا يجتمعُ إلّا[4] إلى ذلك. فكأنَّ الذُّبابَ قد قالَ له إنَّكَ قد أعشبتَ أو وجدتَ[5] عُشباً فانزلْ. وقالَ آخرُ في هذا المعنى: [الكامل]

ولقد هبطتُ الواديينِ ووادياً ... يدعو الأنيسَ به الغضيضُ الأبكمُ[6]

الغضيضُ الأبكمُ: يعني الذُّبابَ، والأنيسُ: النّاسُ. والذُّبابُ لا يدعو، ولكنْ على ذلك المعنى استدلَّ بطنينِهِ على كثرةِ العُشبِ.

وأمّا زجرُ الطَّيرِ فإنَّ الزّاجرَ يستدلُّ بما يرى من الزَّجْرِ على الخيرِ والشَّرِّ من الطَّيرِ وغيرِها ممّا يكونُ من بابِ الفألِ والزَّجرِ، فيكونُ ذلك بمنزلةِ الوحيِ، فيسمُّونَه «وحياً»[7]. قالَ أبو ذؤيب: [الوافر]

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٧٨، المفضليات ص ٢٩٢، الكامل للمبرد ١/ ٢٤٦.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٧٩، ولسان العرب ٧/ ١٨١، مادة (شكي).

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٨٠، الحيوان للجاحظ ٣/ ٣١٤، المعاني ص ٦٠٣، ديوان أبي النجم ص ٣٤١.

(٤) إلا: سقطت من ب.

(٥) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: أصبت غشباً.

(٦) تأويل مشكل القرآن ص ٨٠، المعاني ص ٦٠٣، لسان العرب ٩/ ٧٩ (عدد). والغضيض: الذليل، والغضيض الأبكم: الذباب.

(٧) من بداية المقطع في ب ورد بطريقة مختلفة: وربما زجروا الطير فاستدلوا به على الخير أو الشر، ويسمون ذلك وحياً من الطير.

فـقـالَ[1] لـه وقـد أوحـتْ إلـيـه ألا لـلّـهِ أمُّـكَ مـا تـعـيـفُ[2]

يصفُ طيراً مرَّتْ به. وإيحاءُ الطَّيرِ ما يأتي به من فرحٍ أو شؤمٍ. والزّاجرُ يتكهَّنُ، إذا جَرَتْ بنحسٍ أو بسعدٍ[3]، فسُمِّيَ ذلك «وحياً».

فهذه المعاني كلُّها في استنطاقِ الدِّيارِ، وكلامِ البهائمِ والنَّباتِ والذُّبابِ، وغيرِ ذلك على جهةِ العبارةِ. وكلُّ شيءٍ عبَّرَ عن شيءٍ ودلَّ عليه، فقد كلَّمَكَ وأخبرَكَ وأجابَكَ وأوحى إليكَ، وإن لم تكنْ دلالتُهُ إيّاكَ كلاماً باللِّسانِ، إنَّما هو وحيٌ وإشارةٌ من الدَّليلِ على المدلولِ عليه، واعتبارٌ من الناظرِ، واستدلالٌ منه على حقيقةِ المدلولِ عليه، كما يُستدَلُّ بالكلامِ على مرادِ المتكلِّمِ[4] وقولِ القائلِ. وهو موجودٌ في النُّصبةِ كثيرٌ. وقد تكلَّمتِ الحكماءُ ودلَّتِ الخطباءُ عليه. وقولُ اللّهِ عزَّ وجلَّ أصدقُ الحديثِ وأبلغُ الحكمةِ، وهو يقولُ تعالى وتقدَّسَ ﴿ثمَّ استوى إلى السَّماءِ وهي دخانٌ فقالَ لها وللأرضِ ائتيا طَوعاً أو كَرهاً قالتا أتَينا طائِعينِ﴾ [فصلت: ١١]. وقال تعالى ﴿يومَ نقولُ لجهَنَّمَ هلِ امتلأتِ وتقولُ هلْ من مزيدٍ﴾ [ق: ٣٠]. وقالَ جلَّ ذكرُهُ ﴿يومَ ندعو كلَّ أُناسٍ بإمامِهِم﴾ [الإسراء: ٧١]. وقالَ ﴿تدعو مَن أدبرَ وتَولّى﴾ [المعارج: ١٧]. وليسَ هذا قولاً باللِّسانِ، كما يتكلَّمُ به الآدميُّونَ، ولكنَّه عزَّ وجلَّ لما كان تقديرُهُ في السَّماءِ والأرضِ نافذاً، وحكمتُهُ بالغةً، وثبوتُ الصُّنعةِ فيها قائماً، واعتبارُ الناظرِ واستدلالُهُ واضحاً، سمَّى الاستدلالَ والاعتبارَ كلاماً وقولاً. وقالَ جلَّ ذكرُهُ ﴿أم أنزلنا عَليهم سُلطاناً فهو يتكلَّمُ بما كانوا به يُشرِكونَ﴾ [الروم: ٣٥]. وقالَ بعضُ المفسِّرينَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿أو لم نُعَمِّرْكم ما يتذكَّرُ فيه من تذكَّرَ وجاءَكمُ النَّذيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]، قالَ: الشَّيبُ[5]. لمّا كان الشَّيبُ بين يدي الموتِ والهَرَمِ، جعلَهُ نذيراً. يُقال «الشَّيبُ أَولُ وافدِ المنيَّة». وقالَ الشّاعرُ: [الوافر]

(١) في م وأخواتها: تقول له.
(٢) ديوان الهذليين ١/١٠١.
(٣) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: إذا زُجِرَتْ لنحس أو سعد.
(٤) في ب: من أداء المتكلم.
(٥) تفسير الطبري ٢٢/١٦٨.

فقلتُ لها المشيبُ نذيرُ عمري ... ولستُ مسوّداً وجهَ النّذيرِ[(1)]

وقالَ عديٌّ في هذا المعنى: [الخفيف]

وابيضاضُ السَّوادِ من نُذُرِ الشَّـ ... ـرِّ وهلْ بعدَهُ لأنسٍ نذيرُ[(2)]

فجعلَ الشَّيبَ نذيراً، لما كانَ يدلُّ على الموتِ والفناءِ وتغيُّرِ الحالِ، على جهةِ الدَّلالةِ، لا على جهةِ الكلامِ. وقالَ جرير للفرزدقِ: [الطويل]

أتيتَ حدودَ اللّهِ مُذْ أنتَ يافعٌ ... وشبتَ فما ينهاكَ شَيبُ اللّهازمِ[(3)]

فجعل الشَّيبَ ناهياً عن الذُّنوبِ، آمراً بالتَّوبةِ، ونذيراً وواعظاً، لما كانَ دليلاً على هذه المعاني على جهةِ الاعتبارِ. ومثله قولُ القائلِ: [الطويل]

صبا ما صبا حتَّى علا الشَّيبُ رأسَهُ ... فلمّا علاهُ قالَ للباطلِ ابعدِ[(4)]

وقالَ آخرُ، واستدعاه إلى شربِ المدامِ سُلَيمانُ بنُ عبدِ الملكِ، وكانَ قد أسنَّ: [المجتث]

أبعدَ سبعينَ أصبو ... والشَّيبُ للرأسِ حربُ[(5)]
سنٌّ وجَهْلٌ وشَيبٌ ... أمرٌ لَعَمرُكَ صعبُ
أنتَ الإمامُ فهلّا ... أيّامَ عُودي رَطْبُ[(6)]
وإذ شفاءُ الغواني ... منّي حديثٌ وقُرْبُ
فالآنَ لمّا رأى بيْ ... عواذلي ما أحبُّوا
وصرتُ كالطِّفلِ حقّاً ... أقومُ للأمرِ أحبو
آليتُ أشربُ كأساً ... ما حجَّ للّهِ ركبُ

---

(1) في الكامل للمبرد ٢/ ٤١٥ للعتبي، وبلا نسبة في شرح نهج البلاغة ٢٠/ ١٦١. وانظر أبيات النهرجوري في التناص معها.

(2) ديوان عدي بن زيد العبادي ص ٨٥.

(3) ديوان جرير ص ١٠٠١.

(4) ديوان دريد بن الصمة ص ٦٩. ولم يرد البيت، ولا القطعة التالية في ب.

(5) في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١٤/ ٦٨ الأبيات لمحمد بن حازم، قالها لإبراهيم بن المهدي بعد أن نسك وترك النبيذ، وانظر الديارات ص ٢٧٨، ورسالة ابن القارح في رسالة الغفران ص ٥٢.

(6) رواية الأغاني والديارات: يا ابن الإمام.

فأعفاه من ذلك وأجازَهُ. ومن معنى ما تقدَّمَ قولُ الآخرِ: [مجزوء الكامل]

وعظتْكَ أحداثٌ صُمُتْ ... ونعتْكَ ألسِنَةٌ خُفُتْ[١]

وتكلَّمَتْ عن أوجهٍ ... تَبْلَى وعن صُوَرٍ سُبُتْ

وأَرَتْكَ قبرَكَ في القبو ... رِ وأنتَ حيٌّ لم تَمُتْ

فهذا ما جاءَ في الوحيِ ووجوهِهِ. وأصلُهُ كلُّهُ الإلهامُ[٢] بهذه الأسبابِ، دونَ التَّصريحِ بالكلامِ. وعلى هذا دلَّتْ هذه المعاني، وحكمتْ بِهِ اللُّغة. فإذا أوحى أحدُهم بشيءٍ منها، أفهمَ صاحبَهُ بالإشارةِ بها دونَ الكشفِ والتَّصريحِ بالقائلِ عليهِ، كما قد بيَّنّا وذكرنا[٣]. وفي هذه المعاني قولُ علقمةَ: [البسيط]

يُوحي إليها بإنقاضٍ ونقنقةٍ ... كما تَراطَنُ في أفدانِها الرُّومُ[٤]

يصفُ الظَّليمَ والنَّعامةَ، يعني: يشيرُ الظَّليمُ إلى النَّعامةِ برأسِهِ ونقنقتِهِ، كما يفعلُ الذَّكَرُ من الحمامِ عندَ احتضانِ البيضِ، إذا أومى إلى الأنثى. والأنثى منها إذا أومأتْ إلى الذَّكَرِ، وكهيئةِ ما يفعلُهُ الدِّيكُ عند لَقْطِ الحبِّ، وإشارتِهِ إلى الدَّجاجةِ. وكما قالَ الآخرُ: [الطويل]

ترى عينَها عيني لتعرفَ وحيَها ... وتعرفَ عيني ما بِهِ الوحيُ يَرجِعُ[٥]

فهذا كلُّهُ إشارةٌ من غيرِ إيضاحٍ، ألا ترى أنَّه قالَ «كما تَراطَنُ في أفدانِها الرُّومُ»، والتراطنُ هو كلامٌ بينَ قومٍ قد تراطنوا[٦] عليهِ، واتَّفقوا فيه، فهم يعلَمونَهُ دونَ غيرِهم، كما أنَّ كلامَ الرُّومِ بينَهم لا يعرفُهُ غيرُهم. وشبَّهَ نقنقةَ الظَّليمِ بذلكَ، لأنَّه[٧] لا يفهمُهُ عنه إلا النَّعامةُ. فهذا معنى الوحيِ في اللُّغة.

---

(١) لأبي العتاهية في عيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ٦٨٢، وتأويل مشكل القرآن ص ٨١، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٣٣، وديوان أبي العتاهية ص ٩٢، ونسبت لأبي نؤاس في نزهة الألباء ص ٦٧.

(٢) في ب: الإفهام.

(٣) في ب: سقطت كما وذكرنا.

(٤) ديوان علقمة الفحل ص ٦٤.

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ٨٥.

(٦) هكذا في الأصول، ولعل الصحيح: قد تواطأوا عليه.

(٧) لأنه: سقطت من ب.

والوحيُ الذي يوجبُهُ اللّهُ عزَّ وجلَّ هو راجعٌ إلى هذا المعنى. وسُئِلَ بعضُ العلماءِ عن الوحيِ، فقال: قَذْفٌ في القلوبِ، وقرعٌ في الأسماعِ، وحركةٌ كحركةِ السِّلسلةِ. فهذا يعني به الوحيَ الذي كانَ يجيءُ إلى الأنبياءِ عليهم السَّلام[1]. وروى بعضُهم عن عائشةَ أنَّ الحارثَ بنَ هشام سألَ النَّبيَّ صلّى اللّهُ عليه وآله عن الوحيِ فقالَ له: كيفَ يأتيكَ الوحيُ؟ فقالَ رسولُ اللّهِ صلّى اللّه عليه: أحياناً يأتيني في مثلِ صلصلةِ الجرسِ، وهو أشدُّهُ عليَّ، فيفصمُ عنّي وقد وعيتُ ما قالَ، وأحياناً يتمثَّلُ لي المَلَكُ، فيكلِّمُني فأعي ما يقولُ. قالتْ عائشةُ: ولقد رأيتُهُ ينزلُ عليه في اليومِ الشَّديدِ البردِ، فيفصمُ عنه وإنَّ جبينَهُ ليتصبَّبُ[2] عَرَقاً.

[٢٠٣]
التَّنزيل

والتَّنزيلُ اسمٌ من أسماءِ القرآنِ. يُقال له «تنزيل» كما يُقال له «قرآن»، ويُقال هذا في التَّنزيلِ، كما يُقال هذا في القرآنِ. وهو مأخوذٌ من قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿اللّهُ نزَّلَ أحسنَ الحديثِ كتاباً مُتَشابهاً﴾ [الزمر: ٢٣]، ومن قولِهِ تعالى ﴿قُلْ نزَّلَهُ روحُ القُدُسِ من رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقولِهِ تعالى ﴿نزلَ به الرُّوحُ الأمينُ على قلبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٤]، وقوله ﴿ونزَّلناهُ تنزيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦]. وهو مشتقٌّ من: نزلَ، ينزلُ، وأصلُهُ الانحدارُ من موضعٍ رفيعٍ، والانحطاطُ منه. قالَ اللّهُ تعالى ﴿وينزِّلُ من السَّماءِ من جبالٍ فيها من بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣]، وقالَ ﴿وينزِّلُ لكُم من السَّماءِ رِزقاً﴾ [غافر: ١٣]. وقالَ الشّاعر: [الطويل]

فلستَ لإنسيٍّ ولكن لملأكٍ … تنزَّلَ من جوِّ السَّماءِ يصوبُ[3]

فكلُّ منحدِرٍ من موضعٍ عالٍ[4] هو متنزِّلٌ.

---

(١) سقطت الجملة من ب.
(٢) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: ليرفض عرقاً.
(٣) في اللسان، مادة (ملك) لأبي وجزة يمدح عبد اللّه بن الزبير. وهو في ديوان علقمة الفحل ص ١٦.
(٤) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: رفيع.

وقالَ آخرُ، وهو امرؤُ القيسِ[1]: [الطويل]

كُمَيتٍ يَزِلُّ اللِّبدُ عن حالِ مَتنِهِ كما زلَّتِ الصَّفواءُ بالمتنزِّلِ[2]

والمتنزِّل: الذي ينزلُ عن الصَّخرةِ، ولا يثبتُ رِجلَهُ لملاستِها. ويُقال: المتنزِّل المطرُ الذي ينحدرُ من الصَّخرةِ[3]. قالَ أبو ذؤيب: [المتقارب]

تنزَّلَ من شاهقٍ كالحصيرِ مستقبلَ الرِّيحِ والفيءُ قرّ[4]

تنزَّل: انحدرَ وانحطَّ، يعني الماءَ من الجبلِ. وقالَ آخرُ: [المتقارب]

[وللسَّوطِ فيها مجالٌ] كما تنزَّلَ ذو بَرَدٍ منهمرْ[5]

فالتَّنزيلُ هو مصدرٌ مِن: نزّلَ، ينزِّلُ، تنزيلاً، ويدلُّ على أنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ، نزَّلَهُ من عندِهِ. واللّهُ تباركَ وتعالى لا يوصَفُ بالفوقِ والتَّحتِ، ولكن على حسبِ ما وصفَ به نفسَهُ في قولِهِ ﴿ثمَّ استوى إلى السَّماءِ وهيَ دُخانٌ﴾ [فصلت: ١١]، وقوله ﴿يدبِّرُ الأمرَ من السَّماءِ إلى الأرضِ﴾ [السجدة: ٥]، ولأنَّ القرآنَ يدلُّ أنَّ مسكنَ الملائكةِ في السَّماءِ، قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿قُلْ لو كانَ في الأرضِ مَلائكةٌ يمشونَ مُطْمَئِنِّينَ لنزَّلنا عليهِمْ منَ السَّماءِ مَلَكاً رَسولاً﴾ [الإسراء: ٩٥]، وقالَ ﴿ونُزِّلَ الملائكةُ تَنزيلاً﴾ [الفرقان: ٢٥]. فهذا معنى التَّنزيلِ، واللّهُ أعلمُ[6].

[٢٠٤]

القصص

وسمَّى اللّهُ عزَّ وجلَّ القرآن «قَصصاً»، فقالَ تباركَ وتعالى ﴿نحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أحسَنَ القَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]. والقَصَصُ في كلامِ العربِ اتّباعُ الأثرِ. يُقال:

---

(١) وهو امرؤ القيس: سقطت من م وأخواتها.
(٢) ديوان امرئ القيس ص ٢٠.
(٣) من «ولا يثبت» زيادة من م وأخواتها.
(٤) ديوان الهذليين ١/١٤٨.
(٥) ديوان امرئ القيس بشرح السكري ص ٦٢٧، طبعة المعارف ص ١٦٦، شرح النحاس ص ٩٥. والزيادة من الديوان. وورد البيت مشوهاً في جميع النسخ.
(٦) لم ترد الجملة في ب.

قصصتُ أَثَرَهُ وقفوتُهُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وقالتْ لأختِهِ قُصّيه﴾ [القصص: ١١]، أي اتبعي أَثَرَهُ.

ويُقال: خرجَ فلانٌ في إثرِ فلانٍ قَصصاً: إذا اتَّبعَ أَثَرَهُ. وتقصَّصتُ أصواتَهم باللَّيلِ: إذا سمعتُها. قالَ الشّاعر: [الطويل]

كأنَّ لها في الأرضِ نِسْياً تقصُّهُ[1]

كأنَّه سُمِّيَ «قَصَصاً» لأنَّه اتَّبعَ ما أُوحِيَ إليه، ثمَّ ألقاه إلى النّاسِ. قالَ اللّهُ تباركَ وتعالى ﴿اتَّبعْ ما أُوحيَ إليكَ من ربِّكَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وقالَ ﴿قُلْ إنَّما أتَّبعُ ما يُوحى إليَّ مِن رَبّي﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

ويُقال للقرآنِ «روح»[2]. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿أوحينا إليكَ رُوحاً مِن أمرِنا﴾ [الشورى: ٥٢]. وقالَ ابن قتيبةَ في حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وسلَّمَ «تحابُّوا بذكرِ اللّهِ وروحِهِ»، قالَ: روحُهُ القرآنُ، لقولِهِ تعالى ذكرُهُ ﴿أوحينا إليكَ روحاً من أمرِنا﴾. فكأنَّه سمّاه روحاً لأنَّه أوحى[3] به الدِّينَ، وأحيا به النّاسَ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿أو مَن كانَ مَيْتاً فأحيَيناهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقالَ ﴿استجيبوا للّهِ وللرَّسولِ إذا دعاكم لما يُحييكم﴾ [الأنفال: ٢٤]، فأحياهم بالقرآنِ، وبما فيه من العلمِ والهدى، فسمّاه «روحاً».

[٢٠٥]

المثاني

وسمّاه اللّهُ عزَّ وجلَّ «مثانيَ» فقالَ تعالى ﴿كِتاباً مُتَشابهاً مَثانيَ﴾ [الزمر: ٢٣]. قال: وسُمِّيَ بذلك لأنَّ الأنباءَ والقصصَ تُثَنِّيَتْ فيه[4]. وقالَ آخرونَ: المثاني مشتقٌّ من قولِكَ: ثنَّيتُ الشَّيءَ أي كرَّرتُهُ. قالَ أبو عُبَيدةَ في قولِهِ تعالى ﴿سَبْعاً منَ المثاني والقُرآنَ العظيمَ﴾ [الحج: ٨٧]، مجازُهُ: سبعُ آياتٍ من

(١) ديوان الشنفرى ص ٧٢، وتتمته: على أمها وإن تكلمك تلبتِ.

(٢) في م وأخواتها أدرجت الفقرة مادة مستقلة عنوانها «الروح».

(٣) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: أحيا.

(٤) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/٦٠٣، ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص ٣٥.

المثاني. والمثاني هي الآياتُ. فكأنَّ مجازَها: آتيناكَ سبعَ آياتٍ من القرآنِ مثانيَ، لأنَّها يتلو بعضُها بعضاً[1]. فَثُنِّيَتِ الآخرةُ على الأولى، ولها مقاطعُ تفصيلِ آيةٍ بعد آيةٍ، حتّى تنقضيَ السُّورة، وهي كذا وكذا آيةً. وفي آيةٍ من «الزُّمر» تصديقُ ذلك: ﴿اللّهُ نزَّلَ أحسنَ الحديثِ كِتاباً مُتَشابهاً مَثانيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، مجازُهُ آياتٌ من القرآنِ يُشبِهُ بعضُها بعضاً[2]. وأنشدَ للعجّاج: [الرجز]

نشدتُكمْ بمُنزِلِ الفرقانِ ... أمِّ الكتابِ السَّبع من مثاني
ثُنِّينَ في آيٍ من القرآنِ ... والسَّبعِ سبعِ الطُّوَلِ الدواني[3]

[٢٠٦]

أمّ الكتاب وفاتحة الكتاب

يُقالُ لسورةِ الحمدِ «أمّ الكتابِ»، ويُقال لها «السَّبع من المثاني». ولذلك قالَ العجّاج: [الرجز]

أمُّ الكتابِ السَّبعُ من مثاني

وقالَ آخرُ: [الرجز]

ما فيهمُ من الكتابِ أمُّ[4]

قالَ أبو عُبَيدة: مجازُ قولِهِ ﴿آتيناكَ سَبعاً منَ المثاني والقرآنَ العظيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، مَن نصبَ (القرآنَ) على إعمالِ (وآتيناكَ) القرآنَ العظيمَ: آتيناكَ أمَّ الكتابِ، وآتيناكَ سائرَ القرآنِ العظيمِ أيضاً معَ أُمِّ الكتابِ. ومجازُ قولِ مَن جرَّ (القرآنِ) قوله: من المثاني ومن القرآنِ سبعَ آياتٍ[5].

---

(١) لم يرد تفسير هذه الآية في المطبوع من مجاز القرآن في موضعه.

(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ١٨٩.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٧. ونسبها لسليمان، وليس للعجاج، ولا توجد في شعره، وتفسير الطبري ١/ ٥٧، ولم ينسبها لأحد.

(٤) كتاب العين ٨/ ٤٢٧، وبقيته: وما لهم من حسب يلم، والزاهر ٢/ ١٠٧، واللسان (أمم) وينسب للعجاج.

(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣٥٤- ٣٥٥، بتصرف. وقد اخترت قراءة ب، التي تختلف قليلاً عن قراءة م وأخواتها.

وروى أبو عبيد[1] بإسنادٍ له عن النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه: وقرأَ عليه أُبيٌّ فاتحةَ الكتابِ، فقالَ: «والذي نفسي بيدِهِ ما أنزلَ اللّهُ في التَّوراةِ ولا في الإنجيلِ ولا في الزَّبورِ ولا في القرآنِ مثلَها، إنَّها للسَّبعُ من المثاني والقرآنُ العظيمُ الذي أُوتيتُ»[2].

وروى بإسنادٍ له عن عليٍّ عليه السَّلام أنَّه قالَ في قولِهِ ﴿سَبْعاً مِنَ المثاني﴾، قالَ: هي فاتحةُ الكتابِ[3].

وروى عن سعيد بن جبير قال: هي السَّبعُ الطِّوالُ؛ البقرةُ وآلُ عمرانَ والنِّساءُ والمائدةُ والأنعامُ والأعرافُ ويونسُ.

ورُوِيَ عن مجاهد أنَّه قال: السَّبعُ الطِّوال.

وقالَ أبو عبيد: معنى المثاني في حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه قولُهُ إنَّها «للسَّبعُ من المثاني والقرآنُ العظيمُ الذي أُوتيتُ» القرآنُ كلُّهُ. وممّا يصدِّقُهُ قولُ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿كتاباً متشابهاً مثانيَ﴾، وفي غيرِ هذه المثاني ما نقصَ[4] عن المائتينِ، فترى، واللّهُ أعلمُ، أنَّه أرادَ بالسَّبعِ سبعَ آياتٍ. وفاتحةُ الكتابِ ستَّةُ آياتٍ. و(بسم اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحيم) آيةٌ سابعةٌ في فاتحةِ الكتابِ خاصَّةً. وبهذا كانَ يأخذُ الكسائيُّ، وهو رأيُ أهلِ العراقِ. وأمّا أهلُ المدينةِ فإنَّهم يعدُّونَها سبعاً من غيرِ (بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ)، و(أنعمتَ عَلَيهم) رأسُ آيةٍ. قالَ أبو عبيد[5]: وقولُ أهلِ العراقِ أعجبُ إليَّ، لقولِ ابن عباس (بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ) آيةٌ من كتابِ اللّهِ.

قالَ أبو عُبَيدة: إنَّما قيلَ إنَّ الحمدَ «أمُّ الكتابِ» لأنَّه يُبتَدأ فيها في أوَّلِ القرآنِ، وتُعاد فيُقرَأُ بها في كلِّ ركعةٍ قبلَ السُّورةِ التي يُقرَأُ بها في كلِّ ركعةٍ[6]. ويُقال لها

---

(١) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: أبو عبيدة.
(٢) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/ ٦٠١.
(٣) في غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٦٠٥ عن ابن عباس أنها الفاتحة، وعد «بسم اللّه الرحمن الرحيم» آية.
(٤) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: ما يقصر.
(٥) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: أبو عبيدة.
(٦) من «قبل السورة» زيادة من م وأخواتها.

«فاتحة الكتاب» لأنَّها يُفتتَحُ بها في المصاحفِ، فتُكتَبُ قبل القرآنِ[1].

وقالَ غيرُهُ: المثاني مشتقٌ من قولك: ثنَّيتُ الشَّيءَ، أي كرَّرتُهُ. فالقرآنُ يُقال له «مثاني». قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿كِتاباً مُتَشابهاً مثانيَ﴾، سُمِّيَ بذلك لأنَّ الأنباءَ والقصصَ ثُنِّيَتْ فيه[2].

[٢٠٧]

المفصَّل

قالَ بعضُ العلماءِ: سُمِّيَ مفصَّلاً لأنَّه نُظِمَ نظماً بالآياتِ، فآيةٌ في الحلالِ، وآيةٌ في الحرامِ، وأخرى في القَصَصِ، وأخرى في النّاسخِ، وأخرى في المنسوخِ، وقد فُصِّلَ بأنواعِ الأحكامِ والحدودِ والأنباءِ. يُقالُ: نظمٌ مفصَّلٌ، أي جُعِلَ بين كلِّ لؤلؤتينِ خرزةٌ، وبين كلِّ خرزتينِ زَبَرجَدَةٌ. قالَ النّابغة: [الكامل]

بالدرِّ والياقوتِ زُيِّنَ نحرُها ... ومفصَّلٍ من لُؤلُؤٍ وزَبَرجَدِ[3]

وقالَ غيرُهُ: سُمِّيَ مفصَّلاً لأنَّ الأحكامَ والسُّنَنَ ثُنِّيتْ فيه وفُصِّلَتْ. يُقال: فصَّلتُ الحكمَ، إذا أوضحتُهُ وبيَّنتُهُ وميَّزتُهُ. وقضاءٌ فصْلٌ: أي مبيَّنٌ، قد أُمضيَ[4] فيه الحكمُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿إنَّه لَقَولٌ فَصلٌ وما هوَ بالهَزلِ﴾ [الطارق: ١٣-١٤].

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٢٠، بتصرف.

(٢) ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص ٣٥، بتصرف. ويلاحظ أن المؤلف لم يشر من قريب أو بعيد في هذه الفقرة إلى فكرة وجود كتاب أزلي فيه علم اللّه، وعلاقة هذه الفكرة بالبداء، كما ستتحدث عن ذلك بعض المذاهب الغنوصية الغالية. وقد سادت هذه الأفكار قبل عصر المؤلف، وهذا ما يتضح من كتاب «أم الكتاب» الغنوصي، وناقشها الخياط في كتاب الانتصار، ص ١٢٨.

(٣) لم يرد في ديوان النابغة، بل ورد مثيل له:

والنظم في سلكٍ يزين نحرها ... ذهبٌ توقَّدَ كالشهابِ الموقدِ

ديوان النابغة ص ٩١، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين ص ٢٢٩.

(٤) في ك: أحصي.

[٢٠٨]

المُحكَم والمُتَشابه
ومعنى الرّاسخين في العلم

قد وصفَ اللّهُ تباركَ وتعالى القرآنَ في آيةٍ، فجعلَهُ «مُحكَماً» كلَّه، فقالَ ﴿كتابٌ أُحكِمَتْ آياتُهُ ثمّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: ١]، وقالَ في آيةٍ أخرى ﴿كِتاباً مُتَشابهاً مَثانيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، فجعلَهُ مُتَشابهاً. ووصفَهُ في آيةٍ أخرى فقالَ ﴿منه آياتٌ مُحكَماتٌ هنَّ أمُّ الكتابِ وأُخرُ مُتَشابهاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، فجعلَ بعضَهُ «مُحكَماً»، وبعضَهُ «مُتَشابهاً».

ورُوِيَ عن ابنِ عبّاس أنّه قالَ: المتشابهاتُ هي حروفُ المعجمِ. وقالَ قومٌ[١]: لا يعلمُ تأويلَ المتشابهِ إلّا اللّهُ. والوقفُ عندَهم على قولِ اللّهِ، ﴿ما يعلمُ تأويلَهُ إلّا اللّهُ﴾، ﴿والرّاسخونَ في العلمِ﴾ [آل عمران: ٧] على الابتداءِ[٢]. وقالَ آخرونَ: بل الوقفُ على قولِهِ ﴿والرّاسخونَ في العلمِ﴾. قالوا: والرّاسخونَ في العلمِ قد علموا تأويلَ المتشابهِ. ومَن زعمَ أنَّ رسولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه لم يعرفْ تأويلَ المتشابهِ فقد أعظمَ القولَ. وكيف يكون كذلك[٣]، وقد قالَ صلى اللّه عليه: «عُلِّمتُ كلَّ شيءٍ وبُصِّرتُهُ حتّى كأنّي أعاينُ الأمورَ معاينةً»؟ ولم يقلْ إلّا المتشابهَ.

ولمّا نزلتْ ﴿ما أدري ما يُفعَلُ بي ولا بِكُم﴾ [الأحقاف: ٩]، عابَهُ المنافقونَ بذلك، فأُسرِيَ به إلى السّماءِ، وعلَّمَهُ اللّهُ كلَّ شيءٍ، وبصَّرَهُ معرفةَ ما يُفعَلُ به في الدُّنيا والآخرةِ، وأُنزِلَ عليه ﴿إنّا فَتَحنا لكَ فَتحاً مُبيناً ليغفرَ لكَ اللّهُ ما تقدَّمَ من ذنبِكَ وما تأخَّرَ ويُتِمَّ نعمتَهُ عليكَ﴾، إلى قوله ﴿وينصُرَكَ اللّهُ نَصراً عَزيزاً﴾ [الفتح: ١-٢]. فقالَ المؤمنونَ: قد علمنا ما يفعلُ بكَ، فما حالُنا؟ فأنزلَ اللّهُ جلَّ وعزَّ ﴿ليُدخِلَ المؤمنينَ والمؤمناتِ جنّاتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها ويُكَفِّرَ

---

(١) من «أنه قال» إلى هنا: سقط من ب.

(٢) المقصود أن هناك وقفة لغوية بعد كلمة اللّه، أما الراسخون فجملة مستقلة فعلها يقولون آمنا. وهكذا لا يعلم تأويل المتشابه، بحسب هذا الفهم، إلا اللّه وحده، أما الراسخون في العلم فيؤمنون به وإن لم يعلموا تأويله.

(٣) سقطت الجملة من ب.

عنهم سيِّئاتِهم وكانَ ذلكَ عندَ اللّهِ فوزاً عَظِيماً ويعذِّبَ المنافقينَ والمنافقاتِ والمشركينَ والمشركاتِ﴾ [الفتح: ٥-٦].

ورُوِيَ عن عليٍّ بنِ أبي طالب عليه السَّلام أنَّه قالَ: سَلوني من قبل أن تفقدوني، فواللّهِ ما في القرآنِ آيةٌ إلّا وأنا أعلمُ فيمن نزلتْ، وأينَ نزلتْ، في سهلٍ أو جَبَلٍ، إنَّ رَبّي وهبَ لي قلباً عقولاً، ولساناً طلقاً[١]. ولم يَقُلْ إلّا المتشابهَ من القرآنِ.

وقالَ ابنُ عبّاس، وكانَ دونَهُ في العلم: قد علمتُ القرآنَ إلّا أربعةَ أحرفٍ؛ «غِسلين»، و«حناناً»، و«الأوّاه»، و«الرّقيم»[٢]، ولم يقلْ إلّا المتشابهَ.

ولم يكنْ للرّاسخينَ في العلمِ حظٌّ في هذه الآيةِ إلّا قولهم «آمنّا به». فإذاً ليس لذكرِ الرّاسخينَ في العلمِ شيءٌ، إذ كانوا قد استووا معَ سائرِ النّاسِ من المسلمينَ، ممّن لا علمَ له في الإيمانِ.

وقالَ قومٌ: لا يجوزُ هذا من جهةِ اللُّغة والعربيَّة، لأنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ يقولُ ﴿وما يعلمُ تأويلَهُ إلّا اللّهُ والرّاسخونَ في العلم يقولونَ آمنّا بِهِ كلٌّ من عندِ رَبِّنا﴾، وإذا اشتركَ الرّاسخونَ، انقطعوا عن «يقولونَ آمنّا به»، وليستْ هاهنا واوَ نَسَقٍ توجبُ للرّاسخينَ فعلَينِ. وهذا مذهبُ كثيرٍ من النَّحويِّينَ في هذه الآيةِ. قالَ: ومن جهتِهِ، غلطَ المتأوِّلونَ. وممّا يدفعُ قولَهم إنَّ «يقولونَ» هاهنا في معنى الحالِ، كأنَّه قالَ: والرَّاسخونَ في العلمِ قائلونَ «آمنّا». ومثلُهُ في الكلامِ «لا يأتيكَ إلّا عبدُ اللّهِ، وزيدٌ يقولُ: أنا مسرورٌ بزيارتِكَ». يريدُ لا يأتيكَ إلّا عبدُ اللّه وزيدٌ قائلاً: أنا مسرورٌ بزيارتِكَ[٣].

قالَ ابنُ مفرِّغٍ يرثي غلاماً له[٤]: [مجزوء الكامل]

الرِّيحُ تبكي شَجْوَها والبرقُ يضحكُ في الغمامةْ[٥]

---

(١) في ب: ناطقاً.
(٢) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٧٣.
(٣) صاحب القول هو ابن قتيبة، في تأويل مشكل القرآن ص ٧٣. وقد صححت النص وأضفت الزيادات منه ومن م وأخواتها.
(٤) في ب: يرثي رجلاً.
(٥) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٧٤، أمالي الزجاجي ص ٤٢، الأغاني ١٨/ ١٩٠.

قالَ: معناه البرقُ لامعاً في غَمامةٍ، يبكي أيضاً شجوَهُ، كما تبكي الرِّيحُ. ولو لم يكنِ البرقُ يُشرِكُ الرِّيحَ في البكاءِ، لم يكنْ لذكرِهِ البرقَ مع الرِّيحِ معنى[١].

ورُوِيَ عن مجاهد في تفسيرِ ذلك قالَ: الرّاسخونَ في العلمِ يعلمونَ تأويلَهُ، ويقولونَ آمنّا به. قالَ أبو عبيد[٢]: قد خُولِفَ مجاهد في هذا التَّفسيرِ، وإنَّما المعروفُ أنَّ الكلامَ انقطعَ عند قوله ﴿وما يعلمُ تأويلَهُ إلّا اللّهُ﴾، ثمَّ ابتدأ فقالَ ﴿والرّاسخونَ في العلمِ يقولونَ آمنّا بِهِ كلٌّ من عندِ ربِّنا﴾، فوصفَهم بالإيمانِ، وإن لم يصفْهم بالعلمِ بالتَّأويلِ.

وسمعتُ ثعلبَ[٣] يقولُ: لا يعلمُ تأويلَهُ إلا اللّهُ حسبُ، والرّاسخونَ في العلمِ على[٤] الابتداءِ.

ورُوِيَ عن عليٍّ عليه السَّلام أنَّه قالَ في بعضِ خطبِهِ: ألا إنَّ الرّاسخينَ في العلمِ هم الذين أغناهمُ الاقتحامُ على السُّدُدِ المضروبةِ دون الغيوبِ الإقرارُ بجملةِ ما جهلوا تفسيرَهُ من الغيبِ المحجوبِ، فقالوا: آمنّا بِهِ كلٌّ من عندِ ربِّنا، فمدحَ اللّهُ اعترافَهم بالعجزِ عن تأوُّلِ[٥] ما لم يُحيطوا به علماً. وسمَّى تركَهم التَّعمُّقَ فيما لم يكلِّفْهم البحثَ عنه رسوخاً. فهذا ما رُوِيَ في هذا البابِ.

والرّاسخونَ في العلمِ واحدُهم راسخٌ، والرّاسخ: الثّابت. يُقال: رسخَ، إذا ثبتَ ثبوتاً لا يزولُ من مكانِهِ، مثلَ ثبوتِ الشَّجرِ[٦] الذي لا يزولُ عن مكانِهِ، يعني أنَّ الرّاسخَ في العلمِ هو الذي قد ثبتَ على مقدارِ ما قد علمَ، ولم يتكلَّفْ ما لا يطيقُهُ، ولم يَزُلْ إذا اشتبهَ عليه ما لا يعلمُ من أمورِ الدِّينِ[٧]، ولا يشكُّ فيه، ويعلمُ أنَّه الحقُّ، وأنَّه من عندِ اللّهِ. وهو معنى قولِهِ ﴿والرّاسخونَ في العلمِ﴾، وهو أيضاً معنى قولِ عليٍّ عليه السَّلام في الحديثِ. ألا تراهُ يقولُ: مدحَ اللّهُ اعترافَهم بالعجزِ

(١) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٧٤.
(٢) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: أبو عبيدة.
(٣) في م وأخواتها: ثعلباً.
(٤) على: سقطت من ب.
(٥) في ب: بيان.
(٦) الجملة من «يقال» سقطت من ب.
(٧) في ب: الدنيا.

عن تأوُّلِ ما لم يُحيطوا به عِلماً، وسمّى تركَهم التَّعمُّقَ فيما لم يكلِّفْهم البحثَ عنه رسوخاً؟ فالنّاسُ في هذا على قولَينِ كما فسَّرنا؛ منهم مَن يزعمُ أنَّ الرّاسخينَ لا يعلمونَ تأويلَ المتشابهِ. ويقوّي مذهبَهم كلامُ عليٍّ عليه السَّلام، وما ذهبَ إليه أبو عُبَيدةَ وأصحابُ اللُّغةِ والعربيَّة. ومنهم مَن يزعمُ أنَّ الرّاسخينَ في العلمِ قد علموا تأويلَ المتشابهِ، وحُجَّتُهم في ذلكَ ما ذكرناهُ، واللّهُ أعلمُ.

وأمّا المتشابهُ فقد رُوِيَ عن ابنِ عبّاس ما قد ذكرنا أنَّه حروفُ المعجم. وقالَ أبو عُبَيدةَ في قولِهِ ﴿كِتاباً مُتَشابهاً﴾ [الزمر: ٢٣] قالَ: يصدِّقُ بعضُهُ بعضاً[١]. وفي قولِهِ ﴿مُتَشابهات﴾، أي يشبهُ بعضُها بعضاً[٢]. وكذلك قولُهُ ﴿ما تَشابهَ منهُ ابتغاءَ الفِتنةِ﴾ [آل عمران: ٧]، قالَ: ما شابهَ بعضُهُ بعضاً[٣]، فيطعنونَ فيه، يعني الذينَ في قلوبِهم زيغٌ. وقالَ أيضاً في قولِهِ ﴿وأتوا به مُتَشابهاً﴾ [البقرة: ٢٥]، أي يُشبِهُ بعضُهُ بعضاً، وليسَ منَ الاشتباهِ عليكَ[٤]، وهو متَّفقُ المناظرِ، مختلفُ الطُّعومِ[٥].

وقالَ غيرُ أبي عُبَيدةَ في الاشتباهِ، يُقال: اشتبهَ عليَّ الأمرُ، إذا أشبهَ غيرَهُ، فلم تَكَدْ تفرِّقُ بينَهما. ومنه قولُ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿إنَّ البَقَرَ تشابهَ عَلَينا﴾ [البقرة: ٧٠]. يُقال: شبَّهتَ عليَّ، أي لبَّستَ الحقَّ بالباطلِ. ثمَّ يُقال لكلِّ ما دقَّ وغَمُضَ معناه «متشابه» لاشتباهِ معناه على مَن لا يعلمُهُ. ويُقال لأصحابِ المخاريقِ «أصحاب الشُّبَهِ»، لأنَّهم يشبِّهونَ الحقَّ بالباطلِ[٦]. وإنَّما قيلَ للحروفِ في أوائلِ السُّورِ «متشابهة» لالتباسِ معناها واشتباهِهِ على النّاسِ. ومثلُ المتشابهِ «المُشكِلُ»، سُمِّيَ بذلك لأنَّه أشكلَ، أي دخلَ في شكلِ غيرِهِ فأشبهَهُ وشاكلَهُ، ثمَّ قيلَ لكلِّ ما غمضَ «مشكل»، أي داخل في شكلِ غيرِهِ، كما قيلَ له «متشابه»[٧].

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ١٨٩.
(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٨٦.
(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٨٦.
(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣٤.
(٥) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٧٤.
(٦) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٧٤.
(٧) النص لابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ٧٤-٧٥، بتصرف.

وسألتُ ثعلبَ عن الحديثِ «ليسَ في الدِّين إشكالٌ»[(١)]، فقالَ: هو التّلبُّس.

و«المحكَمُ»: الذي لا يُختَلَفُ في معناه، وهو بيِّنٌ واضحٌ. وأصلُهُ من «الحكمة». قالوا: الحكمةُ: العلمُ مع العملِ[(٢)]. فأمّا في الآيةِ التي جعلَهُ اللّهُ كلَّه محكماً، فيعني[(٣)] أنَّ القرآنَ كلَّهُ محكمٌ عندَ اللّهِ، فهو يعلِّمُ مَن شاءَ من عبادِهِ. ألا ترى أنّه يقولُ ﴿أُحكِمَتْ آياتُهُ ثمَّ فُصِّلَتْ من لَدُنْ حكيمٍ خبيرٍ﴾ [هود: ١]، أي أحكمَها عندَهُ عزَّ وجلَّ، ثمَّ فصَّلَها، أي بيَّنَها لمن أرادَ. وأمّا قولُهُ ﴿ومنه آياتٌ محكماتٌ هنَّ أمُّ الكتابِ وأخرُ مُتَشابهاتٌ﴾، أي منه ما هو معلومٌ عندَ الأُمَّةِ، معمولٌ به، فهو محكَمٌ، ومنه ما اشتبهَ على النّاسِ معناه، مثل الحروفِ التي في أوائلِ السُّوَرِ وغيرِ ذلك، فهو متشابهٌ. وأمّا في قولِهِ ﴿كتاباً مُتَشابهاً مَثانيَ﴾، فجعلَهُ كلَّهُ متشابهاً، فهو معنى قولِ أبي عبيدةَ، أي يُشبِهُ بعضُهُ بعضاً، ليسَ من طريقِ الاشتباهِ. ويجوزُ أن يكونَ «متشابهاً» على أهلِ الزَّيغِ والعنادِ كلُّهُ، فهم عميٌ عنه، قد اشتبهَ عليهم أمرُهُ، وهو بيِّنٌ عندَ المؤمنينَ، كما قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿قُلْ هو للذينَ آمنوا هُدىً وشِفاءٌ والذينَ لا يُؤمنونَ في آذانِهم وقرٌ وهو عَلَيهم عَمىً﴾ [فصلت: ٤٤].

[٢٠٩]

النّاسخ والمنسوخ

أصلُ «النَّسخِ» في اللُّغةِ هو النَّقلُ، يُقال: نَسَخَ الكتابَ، إذا نقلَ ما فيه إلى كتابٍ آخرَ، ويُقال: انسخْ هذا الكتابَ، أي انقلْ ما فيه إلى غيرِهِ. فكأنَّ المنسوخَ من القرآنِ هو ما نُقِلَ حكمُهُ من آيةٍ إلى آيةٍ، فصارتِ الأولى «منسوخةً» والأخرى «ناسخةً». والمنسوخةُ: المفعولُ بها، والنّاسخةُ: الفاعلةُ، لأنَّ الآيةَ [النّاسخةَ][(٤)] هي ناقلةٌ للحكمِ إلى نفسِها. قالَ السَّيِّدُ في بني هاشمٍ: [البسيط]

---

(١) المسائل والأجوبة لابن قتيبة ص ٣٣٨. وفي ب: شكالة.

(٢) في ب: العلم مع العلم.

(٣) في الأصول: يعني.

(٤) زيادة منا لم ترد في الأصول.

ولم تزالوا بعينِ اللّهِ ينسَخُكم   في مُستَكِنّاتِ أصلابِ الأَبَرِّينا[1]

ينسخُكم: معناه ينقلُكم من صلبٍ إلى صلبٍ.

وقالَ العبّاس بن عبد المطلب مثلَهُ في رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله: [المنسرح]

تُـنـقَـلُ مـن صـالـبٍ إلـى رَحِـمٍ   إذا مـضـى عـالـمٌ بـدا طَـبَـقُ[2]

الصّالبُ: الصُّلب، أي لم تَزَلْ تُنقَلُ من صلبٍ إلى رَحِمٍ في كلِّ دهرٍ.

ومنه قيلَ لقومٍ هم «أصحابُ التّناسُخِ»، لأنّهم زعموا أنَّ الأرواحَ تنتقلُ من جسمٍ إلى جسمٍ. فهذا هو التّناسُخُ[3].

وسمعتُ الهاشميَّ[4] من أهلِ المعرفةِ يقولُ إنَّ النّاسخَ والمنسوخَ على ضربَينِ؛ منسوخٌ ومفسوخٌ، وهو ما كانَ عليه أهلُ الجاهليَّةِ مثل الجمعِ بينَ الأُختينِ، ونكاحِ نساءِ الآباءِ، وغيرِ ذلك، نزلَ القرآنُ بتحريمِهِ ونسخِهِ. فهذا هو منسوخٌ، لا يجوزُ العملُ به، ومنسوخٌ على جهةِ التَّخفيفِ، مثل قولِهِ ﴿اتَّقوا اللّهَ حقَّ تُقاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، فهو منسوخٌ بقوله ﴿فاتَّقوا اللّهَ ما استطعتم﴾ [التغابن: ١٦]. فمَن اتّقى حقَّ تُقاتِهِ فهو جائزٌ له. ومثل قوله ﴿إن يكنْ منكم عشرونَ صابرونَ يغلبوا مائتينِ﴾ [الأنفال: ٦٥]، نُسِخَتْ بقولِهِ ﴿إن يَكُنْ مِنكم مائةٌ صابرةٌ يغلبوا مِائَتَينِ﴾ [الأنفال: ٦٦]. فواجبٌ على المؤمنِ الواحدِ أن يُقاتِلَ اثنينِ، ولا يولِّيَ عنهما، فإن قاتلَ عشرةً فهو جائزٌ. فهذا منسوخٌ يجوزُ العملُ به.

---

(١) ديوان السيد الحميري ص ٤١٩.

(٢) في ب: وقال ابن عباس. وقد سبقت القصيدة في عدة أبيات منسوبة للعباس في مدح النبي، في مقدمة المؤلف.

(٣) في ب: النسخ.

(٤) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: وسمعت بعض الهاشميين. ومن المحتمل أنه محدث العراق يحيى بن محمد بن صاعد الهاشمي البغدادي، المتوفى في الكوفة سنة ٣١٨، انظر في ترجمته: تاريخ بغداد ١٦/ ٣٤١، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩٢، والبداية والنهاية ٨/ ٢٠.

[٢١٠]

التّأويل

قد اختلفَ النّاسُ في معنى التّأويلِ، فقالَ قومٌ: هو التّفسيرُ بعينِهِ، وقالَ آخرونَ: بل هو غيرُ التّفسيرِ. وسألتُ ثعلبَ[١] عن «التّأويلِ»، فحكى عن ابنِ الأعرابيِّ[٢]، قالَ: التّأويلُ والتّفسيرُ والمعنى كلُّهُ سواءٌ، ثمّ قالَ: هو معرفةُ الحقائقِ، وهو العينُ والحقيقةُ والعاقبةُ. وأنشدَ: [البسيط]

وللنّوى بعدَ يومِ البينِ تأويلُ[٣]

أي عاقبة. وقالَ: ﴿وما يعلمُ تأويلَهُ إلّا اللّهُ والرّاسخونَ في العلمِ﴾ على الابتداءِ[٤].

وقالَ غيرُهُ: التّأويلُ غيرُ التّفسيرِ، إنّما التّفسيرُ ما يرويه عن المفسّرينَ. وقالوا: هذا تفسيرُ القرآنِ، ولم يقولوا تأويله. إنّما التّأويلُ معانٍ غامضةٌ لطيفةٌ، لا يعلمُها إلّا العلماءُ المتّقونَ. وتأويلُ كلِّ شيءٍ ما يبدو في آخرِ أمرِهِ، وما يكونُ في عواقبِهِ. هكذا هو في لغةِ العربِ. وأنشدَ للأعشى: [الطويل]

على أنّها كانتْ تَأوُّلُ حبِّها ... تأوُّلَ رِبْعيِّ السِّقابِ فأصحبا[٥]

قالَ أبو عُبيدة: تَأوُّلُ حبِّها: عاقبةُ حبِّها ومرجعُهُ ومصيرُهُ. أي كانَ صغيراً في قلبِهِ، فلم يَزَلْ ينمو وينبتُ، حتّى أصحبَ[٦]، يُقال: أصحبَ السَّقب، أي شبَّ

(١) في م وأخواتها: ثعلباً.
(٢) في ك: عن الأعرابي.
(٣) لعبدة بن الطبيب في المفضليات ص ١٣٥، والاختيارين ص ٧٩، ومنتهى الطلب ٣/ ٣٢، وأوله: وللأحبة أيام تَذَكَّرُها.
(٤) أي أن إعراب الآية هو أن (اللّه) هو الفاعل، فلا يعلم التأويل إلا اللّه حصراً، أما (الراسخون) فهو مبتدأ مرفوع على الابتداء، وليس معطوفاً على اللّه. وبالتالي فالآية تتضمن وقفة قصيرة بعد كلمة اللّه. وخبر (الراسخون) في تتمة الآية (يقولون آمنا به)، كما سبق القول.
(٥) مجاز القرآن ١/ ٨٦، وديوان الأعشى ص ٧. والرِّبعي: ولد الناقة يُنتج في الربيع، والسقاب: جمع سقب، وهو الفصيل الرضيع، وأصحب: صار مصاحباً لأبيه.
(٦) من «أي كان صغيراً» زيادة من م وأخواتها ومجاز القرآن، سقطت من ب.

حتّى يصيرَ مثل أمِّهِ[١]. يقولُ: لم يَزَلْ يثبتُ الحبُّ في قلبِهِ، حتّى أصحبَ، فصارَ قديماً كهذا السَّقبِ، كانَ صغيراً، فلم يَزَلْ يتربَّى مع أمِّهِ حتّى أصحبَ. وفسَّرَ أبو عبيدةَ قوله ﴿وما يعلمُ تأويلَهُ إلّا اللّهُ﴾، قال: التَّأويلُ: المرجعُ والمصيرُ، وأنشدَ في ذلك بيتَ الأعشى «على أنَّها كانتْ تَأَوُّلُ حبِّها»، يعني أنَّ حبَّها كانَ صغيراً إلى أن عظمَ، مثل السَّقبِ يكونُ صغيراً، ثمَّ يشبُّ حتّى يصيرَ مثل أمِّهِ[٢]. قالَ أبو عبيد[٣]: كأنَّه أرادَ أنَّه[٤] مأخوذٌ من: آلَ، يؤولُ. فالتَّأويلُ هو الشَّيءُ الذي يؤولُ إليه، أي يصيرُ إليه. وأوَّلتُهُ: أي صيَّرتُهُ إليه.

ورُوِيَ عن مجاهد: تأويلُهُ، قال: جزاؤُهُ. قالَ أبو عبيد[٥]: وقولُ أبي عُبَيدة يرجعُ إلى هذا، لأنَّهم إنَّما يصيرونَ إلى الجزاء من ثوابٍ أو عقابٍ[٦]. ورُوِيَ عن مجاهد ﴿وأحسن تأويلاً﴾ [النساء: ٥٩]، قال: جزاءً. وعنه في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿هل ينظرونَ إلّا تأويلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣]، أي هل ينظرونَ إلّا بيانَهُ ومعانيَهُ وتفسيرَهُ. وعنه في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿نَبِّئْنا بتأويلِهِ﴾ [يوسف: ٣٦]، قالَ: بيانِهِ. وعنه ﴿ويعلِّمُكَ من تأويلِ الأحاديثِ﴾ [يوسف: ٦]، قال: عبارةُ الرُّؤيا. وقال أبو عُبَيدة: تأويلُ الرُّؤيا هو الشَّيءُ الذي يؤولُ إليه. وأنشدَ غيرُهُ لحُميد بن ثور: [الطويل]

فقلتُ عليَّ اللّه لا تذعرانِها ... وقد أوَّلتْ أنَّ اللِّقاءَ قريبُ[٧]

يصفُ ظبيَةً مرَّتْ به، فتيمَّنَ، فنهى صاحبيهِ عن رميها[٨]. ويُقال: أوَّلتْ، أي فَسَّرتْ لنا بالعيافةِ، وإنَّما اعتافَ بمرآها، فزجرَها، وتيمَّنَ بها. فصارتْ عاقبةُ العيافةِ تدلُّ على أنَّ اللِّقاءَ قريبٌ.

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/٨٧، بتصرف.
(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/٨٧.
(٣) في الأصول: أبو عبيدة.
(٤) أنه: سقطت من ب.
(٥) هكذا في ك وحدها، وفي البقية: أبو عبيدة.
(٦) هكذا في م وأخواتها: وفي ب: الجزاءين ثواب وعقاب.
(٧) المعاني الكبير، ديوان حميد بن ثور ص ٢٢.
(٨) في ب: يصف ظبيين مرا به.

فالفرقُ بين التّأويلِ والتّفسيرِ بيّنٌ، وهو أن يرى الرَّجُلُ رؤيا، ويكونُ الرَّجُلُ أعجميّاً لا يُفصِحُ، فيجيءُ إلى معبِّرٍ، ويكون المعبِّرُ عربيَّ اللِّسانِ، لا يفهمُ عنه، فيترجمَ له مترجمٌ. فكلامُ الأوّل هو الرُّؤيا، وكلامُ المترجمِ هو تفسيرُ الرُّؤيا، وكلامُ الذي يعبِّرُ هو تأويلُ الرُّؤيا. فصارَ بين كلامِ المترجمِ وكلامِ المعبِّرِ فوتٌ[1]، لأنَّ كلامَ المترجمِ هو التَّفسيرُ، وكلامَ المعبِّرِ هو التَّأويلُ.

والموئلُ: الملجأُ والموضعُ الذي يأوي إليه صاحبُهُ، فينجو من شيءٍ يحذرُهُ. وفي المثلِ يُقال: فرَّ فلانٌ فما وألَ، أي فرَّ فما نجا[2]. فكأنَّ الموئلَ مشتقٌّ من: آلَ، يؤولُ. وهذه الألفاظُ كلُّها قريبةٌ بعضُها من بعضٍ، ومخرجُها متقاربٌ. فكأنَّ التَّأويلَ هو الشَّيءُ الذي يرجعُ إليه الإنسانُ من معنى التَّنزيلِ، فيكونُ فيه نجاتُهُ من الشَّكِّ والشُّبهةِ والضَّلالِ، فيصيرُ موئلاً إليه، وملجأً. فذاك يكونُ عاقبةَ أمرِهِ وحقيقةَ نيلِهِ من العلم بمعاني التَّنزيل.

والتَّأويلُ هو «التَّفعيل» من «الأوّل». يُقال: تأوَّلَ، أي «تفعَّل» من الأوَّلِ، كأنَّ الناظرَ في الشَّيءِ والمتأوِّلَ له يعتبرُ به، فيعرفُ حقيقتَهُ، وكيفَ كانَ أوَّلُهُ، وإلى ما يؤولُ، فعرفَ أوَّلَهُ وآخرَهُ. والتَّأويلُ «التَّفعيل» من الأوَّل. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿هل ينظرونَ إلّا تأويلَهُ يومَ يأتي تأويلُهُ﴾ [الأعراف: ٥٣]، أي أوَّله إلى ما خُلِقَ، وآخرُهُ: عودُهُ إلى ما منه بدأَ، لأنَّ العواقبَ تعودُ إلى الأوائلِ. قالَ اللّهُ تعالى ﴿كما بدأكم تعودونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]. وقالَ ﴿كما بدأنا أوَّلَ خلقٍ نعيدُهُ وعداً علينا﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. والكلامُ في هذا يدقُّ ويطولُ. وليسَ هذا موضعَهُ.

---

(١) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: فرق.
(٢) العبارة مشوهة في ب: وهو المثل ويقال وأل فربما نجا.

[٢١١]

السُّورة

قالَ أبو عُبَيدة: تُهمَزُ، ولا تُهمَزُ. فمَن همزَها جعلَها مِن «أَسْأَرتُ»، أي أفضلتُ فضلةً[١]. ومجازُ سورةٍ مجازُ قطعةٍ من القرآنِ على حدةٍ وفصلةٍ منه، لأنَّه جعلَها من قولِهم «أسأرتُ» سوراً، أي أبقيتُ وأفضلتُ منه فضلةً[٢]. ومَن لم يهمزْها جعلَها من «سورةِ» البناءِ، أي منزلةً بعدَ منزلةٍ[٣]. وأنشدَ للنّابغة: [الطويل]

أَلـم تـرَ أنَّ الـلّـهَ أعـطـاكَ سـورةً ... تـرى كـلَّ مـلـكٍ دونَـهـا يـتـذبـذبُ[٤]

أعطاكَ سورةً: أي منزلةً وفضيلةً ورفعةً[٥] لا يلحقُها أحدٌ من الملوكِ، وارتفعتْ عن منازلِ الملوكِ. قالَ: وسُورُ البناءِ مأخوذٌ من ذلك، لأنَّه يُرفَعُ ويُبنى. ويُقال: سرتُ إليه، أي ارتفعتُ إليه. وأنشدَ: [الرجز]

ورُبَّ ذي سُــرادقٍ مــحــجــورِ ... سُرتُ إلـيـهِ فـي أعـالـي الـسُّـورِ[٦]

قالَ: وجمعُ «سورة القرآن» يخالفُ جمعَ «سورةِ البناءِ» في لغةِ مَن همزَ «سُوَرِ» القرآنِ، وفي لغةِ مَن لم يهمزْها جميعاً. قالَ في جمعِ «سُوَرِ» القرآنِ: الواوُ مفتوحةٌ. قالَ الرّاعي: [البسيط]

هـنَّ الـحـرائـرُ لا ربّـاتُ أخـمـرةٍ ... سودُ المحاجرِ لم يقرأنَ بالسُّوَرِ[٧]

أرادَ لا يقرأنَ، فخرجَ مخرجَ «ظُلْمةٍ» و«ظُلَم»، ونحو ذلك. وقالوا في سورةِ البناءِ «سُور»، الواوُ ساكنةٌ، فخرجَ مخرجَ «بُسْرةٍ» و«بُسْرٍ»، كما قالَ العجّاج: [الرجز]

---

(١) غريب القرآن للسجستاني ص ١١٥. والمادة مهموزة إذا كانت من «السؤرة»، أي الفضلة أو البقية، وغير مهموزة إذا كانت من «السورة»، أو البناء العالي. وانظر النص في غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٤١.

(٢) من «لأنه» سقطت من ب.

(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣-٥، بتصرف. والنص في تأويل مشكل القرآن ص ٣٤.

(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٤، تأويل مشكل القرآن ص ٣٤، ديوان النابغة الذبياني ص ٧٣.

(٥) ورفعة: سقطت من ب.

(٦) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٥، والمعاني لابن قتيبة ص ٤٧٥، وديوان العجاج ص ٢٧.

(٧) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٤، وديوان الراعي النميري ص ١٢٢، وانظر: ديوان القتال الكلابي ص ٥٣.

سُرتُ إليهِ في أعالي السُّورِ[١]

قالَ غيرُهُ: ساورتُهُ، أي واثبتُهُ، كما أنَّ المتواثبَينِ أحدُهما يرتفعُ فوقَ صاحبِهِ، ويُقبِلُ عليه. قالَ طَرَفة: [المتقارب]

فساورتُهُ فاستلبتُ الخشيبَ ... وأعجلَ وثبتَهُ ريِّقي[٢]

وقالَ النّابغة: [الطويل]

فبتُّ كأنّي ساوَرَتني ضئيلةٌ ... من الرُّقْشِ في أنيابِها السُّمُّ ناقعُ[٣]

ساورتْني: واثبتْني، سواراً ومساورةً وسورةً. قالَ الأعشى: [المتقارب]

وساورَ بالنَّقعِ نقعِ الكثيبِ ... عبساً ودودانَ[٤] يوماً سوارا[٥]

وقالَ الأخطلُ: [البسيط]

وشاربٍ مربحٍ بالكأسِ نادمَني ... لا بالحصورِ ولا فيها بسوّارِ[٦]

وقالَ آخرُ: [الطويل]

له السَّورةُ العُليا على القرنِ إذ علا[٧] ... ولا يستطيعُ القرنُ منه تغيُّبا[٨]

فالسَّورة: الغضبُ، وإذ علا، يعني الأسدَ. وإنَّما قيلَ للغضبِ «سَورة»، لأنَّ الغضبانَ يعلو على مَن يغضَبُ عليه بالضَّربِ والشَّدِّ وغيرِهِ. وساورَهُ بمعنى: واثبَهُ. وإنَّما هو من التَّعالي، فإنَّ أحدَهما يستعلي على صاحبِهِ. وأصلُ هذا كلِّهِ من الارتفاعِ والاستعلاءِ وطلبِ الفضلِ. وكذلك سُور البناءِ، لأنَّه يرفَعُ ويُعلَّى. وإنَّما قيلَ لسُوَرِ القرآنِ «سُوَر» لأنَّ اللّهَ فضَّلَ بها محمَّداً صلّى اللّهُ عليه وآله، وكلَّما أعطاه سورةً زادَهُ رفعةً وفضيلةً. والسُّورةُ في كلامِ العربِ، على ما فسَّروها، الرِّفعةُ والمنزلةُ والفضيلةُ. قالَ الحُطَيئة: [الطويل]

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٤-٥.
(٢) ديوان طرفة بن العبد ص ١٤٣.
(٣) ديوان النابغة الذبياني ص ٣٣.
(٤) في م وأخواتها: وذبيان.
(٥) ديوان الأعشى ص ٨٢.
(٦) المعاني لابن قتيبة ص ٤٦٤، وديوان الأخطل ص ١١٦.
(٧) في م وأخواتها: عدا، وسيشرحها المؤلف بأنها يعلو.
(٨) ديوان الأعشى ص ١٠.

لهم سُورةٌ في المجدِ لو ترتدي بِها   براطيلُ جوَّابٍ نَبَتْ ومناقِرُهْ[1]

والسُّورةُ: الرِّفعةُ والشَّرفُ، جُعِلا مثلاً للصَّخرةِ الصُّلبةِ التي لا يقدرُ أحدٌ على كسرِها. قالَ الحُطَيئة أيضاً: [الطويل]

فمن مبلغٌ أفناءَ سعدٍ فقد سعى   إلى السُّورة العُليا لهم حازمٌ جلْدُ[2]

يعني سعى لهم هذا الرَّجُلُ في بناءِ هذه الفضيلةِ بحزمِهِ وجَلَدِهِ. وقالَ عديٌّ[3]: [الطويل]

نماني وأنماني إلى السُّورةِ العُلى   أبٌ كـان أبّـاءَ الـدَّنـيَّـةِ نـازعـا[4]

السُّورة العُلى: ما بناه آباؤُهُ من المناقبِ التي علا بها.

فسُوَرُ القرآنِ هي مناقبُ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وفضائلُهُ ومنازلُهُ الرَّفيعة.

[٢١٢]

الآية

قالَ أبو عُبَيدة: إنَّما سُمِّيَتْ «آيةً» لأنَّها كلامٌ متَّصلٌ إلى انقطاعِهِ وانقطاعِ معناه قصَّةً ثمَّ قصَّةً[5]. وقالَ في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿آياتٌ محكَماتٌ﴾ [آل عمران: ٧]: مجازُهُ أعلامُ الكتابِ وعجائبُهُ وآياتُهُ وفضائلُهُ. وفي قولِهِ ﴿قد كانَ لكم آية﴾ [آل عمران: ١٣]، أي علامة[6]. وفي قولِهِ ﴿إنّي قد جئتُكم بآيةٍ مِن ربِّكم﴾ [آل عمران: ٤٩]، أي علامةٍ. وفي قولِهِ ﴿لِمَ تكفرونَ بآياتِ اللّهِ﴾ [آل عمران: ٧٠]، أي بكُتُبِ اللّهِ[7]. وقولِهِ ﴿يُريكُم آياتِهِ﴾ [البقرة: ٧٣] أي عجائبَهُ[8]. وفي قولِهِ ﴿تلكَ آياتُ اللّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٨] أي عجائبُ اللّهِ[9]. يُقال: فلانٌ آيةٌ من

---

(١) ديوان الحطيئة طبعة النعمان ص ١٨٤، شرح السكري ص ١٢، وطبعة دار الجيل ص ٨٠.
(٢) ديوان الحطيئة طبعة النعمان ص ١٤١، شرح السكري ص ٢٠، وطبعة دار الجيل ص ٥٣.
(٣) سقط السطر بكامله من ب.
(٤) لعدي بن زيد العبادي، ولم يرد في القصيدة العينية في ديوانه. وفي م وأخواتها: بارعا.
(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٥.
(٦) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٨٧.
(٧) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٩٦.
(٨) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٤٥.
(٩) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٠١.

الآياتِ، أي عَجَبٌ من العجائبِ. ويُقال: اجعلْ بيني وبينَكَ آيةً، أي علامةً[1]. فهذه المعاني عن أبي عُبَيدةَ.

وقالَ ابنُ قُتَيبة: بلغَني أنَّ أبا عمرو الشَّيبانيَّ قالَ: معنى آيةٍ من كتابِ اللّهِ، أي جماعةُ حروفٍ[2]. قالَ: ومنه يُقال: خرجَ القومُ بآيتِهم، أي بجماعتِهم[3]. وقالَ غيرُهُ: الآيةُ أصلُها العلامةُ التي يُعرَفُ بها الشَّيءُ ويُستَدَلُّ بها عليه. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ومن آياتِهِ اللَّيلُ والنَّهارُ﴾ [فصلت: ٣٧]، وقالَ ﴿ومن آياتِهِ خلقُ السَّمَواتِ والأرضِ واختلافُ ألسنتِكم وألوانِكم إنَّ في ذلك لَآياتٍ للعالِمينَ﴾ [الروم: ٢٢]، يعني أنَّ ذلك كلَّهُ من علاماتِهِ التي يُستَدَلُّ بها على إلهيَّتِهِ، وتُعرَفُ بها حكمتُهُ وربوبيَّتُهُ وقدرتُهُ. ومثلُ ذلك كثيرٌ في القرآنِ. قالَ الحارثُ بن حلزة: [الكامل]

لِمَنَ الدِّيارُ بقُنَّةِ الحبسِ ... آياتُها كمهارقِ الفرسِ[4]

يعني بالآياتِ علاماتِ الدِّيارِ، مثل الرَّمادِ والأثافي وغيرِ ذلك، ممّا يدلُّ على أَثَرِ مَن ظعنَ عن الدّارِ. وقالَ الهذليُّ: [المتقارب]

بآيةِ ما وقفتْ والرِّكابُ ... بينَ الحجونِ وبينَ السِّرَرْ[5]

يعني بتلك العلاماتِ بلغَها عنّي. والحجونُ: بمكَّة، والسِّرَر على أربعةِ أميالٍ من مكَّةَ عند مسجدِ عبدِ الصَّمد، كانتْ هناكَ شجرةٌ يُقال إنها سُرَّ[6] تحتَها سبعونَ نبيّاً، أي قُطِعتْ سررُهم، فسُمِّيَت بذلك[7]. وقالَ النّابغة: [الطويل]

توهَّمتُ آياتٍ لها فعرفتُها ... لستَّةِ أعوامٍ وذا العامُ سابعُ[8]

يصفُ الدِّيارَ، وآياتُها: علاماتُها من آثارِ القومِ. قالَ زُهَير: [الطويل]

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٤٥.
(٢) هكذا في م وأخواتها وغريب الحديث، وفي ب: جماعة من الحروف.
(٣) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٢٤٢، وتفسير غريب القرآن ص ٣٤.
(٤) المفضليات ص ١٣٢، وديوان الحارث بن حلزة ص ٥٤، برواية أخرى.
(٥) لأبي ذؤيب في أشعار الهذليين بشرح السكري ١/ ١١٣.
(٦) في ك: يقال لها سر.
(٧) انظر: معجم البلدان ٣/ ٢١٠ (نقلاً عن ابن عمر).
(٨) ديوان النابغة الذبياني ص ٣٠.

أراني إذا ما شئتُ لاقيتُ آيةً تذكِّرُني بعضَ الذي كنتُ ناسيا[١]

يعني علامةً يتذكَّرُ بها ما كانَ نَسِيَ[٢]. وقالَ أبو ذؤيب: [الوافر]

وآيات يلحنَ لدى الرَّكيِّ[٣]

وقالَ أبو عمرو في قولِهِ ﴿ونزعَ يدَهُ فإذا هيَ بيضاءُ للنّاظِرينَ﴾ [الأعراف: ١٠٨]: مِن غيرِ سُوءٍ، لكنَّها كانتْ آيةً، لأنَّه كانَ عليه السَّلام آدمَ اللَّونِ. وقالَ ابنُ عبّاس في قولِهِ ﴿ربِّ اجعلْ لي آيةً قالَ آيتُكَ﴾ [آل عمران: ٤١]، أي علامتُكَ ودلالتُكَ. وقالَ عزَّ وجلَّ ﴿إنَّ أوَّلَ بيتٍ وُضِعَ للنّاسِ للذي ببكَّةَ مُباركاً﴾ [آل عمران: ٩٦] إلى قولِهِ ﴿آيات بيِّنات﴾ [آل عمران: ٧٦]، يعني علاماتٍ وشواهدَ بيِّناتٍ. وقالَ ﴿ولقد آتينا موسى تسعَ آياتٍ بيِّناتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١]، قالَ أهلُ التَّفسيرِ: هي اليدُ والعصا والطُّوفانُ والجرادُ والقملُ والضَّفادعُ والدَّمُ وفَلَقُ البحرِ ونزولُ المنِّ والسَّلوى[٤]. فسمّاها آياتٍ بيِّناتٍ، لأنَّها كانتْ دلالةً على نُبوَّتِهِ. ﴿وقالَ فِرعَونُ إنّي لأظنُّكَ يا موسى مَسْحوراً قالَ لقد علمتَ ما أنزلَ هؤلاءِ إلّا ربُّ السَّمواتِ والأرضِ بصائرَ وإنّي لأظنُّكَ يا فِرعَونُ مثبوراً﴾ [الإسراء: ١٠٢-١٠٣]، فسماها «بصائر» لأنَّها كانتْ دلائلَ وشواهدَ وبصائرَ على نُبوَّتِهِ. فقد جاءَ في الآيةِ هذه المعاني كلُّها، وهو كلُّهُ يرجعُ إلى معنى الدَّلائلِ والشَّواهدِ والعلاماتِ على الشَّيءِ والبرهانِ عليه.

وإنَّما قيلَ لآياتِ القرآنِ «آيات» لأنَّها علاماتٌ يُستَدَلُّ بها على الدِّينِ وما فيه من الحلالِ والحرامِ، والأمرِ والنَّهيِ. وهي معالمُ وبراهينُ تدلُّ على ذلك. ومعنى قولِهم: خرجَ القومُ بآيتِهم، أي بجماعتِهم، وذلك أنَّهم إذا خرجوا لحربٍ أو لأمرٍ، حملوا معَهم رايةً يجعلونَها لهم علامةً، فقيلَ: خرجَ القومُ بآيتِهم، أي بعلامتِهم ورايتِهم، مجتمعينَ مستعدِّينَ، فكَثُرَ ذلك حتّى قيلَ لهم إذا خرجوا مجتمعينَ، وإن لم تكنْ معَهم رايةٌ: خرجوا بآيتِهم. فصارَ اسماً للجماعةِ.

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ص ٣٤٣، وديوان زهير بشرح ثعلب ص ٢٠٩.

(٢) سقطت الجملة من ب.

(٣) الرَّكيَّة: البئر، والجمع: الركيّ والركايا.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ١٥/١٩٨ وما بعدها.

[٢١٣]

الكلمة

يُقال «كلمة»، وللجمعِ «كلمات». قالَ بعضُ النَّحويِّينَ: كلمة، والجمعُ «كَلِم». قالَ: والفرقُ بين الكلامِ والكلمةِ أنَّ الكلامَ عامٌّ لقليلِ النَّوعِ وكثيرِهِ، والكَلِمَ محصورٌ محدودٌ، وليسَ كالكلامِ الذي يكونُ للنَّوعِ كلِّهِ، قليلاً كانَ أو كثيراً. قال: والاسمُ كلمةٌ، والفعلُ كلمةٌ، والحرفُ كلمةٌ[(١)]، وجميعُ ذلك كَلِمٌ. وعنى بالحرفِ الأدواتِ[(٢)]، مثل الحروفِ النَّواصبِ والجوازمِ، كقولك «لم» و«أن»، وما أشبهَهما. ويُقال «كلمة» و«كَلِم» كقولك «نَبقة» و«نَبِق». والعربُ تقولُ «مدحَ فلانٌ فلاناً بكلمةٍ طويلةٍ»، أي بقصيدةٍ طويلةٍ. وغيرُ مستنكَرٍ أن يُسَمَّى كلُّ واحدٍ من الثَّلاثةِ «كلمة».

قالَ غيرُهُ: لا تكونُ الكلمةُ على أقلَّ من حَرْفَينِ، وهي على حَرْفَينِ ناقصةٌ، وعلى ثلاثةِ أحرفٍ تامَّةٌ. فإذا زادتْ على ثلاثةِ أحرفٍ فهي زائدةٌ، لأنَّ الكلامَ التامَّ على «فَعَلَ»، وهو ثلاثةُ أحرفٍ.

وجمعُ الكلمةِ كلماتٌ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿قُلْ لو كانَ البحرُ مِداداً لكَلِماتِ رَبِّي لنَفِدَ البحرُ قبلَ أن تنفدَ كَلِماتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]. قالَ: ويُقال كَلِمة وكَلِم أيضاً. قالَ عديٌّ: [البسيط]

لمّا توارى ورامى النّاسَ بالكَلِمِ[(٣)]

وقالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿إليهِ يصعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]. قالَ المفسِّرونَ: هو قولُ: لا إلهَ إلّا اللّهُ، وهي أربعُ كلماتٍ. وتقولُ العربُ للقصيدةِ «كلمة». قالَ زُهَير: [الوافر]

---

(١) والحرف كلمة: سقطت من ب.

(٢) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: الأداة.

(٣) المعاني الكبير ١٠٢٧، وديوان عدي بن زيد العبادي ص ١٧١، وأوله: إن ابن أمك لم ينظر قفيته. والقفية: الكرامة، والمعنى أن أخاك لم ترعَ حرمته وكرامته، بل حبس ليقتل، وترامى الناس بالكلم فيما بينهم بخصوصه.

مِـنَ الـكَـلِـمـاتِ آنـيـةٌ مِـلاءُ[1]

ورُوِيَ عن الأصمعيِّ قالَ: ليسَ لأحدٍ من العربِ كلمةٌ على الكافِ خيرٌ من كلمةِ زُهَيرٍ وكلمةِ أوسٍ. أمّا كلمةُ زهيرٍ فقولُهُ: [البسيط]

بانَ الخليطُ ولم يأووا لمَن تَركوا　　[وزوَّدوكَ اشتياقاً أيَّةَ سَلَكوا][2]

وكلمة أوس: [البسيط]

زعمتمُ أنَّ غولاً والرِّجامَ لَكُمْ　　ومنعجاً فاقصدوا والأمرُ مُشتَرَكُ[3]

والكلمةُ اسمٌ يجمعُ معانيَ كثيرةً. يُقال للاسمِ كلمة، وللفعلِ كلمة، وللآيةِ كلمة، وللسُّورةِ كلمة، وللخطبةِ كلمة، وللقصيدةِ كلمة، وللبيتِ الواحدِ كلمة. فقد اشتملَ هذا الاسمُ[4] على جميعِ هذه المعاني. قالَ أبو عُبَيدة في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿بكلمةٍ منَ اللّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩]، أي بكتابٍ من اللّهِ، تقولُ العربُ للرَّجلِ أنشدْني كلمةَ كذا، أي قصيدةَ كذا، وإن طالتْ[5]. قالَ أهلُ التَّفسيرِ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿ضربَ اللّهُ مَثَلاً كلمةً طيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، قالَ: هو المؤمنُ، أصلُهُ ثابتٌ، يقولُ: لا إلهَ إلّا اللّه، هو ثابتٌ في قولِ المؤمنِ يُرفَعُ بها عَمَلُ مَن كانَ مؤمناً إلى السَّماءِ[6]. ﴿ومَثَلُ كَلِمَةٍ خَبيثةٍ﴾، قالَ: الكافرُ، ﴿كَشَجَرةٍ خَبيثةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، قالَ: الشِّركُ، ﴿اجتُثَّتْ مِن فوقِ الأرضِ ما لها من قرارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، يعني أنَّ الشِّركَ ليسَ له أصلٌ يأخذُ به الكافرُ، ولا يقبلُ اللّهُ مع الشِّركِ عَمَلاً[7]. فسَمّى المؤمنَ «كلمة»، وسمّى الكافرَ «كلمة».

وقد سمَّى اللّهُ المسيحَ «كلمةً» فقالَ ﴿إنَّما المسيحُ عيسى بنُ مريمَ رَسولُ اللّهِ وكَلِمَتُهُ ألقاها إلى مريمَ﴾ [النساء: ١٧١]. وفي الإنجيلِ، أوَّلَ الكتابِ منه: «في

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب ص ٦٩، وأوله: لقد زارت بيوت بني عليم. وآنيةٌ في الديوان: أعساس.

(٢) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ص ٣٠٨، وديوان زهير بشرح ثعلب ص ١٢٧. والزيادة منه.

(٣) ديوان أوس بن حجر ص ٨٠.

(٤) في ب: هذا الحرف.

(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٩١. وقد صححت النص منه.

(٦) ينظر: تفسير الطبري ١٣/ ٢٤٢ وما بعدها.

(٧) ينظر: تفسير الطبري ١٣/ ٢٥٣.

البدءِ كانتِ الكَلِمة، والكَلِمةُ كانتْ عندَ اللّهِ، وبالكَلِمةِ خلقَ اللّهُ الأشياءَ كلَّها، هذا ما كانَ قبلَ كلِّ شيءٍ»[1]. وهو معنى قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿إنَّما أمرُهُ إذا أرادَ شيئاً أن يقولَ له كُنْ فيَكُون﴾ [يس: ٨٢]. فـ«كُنْ» هي الكَلِمةُ التي خلقَ بها كلَّ شيءٍ، وهي أمرُ اللّهِ الذي كانَ قبلَ كلِّ شيءٍ.

ورُوِيَ عن جعفر الصّادقِ رضوانُ اللّهِ عليه قالَ: إنَّ اللّهَ خلقَ العلمَ والقدرةَ معاً، لا يسبقُ أحدُهما الآخرَ، ولا يفترقانِ، ثمَّ خلقَ بالأمرِ بعدَهما المشيئةَ والقضاءَ[2]، وذلكَ قولُهُ ﴿إنَّما أمرُهُ إذا أرادَ شيئاً أن يقولَ له كُنْ فيَكُون﴾. فخلقَ بالأمرِ «كنْ، فيكون»، ثمَّ خلقَ الأشياءَ بهما. قالَ: وخلقَ اللّهُ كَلِمتَهُ على أربعةِ أجزاءٍ معاً؛ حقٍّ وصدقٍ وعزٍّ ورحمةٍ، فتمَّتْ كلمةُ ربِّكَ صدقاً وعدلاً[3] وحكماً بالاسمِ الأوَّلِ. ثمَّ خلقَ بعدَ هذه الكلمةِ سبعَ كلماتٍ تامّاتٍ، لا يجاوزُهنَّ برٌّ ولا فاجرٌ، واحداً بعدَ واحدٍ، حتّى تمَّتِ الكلماتُ ثمانِ كلماتٍ. فقالَ ﴿ويحملُ عرشَ رَبِّكَ فوقَهم يومئذٍ ثمانيةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]. وإنَّما سُمِّيَتِ الكلمةُ الأولى «كلمة» لأنَّه كُلِّمَ بالاسمِ الأعظمِ المخزونِ المكنونِ، فالاسمُ المكنونُ المخزونُ مستورٌ بالكلمةِ. والكلماتُ السَّبعُ بعضُها حُجُبٌ لبعضٍ. وإنَّما قيلَ لأمرِ اللّهِ كلمة، لأنَّه على حَرفينِ؛ كافٍ ونونٍ. ولو كانَ حرفاً واحداً، لما سُمِّيَ «كلمة»، بل كانَ يُقال له «حرف». فلمّا اجتمعَ حرفٌ وحرفٌ قيلَ «كلمة».

قالَ بعضُ الحكماءِ: كلمةُ اللّهِ عِلَّةُ الخلقِ كلِّهِ، والخلقُ كلُّهُ معلولٌ بالكلمةِ. والكلامُ في هذا يطولُ.

[٢١٤]

الحرف

الحرفُ: الحدُّ، وحرفُ كلِّ شيءٍ: حدُّهُ وطَرَفُهُ، الذي يكونُ نهايتَهُ وغايتَهُ. قالَ الشّاعر: [الطويل]

---

(١) إنجيل يوحنا ١: ١-٤.

(٢) في ك: المشيئة والقدر والقضاء.

(٣) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: وعلاءً.

[وجمجمةٌ مثلُ العُلاةِ] كأنَّما ... وَعَى المُلتقى منها إلى حَرفِ مِبردِ[1]

أي إلى حدٍّ مِبردٍ. قالَ أبو النَّجم: [الرجز]

تفترُّ عن مكنونةٍ لم تعصلِ ... عن كلِّ ذي حَرفَينِ لم يُفلَّلِ[2]

يعني تكشفُ عن أنيابٍ لم تعصلْ، أي لم تعوجَّ من الكبرِ[3]، و«ذي حرفين» يعني ناباً ذا حرفينِ، أي جانبينِ وطَرَفين، أي أتمّ ما يكونُ من الأنيابِ. قالَ أبو كبير: [الكامل]

ما إن يمسَّ الأرضَ إلّا منكبٌ ... منه وحرفُ السّاقِ طيَّ المحملِ[4]

حرفُ السّاق: حدُّهُ وطَرَفُهُ.

وجمعُ الحرفِ حروفٌ. فكأنَّ الحروفَ[5] هي حدودُ الكلمةِ، وكذلك تكونُ الحروفُ حدودَ الكلامِ كلِّهِ. والكلمةُ بُنِيَتْ على الحروفِ، منها كلمةٌ على خمسةِ أحرفٍ؛ ومنها على أربعةِ أحرفٍ؛ ومنها على ثلاثةِ أحرفٍ؛ ومنها على حرفينِ. والحرفُ الواحدُ هو انتهاءُ الكلمةِ. فسُمِّيَ «حرفاً» لذلك.

وقالَ غيرُهُ: سُمِّيَ «حرفاً» لأنَّه عُدِلَ به عن صورةِ غيرِهِ. فأوّلُ الحروفِ «ألف»، فإذا قيلَ «باء»، عُدِلَ به عن صورةِ «الألف» في اللَّفظِ والخطِّ[6]. وكذلك كلُّ حرفٍ معدولٍ عن صفةِ الآخرِ يُقال: انحرفَ عنه، إذا عُدِلَ عنه. وكلُّ حرفٍ له جهةٌ قد عُدِلَ إليها، وصورةٌ قد حُرِفَ إليها. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ومنَ النّاسِ مَن يعبدُ اللّهَ على حرفٍ﴾ [الحج: ١١]. قالَ بعضُ أهلِ التّفسيرِ: على اعوجاجٍ. وكأنَّ المعوجَّ قد عُدِلَ به عن حدِّ الاستقامةِ.

ويُقال: ناقةٌ حرفٌ، وبعيرٌ حرفٌ، أي أنَّه انحرفَ عن حالِ السُّمنِ إلى حالِ

---

(١) لطرفة في أشعار الشعراء الستة الجاهليين ٢/ ٤٦، وديوان طرفة بن العبد ص ١٨، والزيادة منه.

(٢) ديوان أبي النجم ص ٣٥٨، بقراءة أخرى.

(٣) الجملة مرتبكة في ب: تعصل ثم تعوج من الكبر.

(٤) ديوان الهذليين ٢/ ٩٣.

(٥) في ك: فكأن الحرف.

(٦) في م وأخواتها: في الخط واللفظ.

الهُزالِ، وانحرفَ عن حالِ الهُزالِ إلى حالِ السُّمنِ[1]. وقالَ بعضُهم: الحرفُ: السَّمين. وقالَ آخرونَ: الحرفُ: المهزولُ. وقالوا شُبِّهَ بحرفِ الجبلِ في عِظَمِهِ وسمنِهِ. وحرفُ الجبلِ: رَيدُهُ[2]، وكلُّ ما نتأَ وندرَ منه فهو حرفٌ. قالَ أوسٌ في صفةِ النّاقةِ: [البسيط]

حرفٌ أخوها أبوها من مهجَّنةٍ وعمُّها خالُها وجناءُ مئشيرُ[3]

وقالَ لبيدٌ: [الكامل]

حَرفٌ تخوَّنَها السِّفارُ كأنَّها بعدَ الكلالِ مسدَّمٌ محجومُ[4]

فالحرفُ على ما فسَّرنا هو حدُّ الكلمةِ وطَرَفُها، سُمِّيَ بذلك وقيلَ له «حرف» لأنَّه حُرِفَ به عن جهةِ الأحرفِ[5]، وعُدِلَ به عنها.

[٢١٥]
التَّوراة

قالَ الفرّاء: التَّوراةُ من قولِكَ «وَرِيَ الزَّندُ، يَري»، إذا خرجتْ نارُهُ، وأوريتُهُ تريدُ أنَّه ضياءٌ[6]. قالَ: وفيه لغةٌ أخرى: وَرِيَ الزَّندُ، يَري، ويُقال: وَرِيَتْ بكَ ناري، ومثله زهرتْ بكَ ناري[7].

وقالَ أبو عُبَيدة في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿فالمُورِياتِ قَدْحاً﴾ [العاديات: ٢]، أي تُوري بسنابكِها النّارَ[8]. وقالَ غيرُهُ: التَّوراةُ «تفعلةٌ»، كأنَّه كانَ في الأصلِ

---

(١) من «إلى حال»: زيادة من م وأخواتها وهـ، سقطت من ب.
(٢) يقال: جبل ذو حيود وذو ريود، وهي حروف ناتئة في أعراضه، أنظر: أساس البلاغة للزمخشري، مادة (ريد).
(٣) هذه رواية م وأخواتها وهـ، وهي في ديوان أوس بن حجر ص ٤١. أما رواية ب فهي:
حرف أخوها أبوها من مهجنةٍ وعمها خالها قوداءُ شمليلُ
وهذا البيت في ديوان كعب بن زهير ص ١٦.
(٤) ديوان لبيد ص ١٢٤. والبعير المحجوم: الذي وضعت على فمه الحجامة للجمه.
(٥) في ب: عن جهته الأحرف، وفي م وأخواتها وهـ: عن جهة الآخر.
(٦) هكذا في م وأخواتها، وهي قريبة من النص في غريب الحديث، وفي ب: أوريت بزنادي ضياء. وانظر: معاني القرآن للنحاس ١/٣٤٦.
(٧) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/٢٤٥. وفي م: وريت بك زنادي.
(٨) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/٣٠٧.

«تورية»، مِن «أوريتُ له الشَّيءَ»، أي أظهرتُهُ له، و«أرى» هو مأخوذٌ من ذلك، و«رأيتُ الشَّيءَ» منه، كأنَّه كتابٌ «أورى» لهم اللّهُ فيه معالمَ دينِهم، حتّى رأوها وعرفوها، وظهرتْ لهم فيها أحكامُها، وأورى اللّهُ عزَّ وجلَّ لموسى عليه السَّلام فيها ما كانَ يحتاجُ إليه من أمرِ الدِّينِ، حينَ خرجَ إلى طُورِ سيناءَ، فقالَ: ﴿ربِّ أَرِني أنظرْ إليكَ قالَ لن تَراني ولكنِ انظرْ إلى الجَبَلِ فإن استقرَّ مكانَهُ فسوفَ تَراني﴾ [الأعراف: ١٤٣]. فسألَ ربَّهُ أن يتراءى له، فلم يتراءَ له، ولكنْ أورى له ناراً، فرآها، وأورى له منَ النّارِ ما يحتاجُ إليه، وكتبَ ﴿لَهُ في الألواحِ مِن كلِّ شيءٍ موعظةً وتفصيلاً لكلِّ شيءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]. فرأى ما كُتِبَ له في الألواحِ، فسمّاها «توراة»، لأنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ أورى له النّارَ توريةً. ثمَّ نسخَها لبني إسرائيلَ[(١)]، فأورى لهم بها من النُّورِ ما أورى اللّهُ له. و«أورى» معناه: أضاءَ له. وخرجَ لفظُها لفظَ المؤنَّثِ، فقيلَ هذه «توراةٌ»، لأنَّ أصلَهُ الألواحُ، يعني هذه الألواحَ التي أورتْ لهم هذا الكتابَ. ثمَّ سُمِّيَ[(٢)] ذلك الكتابَ الذي نُسِخَ من الألواحِ «التَّوراة». والذي قالَهُ الفرّاء هو راجعٌ إلى هذا المعنى، لأنَّه قالَ هو ضياءٌ، وهو كذلكَ. أضاءتْ لهم الألواحُ أمرَ دينِهم، وظهرَ ذلك لهم منها.

وسألتُ رجلاً من أهلِ المعرفةِ بالعبرانيَّةِ، فقالَ: هو بالعبرانيَّةِ «تورية»، وتفسيرُهُ التَّأديبُ. وهو معنى حَسَنٌ. ومثلُ هذا جاءَ به الخبرُ في القرآنِ. وروى أبو عبيد[(٣)] بإسنادٍ له عن عبد اللّه، قالَ: إنَّ كلَّ مؤدِّبٍ يُحِبُّ أن يُؤتى[(٤)] أدبُهُ، وإنَّ أَدَبَ اللّهِ القرآنُ. فهذا ذلك المعنى بعينِهِ. وهو أقربُ الوجوهِ إلى الصَّوابِ، لأنَّ الكلمةَ عبرانيَّةٌ في الأصلِ[(٥)]. واليهودُ تُسمِّي «التَّوراة» «أوريثا»، ومعناه بلغتِهم «وراثة». يعني أنَّهم ورثوه عن موسى عليه السَّلام. وهو معنى قولِ النَّبيِّ عليه السَّلام «العلماءُ وَرَثَةُ الأنبياءِ».

---

(١) هكذا في ب، وفي هـ: النبي إسرائيل.

(٢) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: ثم سمى موسى.

(٣) في خ: أبو عبيدة.

(٤) في ب: يرى.

(٥) في م وأخواتها زيادة: والله أعلم.

[٢١٦]

الإنجيل

الإنجيلُ مأخوذٌ من النَّجلِ، والنَّجل: النَّسل[١]. يُقال: هذا مَن نَجَلَ فلانٌ، أي مَن نَسلَهُ. قالَ الأعشى: [المنسرح]

أنــجــبَ أزمــانَ والــديــهِ بــه إذ نَــجَــلاهُ فَــنِــعــمَ مــا نَــجَــلا[٢]

وقالَ آخرُ: [البسيط]

إن قلتُ إنَّ أبي في إرثِ[٣] مكرمةٍ قالوا صدقتَ ولكن بئسَ ما نَجَلا

وقالَ آخرُ: [الطويل]

إلى معشرٍ لم يُورِثِ اللُّؤمَ جَدُّهم أصاغرَهم وكلُّ فحلٍ له نجلُ[٤]

وحُكِيَ عن الأصمعيِّ: لعنَ اللّهُ أُمّاً نجَلَتْهُ.

والنَّجل[٥] أيضاً: النزُّ، مكانٌ ينزُّ منه الماءُ، وجمعُهُ: نجال، ومناجل. ويُقال: استنجلتِ الأرضُ، واستنجلَ الوادي[٦]، إذا ظهرَ فيه الماءُ حتّى يستنقعَ. فمناقعُها هي المناجلُ والنّجالُ. قالَ أبو ذؤيب: [الطويل]

ومـا أُمُّ خِشفٍ بـالـعَـلايـةِ شـادنٍ يعنُّ لها بالجِزعِ من نَخِبِ النَّجلِ[٧]

والنَّجل: وادٍ بالطائف. والنَّجل يعني: النزَّ، وهو الماءُ يظهرُ في بطنِ الوادي. ويُقال: أرضٌ نجلٌ، وأرضٌ نجلةٌ. أنشدَ أبو عمرو لرجلٍ من غطفانَ: [الطويل]

---

(١) ابن السكيت: إصلاح المنطق ص ١٣٠.
(٢) الغريب المصنف لأبي عبيد ١/١٢١، وديوان الأعشى ص ١٧١.
(٣) في ب: في كل مكرمة.
(٤) ديوان زهير بشرح ثعلب ص ٨٦.
(٥) في ك: والمنجل.
(٦) إصلاح المنطق ص ١٣٠، وغريب الحديث ١/٢٤٦.
(٧) في شرح أشعار الهذليين للسكري ١/٨٩ يرد البيت برواية أخرى:
لـعـمـرك مـا عـيـسـاء تـنـسأ شـادنـاً يعن لها بالجزع من نخب النجل
لكن يبدو أن المؤلف خلط بينه وبين بيت آخر استشهد به السكري في الموضع نفسه:
ومـا أم خـشـف بـالـعـلايـة شـادنٍ تـنـسّئ في بـرد الـظـلال غـزالـهـا

ألا ليتَ شِعري هل أبيتنَّ ليلةً بأبطح جلواخٍ بأسفلِهِ نجلُ[1]

هكذا أنشدناه السُّكريُّ.

والإنجيلُ، إن كانَ مأخوذاً من النَّسلِ، فإنَّه يُقال إنَّ المسيحَ عليه السَّلام أعطى الحواريِّينَ كلماتٍ أعطاه اللّهُ إيّاها، فاستخرجَ الحواريُّونَ منها الكتابَ الذي يُسَمَّى «الإنجيل». وكانَ الذينَ استخرجوا ذلك منه أربعةَ رهطٍ؛ يوحنّا ومتّى ومارقوس ولوقا. ثلاثةٌ منهم من الحواريِّينَ الاثني عَشَرَ، وهم يوحنّا ومتّى ومارقوس[2]. أمّا لوقا فإنَّه يُقال كانَ من السَّبعينَ الذين اختارَهم المسيحُ في كتابِهِ. ولوقا أحدُ السَّبعينَ. فالإنجيلُ أربعةُ أقاويلَ، كلُّ قولٍ منسوبٌ إلى واحدٍ من هؤلاءِ الأربعةِ. فكأنَّهم ولَّدوا الإنجيلَ من تلكَ الكلماتِ. فصارَ الإنجيلُ نسلاً من تلك الكلماتِ[3].

وإن كانَ مأخوذاً من النِّجالِ، وهي مناقعُ الماءِ والنُّزوزُ التي تظهرُ في الوادي، فإنَّما يعنى به أنَّه مستنقعٌ للحكمةِ، ومنبعٌ للعلمِ، أي قد جُمِعَ فيه العلمُ والحكمةُ، فهو ينزُّ وينبعُ، كما ينزُّ الماءُ وينبعُ من النَّجلِ، وهو النَّزُّ. قالَ ابنُ قُتَيبة: كأنَّ الحقَّ قد دثَرَ، ودرسَ كثيرٌ من معالمِهِ، وكثُرَ تحريفُ أهلِ الكتابِ، وخَفِيَ على النّاسِ، لما أحدثوه، فأظهرَ اللّهُ به ذلك[4]. وهذا قريبٌ من المعنى الأوَّلِ.

ويقربُ أيضاً معنى «الإنجيلِ» من معنى «المجلَّةِ». وكانتِ العربُ تُسَمِّي كلَّ كتابٍ «مجلَّة». قالَ النّابغة: [الطويل]

مَجَلَّتُهمْ ذاتُ الإلهِ ودينُهم قويمٌ فما يرجونَ غيرَ العواقبِ[5]

وإن لم يكنِ اللَّفظُ مشتقّاً منه، فإنَّه مشاكلٌ له. والذي قد تقدَّمَ ذكرُهُ هو أصوَبُ إن شاءَ اللّهُ تعالى.

---

(١) غريب الحديث لابن قتيبة ١/٣٧٥، والقافية فيه: نخل.

(٢) زيادة من م وأخواتها وهـ.

(٣) فصار الإنجيل: زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.

(٤) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/٢٤٦.

(٥) ديوان النابغة الذبياني ص ٤٧. وفيه: محلتهم.

[٢١٧]

الزَّبور

كلُّ كتابٍ يُقال له «زبور»، وهو مأخوذٌ من «زبرتُ الكتابَ، أزبرُهُ»، إذا كتبتُهُ. قالَ أبو عُبَيدة في قولِ اللّهِ تعالى ﴿إنَّه لَفِي زُبُرِ الأوَّلينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، [أي كتب الأوَّلينَ، واحدُها زبور][١]. وأنشدَ للهُذَليِّ: [المتقارب]

عرفتُ الدِّيارَ كرقمِ الوشيِّ   يزبرُها الكاتبُ الحميريّ[٢]

وأنشدَ أيضاً[٣]: [الطويل]

فنعافِ صارةَ فالقنانِ كأنَّها   زُبُرٌ يرجِّعُها وليدُ يمانِ[٤]

وأنشدَ غيرُهُ: [مجزوء الكامل]

أفلا ترى في الزُّبْرِ بيـ   ـنَةً بحسنِ كتابِها[٥]

يعني: الزُّبُرَ، وهو جمعُ زَبور، وهو الكتابُ. وقالَ لبيد: [الكامل]

وجلا السُّيولُ عن الطُّلولِ كأنَّها   زُبُرٌ تُجِدُّ متونَها أقلامُها[٦]

يعني كشفَ السَّيلُ آثارَ الدِّيارِ، فكأنَّها كتابٌ مكتوبٌ.

قالَ: سمعتُ يمانيّاً يقولُ: أنا أعرفُ تَزْبِرَتي، أي كتابتي[٧].

ويُقال أيضاً: زبرتُ البئرَ، أزبرُها، زبراً، أي طويتُها بالحجارةِ، وبئرٌ مزبورةٌ. قالَ الأصمعيُّ: زبرتُ الكتابَ: كتبتُهُ، وذبرتُهُ: قرأتُه[٨]. قالَ الهُذَليُّ: [المنسرح]

---

(١) زيادة لم ترد في الأصول، من مجاز القرآن ٢/ ٩١. وورد «زبر الأولين» فقط في م وج وخ وهـ.

(٢) مجاز القرآن ١/ ٣٥٩، وهو لأبي ذؤيب في ديوان الهذليين ١/ ٦٤.

(٣) في ب هنا توجد زيادة: يعني جمعَ «زبور»، وهو الكتابُ.

(٤) ديوان لبيد ص ١٣٨.

(٥) ديوان الأعشى ص ١٦. ورواية البيت مغلوطة في جميع النسخ.

(٦) ديوان لبيد ص ٢٩٩.

(٧) ابن السكيت: القلب والإبدال، الكنز اللغوي ص ٥٨، نقلاً عن الأصمعي. وفي الأصول: أنا أعرف بزبرتي.

(٨) ابن السكيت: القلب والإبدال، الكنز اللغوي ص ٥٨، نقلاً عن الأصمعي. وذبرته في الأصول: زبرته أيضاً.

فيها كِتابٌ ذَبْرٌ[1] لِمُقتَرِئٍ يقرأُهُ أَلْبُهُمْ ومَن حَشَدوا[2]

وقالَ أبو عُبَيدةَ في قولِهِ ﴿بَينَهُم زُبُراً﴾ [المؤمنون: ٥٣]، يعني قِطعاً، ومَن قرأَها زُبَراً بفتحِ الباءِ[3]، فإنَّه يجعلُ واحدتَها «زُبرة»، كزبرةِ الحديدِ، وهي القِطعةُ منه[4]. وكانَ يحيى بن وثّاب يقرأُ ﴿وآتينا داودَ زُبوراً﴾ [النساء: ١٦٣]، بضمِّ الزّايِ، وهي قراءةُ حمزةَ. قالَ الكسائيُّ: مَن قرأَ بالفتحِ أرادَ كتاباً واحداً اسمُهُ «الزَّبور». والزُّبورُ: يريدُ الكُتُبَ والصُّحُفَ. وقالَ أبو عُبَيدةَ: يُقال: زبرتُ الكتابَ، أزبرُهُ زبراً، وذبرتُهُ، أذبرُهُ ذبراً جميعاً[5]، أي كتبتُهُ.

[٢١٨]

المدارسة

يُقال: هو يدرسُ الكُتُبَ، أي يقرأُها. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ودَرَسوا ما فيهِ﴾ [الأعراف: ١٦٩]. قالَ أبو عُبَيدة: مجازُهُ من دراسةِ الكُتُبِ، يُقال: درستُ إمامي، أي حفظتُهُ وقرأتُهُ. ويُقال: أدرسُ على فلانٍ، أي أقرأُ عليه[6]. وقالَ في قولِهِ ﴿وليقولوا درست﴾ [الأنعام: ١٠٥]: ودرستُ ودارستُ من المدارسةِ، ودرستُ: امتحنتُ[7]. قالَ لبيد: [الخفيف]

ثُمَّ لا يدخلُ المُدارسُ في الرَّحـ ـمةِ إلّا بـراءةً واعـتـذارا[8]

قالَ: المُدارسُ: الذي يدارسُ كتابَ اللّهِ والعلمَ.

وقالَ ابنُ الأعرابيِّ: المُدارسُ في هذا البيتِ والمُداينُ واحدٌ، وهو الذي قد

---

(١) في الأصول: زبر.
(٢) أشعار الهذليين بشرح السكري ص ٢٥٦. وألبهم: جماعتهم.
(٣) هكذا في هـ ومجاز القرآن، وفي ب: بفتح الزاي.
(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ٦٠.
(٥) في جميع الأصول: زبرته، أزبره زبراً، مكررة، والتصحيح من مجاز القرآن ١/ ٣٥٩، وغريب الحديث ١/ ٢٤٥.
(٦) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٢٣٢.
(٧) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٢٠٣.
(٨) لم يرد في ديوان لبيد المجموع.

قارفَ الذُّنوبَ. وأصلُهُ مِن درسِ الجربِ، إذا كانَ به شيءٌ قد قارفَهُ[1] وخالطَهُ. وقالَ أبو سعيد[2]: المُدارسُ هاهنا الذي قد تلطَّخَ بالذُّنوبِ، أصابَهُ درسٌ كدرسِ الجربِ. ويُقال للبعيرِ، إذا كانَ به أثرُ جربٍ، «دارس». ويُقال للجَرَبِ «الدَّرس».
قالَ جرير: [الكامل]

ركبتْ ربابُكمُ[3] بعيراً دارساً في السُّوقِ ألأمَ راكبٍ وبعيرِ[4]

وقالَ الأخفش: المُدارسُ: المذنبُ، كأنَّه يدرسُ كتابَهُ. فهذا ما قالوه في الدَّرسِ. فكأنَّ الدَّرسَ أصلُهُ الامِّحاءُ والطَّمسُ. ومنه قيلَ: ربعٌ دارسٌ، وهو الذي قد امَّحى أَثَرُهُ وذهبَ. وكذلك كتابٌ دارسٌ، هو الذي قد امَّحى[5]، لأنَّ الذي يدرسُ الكتابَ لا يزالُ يلزمُهُ بالقراءةِ، وإعادةِ النَّظرِ فيه، ومسِّهِ بيدِهِ، حتّى يمَّحيَ ما فيه ويندرسَ. وكذلك قيلَ للجَرَبِ «الدَّرس»، وقيلَ للبعيرِ الجرِبِ «دارس»، لأنَّ الجَرَبَ يسحجُ الشَّعرَ عن جلدِهِ، ويجرِّدُهُ منه، حتّى يندرسَ.

[٢١٩]
القراءة والتِّلاوة

يُقال: هو يقرأُ القرآنَ، وكذلك يقرأُ الكتابَ، لكلِّ كتابٍ غيرِ القرآنِ، وكذلك يقرأُ التَّوراةَ والإنجيلَ وغيرَ ذلكَ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فإذا قرأتَ القرآنَ﴾ [النحل: ٩٨]، وقالَ ﴿اقرأْ كتابَكَ﴾ [الإسراء: ١٤]. قالَ أبو عُبَيدة: قرأتَ[6] القرآنِ مجازُهُ تلوتَ بعضَهُ في إثرِ بعضٍ، حتّى يجتمعَ وينضمَّ بعضُهُ إلى بعضٍ، ومعناه يصيرُ إلى معنى التَّأليفِ والجمعِ[7]. فكأنَّ الذي يقرأُ القرآنَ معناه يجمعُ الآيةَ إلى الآيةِ في قراءتِهِ، من قولِهم في صفةِ النّاقةِ: [الوافر]

---

(١) من «وأصله» سقط من ب.
(٢) أبو سعيد: كنية السكري.
(٣) في م وأخواتها: ربائبكم.
(٤) ديوان جرير ٢/٨٥٩.
(٥) سقطت الجملة من ب.
(٦) سقطت من ب.
(٧) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/٣.

هجان اللَّونِ لم تقرأْ جنينا[1]

أي لم تجمعْ ماءَ الفحلِ في رحمِها.

وأمّا التِّلاوةُ فهي الاتّباعُ. يقال: هو يتلو كتابَ اللّهِ، إذا قرأَهُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وإذا تُتلى عَلَيهم آياتُنا﴾ [الأنفال: ٣١]. وقالَ عزَّ وجلَّ ﴿يتلونَهُ حقَّ تِلاوتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]. وهو في غيرِ موضعٍ من القرآنِ. فكأنَّ التِّلاوةَ هي أخصُّ من القراءةِ، لأنَّه يُقال: «قرأَ الكتابَ» للقرآنِ وغيرِ القرآنِ، ولا يُقال: «تلا الكتابَ» لكتابٍ سوى القرآنِ والكتابِ المنزَلِ.

ومعنى التِّلاوةِ الاتّباعُ. يُقال: الولدُ يتلو أباهُ، ويتلو أُمَّهُ، إذا تبعَهما. فكأنَّ الذي يتلو كتابَ اللّهِ هو الذي يقرأُهُ ويعملُ بما فيه، فيكونُ تابعاً له، والقرآنُ يكونُ سابقاً له وقائداً. وهو معنى قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿يتلونَهُ حقَّ تِلاوتِهِ﴾، أي يقرأونَهُ ويعملونَ بما فيه، فيكونُونَ أتباعاً للقرآنِ[2]، والقرآنُ لهم بمنزلةِ إمامٍ يقتدونَ به. ومنه يُقال: السّابق والتّالي. يُقال هذا لكلِّ اثنينِ أحدُهما متقدِّمٌ والآخرُ متأخِّرٌ، مثل فَرَسَينِ أُجرِيا[3]، فجاءَ أحدُهما سابقاً، وجاءَ الآخرُ تالياً، وهو الذي يسمُّونَهُ «المُصلِّي». فكأنَّ الذي يتلو القرآنَ جعلَ القرآنَ له سابقاً، وصارَ هو تالياً للقرآنِ.

[٢٢٠]

الأساطير

قالَ الكسائيُّ في قولِهِ ﴿أساطيرُ الأوَّلينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]: واحدُ الأساطيرِ: سطرٌ، ثمَّ [الجمع][4] أسطرٌ وسطورٌ، ثمَّ الأساطيرُ جمعُ الجمعِ. قالَ أبو عُبَيدة: قالَ بعضُ النَّحويِّينَ: واحدُ الأساطيرِ أُسطورة[5]. قالَ: ولا أرى هذا شيئاً. وهو عندي كما قالَ الكسائيُّ، إنَّما كانَ المشركونَ يصفونَهُ بأنَّه يأخذُ هذا من الكتبِ.

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٢، والشطر لعمرو بن كلثوم، وقد تكرر ذكره.

(٢) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: فيكون اتّباعاً.

(٣) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: مثل قوسين.

(٤) زيادة منا لم ترد في الأصول.

(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٨٩. ونقل الطبري في تفسيره ٧/ ٢٠٠ أنه الأخفش. وقال: قال بعضهم: أسطارة.

فالأساطيرُ معناه الكتبُ، وأساطيرُ الأوَّلينَ معناه كتبُ الأوَّلينَ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وكلُّ صغيرٍ وكبيرٍ مُستَطَرٌ﴾ [القلم: ٥٣]، يعني مكتوباً[(١)].

[٢٢١]

الفريضة

قالَ المفسِّرونَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿فمَن فرضَ فيهنَّ الحجَّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، أي أوجبَهُ على نفسِهِ[(٢)]. وفي قولِهِ ﴿فيصفُ ما فرضتم﴾ [البقرة: ٢٣٧]، أي ألزمتُم أنفسَكم[(٣)]. وفي قولِهِ ﴿قد عَلمنا ما فَرضنا عَلَيهم في أزواجِهم﴾ [الأحزاب: ٥٠]، أي ألزمناهم. وفي قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿قد فرضَ اللّهُ لكم تحلَّةَ أيمانِكم﴾ [التحريم: ٢]، أي أوجبَ لكم أن تكفِّروا إذا حلفتُم[(٤)]. وفي قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿سُورةٌ أَنزَلناها وفَرَضناها﴾ [النور: ١]، أي أوحينا العملَ بما فيها. وفي قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿إنَّ الذي فرضَ عليكَ القرآنَ لَرادُّكَ إلى معادٍ﴾ [القصص: ٨٥]. قالَ قومٌ من أهلِ اللُّغة: يجوزُ أن يكونَ أوجبَ عليكَ العملَ بما فيه[(٥)]، قالوا: وفي قولِهِ ﴿ما كانَ على النَّبيِّ مِن حَرَجٍ فيما فرضَ اللّهُ لَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٨]: فيما أحلَّ اللّهُ له[(٦)]. وقالَ بعضُ أهلِ اللُّغة: يجوزُ أن يكونَ ممّا أوجبَ اللّهُ عزَّ وجلَّ عليه، يعني نكاحَ أكثرَ من أربعٍ. قالوا: أحلَّ اللّهُ تزويجَ أكثرَ من أربعٍ. وكانَ داودُ عليه السَّلام تزوَّجَ مائةَ امرأةٍ، وذلك قوله ﴿إنَّ هذا أخي له تسعٌ وتسعونَ نعجةً ولي نعجةٌ﴾ [ص: ٢٣]. والنَّعجةُ كنايةٌ عن المرأةِ. ويُروى أنَّ سُليمانَ عليه السَّلام تزوَّج ألفَ امرأةٍ؛ ثلاثمائةَ مَهيرةٍ[(٧)]، وسبعمائةَ سَرِيَّةٍ. فأحلَّ اللّهُ عزَّ وجلَّ لنبيِّهِ أكثرَ من أربعٍ، فقالَ ﴿ما كانَ على النَّبيِّ مِن حَرَجٍ فيما فرضَ اللّهُ لَهُ﴾. وقالَ عزَّ

---

(١) اختار الطبري في تفسيره ما نقله عن ابن عباس إن هذا إلا أحاديث الأولين.

(٢) تفسير الطبري ٢/ ٣١٤.

(٣) زيادة من ب.

(٤) في ب: جعلتم.

(٥) ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص ٣٣٦.

(٦) ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص ٣٥١.

(٧) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: مهرية.

وجلَّ ﴿قد عَلمنا ما فَرضنا عَلَيهم في أزواجِهم﴾ [الأحزاب: ٥٠]. فرسولُ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليه أسوةٌ بمن كانَ قبلَهُ من الأنبياءِ، مثل داودَ وسُلَيمانَ عليهما السّلام[١]. قالَ أبو عُبَيدةَ في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿إنَّ الذي فرضَ عليكَ القرآنَ لَرادُّكَ إلى معادٍ﴾، مجازُهُ: أنزلَ عليكَ القرآنَ[٢]. فهذا ما جاءَ في تفسيرِ الفرضِ في هذه الآياتِ أنَّه الواجبُ واللازمُ.

ويُقال في تصريفِهِ: فرضَ، يفرضُ، فَرْضاً، فهو فارضٌ، والمفروضُ: ما أوجبَ اللّهُ على النّاسِ، وألزمَهم العملَ به، ومنه فرائضُ المواريثِ، واحدتُها: فريضةٌ. ورجلٌ فارضٌ، إذا كانَ بصيراً بالفرائضِ، كما يُقال: حاسب. ويُقال: فرائضُ الإبلِ والبقرِ والغنمِ. ووجبَتْ عليه فريضةٌ.

والفرضُ في كلامِ العربِ أصلُهُ الحَزُّ. ويُقال لحزِّ الفُوقِ «فرض»[٣]. وكلُّ حَزٍّ فرضٌ. ويُقال: فرضَ مسواكَهُ، فهو يفرضُهُ، إذا فرضَهُ بأسنانِهِ، وأثَّرَ فيه، وكذلك فرضَ في القِدحِ والسَّهمِ، إذا حزَّ فيه حزّاً يُعرَفُ به الحدُّ والمقدارُ.

وروى ابنُ قُتَيبةَ عن السِّجستانيِّ عن الأصمعيِّ عن عبد اللّه بن عمر العمريِّ في حديثِ عُمَر أنَّه أطعمَ النّاسَ في عامِ الرَّمادةِ[٤]، فكانَ يطوفُ على القِصاعِ، وقد اتَّخذَ قِدْحاً فيه فرضٌ، فيغمزُ فيها القِدْحَ، فإن لم تبلغِ الثَّريدةُ الفرضَ، فتعالَ[٥] فانظرْ ماذا يفعلُ بالذي يلي الطَّعامَ[٦]. قالَ ابنُ قُتَيبةَ: الفرضُ: الحزُّ. يُقال: فرضتُ السِّواكَ والزَّند، إذا حززتُ فيهما[٧]. فكأنَّ عُمَر قد جعلَ هذا الحزَّ، وهو الفرضُ، علامةً للثَّريدِ[٨]. وفي حديثِ عمرو بن العاص حينَ قالَ للنَّجاشيِّ إنَّهم يخالفونَكَ، يعني المهاجرينَ الذين هاجروا إلى الحبشةِ، في عيسى

---

(١) سقطت الجملة من ب.
(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١١٢.
(٣) حز الفوق: هو الشق الصغير الذي يوضع فيه السهم في الوتر عند تفويقه وتسديده.
(٤) في ب: الرفادة.
(٥) هكذا في غريب الحديث، وفي الأصول: فيقال.
(٦) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٦٠٠.
(٧) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٦٠١.
(٨) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٦٠١.

وأُمِّهِ. فقالوا: نقولُ كما قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿هو روحُ اللّهِ وكلمتُهُ ألقاها إلى مريمَ﴾ [النساء: ١٧١] العذراءِ البتولِ، لم يمسسْها بَشَرٌ، ولم يفترضْها ولدٌ، يعني قبلَ المسيحَ[١].

فالفرضُ: الحزُّ والعلامةُ والحدُّ. وسُمِّيَتِ الفرائضُ «فرائض» لأنَّها أعلامٌ وحدودٌ حُدَّتْ وبُيِّنَتْ، بمنزلةِ هذا الحزِّ الذي جُعِلَ حدّاً في القِدحِ والسَّهمِ. والفريضةُ: الحدُّ. قالَ الجعديُّ: [الكامل]

كانتْ فريضةَ ما يقولُ كما ... كانَ الزِّناءُ فريضةَ الرَّجمِ[٢]

معناه: كما كانَ الرَّجمُ فريضةَ الزِّنى، يعني أنَّ الرَّجمَ حدُّ الزِّنى. ومنه الفُرَضُ التي تُرسى فيها السُّفُنُ، واحدتُها: فُرضةٌ، لأنَّهم إذا انتهوا إلى الحدِّ أرسَوا سُفُنَهم، فسُمِّيَ ذلك الحدُّ «فُرْضَة»، وجمعُهُ فُرَضٌ، وفِراضٌ، وهي تلك المشارعُ والحدودُ. قالَ عديّ بن الرِّقاع: [الخفيف]

ساعةً ثمَّةَ استغثنَ بعذبٍ ... جُلِحتْ عن فِراضِهِ القَصْباءُ[٣]

جُلِحَتْ: قُطِعتْ. وفراضُهُ: مشارِعُهُ[٤].

قالَ أبو عُبَيدَةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿تلكَ حُدودُ اللّهِ﴾ [النساء: ١٣]، قالَ: فرائضُ اللّهِ[٥]. ومنه يُقال: فرضَ له في العطاءِ، فهو يفرضُ فرضاً، وأفرضَهُ، إذا بيَّنَ له حدّاً ومقداراً من عطائِهِ. ويُقال للتُّرسِ فرض. قالَ الهُذَليُّ: [المتقارب]

أرقتُ له مثلَ لمعِ البشيرِ ... قلَّبَ بالكفِّ فَرْضاً خفيفا[٦]

يُقال: إنما سُمِّيَ «فرضاً» لأنَّه قُدِّر وأُديرَ. قالَ بعضُهم: الفرض: القِدحُ[٧]، وسُمِّيَ أيضاً فرضاً لأنَّه مقدَّرٌ مهيَّأٌ. وقالَ بعضُ المفسِّرين في قولِ اللّهِ تعالى ﴿لا فارضٌ ولا بِكْرٌ﴾ [البقرة: ٦٨]، قالَ: الفارضُ: المُسِنَّة، سُمِّيت بذلك لأنَّها

---

(١) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/٦٠١.
(٢) ديوان النابغة الجعدي ص ١٦٩.
(٣) ديوان عدي بن الرقاع بشرح ثعلب ص ١٥٦.
(٤) زيادة من م وأخواتها.
(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/١١٩.
(٦) لصخر الهذلي في أشعار الهذليين بشرح السكري ص ٢٩٥.
(٧) في ب: الفرد.

انتهتْ إلى آخرِ الحدودِ في الأسنانِ، ولها في كلِّ سِنٍّ حدٌّ، فإذا تناهتْ إلى آخرِ الحدودِ[1]، قيلَ لها «فارض»، لأنَّه لا سنَّ بعد ذلك. فالبكرُ أوَّلُها، والفارضُ آخرُها. وكذلك كلُّ حدٍّ حدَّهُ اللّهُ عزَّ وجلَّ هو فرضٌ قد فرضَهُ اللّهُ، ومقدارٌ قدَّرَهُ، وعلامةٌ علَّمَها، لا يحلُّ أن يُجاوَزَ ذلك الحدُّ والعلامةُ والمقدارُ. فلذلك سُمِّيَ «فرضاً».

والفرضُ، في وجهٍ آخرَ، الهبةُ، ومنه قولُهم: فَرْض وقَرْض. قالَ الشّاعر: [الطويل]

وذكَّرتُ عمراً والأواصرُ بينَنا   وما كانَ من قُربى وفَرْضٍ مقدَّمِ

ويُقال: الفرضُ: العطيَّةُ أيضاً. وأنشدَ: [البسيط]

هل أجزينَّكما يوماً بفرضِكما   والفرضُ بالفرضِ مقضيٌّ ومجلوزُ[2]

مجلوز: موثق.

[٢٢٢]

السُّنَّة

السُّنَّة في كلامِ العربِ السِّيرةُ والرَّسمُ الذي يرسمُهُ الإنسانُ، فيُقتَدى بِهِ مِن بعدِهِ، وعلامةٌ وطريقةٌ ومثالٌ يمثِّلُهُ لمن يقتدي به. قالَ المتلمِّس: [الطويل]

لأورثَ بعدي سُنَّة يُقتَدى بها   وأجلوَ عن ذي شبهةٍ إن توهَّما[3]

وقالَ أبو ذُؤَيب: [الطويل]

ولا تجزعنْ من سُنَّةٍ أنتَ سرتَها   وأوَّلُ راضٍ سُنَّةً مَن يسيرُها[4]

فقالَ: من سُنَّةٍ أنتَ سرتَها، أي رسمتَها وجعلتَها سيرةً ورسماً لغيرِكَ.

وقالَ أبو عُبَيدة في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿قد خَلَتْ من قبلِكم سُنَنٌ﴾ [آل عمران:

---

(١) من «آخر الحدود» زيادة من م وأخواتها وه.

(٢) للمتنخل في ديوان الهذليين ٢/ ١٥، والرواية فيه: والقرض بالقرض، ومجلوز: مربوط ومقترن.

(٣) ديوان المتلمس ص ٣٩.

(٤) فضل العرب لابن قتيبة ص ١٨٤، والزهرة ص ٢، وديوان الهذليين ١/ ١٥٧.

١٢٧]، أي مضتْ من قبلِكم أعلامٌ[(١)]. وقالوا في قولِهِ ﴿سُنَن الذينَ من قبلِكم﴾ [النساء: ٢٦]، أي سُبُل الذينَ من قبلِكم. وقالَ المفسِّرونَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿سُنَّةَ اللّهِ التي قد خَلَتْ مِن قبلُ﴾ [الفتح: ٢٣]، مثالُ اللّهِ في الأوَّلينَ والآخرينَ. قالَ: نُصِبَتْ لأنَّها في موضعِ مصدرٍ من غيرِ لفظِها. وقالَ غيرُهُ: سُنَّةَ اللّهِ، أي استنَّها اللّهُ سُنَّةً. وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه «لتركبنَّ سُنَنَ مَن كانَ قبلَكم حذوَ النَّعلِ بالنَّعلِ والقُذَّةِ بالقُذَّةِ»[(٢)]. قالَ: السُّنَّة: الطَّريقةُ والمثالُ، أي لتركبنَّ مثالَ مَن كانَ قبلَكم وطريقتَهم مثلاً بمثلٍ. قالَ لبيد: [الكامل]

من معشرٍ سَنَّتْ لهمْ آباؤُهُمْ ... ولكلِّ قومٍ سُنَّةٌ وإمامُها[(٣)]

أي سنَّ لهم آباؤُهم سُنَّةً ومثالاً. والإمامُ: المثالُ. وردَّ الهاءَ على السُّنَّة.

وقالَ زُهَير: [الطويل]

يسنُّ لقومي في عطائيَ سُنَّةً ... فإنْ قوميَ اعتلُّوا عليَّ كفاني[(٤)]

يسنُّ: أي يجعلُ لهم مثلاً في عطائي، فإن هم بخلوا عن إعطائي لم يعتلَّ.

وقالَ آخرُ: [الطويل]

لنا سُنَّةٌ عاديَّةٌ يُهتَدى بِها ... وسَنَّتْ لأُخرانا عطاءً ونائلا[(٥)]

وقالَ آخرُ: [الخفيف]

ومقامٌ أكرمْ بِهِ مِن مقامٍ ... وهوادٍ وسُنَّةٌ ومَشارُ[(٦)]

السُّنَّة: الطَّريقة. ويُقال: إنَّه لحَسَنُ الشّارةِ والشّوارِ والمشارةِ والشّورةِ، وهو الزِّيُّ والهيئةُ والعملُ الصالحُ.

وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وآله «مَن استنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فله أجرُها، وأجرُ مَن عملَ بها إلى يومِ القيامةِ، من غيرِ أن ينقصَ من أجورِهم شيءٌ. ومن استنَّ سُنَّةً

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/١٠٣.

(٢) أطرافه في صحيح البخاري (٧٣٢٠)، صحيح مسلم ٨/٥٧.

(٣) ديوان لبيد ص ٣٢٠.

(٤) ديوان زهير بشرح ثعلب ص ٢٧٠.

(٥) ديوان لبيد ص ٢٥٣. وفيه: وفاء ونائلا. وعادية: قديمة من عهد عاد.

(٦) ديوان لبيد ص ٤٣.

سيِّئةً فعليه وزرُها ووزرُ مَن عملَ بها إلى يومِ القيامةِ، من غيرِ أن ينقصَ من أوزارِهم شيءٌ»[1].

وأصلُ السُّنَّةِ الجريُ على العادةِ. ومنه يُقال: استنَّ الفَرَسُ، إذا جرى، وكذلك استنَّ البعيرُ. قالَ النّابغة: [الكامل]

تستنُّ في ثني الجديلِ وتنتحي　　　فعلَ الخليَّةِ في الخليجِ الجاري[2]

شبَّهَ النّاقةَ في جريِها بالخليَّةِ، وهي السَّفينةُ تجري في الخليجِ، وثنيُ الجديلِ: زِمامُها الذي قد ثناه راكبُها لشدَّةِ جريِها. وقالَ آخرُ يصفُ الطَّعنةَ: [الكامل]

مُستَنَّةٍ سَنَنَ الفُلُوِّ مُرِشَّةٍ　　　تنفي التُّرابَ بقاحزٍ مُعرَورِفِ[3]

شبَّهَ جريَ الدَّمِ بجري الفُلُوِّ[4]. وقالَ أوس بن حجر: [البسيط]

حشّاً حناجرها ريّاً مشافرها　　　تستنُّ أولادها في صحصحٍ ضاحي[5]

تستنُّ: تجري جرياً نشيطاً، والصَّحصحُ: الأرضُ المستويةُ. وفي المثل «استنَّتِ الفصالُ حتّى القَرْعى»[6]. والقَرْعى من الفِصالِ هي المهزولةُ الجريةِ، يعني إذا كثُرَ الخصبُ، سمنتْ، فجرتْ جرياً نشيطاً. والسَّنَنُ: الجريُ بالنَّشاطِ. وهذا[7] مثلٌ يُضرَبُ للرَّجلِ الخسيسِ يستطيلُ على الشَّريفِ، إذا امتُحنَ بدولةِ الدُّونِ من النّاسِ، ويُضرَبُ أيضاً في حالِ الخصبِ وكثرةِ الخيرِ، إذا بطرَ فيه أهلُ الفاقةِ.

ويُقال: سَنَّ الماءَ سنّاً، إذا صبَّهُ، فجرى جرياً. وفي حديثِ ابن عُمَر أنَّه كانَ يسنُّ الماءَ على وجهِهِ سنّاً، أي يصبُّهُ. وقالَ الحسنُ في قولِهِ ﴿من حَمَأٍ مسنونٍ﴾

---

(١) الحديث في صحيح مسلم ٣/ ٨٧، وأطرافه في غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٤.

(٢) لم أجده في ديوان النابغة المطبوع.

(٣) لأبي كبير في غريب الحديث لأبي عبيد ٥/ ٤١١، وديوان الهذليين ٢/ ١١٠. والمرشة: الطعنة، والفلو: المهر، والقاحز: النازي، والمعرورف: ذو العرف.

(٤) الزيادة من م وأخواتها وهـ.

(٥) ديوان أوس بن حجر ص ١٧، برواية أخرى.

(٦) ينظر لسان العرب ٦/ ٤٠٢، مادة (سنن).

(٧) من هنا يبدأ نقص يستمر ورقة كاملة بصفحتين في ب، يستأنف في آخر مادة (الطهارة).

[الحجر: ٢٦]، أي مصبوب[١]. وفي الحديثِ أنَّ تميم الداريَّ أهدى خمراً إلى رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه، فقالَ له: إنَّ اللّهَ قد حرَّمَها، قالَ: أفلا أكارمُ بها يهودَ[٢]؟ قالَ: إنَّ اللّهَ قد حرَّمَ أن يُكارَمَ بها. قال: فما أصنعُ؟ قال: سُنَّها في البطحاءِ. معناه: صُبَّها.

ويُقالُ: سنَّ الرَّجلُ الدِّرعَ على نفسِهِ، إذا صبَّها عليه. قالَ زُهَير: [المتقارب]

فلمّا تبلَّجَ ما حولَهُ ... أناخَ فسنَّ عليه الشَّليلا[٣]

قالَ الأصمعيُّ: سنَّ، بالسِّين، أي صبَّ، والشَّليل: ما يُلبَسُ تحتَ الدّرعِ. ويُقال: هو درعٌ من أدمٍ. ويُقال هي الدّرعُ الخفيفةُ. وروى غيرُ الأصمعيِّ: شنَّ، بالشِّين.

والسَّنُّ أيضاً: حسنُ القيامِ على المالِ. قالَ النّابغة: [البسيط]

ضَلَّتْ حُلُومُهُم عنهمْ وغرَّهمُ ... سنُّ المعيديِّ في رعيٍ وتعزيبِ[٤]

سنُّ المعيديِّ: قالَ بعضُهم: دخولُهم في الحمى. وقالَ بعضُهم: هو حسنُ القيامِ على المالِ. وأنشدَ لأوس: [الطويل]

وجاءتْ على وحشيِّها أمُّ جابرٍ ... على حينَ أن سَنُّوا الرَّبيعَ وأمرعوا[٥]

أمُّ جابرٍ: قبيلةٌ من أياد، ويُقال من أسد. ويُقال: سَنَّ الرَّجُلُ إبلَهُ، إذا أحسنَ القيامَ عليها.

والسُّنَّةُ سُنَّةُ الوجهِ. وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّه عليه وآله أنَّه حضَّ على الصَّدقة فقامَ رجلٌ قبيحُ السُّنَّة، صغيرُ القمَّة، يقودُ ناقةً حسناءَ جملاءَ، فقالَ: هذه صَدَقةٌ. والقمَّةُ شخصُ الإنسانِ إذا كانَ قائماً، والسُّنَّةُ سُنَّةُ الوجهِ. ويُقال إنَّه لَحَسَنُ السُّنَّةِ، أي الوجهِ. قالَ ذو الرّمَّة: [البسيط]

تُريكَ سُنَّةَ وجهٍ غيرَ مُقرِفَةٍ ... ملساءَ ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ[٦]

---

(١) تفسير غريب القرآن ص ٢٣٨، وتفسير الطبري ١٤/ ٣٧.
(٢) يهود: زيادة من م وأخواتها. وانظر: النهاية في غريب الحديث ٤/ ١٦٧.
(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب ص ١٤٨.
(٤) ديوان النابغة الذبياني ص ٤٩. وفي م وأخواتها: وتغريب.
(٥) ديوان أوس بن حجر ص ٦٠، نقلاً عن كنايات الجرجاني.
(٦) ديوان ذي الرمة ص ٤.

وقالَ الأصمعيُّ: السُّنَّة: الصُّورة، يعني صورةَ الوجهِ. وقالَ أبو عمرو: السُّنَّة: الوجهُ. ويُقال: وجهٌ مسنونٌ، أي طويلٌ. ويُقال: كأنَّه قمرٌ لمّا بدا على سُنَّتِهِ، أي على صورتِهِ.

فقد جاءَ في السُّنَّةِ هذه الوجوهُ. وإنَّما قيلَ للسُّنَّةِ في الدِّين «سُنَّة»، لأنَّها طريقةٌ ومثالٌ وسيرةٌ ووجهةٌ وعلامةٌ ورسمٌ من الأنبياءِ، يقتدي بها مَن بعدَهم، وتجري عليها النّاسُ في دينِهم. ومن أجلِ ذلك قالَ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله «تاركُ سُنَّتي ملعونٌ»، أي مَن تركَ طريقتي وسيرتي وما مثَّلتُهُ لأُمَّتي، وجعلتُهُ معالمَ لدينِهم، واستحسنتُهُ لهم، فهو ملعونٌ. وجعلَ السُّنَّةَ مقرونةً بالكتابِ، لأنَّ الكتابَ فيه فرائضُ اللّهِ عزَّ وجلَّ، والسُّنَّة ما رسمَهُ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه، فقالَ: «إنّي تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلُّوا بعدي؛ كتابَ اللّهِ وسُنَّتي»[1].

فالكتابُ روحُ السُّنَّةِ، وقرينٌ لها، وشِكلٌ لها. وكلُّ سُنَّةٍ موافقةٍ للكتابِ فهي سُنَّةُ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه. وما خالفَ الكتابَ فهو بدعةٌ، لأنَّ الكتابَ والسُّنَّةَ متَّفقانِ مقرونانِ. وفي ذلك يقولُ الكُمَيت: [الطويل]

بأيِّ كتابٍ أم بأيَّةِ سُنَّةٍ ... تَرَى حبَّهم عاراً عليَّ وتَحسَبُ[2]

فجعلَ الكتابَ قرينَ السُّنَّةِ على ما مثَّلَهُ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليه وآله.

[٢٢٣]
التَّطوُّع والنّافلة

التَّطوُّعُ: ما يتبرَّعُ به العبدُ من ذاتِ نفسِهِ بما لم يوجِبْهُ اللّهُ عليه في الفرائضِ، ولا رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه في السُّنَنِ. وهو دونَ السُّنَّةِ، يفعلُهُ العبدُ تقرُّباً إلى اللّهِ عزَّ وجلَّ. يُقال: تطوَّعَ، أي تكلَّفَ استطاعتَهُ. ومعناه الزِّيادة. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فمَن تطوَّعَ خيراً فهو خيرٌ لَهُ﴾ [البقرة: ١٨٤]. وقالَ ﴿ومَن تطوَّعَ خيراً فإنَّ اللّهَ شاكرٌ عليمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]. ويُقال: التَّطوُّع مأخوذٌ من الطّاعةِ، وهو «تفعُّل». والتَّطوُّع لا يُثنّى ولا يُجمَعُ ولا يُؤنَّثُ، لأنَّه مصدرٌ.

---

(١) سنن الترمذي (٣٨١٣).

(٢) ديوان الكميت ص ٥١٦.

والنّافلة: الفضلُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ووهبنا له إسحاقَ ويعقوبَ نافلةً﴾ [الأنبياء: ٧٢]، قالَ: دعا بإسحاقَ، فاستُجيبَ له، وزيدَ يعقوبَ نافلةً، كأنَّه تفضُّلٌ من اللّهِ عزَّ وجلَّ بلا ادّعاءٍ، وإن كانَ كلٌّ بتفضُّلِهِ. ويُقال: تنفَّلْتَ، إذا ابتدأتَ العطيَّةَ من غيرِ أن تجبَ عليك. قالَ لبيد: [الكامل]

لـلّـهِ نـافـلـةُ الأجـلِّ الأفـضـلِ ... ولـه الـعُـلـى وأثـيـثُ كـلِّ مـؤثَّـلِ[١]

ويُروى: للّهِ نافلتي، أي تطوُّعي وتنفُّلي إنَّما هو للّهِ عزَّ وجلَّ. وقالَ النّابغة: [البسيط]

يـومـاً بـأجـودَ مـنـهُ سَـيـبَ نـافـلـةٍ ... ولا يـحـولُ عـطـاءُ الـيـومِ دونَ غـدِ[٢]

السَّيب: العطاءُ، والنّافلة: الفضلُ على الشَّيءِ، وجمعُهُ: نوافلُ، وهي الغنائمُ أيضاً، ويُقال لها أيضاً نَفَلٌ، وجمعُهُ أنفالٌ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿يسألونَكَ عن الأنفالِ قُلِ الأنفالُ للّهِ والرَّسولِ﴾ [الأنفال: ١]. قالَ أبو عُبَيدة: مجازُهُ الغنائمُ التي نفلَها اللّهُ النَّبيَّ صلّى اللّهُ عليه وأصحابَهُ، واحدُها نَفَل[٣]. يُقال: نفلَهُ، أي غنمَهُ. وأنشدَ للبيد: [الرمل]

إنَّ تـقـوى ربِّـنـا خـيـرُ نَـفَـلْ[٤]

وأنشدَ غيرُهُ لابن أحمرَ: [البسيط]

حـتّـى تـقـيّـدَ هـامـاً بـيـنَ ألـويـةٍ ... فيها النقائذُ والأخماسُ والنَّفَلُ[٥]

قالَ: النَّفَلُ: الفضلُ، ويقال: النَّفَلُ: الذي يأخذُهُ بعد الغنيمةِ. وقالَ النّابغة: [البسيط]

لولا الـهـمـامُ الذي تُرجى نوافلُهُ ... لقالَ راكبُها في عُصبةٍ سيروا[٦]

نوافلُهُ أي عطاياه وفواضلُهُ. ونَوفل: اسمُ رَجُلٍ اشتُقَّ من النّافلةِ، يُراد أنَّه ذو

---

(١) ديوان لبيد ص ٢٧١.
(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ٢٧.
(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٢٤٠.
(٤) مجاز القرآن ١/ ٢٤٠، وديوان لبيد ص ١٧٤، وبعده: وبإذن اللّه ريثي وعجلْ.
(٥) لم يرد في شعر عمرو بن أحمر. والنقائذ: جمع نقيذة، وهو ما استنقذ مما غنمه العدو.
(٦) ديوان النابغة الذبياني ص ١٥٨. وانظر ديوان أوس بن حجر ص ٤٥.

فضلٍ ونوافلَ[1]. قالَ أعشى باهلةَ: [البسيط]

أخو رغائبَ يُعطيها ويُسألُها يأبى الظُّلامةَ منه النَّوفَلُ الزُّفَرُ[2]

النَّوفلُ: الكثيرُ العطاءِ، والزُّفَر: المتحمِّلُ للأثقالِ من الدِّياتِ وغيرِها[3].

وقالَ أبو عُبَيدة في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿ومنَ اللَّيلِ فتهجَّدْ بِهِ نافلةً لَكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، أي نَفَلٌ وغنيمةٌ[4]. قالَ: ومنه قيلَ لصلاةِ التَّطوُّع «نافلةً». فكأنَّ معنى النّافلةِ في الصَّلاةِ هي صلاةٌ يُصلِّيها العبدُ ابتداءً منه، من غيرِ أن تكونَ فريضةً عليه من اللّهِ عزَّ وجلَّ، ولا سُنَّةً من رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله، فهي غنيمةٌ له. وكذلك سائرُ أعمالِ البرِّ، وما يفعلُهُ العبدُ ابتداءً منه فهو تطوُّعٌ منه ونافلةٌ. وهي تنفُّلٌ منه للطّاعة، وهي غنيمةٌ له عندَ اللّهِ عزَّ وجلَّ.

[٢٢٤]

الطَّهارة والاغتسال والجنابة

الاطّهارُ: الاغتسالُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وإن كُنتُم جُنُباً فاطَّهروا﴾ [المائدة: ٦]، وقالَ ﴿فيه رجالٌ يُحِبُّونَ أن يتطهَّروا واللّهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]. وقالَ أهلُ التَّفسير: هو الاستنجاءُ بالماءِ. والتَّطهُّر أصلُهُ التَّنزُّه والكفُّ عن الإثمِ، وعمّا لا يحلُّ ولا يجملُ. ويُقال: فلانٌ طاهرُ الثِّيابِ، أي لا دَنَسَ في أخلاقِهِ. قالَ الشّاعر: [الطويل]

ثيابُ بني عوفٍ طهارى نقيَّةٌ وأوجهُهم عندَ المشاهدِ غُرَّانُ[5]

على بناء «سودان» و«حمران».

وقالَ أهلُ التَّفسير في قولِهِ ﴿وثيابَكَ فطهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، يعني قلبَكَ فطهِّرْ.

---

(١) الأصمعي: الاشتقاق ص ٨١.

(٢) الأصمعي: الاشتقاق ص ٨١، والكامل للمبرد ١/٤٩، والزاهر لابن الأنباري ١/١١٠، وشعر أعشى باهلة في الصبح المنير ص ٢٦٧.

(٣) الأصمعي: الاشتقاق ص ٨٢.

(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/٣٨٩.

(٥) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/٨٧ لامرئ القيس، ولم أجده في الطبعات الثلاث التي بين يدي من ديوانه.

فالطُّهورُ اسمُ الماءِ، مثل الوضوء. وكلُّ ماءٍ نظيفٍ فهو طهورٌ. والتَّوبةُ طُهورُ المذنبِ. وكذلكَ ما كانَ بإقامةِ الحدودِ، مثل الرَّجمِ وغيرِهِ. ويُقال: طهرتِ المرأةُ من حيضِها، وطهرُ النِّساءِ، وجمعُهُ أطهارٌ. قالَ الأخطلُ: [البسيط]

قومٌ إذا حاربوا شدُّوا مآزرَهم   دونَ النِّساءِ ولو باتتْ بأطهارِ[1]

ويُقال: طهرتِ المرأةُ، إذا انقطعَ عنها دمُ الحيضِ. وهي ذاتُ طُهرٍ، وتطهَّرتْ، إذا اغتسلتْ. والرَّجلُ الطّاهرُ: المبرَّأُ من الذُّنوبِ والأمورِ التي تدنِّسُهُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وإن كنتم جُنُباً فاطَّهروا﴾، وقالَ ﴿إنَّما يريدُ اللّهُ ليذهبَ عنكم الرِّجسَ أهلَ البيتِ ويطهِّرَكُمْ تَطْهيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فالرَّجاسةُ والنَّجاسةُ عندَ الطَّهارةِ، وكذلك الجنابة. قالَ أبو عبيدةَ: الواحدُ والاثنانِ والجمعُ والذَّكَرُ والأنثى لفظٌ واحدٌ، تقولُ: هي جُنُب، وهو جُنُب، وهما جُنُب، وهم جُنُب، [وهنَّ جُنُب][2]. وهكذا قالَ الكسائيُّ. قالَ: وعليه أكثرُ الكلامِ، وقد يجوزُ أن يُجمعَ في غيرِ القراءةِ.

وروى أبو عبيد[3] بإسنادٍ له عن ابنِ عبّاس[4] أنَّ رجلاً سألَهُ فقال: إنِّي لأدخلُ الحمّامَ، وفيه الأجنابُ، فأغتسلُ. قالَ: نعم، إنَّ الماء لا يجنبُ. أرادَ بالأجنابِ جمعَ الجُنُبِ. وقالَ أبو عُبَيدةَ في قوله عزَّ وجلَّ ﴿والجار ذي القربى والجار الجُنُب﴾ [النساء: ٣٥]، يعني الغريبَ. يُقال: لا تأتينا إلّا عن جنابةٍ، أي عن بُعدٍ[5]. وأنشدَ لعلقمةَ: [الطويل]

ولا تحرمنّي نائلاً عن جَنابةٍ   فإنّي امرؤٌ وسطَ القِبابِ غريبُ[6]

قالَ: إنَّما هو من الاجتنابِ[7]. وأنشدَ للأعشى: [الطويل]

---

(١) ديوان الأخطل ص ١٢٠.
(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٥٥، والزيادة منه لم ترد في الأصول.
(٣) هكذا في ك وحدها. وفي البقية: أبو عبيدة.
(٤) إلى هنا ينتهي السقط في ب.
(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٢٦.
(٦) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٢٦، وديوان علقمة الفحل ص ١٩.
(٧) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٢٦.

أتيتُ حُرَيثاً زائراً عن جنابةٍ فكانَ حُرَيثٌ عن عطائيَ جامدا[1]

وقالَ في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿فبَصُرَتْ بِهِ عن جُنُبٍ﴾ [القصص: ١١]، أي عن بعدٍ وتجنُّبٍ[2].

فالجُنُب والمجانبُ في كلامِ العربِ هو البعيدُ. ويُقال: دارٌ جُنُب، أي بعيدة. قالَ القطاميُّ: [الطويل]

فسلَّمتُ والتَّسليمُ ليسَ يسرُّها ولكنَّه حقٌّ على كلِّ جانبِ[3]

[وفي الحديث][4]: «الجانبُ الغريبُ المستغزرُ يُثاب من هِبَتِهِ». والمستغزرُ: الذي أهدى إليكَ لتُكافِئَهُ. وإنَّما قيلَ له «جنب»، إذا لم يكنْ طاهراً، لأنَّ النَّجِسَ بعيدٌ من الطَّهارةِ، بعيدٌ من اللّهِ، فسُمِّيَ «نجساً» لذلك. وفي الحديثِ عن أبي الدَّرداء قالَ: «إذا نامَ الإنسانُ عُرِجَ بنفسِهِ حتّى يُؤتى بها العرشَ، فإن كانَ طاهراً أُذِنَ لها بالسُّجودِ، وإن كانَ جُنُباً لم يؤذنْ له بالسُّجودِ». فكأنَّه سُمِّيَ «جُنُباً» لأنَّه يُنحَّى ويُقصى حتّى يصيرَ بعيداً جُنُباً.

وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وآله «ثلاثةٌ لا تقربُهم الملائكةُ بخيرٍ؛ جنازةُ الكافرِ، والجنبُ حتّى يغتسلَ، والمتزيِّنُ بالزَّعفرانِ». يعني المتلطِّخَ بالزَّعفرانِ. فسُمِّيَ «جنباً» لأنَّ الملائكةَ تبعدُ عنه، وهو بعيدٌ من اللّهِ، بعيدٌ من الطَّهارةِ. وهو مأخوذٌ من ذلك.

[٢٢٥]

الوضوء

الوضوءُ معناه النَّظافةُ والحُسنُ. يُقالُ: فلانٌ وضيءُ الوجهِ، أي حَسَنُهُ. وإذا كانَ لوجهٍ بريقٌ من الحسنِ والوضاءةِ فهو وضيءُ وحَسَنٌ[5]. ويُروى أنَّ النَّبيَّ عليه

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/١٢٦، وديوان الأعشى ص ٤٣.
(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/٩٨.
(٣) ديوان القطامي ص ٤٧.
(٤) زيادة منا لم ترد في الأصول. وانظر: لسان العرب ٢/٣٧٣، مادة (جنب).
(٥) ينظر ما جاء في الزاهر لابن الأنباري ١/١٣٢.

السَّلام كانَ ظاهرَ الوَضاءةِ. يُقال: فلانٌ بهيٌّ بيِّنُ البَهاءِ، إذا كانَ مع البريقِ جلالٌ له. وإذا غسلَ الرَّجُلُ أطرافَهُ، ذهبَ الدَّنَسُ واستنارتْ، فيُقال: قد تَوَضَّأَ.

ويُروى أنَّ بعضَ الصالحينَ كانَ لا يتمندلُ في الوضوءِ، ويقول: هو أنورُ للوجهِ. ويُقال إنَّ هذه الأمَّةَ يومَ القيامةِ غُرٌّ من السُّجودِ، محجَّلونَ من أثرِ الوضوءِ، يُعرَفون بذلكَ من بينِ سائرِ الأُمَمِ.

والوُضوءُ، بضمِّ الواو، مثل الوُقودِ، هو اتِّقادُ النّارِ. والوَضوءُ، بالفتح، هو الماءُ الذي يُتوضَّأُ به، مثل الوَقودِ، وهو الحَطَبُ الذي تتَّقدُ به النّارُ(١). قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وَقودُها النّاسُ والحِجارةُ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقالَ عزَّ وجلَّ ﴿أولئكَ هم وَقودُ النّارِ﴾ [آل عمران: ١٠].

ويُروى أنَّ النَّبيَّ صلّى اللّهُ عليه كانَ يتوضَّأُ لكلِّ صلاةٍ. فلمّا كانَ يومُ فتحِ مكَّةَ، صلّى الصَّلواتِ كلَّها بوضوءٍ واحدٍ. فالوضوءُ من الأحداثِ، مثل الغائطِ والبولِ والرِّيحِ وغيرِ ذلك. وكذلك الوضوء أيضاً من نوعٍ آخرَ من الكذبِ والغيبةِ وفعالِ الشَّرِّ(٢). فإذا قامَ بينَ يَدَي ربِّهِ تنظَّفَ وتطهَّرَ.

والوضوءُ: الطَّهارةُ. يُقال: تمسَّحتُ للصَّلاةِ، كما يُقال: توضَّأتُ. وذلكَ أنَّ الوضوءَ على أصلَينِ؛ غسلُ بعضِ الأعضاءِ، ومسحُ بعضِها. ولا يُقال: اغتسلتُ للصَّلاةِ، لأنَّ الاغتسالَ قد جرى ذكرُهُ في وجهٍ آخرَ. يُقال: اغتسلَ من الجنابةِ وغيرِها: إذا غسلَ(٣) بَدَنَهُ كلَّهُ. فإذا غسلَ بعضَ الأعضاءِ دونَ بعضٍ، ويكونُ ذلك بإفراغِ الماءِ على اليدَينِ، ثمَّ المسحِ عليهما. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فاغسلوا وجوهَكُم وأيديَكُم إلى المرافقِ وامسَحوا برؤوسِكُم وأرجلِكُم إلى الكَعبَينِ﴾ [المائدة: ٦]. فجعلَ بعضَهُ مسحاً، وبعضَهُ غسلاً، ثمَّ سمَّى ذلكَ كلَّهُ باسمِ «المسحِ»، ولم يسمِّهِ باسمِ «الغسلِ»، لما ذكرنا أنَّه إنَّما(٤) يمسحُ الماءَ على يدَيه مرَّةً بعدَ مرَّةٍ. وكذلك على وجهِهِ، فيُسَمَّى «مسحاً» لذلكَ.

---

(١) قارن الزاهر لابن الأنباري ١١٣٣، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ١٥١.

(٢) في ب: ويقال التنهز.

(٣) في ب: إذا اغتسل.

(٤) في م وأخواتها: أنه وحدها، وفي ب: إنما وحدها.

وفي الحديثِ «الوضوءُ قبلَ الطَّعامِ ينفي الفقرَ، وبعدَهُ ينفي اللَّمَمَ»[١]، يعني بذلك غسلَ اليدَينِ قبلَ الطَّعامِ وبعدَهُ[٢].

قالَ ابنُ قُتَيبَةَ: حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعيِّ عن أبي هلالٍ عن قتادةَ، قالَ: غسلُ اليدَينِ وضوءٌ[٣].

وذهبَ قومٌ إلى أنَّ الوضوءَ ممّا مسَّتِ النّارُ، وهو الوضوءُ للصَّلاةِ. وهو جهلٌ باللُّغةِ. إنَّما الوضوءُ ممّا مسَّتِ النّارُ هو غسلُ اليدَينِ من الزَّهَم، وتنظيفُهما. وفي الحديثِ أنَّ النَّبيَّ صلّى اللّهُ عليه دخلَ على أمِّ سلمةَ، وقد توضَّأَ، فانتشلَ كَتِفاً، أو تناولَ عَرْقاً، ثمَّ صلّى ولم يتوضَّأْ[٤].

ويُروى عن جابر، قالَ: أكلتُ مع أبي بكر خبزاً ولحماً، فكأنّي أنظرُ إليهِ، وفي يديهِ عرقٌ يتمشَّشُهُ[٥]، ثمَّ دَلَكَ بيدِهِ، [وصلّى] ولم يتوضَّأْ[٦].

فالوضوءُ هاهنا ممّا مسَّتِ النّارُ هو غسلُ اليدِ والفمِ بعدَ الطَّعامِ ليتنظَّفا وتطيبَ ريحُهما، ويذهبَ الزَّهَمُ عنهما. وإنَّما تركَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليه غسلَ اليدِ، بعد أن تناولَ كتفاً، لكي لا تكونَ سُنَّةً بعدَهُ، فيكونُ تعسيراً[٧] على الأُمَّةِ، فيتشدَّدوا على أنفسِهم فيما يجوزُ تركُهُ، فمالَ إلى التَّخفيفِ عنهم عليه السَّلام.

[٢٢٦]

الاستنجاء والمضمضة والاستنشاق

الاستنجاءُ أصلُهُ التمسُّحُ بالحجارةِ[٨]، ثمَّ سُمِّيَ غسلُ الأسافلِ بالماءِ

---

(١) في ب: اللوم، وفي م وأخواتها: الهم. وانظر: غريب الحديث لابن قتيبة ١/١٥٦، أمالي المرتضى ١/ ٣٧٩.

(٢) في ب: وبدنه.

(٣) غريب الحديث ١/ ١٥٦، أمالي المرتضى ١/ ٣٧٩.

(٤) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٢٦٣، أمالي المرتضى ١/ ٣٨٠.

(٥) هكذا في الأصول، وفي غريب الحديث: يتمشمشه. وتمشش العظم: أكل مشاشه. انظر: اللسان مادة (مشش).

(٦) غريب الحديث ١/ ٢٦٣. و(صلى) زيادة منه.

(٧) في ب: تيسيراً.

(٨) بالحجارة: سقطت من ب.

استنجاءً. وهو مشتقٌ من النَّجْوة. والنَّجْوةُ: ما ارتفعَ من الأرضِ. وكانَ أحدُهم إذا أرادَ قضاءَ[1] حاجتِهِ، استترَ بنجوةٍ، أي بموضعٍ مرتفعٍ، فقالوا: ذهبَ بنجوٍ[2]. وقيلَ للحَدَثِ «نجو». وفي الحديثِ: اللَّحمُ أقلُّ نجواً. وقيلَ أيضاً: ذهبَ يتغوَّطُ، وقيلَ للحَدَثِ «غائط». وإنَّما الغائطُ: ما اطمأنَّ من الأرضِ، لأنَّهم كانوا يقضونَ حوائجَهم في الغيطانِ، وهو على طريقِ الكنايةِ عن الحَدَثِ[3].

فمن مسحَ موضعَ الحَدَثِ بالحجارةِ أو بالماءِ قيلَ «قد استنجى». ويُقالُ أيضاً: استجمرَ، وهو بالحجارةِ دونَ الماءِ، وأُخِذَ من الجِمارِ. والجِمارُ: الحجارةُ. معناه: تمسَّحَ بالحجارةِ. وفي الحديثِ «إذا استجمرتَ فأوترْ»[4]، أي خذْ وِتراً من الحجارةِ، وهكذا السُّنَّةُ فيه.

والاستنشاقُ هو أن يجعلَ الماءَ في أنفِهِ. وأصلُ الاستنشاقِ: الشَّمُّ، فكأنَّه إذا جعلَهُ في أنفِهِ فقد شمَّهُ. قالَ جرير: [الكامل]

قالتْ فدتْكَ مجاشعٌ واستنشقتْ ... من مِنخريهِ عُصارةَ الكافورِ[5]

استنشقتْ: شمَّتْ، من النُّشوقِ، وهو دونَ السُّعوطِ، وهو أن تجذبَ الدّهنَ بالرِّيحِ والنَّفَسِ.

وأمّا الاستنثارُ فإنِّي سألتُ عنه «ثعلبَ» فقالَ: أُخِذَ من النَّثرةِ، وهي الأنفُ. والاستنثارُ[6] أن يجعلَ الماءَ في أنفِهِ، وهو الاستنشاقُ.

والمضمضةُ هو أن يحرِّكَ الماءَ في فيه، ويضغطَهُ ضغطاً. وأصلُهُ من «المضِّ»، وهو الضَّغطُ. يُقال: مضَّهُ هذا الأمرُ ومضمضَهُ: إذا ضغطَهُ. وهما ضادانِ، أُدغمتْ إحداهما في الأخرى فشُدِّدتْ، فإذا أظهروها خفَّفوها. وهو كما قيل: «خلَّ» و«خلَّل»، و«ردَّ» و«ردَّد».

(١) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: أن يقضي.
(٢) هكذا في ك، وفي ج: ينجو، وفي خ وهـ: بنجوة، وفي ب: نجواً.
(٣) نقل أبو عبيد هذا الرأي عن الكسائي في غريب الحديث ٣/ ١٩٧، وانظر: ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ١٦٠.
(٤) إذا: سقطت من ب. وانظر الحديث في غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٨٧، وغريب الحديث لابن قتيبة ١/ ١٦٠.
(٥) ديوان جرير ص ٨٥٩، وفيه: عصارة القفّورِ، وهو الكافور.
(٦) من «سألت ثعلباً» لم يرد في ب.

[٢٢٧]

التَّيمُّم

قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فتيَمَّموا صَعيداً طيِّباً﴾ [النساء: ٤٣]. الصَّعيد: التُّراب، والتَّيمُّم: أن يمسَّ التُّرابَ ثمَّ يُمِرَّ يديه على وجهِهِ وذراعيهِ. وهو مأخوذٌ من «أمَّ، يؤمُّ». والتَّيمُّم: «التفعُّل» منه، إذا قصدَهُ[١]. والأَمُّ: القصدُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ولا آمِّينَ البيتَ الحرامَ﴾ [المائدة: ٢]، أي قاصدينَ. وقالَ المتلمِّسُ: [البسيط]

أُمِّي شآميةً إذ لا عراقَ لنا   قومٌ نودُّهمُ إذ قومُنا شوسُ[٢]

وتيمَّمتُهُ معناه قصدتُهُ، وهو في الأصلِ تأمَّمتُهُ. ثمَّ صارَ التَّيمُّم اسماً لذلك الفعلِ، كما صارَ الوضوءُ اسماً لغسلِ الأعضاءِ. قالَ الكسائيُّ وغيرُهُ: (تيَمَّموا صَعيداً): التَّيمُّم: التَّعمُّد، أي تعمَّدوا وامسحوا به وجوهَكم وأيديَكم منه. وقالَ أبو عُبَيدة: تيَمَّموا، أي تعمَّدوا، والصَّعيد: وجهُ الأرضِ[٣].

[٢٢٨]

الأذان والإقامة

الأذانُ معناه الإعلامُ. يُقال: آذنتُكَ بهذا الأمرِ، أي أعلمتُكَ[٤]. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فأْذَنوا بحربٍ مِنَ اللّهِ ورَسولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]. قالَ المفسِّرونَ: اعلموا واستيقنوا أنَّه يحاربُكم[٥]. قالَ الحارثُ بنُ حلزَةَ: [الخفيف]

آذنَتْنا ببَينِها أسماءُ   ربَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ[٦]

معناه: أعلمتْنا. وقالَ الحُطَيئةُ: [الطويل]

---

(١) ينظر غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ١٦١.

(٢) ديوان المتلمس ص ٩٢.

(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٢٨.

(٤) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ١٧٢.

(٥) تفسير الطبري ٣/ ١٢٩.

(٦) ديوان الحارث بن حلزة ص ٣٧.

ألا آلُ ليلى أزمَعوا بقفولِ وما آذنوا ذا حاجةٍ برَحيلِ[1]

ما آذنوا: ما أعلموا. ويُروى هذا البيتُ: وما أذّنوا ذا حاجةٍ، ومعناهما واحدٌ. وقالَ الأعشى: [الخفيف]

أذنَ اليومَ جيرتي بخفوفِ[2]

أي أعلموا. وقالَ البعيثُ بنُ بشير: [الطويل]

وشقَّ العصا بينَ الخليطينِ عابسٌ وأذَّنَ بالبينِ الحدائج فابتكرْ[3]

وقالَ حميد: [الكامل]

إنَّ الخليطَ فآذنوكَ فودَّعوا[4]

وقالَ أبو عبيدةَ في قول اللّه عزَّ وجلَّ ﴿وأذان من اللّهِ ورسولِهِ﴾ [التوبة: ٣] مجازُهُ: علمٌ من اللّهِ ورسولِهِ، وهو مصدرٌ واسمٌ من قولِكَ: آذنتُهم، أي أعلمتُهم. ويُقال: أذينٌ، وإذنٌ[5]. وقالَ أبو عبيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ[6] ﴿فأْذَنوا بحربٍ مِنَ اللّهِ ورَسولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، أي كونوا على إذنٍ منهما[7]. قالَ: ولهذا سُمِّيَ الأذانُ، إنَّما هو إعلامٌ بالصَّلاةِ، أي اعلموا وأيقنوا[8].

وقالَ عليٌّ عليه السَّلام إنَّ الأذانَ من اللّهِ ورسولِهِ، لأنَّ النَّبيَّ صلّى اللّهُ عليه وآله وسلَّم بعثَهُ بسورة «براءة» إلى الموسمِ، فقرأها عليهم، وأمرَهُ أن يُناديَ فيهم:

---

(١) ديوان الحطيئة ص ٥، وديوانه بشرح السكري ص ٤٣، وفيه (ولم ينظروا ذا حاجة).

(٢) هكذا في هـ، وفي ب: بفراق، وأضاف: يروى بطلاق. والخفوف: الذهاب. والبيت صدر قصيدة في ديوان الأعشى ص ١١٣، وبعده: صرموا حبل آلف مألوف.

(٣) لم يرد في شعر البعيث المجموع.

(٤) هذه قراءة ب، وفي م وأخواتها: قد آذنوك. ولم أجده في ديوان حميد بن ثور المجموع. والمشهور بما يقرب من ذلك قول جرير:

بان الخليط برامتين فودعوا أو كلما رفعوا لبينٍ تجزعُ

ديوان جرير ص ٩٠٩. لكن هذه الرواية لا يصح الاستشهاد بها، إلا أن تكون: (بان الخليط وآذنوك فودعوا).

(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٢٥٢.

(٦) من القول الأول لأبي عبيدة: سقط من ب.

(٧) في مجاز القرآن في هذا الموضع: أيقنوا، تقول: آذنتك بحرب، فأذنتَ به. انظر: ١/ ٨٣.

(٨) شرح فصيح ثعلب لابن خالويه، الورقة ٥٧.

لا يحجَّنَّ بعد هذا العامِ مشركٌ، ولا يَطُوفنَّ به عريانٌ، وأعلمَهم أنَّ مدَّتَهم إلى أربعةِ أشهرٍ في الموادعةِ التي كانتْ بين النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وبين المشركينَ، من يومِ النَّحرِ إلى انسلاخِ عشرةِ أيّامٍ من شهرِ ربيعِ الآخرِ. وذلك قولُهُ عزَّ وجلَّ ﴿فَسِيحوا في الأرضِ أربعةَ أشهُرٍ﴾ [التوبة: ٢].

ويُروى أنَّ بدءَ الأذانِ[١] أنَّ المسلمينَ، حينَ قدموا المدينةَ، كانوا يجتمعونَ، فيتحيَّنونَ للصَّلاةِ، وليسَ يُنادي بها أحدٌ. فتكلَّموا في ذلك، فقال بعضُهم: اتَّخذوا ناقوساً كناقوسِ النَّصارى. وقالَ آخرونَ: بل قرنٌ كقرنِ اليهودِ[٢].

ويُروى عن عبدِ اللّهِ بنِ زيدٍ قالَ: كانَ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله قد أهمَّهُ أمرُ الأذانِ حتّى قالَ: إنّي لأهمُّ أن آمرَ رجالاً، فيقومونَ على الآطامِ، فيرفعونَ المسوحَ، ويشيرونَ إلى النّاسِ بالصَّلاةِ، حتّى رأيتُ فيما يرى النّائمُ أنَّ رَجُلاً عليه ثوبانِ أخضرانِ علا سورَ المسجدِ. ولولا أنّي أتَّهمُ نفسي لقلتُ كنتُ يقظانَ. هذا قولُ عبدِ اللّهِ بنِ زيدٍ الأنصاريِّ. فرأيتُهُ يقولُ: اللّهُ أكبرُ، اللّهُ أكبرُ، حتّى فرغَ من الأذانِ ومن الإقامةِ، حتّى قالَ: قد قامتِ الصَّلاةُ. فأتيتُ رسولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله فأخبرتُهُ، فقالَ: اذهبْ فعلِّمْها بلالاً. ففعلتُ، فأقبلَ النّاسُ سِراعاً، ما يرونَ إلّا أنَّه قد فرغَ. فأقبلَ عُمَر بن الخطّاب فقالَ: لولا ما سبقَني بِهِ عبدُ اللّهِ لأخبرتُكم أنَّه أطافَ بي الذي أطافَ به[٣].

فأكثرُ النّاسِ رأوا أنَّ الأذانَ والإقامةَ بمنزلةٍ واحدةٍ، وبعضُهم أفردوا.

ويُقال للأذانِ والإقامةِ «الأذانانِ»، كما يُقال «العُمَرانِ» و«الأَبَوانِ».

وأصلُ الأذانِ هو الإعلامُ، كما قد بيَّنّا. يُقال: استأذنتُهُ، أي استعلمتُهُ[٤]، وهو مأخوذٌ من الأُذنِ، كأنَّه قالَ له قولاً فسمعَهُ بأُذنِهِ. فالمؤذِّنُ يُنادي بنداءٍ يَقَعُ في

---

(١) أن بدء الأذان: سقطت من ب.

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٢٤٧، سيرة ابن هشام ١/ ٤٥٨، صحيح البخاري (٦٠٤)، صحيح مسلم ٢/ ٢، السيرة الحلبية ٢/ ٩٤، تاريخ الصلاة في الإسلام لجواد علي ص ٥٣.

(٣) طبقات ابن سعد ١/ ٢٤٧، سيرة ابن هشام ١/ ٤٥٨، السيرة الحلبية ٢/ ٩٤، تاريخ الصلاة في الإسلام لجواد علي ص ٥٣.

(٤) في ب وهـ: استعملته.

آذانِ النّاسِ، يُعلِمُهم بذلك أنَّ وقتَ الصَّلاةِ قد حانَ[1]، وأنَّ الصَّلاةَ قد حضرتْ. ويُقال: أذَّنَ، فهو مُؤذِّن، بالتَّثقيل، ولا يقال: أذِنَ، فهو مُؤذِن، بالتَّخفيفِ، لأنَّه يُعيدُ القولَ، فيكرِّرُهُ مرَّتينِ. فالتَّثقيلُ هو التَّكريرُ والتَّكثيرُ، كما يُقال: (غلَّقتِ الأبوابَ)، لأبوابٍ كثيرةٍ. ولو كانَ واحداً لقالَ: أغلقتِ البابَ، بالتَّخفيفِ.

ويُقالُ إنَّ المؤذِّنَ هو الذي يُعلِمُ النّاسَ بأمرٍ قد حدثَ عظيمٍ، ويحثُّهم على المبادرةِ إليه. ويُقال: أذَّنَ بالأمرِ، إذا حثَّ عليه، وأعلمَ النّاسَ به، وكرَّرَ القولَ فيه، كما يقولُ أحدُهم: أعجِلوا، أعجِلوا، النَّجاءَ، النَّجاءَ، الوجاءَ، الوجاءَ، وما أشبهَ ذلك. وقالَ عَدِيّ بنُ زيدٍ: [البسيط]

بتلٍّ جَحْوَشَ ما يدعو مؤذِّنُهم لأمرِ دهرٍ ولا يحتثُّ أنفارا[2]

«ما يدعو مؤذِّنُهم لأمرِ دهرٍ» يعني أنَّهم آمنونَ، فلا يحثُّونَ على الاستنفارِ لأمرٍ ينوبُهم من العدوِّ. وأنفار: جمعُ نَفَرٍ. وكأنَّ المؤذِّنَ بالصَّلاةِ يحثُّ النّاسَ على المبادرةِ إلى الصَّلاةِ، ويُعلِمُهم بحدوثِ الوقتِ.

والإقامةُ هي الأذانُ الثاني، إلا أنَّه سُمِّيَ بذلك لأنَّه في الأذانِ يُعلِمُهم بالصَّلاةِ، وفي[3] الأذانِ الثاني يُنهِضُهم ويقيمُهم للاصطفافِ بقوله: قد قامتِ الصَّلاةُ. كأنَّ هذا الفعلَ من المؤذِّنِ يقيمُهم إقامةً. فهو مصدرُ: أقامَهم، يقيمُهم، إقامةً، كما أنَّ الأذانَ مصدرُ: أذَّنَ، يؤذِّنُ، أذاناً.

وفي الأذانِ: «حَيَّ على الصَّلاةِ، حَيَّ على الفَلاحِ». و«حيَّ» هو حثٌّ وتحريضٌ. ويُقال: حيَّ إلى كذا، أي أعجِلْ إليه، ومثله: «حيَّ هل»، أي أسرِعْ وأعجِلْ. قالَ لبيد: [الرمل]

يَتَمارى في الذي قلتُ له ولقد يسمعُ قولي حَيَّ هَلْ[4]

معناه: «حَيَّ هَلْ»، أي أعجِلْ وأسرِعْ. وقالَ ابنُ أحمرَ: [البسيط]

---

(١) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: قد جاء.

(٢) ديوان عدي بن زيد العبادي ص ٥٣.

(٣) سقطت الجملة من هـ.

(٤) غريب الحديث لأبي عبيد ٥/١٠٢، وديوان لبيد ص ١٨٣.

أنشأتُ أسألُهُ عن شأنِ صحبتِهِ فقالَ حيَّ فإنَّ الرَّكبَ قد ذَهَبا[1]

ويُروى: فإنَّ الوقتَ قد نَصَبا.

وقوله: «حيَّ على الفلاحِ»، الفلاحُ: البقاءُ[2]، أي أعجلوا إلى البقاءِ، يعني أنَّ المصلِّينَ يدخلونَ الجنَّةَ، فيبقونَ فيها خالدينَ مخلَّدينَ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿قد أفلحَ المؤمنونَ الذينَ هم في صلاتِهم خاشعونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، يعني أنَّهم يصيرونَ إلى دارِ البقاءِ خالدينَ. وقالَ سعد بن مالك: [مجزوء الكامل]

أفبعدَنا أو بعدَهم ترجو الفلاحَ لغابرِ[3]

وقالَ الأضبطُ بنُ قريع: [المنسرح]

لكلِّ همٍّ من الهمومِ سَعَةْ والمسْيُ والصُّبحُ لا فلاحَ مَعَهْ[4]

أي لا بقاءَ مع المساءِ والصَّباحِ، يعني أنَّ الأيّامَ والليالِيَ لا يبقى عليها أحدٌ.
وقالَ آخرُ[5]: [الطويل]

وإنَّ امرأً يرجو الفَلاحَ وقد رأى سَواماً وحيّاً بالأُفاقةِ جاهِلُ[6]

يرجو الفلاحَ: أي البقاءَ، وهو رأى هذا الحيَّ قد ماتوا وفنوا. وقالَ الأعشى: [الرمل]

ولئن كنّا كقومٍ هلكوا ما لحيٍّ يا لقومي مَن فلحْ[7]

ويُقال أيضاً: الفلاحُ: الرُّشدُ والخيرُ، ومنه قالوا لمن طلبَ الخسارةَ: لا يُفلِحُ، لا يطلبُ الخيرَ والرُّشدَ، وليسَ هذا من أهلِهِ. وقالوا لصاحبِ الخيرِ

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٥/ ١٠٢، شعر عمرو بن أحمر ص ٤٣.
(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٥/ ٤٥.
(٣) تنسب بعض كتب التفسير لطرفة:
أفبعدنا أو بعدهم يُرجى لغابرنا الفلاحِ
وليس في ديوانه. ولكنها قطعة تنسب لكعب بن مالك بن ضبيعة، جد طرفة بن العبد، انظر: أمالي القالي ٣/ ٢٦.
(٤) غريب الحديث لأبي عبيد ٥/ ٤٥، البيان والتبيين ٢/ ٢٣٢، أمالي القالي ١/ ١٠٧، الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٣٧١، زهر الآداب ٥٦٠.
(٥) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: لبيد.
(٦) ديوان لبيد ص ٢٦١.
(٧) ديوان الأعشى ص ٣٨.

والرُّشدِ «مُفلِح»، لأنَّه النّاجي الذي يصيرُ إلى دارِ الفلاحِ. قالَ عَدِيٌّ: [الخفيف]

ثمَّ بعدَ الفلاحِ والمُلْكِ والإمَّـ ـةِ وارتْـهـمُ هـنـاكَ الـقـبـورُ[١]

يعني بالفلاحِ هاهنا الخيرَ، والإمَّة: النِّعمة. وقالَ لبيد: [الرمل]

ولـقـد أفـلـحَ مَـن كـانَ عـقـلْ[٢]

أي صاحبُ خيرٍ ورشدٍ وظفرٍ[٣].

وقالَ أبو عُبَيدة في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿أولئكَ همُ المُفلِحونَ﴾ [البقرة: ٥]: كلُّ مَن أصابَ شيئاً من الخيرِ فهو مفلحٌ. ومصدرُهُ الفلاحُ، وهو البقاءُ، وهو كلُّ خيرٍ[٤]. وأنشدَ للبيد: [الطويل]

نـحـلُّ ديـاراً كـلُّـهـا حُـلَّ قـبـلَـنـا ونرجو الفلاحَ بعد عادٍ وحِمْيَرِ[٥]

والفلاحُ في موضعٍ آخرَ هو السُّحور[٦] أيضاً. والفلّاحُ، بالتَّشديد، هو الأكّارُ، لأنَّه يَفلَحُ الأرضَ، أي يشقُّها ويُصلِحُها ويحرثُها[٧]. ومن ذلكَ قولُهم «إنَّ الحديدَ بالحديدِ يُفلِحُ»[٨]. والفلّاح: المكاري. قالَ ابنُ أحمرَ: [الوافر]

وفـلاحٌ يـسـوقُ بـهـا حـمـارا[٩]

والتَّثويب: إعادةُ القولِ بالشَّهادتينِ في الأذانِ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ. والمثوِّبُ الذي يدعو دعاءً بعدَ دعاءٍ. قالَ الفرزدقُ: [الكامل]

وبـهـنَّ نـدفـعُ كـربَ كـلِّ مـثـوِّبٍ ونـرى لـهـا خُـدداً بـكـلِّ مـجـالِ[١٠]

المثوِّب: الذي يدعو إلى نُصرتِهِ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ، ودعاءً بعد دعاءٍ. وكذلك التَّثويبُ في الأذانِ ترديدُ القولِ مرَّةً بعد مرَّةٍ.

---

(١) ديوان عدي بن زيد العبادي ص ٨٩.
(٢) ديوان لبيد ص ١٧٧، وأوله: اعقلي إن كنتِ لما تعقلي.
(٣) من «يعني بالفلاح» زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.
(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٢٩.
(٥) مجاز القرآن ١/ ٢٩، الفاخر ص ١٦٤. وفي ب: بعد عاد وجرهم. والبيت للبيد في ديوانه ص ٥٧.
(٦) في ب: السجود.
(٧) في م وأخواتها: ويثيرها.
(٨) العين للفراهيدي ٣/ ٢٣٣، وأمثال أبي عبيد ص ٩٦.
(٩) العين للفراهيدي ٣/ ٢٣٤، وشعر ابن أحمر ص ٧٥، وأوله: لها رطل تكيل الزيت فيه.
(١٠) ديوان الفرزدق ٢/ ٣٣٤.

[٢٢٩]

أوقات الصَّلاة

الفجرُ مأخوذٌ من انفجارِ الصُّبحِ، إذا بدا وامتدَّ بالبياضِ. يُقال: انفجرَ الماءُ، إذا بدا وظهرَ، وانفجرَ الجرحُ بالدَّمِ، إذا بدا منه الدَّمُ وامتدَّ. وهما فجرانِ، يُقالُ لأحدِهما «الفجر الكاذب»، وهو الأوَّلُ الذي يبدو مثلَ ذَنَبِ السِّرحانِ[١]. والسِّرحانُ: الذِّئبُ، يُشبَّهُ بذلك لأنَّه ليسَ بصادقِ البياضِ، وهو أرمدُ. وكذلك ذَنَبُ السِّرحانِ، يُشَبَّهُ بذلك لأنَّه يبدو وهو[٢] مستطيلٌ غيرُ منتشرٍ. ويُقالُ: شُبِّهَ بذلك لأنَّه ليسَ بصادقِ البياضِ، وهو أرمدُ، وكذلك ذَنَبُ السِّرحانِ مستطيلٌ أرمدُ[٣]، فشُبِّهَ به. وليس طلوعُ الفجرِ بوقتٍ للصَّلاةِ، ولا يُحرَّمُ عند طلوعِهِ السُّحورُ للصّائمِ، لأنَّ اللَّيلَ يعودُ في الإظلامِ، ثمَّ يطلعُ الفجرُ الصّادقُ. قالَ الكُمَيتُ يذكرُ الفجرَ الأوَّل: [المتقارب]

فلمّا علا سطةَ المضبأينِ ... من ليلِهِ الذَّنَبُ الأشعلُ[٤]
وأطلعَ منه اللِّياحُ الشَّميطُ ... حذواً كما سُلَّتِ الأنصُلُ

المضبآنِ: واحدُهما مضبأ، يعني الموضعَ الذي ضبأ[٥] فيه الثَّورُ والكلابُ. والشَّميطُ: الصُّبح، يعني اختلطَ بياضُ الصُّبحِ بسوادِ اللَّيلِ، وهو لونٌ غيرُ ناصعِ البياضِ، وهو أرمدُ.

وأمّا الفجرُ الثّاني فإنَّه يُسَمّى «الفجر الصّادق»، لأنَّه يلوحُ بالبياضِ، ثمَّ لا يعودُ إلى الظُّلمةِ. قالَ أبو ذؤيب: [الكامل]

شعفَ الكلابُ الضّارياتُ فؤادَهُ ... فإذا يرى الصُّبحَ المصدَّقَ يفزعُ[٦]

يصفُ الثَّورَ الذي يفزعُ من الكلابِ وقتَ طلوعِ الفجرِ الصّادقِ. وسمّاه

---

(١) ابن قتيبة: الأنواء ص ١٤٢. وانظر: غريب الحديث ١/ ١٧٤.
(٢) من «والسرحان» سقط من ب.
(٣) من «يقال» سقط من ب.
(٤) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ١٧٤، والمصون للعسكري ص ٩٤.
(٥) ضبأ معناها اختفى ولجأ واستكن والتصق. انظر: لسان العرب، مادة (ضبأ).
(٦) ابن قتيبة: الأنواء ص ١٤٢، وغريب الحديث ١/ ١٧٥، والمصون للعسكري ص ٩٤.

«المصدَّق»، لأنَّه يصدقُ عن البياضِ، ويكشفُ عن الظُّلمةِ. وبين هذينِ الفجرينِ وقتُ السُّحورِ.

ويُروى عن النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه أنَّه قالَ «كلوا واشربوا ولا يهيدنَّكم الطّالعُ المصعدُ حتّى يعترضَ لكم الأحمرُ»[(١)]. لا يهيدنَّكم: لا يُذعرنَّكم ولا يُقلِقْكم. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿كُلوا واشربوا حتّى يَتَبَيَّنَ لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. قالَ أهلُ التَّفسير: يعني سوادَ اللَّيلِ وبياضَ الصُّبحِ[(٢)]. وقالَ آخرونَ: هما الخيطانِ من هذه الخيوطِ، أحدُهما أسودُ، والآخرُ أبيضُ. وقد بيَّنَ أبو دؤاد في شعرِهِ أنَّه بياضُ الصُّبحِ فقالَ: [المتقارب]

فلمّا أضاءتْ لنا سُدفةٌ ... ولاحَ من الصُّبحِ خيطٌ أنارا[(٣)]

ويُروى عن عَدِيّ بن حاتم أنَّه قالَ: لمّا نزلت ﴿كُلوا واشربوا حتّى يَتَبَيَّنَ لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، عمدتُ إلى عقالَينِ؛ أحدُهما أبيضُ والآخرُ أسودُ، ثمَّ جعلتُ أنظرُ إليهما، ولا يتبيَّنُ الأبيضُ من الأسودِ. فلمّا أصبحتُ غدوتُ إلى رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه، فأخبرتُهُ بالذي صنعتُ، فقالَ: إنَّ وسادَكَ لَعريضٌ، إنَّما ذاك سوادُ اللَّيلِ وبياضُ النَّهارِ[(٤)].

قالَ أبو عُبَيدة: الخيطُ الأبيضُ: الصُّبحُ، والخيطُ الأسودُ: اللَّيلُ، والخيطُ: اللَّونُ[(٥)].

[٢٣٠]
الظُّهر الأولى والزَّوال

الظُّهر مأخوذٌ من الظَّهيرة، والظَّهيرة: شدَّةُ الحرِّ. يُقال: قامَ قائمُ الظَّهيرة، إذا انتصفَ النَّهارُ واشتدَّ الحرُّ عند زوالِ الشَّمس، وهو أوَّلُ وقتِ صلاةِ الظُّهرِ. قالَ

---

(١) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ١٧٥.

(٢) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ١٧٦.

(٣) ابن قتيبة: الأنواء ص ١٤٢، وغريب الحديث ١/ ١٧٥، وهو لأبي دؤاد الإيادي في شعره ص ٣٥٢.

(٤) صحيح البخاري (١٩١٦)، صحيح مسلم ٣/ ١٢٨، معاني القرآن للفراء ١/ ١١٥.

(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٦٨.

اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وحينَ تَضعُونَ ثِيابَكم مِنَ الظَّهيرةِ﴾ [النور: ٥٨]. وقالَ الرّاجز: [الرجز]

ونـفّـرَ الـظَّـهـائـرُ الـجـنـادبـا[١]

ويُقال لها أيضاً «الصَّلاة الأولى». قالوا: وإنما سُمِّيَت بذلكَ لأنَّها أوّلُ صلاةٍ نزلتْ على رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله. وهي أوّلُ صلاةٍ صلّاها. وفي الحديثِ: قالَ أبو برزةَ: كانَ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه[٢] يُصلّي الهجيرَ[٣]، التي يسمُّونَها الأولى حين تدحضُ الشَّمس. والهجيرُ مأخوذٌ من الهاجرةِ، وهي أيضاً شدَّةُ الحرِّ. قالَ الحُطَيئة: [مجزوء الكامل]

وَقَـدتْ بِـهِ الـشِّـعْـرى فـآ لَـفَـتِ الـخـدودَ بـهـا الـهـواجـرْ[٤]

وأمّا الزّوال فإنَّ الشَّمسَ ترتفعُ حتّى تبلغَ خطَّ وسطِ السَّماءِ من خطِّ المشرقِ، ثمَّ تميلُ منحطّةً إلى خطِّ المغربِ، فيُسمّى انحطاطُها «زوالاً»، لأنَّها زالتْ من حالِ الارتفاعِ إلى الانحطاطِ. ويزعمُ بعضُ النّاسِ أنَّ لها في الجوِّ وقفةً، وهو قولٌ غيرُ صحيحٍ، ولكن عليه مذهبُ عامّةِ النّاسِ. ومن أجلِ ذلك قالوا: قامَ قائمُ الظَّهيرةِ، ذهبوا إلى أنَّ الشَّمسَ لها وقفةٌ. وقالوا أيضاً: صامَ النَّهارُ عند انتصافِهِ. وصامَ معناه: قامَ، يعنونَ بذلك وقفةَ الشَّمسِ. وقالَ الشّاعرُ: [الطويل]

[ذَمولٍ] إذا صامَ النَّهارُ وهجّرا[٥]

---

(١) الفائق في غريب الحديث ٤/ ٢١ بلا نسبة. وقد وردت الرواية فيه: ونقّزَ، وشرحها بأنها تنقز من الرمضاء، أي تقفز. ويؤيد هذه الرواية الحديث عن ابن مسعود أنه كان يصلي الظهر والجنادب تنقز من الرمضاء، أي تقفز وتثب من شدة حرارة الأرض. انظر: اللسان، مادة (نقز). وورد بلا نسبة بصيغة أخرى:

ونـقَّـرَ الـظـهـائـرُ الـجـنـادبـا أصـغـرَهـا والأكـبـرَ الـجُـخـادبـا

ونفّر ونقز ونقّز كلها بمعنى حرّك ورقّص. والجخادب: الكبير الضخم.

(٢) من «وهي أول صلاة» زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.

(٣) في ك وهـ: الهجيرة.

(٤) المعاني لابن قتيبة ٢/ ٧٩٠، وديوان الحطيئة ص ١٦٥.

(٥) العقد الفريد ٣/ ٣٩٧، ونسبه للنابغة الجعدي، وهو في ديوانه ص ٧٤:

وعلقمة الجعفي أدرك ركضنا على الخيل إذ صام النهار وهجرا

وفي الكامل للمبرد ٣/ ٦٦، ونظام الغريب للربعي ص ١٨٧ بيت آخر لامرئ القيس: =

وقالَ آخرُ: [البسيط]

معروريًا رَمَضَ الرَّمضاءِ يركضُهُ والشَّمسُ حَيرى لها في الجوِّ تدويمُ[١]

وهذا قريبٌ من قولِ مَن زعمَ من الفلاسفةِ أنَّ بين الحركةِ القسريَّة والحركةِ الطَّبيعيَّة للجرمِ وقفةً في الجوِّ. وهو في وقفةِ الشَّمسِ بيِّنُ الاستحالةِ، لأنَّ الشَّمسَ دائمةُ الجري في فَلَكِها، والفلكُ دائمُ الجري بها، ولا وقفةَ هناكَ، ولكنَّهم قاسوا ذلك بالظلِّ والفيءِ. فالظِّلُّ ما نسختْهُ الشَّمسُ، وهو بالغداةِ، ثمَّ يفيءُ الظِّلُّ، فينسخُ الشَّمسَ، فهو فيءٌ. وقد يُقال له إنَّه ظلٌّ[٢]. هذا قولُ أبي عبيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿ألم تَرَ إلى رَبِّكَ كيفَ مدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]. وقالَ بعضُهم: الظِّلُّ بالغداةِ والعشيّ من أوَّلِ النَّهارِ إلى آخرِهِ. والظِّلُّ معناه السِّترُ، ومنه ظلُّ الجنَّةِ، وظلُّ اللَّيلِ سوادُهُ. قالَ ذو الرُّمّة: [البسيط]

قد أعسفُ النّازحَ المجهولَ عَسفتَهُ في ظلِّ أخضرَ يدعو هامَهُ البومُ[٣]

في ظلٍّ أخضرَ: يعني ليلاً أسودَ.

والفيءُ يكونُ بعد الزَّوالِ، لأنَّه فاءَ من جانبٍ إلى جانبٍ آخرَ، أي رجعَ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿حتّى تفيءَ إلى أمرِ اللّهِ﴾ [الحجرات: ٩]. وقالَ حميد: [الطويل]

فلا الظِّلُّ منها بالضُّحى تستطيعُهُ ولا الفيءَ منها بالعشيِّ تذوقُ[٤]

فالظِّلُّ من وقتِ طلوعِ الشَّمسِ إلى وقتِ الزَّوالِ يتنقصُ، فإذا زالتِ الشَّمسُ عن خطِّ وسطِ السَّماءِ، أخذَ الظِّلُّ في الزِّيادةِ إلى وقتِ غروبِها. فرأوا للظِّلِّ بينَ الزِّيادةِ والنُّقصانِ تدويمًا قليلاً، فحكموا بوقفةِ الشَّمسِ. وهو خطأٌ، لأنَّ الشَّمسَ دائمةُ الجري، والفلكُ يتحرَّكُ بها حركةً شديدةً مستديرةً. فهي وإن كانتْ عندَنا في وقتٍ هابطةً، وفي وقتٍ صاعدةً، فهي في ذاتِها على حالٍ واحدةٍ، لا صعودَ

= فدع ذا وسلِّ الهمَّ عنك بجسرةٍ ذمولٍ إذا صام النهار وهجرا

ينظر: ديوان امرئ القيس بشرح السكري ص ٤١٧. وذمول: زيادة منا لم ترد في الأصول.

(١) ديوان ذي الرمة ص ٥٧٨. وفي الديوان: رمض الرضراض.

(٢) ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٧٥، ومعجم البلدان لياقوت ١/ ٤١.

(٣) ديوان ذي الرمة ص ٥٧٤، برواية أخرى.

(٤) الفصيح لثعلب ص ٣١٩، ومعجم البلدان ١/ ٤١، وديوان حميد بن ثور ص ١٨٠.

هناكَ، ولا هبوطَ، لأنَّها في كلِّ ساعةٍ في بقعةٍ من بقاعِ الأرضِ في الجوِّ. وربَّما كانتْ في إقليمٍ طالعةً، وفي إقليمٍ غاربةً، وفي إقليمٍ آخرَ في وسطِ السَّماء. وهي لا تغيبُ عن قومٍ إلّا وهي طالعةٌ على قومٍ، وهي عندَنا في وسطِ السَّماءِ[1]. فإذاً يجبُ أن تكونَ واقفةً في كلِّ وقتٍ. ولو كانَ الأمرُ على هذا لما جرى بها الفَلَكُ، وما تحرَّكت. وهذا محالٌ بيِّنٌ. والقرآنُ يدلُّ على أنَّها جاريةٌ، لا وقفةَ لها. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿والشَّمسُ تجري لمستقرٍّ لها ذلك تقديرُ العزيزِ العليمِ﴾ [يس: ٣٨]. وفي قراءةٍ أخرى (تجري لا مستقرَّ لها)[2]. وقالَ بعضُ الملحدينَ[3] ممّن يدَّعي النَّقصَ في القرآنِ: ما بالها تُقرَأُ في وجهٍ (لمستقرٍّ لها)، وفي وجهٍ (لا مستقرَّ لها)[4]. وزعمَ أنَّ هذا تناقضٌ. وليسَ كما قالَ، والحمدُ للّهِ.

وسمعتُ بعضَ العلماءِ يقولُ في هذا المعنى: هي تجري اليومَ (لا مستقرَّ لها)، دائمةُ الجريِ، (لمستقرٍّ لها) عندَ انقضاءِ أمرِ الدُّنيا، ثمَّ تُكوَّرُ، ويبطلُ جريُها، فتكونُ قد استقرَّتْ. والقراءتانِ جميعاً تدلّانِ على ما قلنا، لأنَّه لا وقفةَ لها في الجوِّ على ما بيَّنّا من جهةِ المعقولِ وعند أهلِ المعرفةِ بشأنِ الفلكِ والحسابِ. فقولُ القائلِ: [البسيط]

والشَّمسُ حيرى لها في الجوِّ تدويمُ[5]

حيرى يعني متحيِّرة، كما أنَّ الكواكبَ المتحيِّرة لها تدويمٌ عند رجوعِها واستقامتِها. فأمّا الشَّمسُ فلا رجوعَ لها، وكذلك لا وقفةَ لها، ولا تحيُّر.

---

(١) من «وهي لا تغيب» زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.
(٢) ذكر القراءتين ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ٢٤٣.
(٣) إذا وضعنا نصب أعيننا الإشارة السابقة إلى التمييز بين الحركة القسرية والحركة الطبيعية، وتسمية المؤلف هنا خصمه بالملحد، فإن من المحتمل أن تكون هذه الإشارة إلى أبي بكر محمَّد بن زكريا الرازي، الذي حافظ المؤلف على تسميته بـ«الملحد» في كتابه «أعلام النبوة»، ودخل معه في حوار حول التمييز بين هذين النوعين من الحركة، فأضاف إليهما أبو بكر الرازي، على سبيل السخرية بمحاوره، نوعاً آخر من الحركة، سماه «الحركة الفلتية». انظر: أعلام النبوة ص ٣٥. وقد سبقت الإشارة في المقدمة إلى أن المناظرات بين الرازيين ربما حصلت في وقت مبكر في بغداد، قبل كتابة «أعلام النبوة» بفترة طويلة.
(٤) من «وقال بعض الملحدين»: زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.
(٥) ابن قتيبة: الأنواء ص ١٣٨. وقد سبق أن الشطر لذي الرمة.

والزَّوالُ أيضاً معناه: التَّفرُّقُ والتَّفتُّح من الريِّ[١]. قالَ علقمةُ: [البسيط]

تسقي مذانبَ قد زالتْ عَصِيفتُها حدورُها من أتيِّ الماءِ مطمومُ[٢]

فالزَّوالُ في الشَّمسِ على ما بيَّنّا، ووقتُ الزَّوالِ للصَّلاةِ، وهو إذا اعتدلَ اللَّيلُ مع النَّهارِ بعد مضيِّ ستِّ ساعاتٍ في السّاعةِ السّابعةِ عندَ ابتدائِها.

[٢٣١]

العصر

العصرُ من الأوقاتِ هو آخرُ النَّهارِ، إذا همَّتِ الشَّمسُ بالاصفرارِ، ودَنَتْ للغروبِ، وقَرُبَ المساءُ. قالَ الحارثُ بن حلزةَ: [الخفيف]

آنستْ نبأةً وأفزعَها القنَّـ ـاصُ عَصْراً وقد دنا الإمساءُ[٣]

فقيلَ لها: «صلاة العصر»، لأنَّها تُصَلَّى في آخرِ النَّهارِ، وهو العصرُ. ويُقال للغداةِ والعشيِّ «العصرانِ». وفي الحديثِ عن فضالةَ الزّهريِّ أنَّ رسولَ اللّه صلّى اللّهُ عليه وآله قالَ له: حافظْ على العصرينِ. قالَ فضالة: ولم يكنْ ذلك من لغتِنا، فقلتُ: يا رسولَ اللّهِ، وما العصرانِ؟ فقال: صلاةٌ قبلَ طلوعِ الشَّمس، وصلاةٌ قبل غروبِها[٤]. وإنَّما قيلَ لهما «عصرانِ» لأنَّه يُثَنَّى[٥] بأعرفِ الاسمينِ، كما قالوا «الأَبَوانِ» و«العُمَرانِ». والأعرفُ بالعصرِ هي الصَّلاةُ في آخرِ النَّهارِ.

وفي بعضِ القراءاتِ: ﴿حافظوا على الصَّلواتِ والصَّلاةِ الوسطى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فالصَّلاة الوسطى: صلاةُ العصرِ، ﴿وقوموا للّهِ قانتينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، قالَ بعضُ أهلِ التَّفسيرِ في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿والصَّلاة الوسطى﴾ هي العصرُ[٦]. وفي

---

(١) هكذا في الأصول، وفي ج: من الرأي. وفي ب: من الرمي. ولم أهتدِ إلى معناها. ولعل الصحيح: التنحي عن الرمي. والزوائل: جمع زائلة، كل شيء من الحيوان يزول عن مكانه ولا يستقر. والزوائل: الصيد. انظر اللسان، مادة (زول).

(٢) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ١/ ١٥١، وديوان علقمة الفحل ص ٦١.

(٣) ديوان الحارث بن حلزة ص ٣٩.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٧٩، وغريب الحديث لابن قتيبة ١/ ١٧٩، وغريب الحديث للخطابي ١/ ١٨٦.

(٥) في الأصول: يثني، وفي ك: يشيء.

(٦) تفسير الطبري ٢/ ٦٦٤.

حديثِ النَّبيِّ عليه السَّلام يومَ الأحزابِ، [وقد][1] شغلَهُ المشركونَ عن صلاةِ العصرِ، فقالَ: «شَغَلونا عن الصَّلاةِ الوسطى، ملأَ اللّهُ بيوتَهم وقبورَهم[2] ناراً»[3].

وكانَ عطاء يرى [أنَّ] الصَّلاةَ الوسطى صلاةُ الفجرِ. ويُروى عن زيد بن ثابت، قالَ: هي الظُّهرُ.

قالَ أهلُ اللُّغة: الهاجرةُ هو وقتُ الزَّوالِ، ثمَّ بعدَ ذلك الإبرادُ. وفي الحديثِ: «أبرِدوا بالصَّلاةِ، فإنَّ شِدَّةَ الحرِّ من فَيحِ جَهَنَّمَ»[4]، أي صلُّوها وقتَ الإبرادِ. ثمَّ الأصيلُ بعد ذلك، ثمَّ بعد ذلك العصرُ، ثمَّ بعد ذلك القصرُ إلى أن تطفلَ الشَّمسُ، ثمَّ الطُّفول، والتَّطفيلُ إذا طفلتِ[5] الشَّمسُ للمغيبِ، والجنوحُ إذا جنحتِ الشَّمسُ للمغيبِ.

وقالَ أبو عُبَيدة في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿بالغدوِّ والآصالِ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، قالَ: واحدُها أُصُل، وهو جمعُ الأصيلِ، وهو ما بينَ العصرِ إلى المغربِ[6]. قالَ أبو ذؤيب: [الطويل]

لَعَمري لأنتَ البيتُ أُكرِمُ أهلَهُ وأقعدُ في أفيائِهِ بالأصائلِ[7]

وقالَ في قولِهِ تعالى ﴿بُكرةً وأصيلاً﴾ [الفرقان: ٥، الأحزاب: ٤٢] قال: هو ما بينَ العصرِ إلى اللَّيلِ[8]. ورُوِيَ عن أبي قلابة وسعيد بن جبير قالا: سُمِّيَت العصرُ لكي تعصرَ[9]. ذهبا في ذلك إلى تأخيرِها.

والعصرُ في وجهٍ آخرَ هو الدَّهرُ. يُقال: كانَ[10] ذلك في عصرِ كذا، وكانَ

---

(١) زيادة منا لم ترد في الأصول.
(٢) هكذا في ب، وفي هـ: وقلوبهم.
(٣) صحيح البخاري (٢٩٣١)، صحيح مسلم ٢/ ١١١، تفسير الطبري ٢/ ٦٦٨ وما بعدها.
(٤) صحيح البخاري (٣٢٥٩)، صحيح مسلم ٢/ ١٠٧.
(٥) في ب وك: إذا طلعت.
(٦) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٢٣٩.
(٧) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٢٣٩، وديوان الهذليين ١/ ١٤١.
(٨) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ١٣٨.
(٩) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ١٨١.
(١٠) سقطت من هـ.

ذلك في الأعصارِ الخاليةِ، يعني في الدُّهورِ الخاليةِ. ويُقال للدَّهر: العَصْر والعُصُر أيضاً. قالَ أمرؤُ القيسِ: [الطويل]

ألا انعمْ صباحاً أيُّها الطَّلَلُ البالي وهل ينعمنْ مَن كانَ في العُصُرِ الخالي[1]

وقالَ أبو عُبَيدَةَ في قولِهِ تعالى ﴿وفيه يعصرونَ﴾ [يوسف: ٤٩]، أي ينجونَ. وهو العصرُ أيضاً، وهو المنجاة[2]. وأنشدَ لأبي زبيد: [الخفيف]

ولقد كان عُصْرةَ المنجودِ[3]

أي المقهورُ والمغلوبُ. وقالَ لبيد: [الطويل]

فباتَ وأسرى القومُ آخرَ ليلِهم وما كانَ وقّافاً بغيرِ مُعَصَّرِ[4]

ويُقال: عصرتُ الشَّيءَ: حبستُهُ ومنعتُهُ.

وفي حديثِ الشَّعبيِّ «يعصِرُ الوالدُ على ولدِهِ في مالِهِ». ومعناه: له أن يمنعَهُ عنه ويحبسَهُ. وكلُّ شيءٍ حبستَهُ ومنعتَهُ فقد عصرتَهُ. قالَ طرفةُ: [السريع]

لو كانَ في أملاكِنا مَلِكٌ يعصرُ فينا كالذي تَعصِرْ[5]

ويُقال: عصرتُ الشَّيءَ عصرةً. قالَ ابنُ أحمرَ: [السريع]

وإنَّما العيشُ بربّانِهِ وأنتَ من أفنانِهِ مُعتصِرْ[6]

ويروى: مقتفِرْ: الشَّيء تأخذُ منه[7].

[٢٣٢]

العشاءان
وهما المغرب والعَتَمة

يُقال للصَّلاةِ بعدَ غروبِ الشَّمسِ «صلاة المغرب»، لأنَّها تُقامُ بعد غروبِ

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٢٧.
(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣١٣.
(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣١٣، وفي إصلاح المنطق لابن السكيت ص ٤٨ لأبي زبيد الطائي، وأوله: صادياً يستغيثُ غير مغاثٍ. وجمهرة أشعار العرب ص ١٣٨.
(٤) ديوان لبيد ص ٤٩.
(٥) ديوان طرفة بن العبد ص ١٥٤.
(٦) إصلاح المنطق ص ٤٠٧، والقافية فيه: مقتفر.
(٧) زيادة من م وأخواتها وهـ.

الشَّمسِ. ويُقال لها أيضاً «صلاة العِشاء الأولى»، والتي بعدَها «العِشاءُ الآخرة».
والعِشاءُ، بكسر العين ممدودٌ، هو اسمٌ للوقتِ. والعَشاء، بالفتحِ والمدِّ، هو اسمٌ للطَّعامِ الذي يُؤكَلُ في ذلك الوقتِ. وأصلُهُ من العشوةِ، وهي الظُّلمةُ، وذلك أنَّ الظُّلمةَ تبدو في ذلك الوقتِ[1]. ويُقال: ترْكُ العَشاءِ مَهْرَمةٌ. يعني تركَ الأكلِ في ذلك الوقتِ. ومنه قيلَ للذي لا يُبصِرُ في اللَّيلِ «أعشى»، وامرأةٌ «عشواءُ»، وفي عينه «عشوةٌ»، أي ظلمةٌ. ويُقال: في عينيه «عَشى»، بفتحِ العينِ مقصورة. ويُقال: أوطأَهُ العشوة[2]. والعامَّةُ تقول: أعطاه العشوةَ. وهو خطأٌ. إنَّما هو «أوطأه»، إذا حملَهُ على أمرٍ مظلمٍ ملتبسٍ عليه، ثمَّ ينكشفُ بعد ذلك عن خلافِ ما قدَّرَهُ، ورأى في عواقبِهِ ما يكرهُ، بمنزلةِ الأعشى، الذي يَطَأُ كلَّ ما مرَّ به، فربَّما وطأ الهوامَّ فلسعتْه، أو الشَّوكةَ فشاكتْه. قالَ زُهَير: [الطويل]

رأيتُ المنايا خبطَ عشواءَ من تُصِبْ   تُمِتْهُ ومن تُخطئْ يُعمَّرْ فيهرمِ[3]

خبط عشواء، يعني تطأُ الشّابَّ والشَّيخَ والطِّفلَ والهرِمَ، بمنزلةِ النّاقةِ العشواءِ التي تخبطُ بقوائمِها كلَّ شيءٍ، لا تَتوقَّى منه، لأنَّها لا تُبصِرُهُ.

وفي خطبةٍ لأميرِ المؤمنينَ عليٍّ عليه السَّلام في صفةِ مَن يدَّعي العلمَ وهو جاهلٌ: خبّاطُ عَشَواتٍ، ركّابُ جهالاتٍ[4]. يعني أنَّه يركبُ رأيَهُ، ويتَّبعُ هواه، فيُفتي بالجهلِ، فهو ربَّما أحلَّ الحرامَ، وحرَّمَ الحلالَ، وهو لا يدري ولا يعرفُ الحلالَ من الحرامِ. فهو بمنزلةِ مَن يخبطُ كلَّ شيءٍ، وهو أعشى لا يُبصِرُ. فمن أجلِ ذلك سَمّاه «خبّاطَ عَشَواتٍ».

ويُقال للعِشاءِ الآخرةِ «العَتَمة». ومعنى العَتَمةِ: الإبطاءُ، كأنَّ العِشاءَ الأوّلَ عجَّلَ بها، والعِشاءَ الآخرَ أبطأَ بها. والعاتمُ: المبطئُ[5]. والمعتمُ أيضاً. قالَ الفرزدقُ: [الطويل]

---

(١) سقطت الجملة من هـ.
(٢) إصلاح المنطق ص ١٧٤.
(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب ص ٣٤.
(٤) الخطبة في غريب الحديث لابن قتيبة ٢/ ١٢٠، والفائق ٢/ ١٥، وشرح نهج البلاغة ١/ ٩٠.
(٥) إصلاح المنطق ص ٣١١.

كفعلِ كُلَيبٍ إذ حللت بجارِهم ونصرُ اللَّئيمِ مُعتِمٌ وهو حاضرُ(١)

ويُقال: قد عتمَ قراه، أي أبطأ. وأعتمَ أيضاً، إذا أخَّرَهُ(٢). قالَ الشّاعرُ: [الطويل]

فلمّا رأينا أنَّه عاتِمُ القِرى بخيلٌ ذكرنا ليلةَ الهضبِ كَرْدما(٣)

فهذا من باب «فعلَ»، وقولُ الفرزدقِ من باب «أفعلَ».

ويُقال: ضربَهُ فما أعتمَ، أي ما احتبسَ في ضربِهِ، وقعدَ فلانٌ قدرَ عتمِهِ الإبلَ، أي قدرَ احتباسِها في عَشائِها. وكرهَ قومٌ أن يقولوا «العَتَمة»، وقالوا: أوَّلُ مَن سمّاها العتمةَ الشَّيطانُ. ويُروى عن النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه أنَّه قالَ: «لا يغلبنَّكمُ الأعرابُ على اسمِ صلاتِكم، فإنَّ اسمَها العِشاءُ. وإنما يُعتَمُ بحلابِ الإبلِ»(٤). وقولُهُ «يُعتمُ بحلابِ الإبلِ» هو من عتمةِ اللَّيلِ. قالَ قومٌ: عتمتُهُ ظلامُهُ(٥). ويُقال: عَتَمَ اللَّيلُ، يعتِمُ، وأعتموا: إذا دخلوا في ظلمةِ اللَّيلِ، مثل «أشملوا» و«أجنبوا»، إذا دخلوا في الشَّمالِ والجنوبِ. وكانوا يحتلبونَ الإبلَ بليلٍ، ويُسقى اللَّبَنُ الحيُّ(٦)، ويسمُّونَ تلك الحَلْبَةَ «العتمة». وإنَّما سُمِّيَت «عَتَمَةً» باسم عَتَمَة اللَّيلِ، وهو ظلامُهُ(٧). والاسمُ هو لحلابِ الإبلِ، لا للصَّلاةِ(٨). قالَ ابنُ قُتَيبة عن السِّجستانيِّ عن الأصمعيِّ(٩): تقولُ العَرَبُ للهلالِ إذا كانَ ابنَ ليلةٍ: عتمة سُخَيلة حلَّ أهلُها بِرُمَيلة، وابنَ ليلتين: حديثُ أَمَتينِ، بكذبٍ ومَين، وابنَ ثلاث: حديث

---

(١) ديوان الفرزدق ١/ ٥١٥، برواية أخرى:

كفعل كليب يوم يدعو ابنُ أخضر وقد نشبت فيه الرماح الشواجرُ
وهم حضروه غائبين بنصرهم ونصر اللئيم غائب وهو حاضرُ

(٢) إصلاح المنطق ص ٣١١.

(٣) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤٤٣، لسان العرب ١٢/ ٦٤، مادة (كردم)، بلا نسبة، وكردم: اسم رجل.

(٤) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤٤٢.

(٥) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤٤٣.

(٦) زيادة من م وأخواتها وهـ، وغريب الحديث.

(٧) إصلاح المنطق ص ٣١١.

(٨) زيادة من م وأخواتها وهـ. والنص من غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤٤٣.

(٩) في غريب الحديث: عن أبي زيد الأنصاري، وليس عن الأصمعي.

فتيات غير جدٍّ مؤتلفات، وابنَ أربع: عتمة رُبَع، [غير جائع ولا مرضع]، وابنَ خمس: عشاء خلفات قعس[(١)].

ويُقال في غيرِ هذا المعنى أيضاً: اعتامَ: أي اختارَ، واعتامَ من مالِهِ: أخذَ خيارَهُ. وفي حديثِ عُمَر أنَّه كتبَ إلى عاملِ الصَّدَقة: «إذا وقفَ الرَّجُلُ عليكَ غَنَمَهُ، فلا تعتمْ من مالِهِ، ولا تأخذْ من أدناها، وخذِ الصَّدَقةَ من أوسطِها»[(٢)]. وفي حديثٍ آخرَ في صدقةِ الغنمِ «يعتامُها صاحبُها شاةً شاةً، حتّى يعزلَ ثُلثَها»[(٣)]. أي يختارُها. يُقال: يعتامُ، ويعتمي، وهو من المقلوبِ. وعتمةُ المالِ: خيارُهُ. قالَ طرفةُ: [الطويل]

أرى الموتَ يعتامُ الكرامَ ويصطفي عقيلةَ مالِ الفاحشِ المتشدِّدِ[(٤)]

[٢٣٣]

الصَّلاة

الصَّلاةُ في كلامِ العربِ: الدُّعاءُ، والصَّلاةُ: الرَّحمةُ، والصَّلاةُ: الاستغفارُ. ولذلكَ وجوهٌ نذكرُها إن شاءَ اللّهُ. أمّا الدُّعاءُ فقولُ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿إنَّ صلاتَكَ سَكَنٌ لهُم﴾ [التوبة: ١٠٣]. قالَ بعضُ المفسِّرينَ معناها: ادعُ لهم[(٥)]. ومنه الصَّلاةُ على الجنائزِ، وهي الدُّعاءُ للميِّتِ. قالَ الأعشى: [المتقارب]

وقابلَها الرِّيحُ في دَنِّها وصَلَّى على دَنِّها وارتسمْ[(٦)]

أي دعا على دنِّها.

---

(١) غريب الحديث لابن قتيبة ١/٤٤٣، وقد سقطت كلمة (قعس) من المطبوع، مع أن ابن قتيبة شرحها. وانظر كتاب الأنواء لابن قتيبة ص ١٣١، حيث يسترسل في ذكر أسجاع أخرى للعرب حول مواقيت القمر. وكذلك: المروج وأمالي المرتضى والتذكرة الحمدونية ٧/ ٣٥٤، واللسان.

(٢) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٤٠.

(٣) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٤٠.

(٤) ديوان طرفة بن العبد ص ٣١.

(٥) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ١٦٧، وتأويل مشكل القرآن ص ٣٥٥.

(٦) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٥٥، وديوان الأعشى ص ١٩٦.

قالَ أبو عُبَيدةَ في قوله عزَّ وجلَّ ﴿إنَّ صلاتَكَ سَكَنٌ لهُم﴾، أي دعاؤُكَ تثبيتٌ لهم وسكونٌ [ورجاءٌ][١].

والصَّلاةُ في كلامِهم: الدُّعاءُ والاستغفارُ، ومنه الحديثُ «إذا دُعِيَ أحدُكم إلى طعامٍ، فليُجِبْ، فإن كانَ مُفطِراً فليطعمْ، وإن كانَ صائماً فليصلِّ»[٢]. معناه: فليدعُ لهم بالبركةِ والخيرِ. وأنشدَ للأعشى: [البسيط]

تقولُ بنتي وقد قرَّبتُ مرتحلاً   يا ربِّ جَنِّبْ أبي الأوصابَ والوَجَعا[٣]
عليكِ مثلُ الذي صلَّيتِ فاغْتَمِضي   نوماً فإنَّ لجنبِ المرءِ مُضطَجَعا

قوله «عليكِ مثلُ الذي صلَّيتِ»: إذا نصبتَ (مثلَ) معناه الإغراءُ، أي عليكِ مثلَ هذا الدُّعاءِ، فادعيه. وإذا رفعتَ (مثلُ) معناه: عليكِ مثلُ الذي دعوتِ لي، وفعلَ اللّهُ بكِ مثلَ ذلكَ. وقالَ الأعشى أيضاً في صفةِ الخمرِ: [الطويل]

لها حارسٌ لا يبرَحُ الدَّهرَ بيتَها   وإن ذُبِحتْ صَلَّى عليها وزَمْزَما[٤]

صَلَّى عليها: دعا لها.

وفي الحديثِ: «إذا أُكِلَ عندَ الصّائم صلَّتْ عليه الملائكةُ حتى يُصبِحَ ويمسيَ»[٥]. وفي حديثٍ آخرَ: «مَن صَلَّى على النَّبيِّ، صلّى اللّهُ عليه، صلاةً مرَّةً، صلَّتْ عليه الملائكةُ عشراً».

والصَّلاة: الرَّحمة. وفي حديثِ المعراجِ أنَّ النَّبيَّ صلّى اللّهُ عليه وآله قالَ: «لمّا أُسرِيَ بي فبلغتُ السَّماءَ السّابعةَ، فقالَ لي جبرائيلُ عليه السَّلام: رُوَيدَكَ يا محمَّد، إنَّ ربَّكَ يصلِّي. قلتُ: وما صلاتُهُ؟ قال: سُبُّوح، قُدُّوس، ربُّ الملائكةِ والرُّوحِ، سبقتْ رحمتي غَضَبي».

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/٢٦٨، والزيادة بين المعقوفين منه.
(٢) صحيح مسلم ٤/١٥٣.
(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/٦٢، وديوان الأعشى ص ١٠٥.
(٤) ديوان الأعشى ص ١٨٦.
(٥) هكذا في م، وفي ك: حتى يصبح يمسي، وفي بعض النسخ: حتى يصبح، وفي بعضها: حتى يمسي. ولدى الترمذي (٧٨٥): إن الصائم تصلي عليه الملائكة إذا أُكِلَ عنده حتى يفرغوا، أو حتى يشبعوا.

وقالَ كُثَيِّر في معنى الرَّحمةِ: [البسيط]

صَلَّى على عَزَّةَ الرَّحمنُ وابنتِها ليلى وصَلَّى على جاراتِها الأُخَرِ[١]

والصَّلاةُ هاهنا بمعنى الرَّحمةِ. وقالَ ابنُ أحمرَ: [البسيط]

صَلَّى الإلهُ على النُّعمانِ والرُّسُلُ[٢]

وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وآله أنَّ عبدَ اللّهِ بن أبي أوفى أتاه بصدقةِ مالِهِ، فقالَ: اللهمَّ صلِّ على آلِ أبي أوفى[٣]. معناه: اللهمَّ باركْ عليهم. قالَ أبو عُبَيدةَ في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿هُوَ الذي يُصَلِّي عليكم وملائكتُهُ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، أي يُباركُ عليكم[٤]. وقالَ في قولِهِ تعالى ﴿أولئكَ عليهم صَلَواتٌ من ربِّهم ورحمةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، قالَ: ترحُّمٌ من ربِّهم[٥]. وقد صَلَّى الله عزَّ وجلَّ على محمَّد عليه السَّلام، وصلَّت عليه الملائكةُ، وأمرَ المؤمنينَ أن يصلُّوا عليه، فقالَ عزَّ وجلَّ ﴿إنَّ اللّهَ وملائكتَهُ يُصلُّونَ على النَّبيِّ يا أيُّها الذينَ آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تَسليماً﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وقد صَلَّى عزَّ وجلَّ على المؤمنينَ، وصلَّت عليهم الملائكةُ، وأمرَ رسولَهُ صلّى اللّهُ عليه أن يُصَلِّيَ على المؤمنينَ، فقالَ عزَّ وجلَّ ﴿هو الذي يُصَلِّي عليكم وملائكتُهُ ليُخرجَكم من الظُّلُماتِ إلى النُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]. وقالَ لرسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه ﴿وصلِّ عَلَيهم إنَّ صلاتَكَ سَكَنٌ لهُم﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقالَ أهلُ التَّفسير: الصَّلاةُ من اللّهِ رحمةٌ، ومن الملائكةِ استغفارٌ، ومن المؤمنينَ دعاءٌ. وقد نهى اللّهُ عزَّ وجلَّ رسولَهُ عليه السَّلام أن يُصَلِّيَ على المنافقينَ، ودلَّ أنَّ الصَّلاةَ منه عليهم هي الاستغفارُ والدُّعاءُ لهم، وقال ﴿ولا تُصَلِّ على أَحَدٍ منهم ماتَ أبداً ولا تَقُمْ على قبرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤]. وقالَ عزَّ وجلَّ

---

(١) المقتضب للمبرد ٣/ ٢٤٤ بلا نسبة، ولم يرد في شعر كثير. وهو في ديوان الراعي النميري ص ١٢٢: صلى على عزة الرحمن، وفي ديوان القتال الكلابي ص ٥٣: صلى على عمرة الرحمن.

(٢) لم يرد في شعر عمرو بن الأحمر، وإن كان واضحاً أنه من قصيدته اللامية في مدح النعمان بن بشير، ص ١٣٣.

(٣) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٥٥.

(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ١٣٨.

(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٦١.

في آيةٍ أخرى ﴿سواءٌ عليهم استغفرتَ لهم أم لم تستغفرْ لهم لن يغفرَ اللّهُ لهم﴾ [المنافقون: ٦]، وقالَ ﴿إن تستغفرْ لهم سبعينَ مرَّةً فلن يغفرَ اللّهُ لهم﴾ [التوبة: ٨٠].

وفي الحديثِ أنَّ النَّبيَّ صلّى اللّهُ عليه وآله قالَ «على كلِّ ميسمٍ من الإنسانِ صلاةٌ». وقالَ له رجلٌ: ما أشدَّ ما أتيتَنا به يا رسولَ اللّهِ، فقال: إنَّ اللّهَ أمرَكَ بالمعروفِ، فإنَّ أمرَكَ بالمعروفِ صلاةٌ، ونهيَكَ عن المنكرِ صلاةٌ، وكلُّ خطوةٍ لكَ إلى الصَّلاةِ صلاةٌ. وفي حديثٍ آخرَ: كلُّ عملِ المؤمنِ صلاةٌ حتّى إماطة الأذى عن الطَّريقِ صلاةٌ.

فالصَّلاةُ قد جاءتْ فيها هذه الوجوهُ والمعاني، وقد فسَّرها المفسِّرونَ على معنى الدُّعاءِ والاستغفارِ والرَّحمةِ والبركةِ[1]. وقد افترضَ اللّهُ عزَّ وجلَّ علينا أن نُصلِّيَ على محمَّدٍ وآلِ محمَّدٍ في كلِّ صلاةٍ نُصلِّيها، وعند كلِّ دعاءٍ.

قالَ أبو حاتم أحمدُ بن حمدانَ[2]: وفي الصَّلاة معنىً لطيفٌ غيرُ ما فسَّرَهُ المفسِّرونَ من هذه المعاني، لأنَّه تباركَ وتعالى قد صلَّى على محمَّدٍ، وقد أمرَنا أن نقولَ في الدُّعاءِ: اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ، وباركْ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ، وارحمْ محمَّداً وآلَ محمَّدٍ، كما صلَّيتَ وباركتَ وترحَّمتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ. فلو لم يكنْ فيها معنى غيرُ الرَّحمةِ والبركةِ والدُّعاء، لما ذكرَ معها الرَّحمةَ والبركةَ. وقد علمنا أنَّه عزَّ وجلَّ قد رحمَ محمَّداً، وباركَ عليه، أفضلَ ممّا رحمَ إبراهيمَ وباركَ عليه. وقد خصَّ إبراهيمَ من بينِ الأنبياءِ عليهم السَّلام بهذا الذِّكرِ. وفي وجهٍ آخرَ أنَّه يُكرَهُ هذا الدُّعاءُ إلّا لمحمَّدٍ عليه السَّلام وآلِ محمَّدٍ. إذا ذُكِرَ محمَّدٌ وآلُ محمَّدٍ قيلَ: صلّى اللّهُ عليه وآله، وإذا ذُكِرَ غيرُ محمَّدٍ صلّى اللّهُ عليه وآله لا يُقال: صلّى اللّهُ عليه، ويُقال: رحمَهُ اللّهُ وغفرَ له. ويُكرَهُ أيضاً[3]، إذا ذُكِرَ محمَّدٌ أن يُقالَ: رحمَهُ اللّه وغفرَ له. فقد دلَّ ذلك أنَّ في الصَّلاةِ هاهنا معنىً لطيفاً لا يعلمُهُ إلّا من وفَّقَهُ اللّهُ تعالى من الرّاسخينَ في العلمِ.

---

(١) زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.
(٢) زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.
(٣) زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.

وفي الصَّلاة معنىً آخرُ من جهةِ اللُّغةِ[1]، لكونِ[2] الصَّلاةِ من «التَّصلية». يُقال: صَلَيتَ العودَ، إذا ليَّنتَهُ بالنّارِ، وهو أن تُدنيَ العودَ اليابسَ من النّارِ، فإذا أصابَهُ حَرُّ النّارِ، جرى فيه الماءُ ولانَ، فَسَهُلَ تقويمُهُ وتسوِيَتُهُ من الاعوجاجِ. قالَ الشّاعرُ: [الوافر]

فلا تعجلْ بأمرٍ واستدمْه   فما صَلَّى عصاكَ كمستديمِ[3]

صلَّى: أي أدناها من النّارِ برفقٍ وتأنٍّ، حتّى تلينَ، ثمَّ يتقوَّمُ درأُها واعوجاجُها بذلك اللِّينِ. وقالَ آخرُ: [الطويل]

ولكنَّما صلّوا عصا خيزرانةٍ   إذا مسَّها غضُّ الثِّقافِ تلينُ[4]

قالَ بعضُ أهلِ المعرفةِ: فالصَّلاة التي يُصلِّيها العبدُ مأخوذةٌ من هذا، لأنَّ العبدَ إذا قامَ بينَ يَدَي اللّهِ عزَّ وجلَّ أصابَهُ من معروفِهِ ورحمتِهِ وخشيتِهِ، فيلينُ ويستقيمُ اعوجاجُهُ، ويخشعُ ويتواضعُ للّهِ عزَّ وجلَّ.

ويُقال: صَلى، يَصلَى، تَصْلِيَةً. وفي وجهٍ آخرَ، قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وَنُصلِهِ جهنَّمَ﴾ [النساء: ١١٥]. وقالَ عزَّ وجلَّ ﴿ويَصْلَى سَعِيراً﴾ [الانشقاق: ١٢]. وقالَ عزَّ وجلَّ ﴿سَيَصْلَى ناراً ذاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣]. فهذا هو الدُّنوُّ من النّارِ، إذا أصابَهُ حرُّها ولهبُها وحريقُها ما يتعذَّبُ به، ويشقى.

ويُقال في معنىً آخرَ: فرسٌ سابقٌ، وفرس مُصَلٍّ. فالسّابقُ: المتقدِّمُ، والمُصَلِّي: الذي يجيءُ في إثرِ السّابقِ. قالَ: وإنَّما قيلَ له «مُصَلِّي» لأنَّه يجيءُ ورأسُهُ عندَ صَلَوي السّابقِ. والصَّلَوانِ: العَظْمانِ عن يمينِ الذَّنَبِ وشمالِهِ[5].

---

(١) هكذا في م وأخواتها وهـ، وفي ب: من جهة العربية.

(٢) في الأصول: تكون.

(٣) المعاني لابن قتيبة ص ١٠٩٨، ونسبه لقيس بن زهير، وهو له في النقائض لأبي عبيدة ١/ ٩٧.

(٤) استشهد الماوردي في الحاوي بهذا البيت، ولكن المشهور هو البيت الذي نسب لكثير، ولا يصح الاستشهاد به هنا:

ألا إنما ليلى عصا خيزرانةٍ   إذا غمزوها بالأكفّ تلينُ

انظر فيه: الكامل للمبرد ٣/ ٨٢، العقد الفريد ٥/ ٣٥٨، الموشح ص ٢٠٥، نور القبس ص ١٤٥، ديوان كثير ص ١٧٦، وفيه مصادر أخرى.

(٥) في م وأخواتها وهـ: ويساره.

فالأوَّلُ سابقٌ، والثّاني مصلٍّ، والثّالثُ سكِّيت. قالَ الشّاعرُ: [الرجز]

أنتَ المُصَلّي وأبوكَ السّابقُ

وقالَ الكُمَيت: [الكامل]

يتجاذبانِ له فضيلةَ سِنِّهِ   وثنيتَ بعدُ مُصَلّياً لم تُسبَقِ[1]

قالَ بعضُ أهلِ المعرفةِ: سُمِّيَت «صلاة» لأنَّ المصلّيَ يتبعُ فعلَ مَن تقدَّمَهُ. فالنَّبيُّ صلّى اللّهُ عليه وآله سبقَ النّاسَ في هذا الفعلِ[2]، وهو أوَّلُ من صَلّى، وأمرَ المسلمينَ بالصَّلاةِ، وتقدَّمَ فصلّى بهم، فاقتدوا به، فكانَ إذا كبَّرَ كبَّروا، وإذا ركعَ ركعوا، وإذا سجدَ سجدوا. فكانَ هو السّابق، وهم المصلُّونَ. وكذلك صلّى به جبرائيلُ عليه السَّلام حينَ علَّمَهُ الصَّلاةَ عن اللّهِ عزَّ وجلَّ. فكانَ هو مصلّياً، حين صَلّى به، ثمَّ صارَ سابقاً لجميعِ المسلمينَ. والمسلمونَ مُصَلُّونَ.

[٢٣٤]

الرُّكوع

الرُّكوعُ معناه: الانحناءُ، ويُقال لمن حنى ظهرَهُ[3]: قد ركعَ. قالَ لبيد: [الطويل]

أليسَ ورائي إن تراخَتْ منيَّتي   لزومُ العصا تُحنى عَلَيها الأصابعُ[4]

أخبِّرُ أخبارَ القرونِ التي مضتْ   أدبُّ كأنّي كلَّما قمتُ راكعُ

فالرُّكوع معناه: التَّطامنُ والتَّواضعُ. قالَ آخرُ: [المنسرح]

لا تُهينَ الفقيرَ علَّكَ أن   تركعَ يوماً والدَّهرُ قد رفعَهْ[5]

يركعُ معناه: يخشعُ ويتواضعُ. ومنه قيلَ لمن حنى ظهرَهُ، وطأطأَ رأسَهُ في

---

(١) ديوان الكميت ص ٢٤٧.

(٢) في ب: الفضل.

(٣) هكذا في ب، وفي م وأخواتها وهـ: إذا انحنى ظهره.

(٤) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/١٦٧، وديوان لبيد ص ١٧٠.

(٥) من قصيدة الأضبط بن قريع المذكورة سابقاً، والبيت في المعاني لابن قتيبة ص ٤٩٥، الكامل للمبرد ٢/ ٣٩٠: ولا تهين الكريم، الأمالي ١/١٠٨: ولا تعادِ الفقير علك، والزاهر ١/ ١٤٠. وهو في بعض الأصول: لا تهينن ذا الفقر.

الصَّلاةِ «قد ركعَ»، لأنَّه يريدُ بذلك التَّذلُّلَ والتَّواضعَ للّهِ عزَّ وجلَّ. قالَ[1]: ويجوزُ أن يُسَمَّى الرّاكع «ساجداً»، إلّا أنَّه لم يُستعمَلْ في الصَّلاةِ، لأنَّ السُّجودَ هو التَّطامنُ والخشوعُ والتَّذلُّل[2]. والرَّكعة «الفعلة». والصَّلاةُ ركعةٌ، وركعتانِ. يُقال: ركعَ، يركعُ، ركوعاً، وكلُّ شيءٍ[3] ينكبُّ لوجهِهِ، فتمسُّ ركبتُهُ الأرضَ أوَّلاً بعد أن يطأطئَ رأسَهُ، فهو راكعٌ. وأنشدَ: [الوافر]

ولكنّي أنصُّ العيسَ يَدمى أظَلّاها وتركعُ في الحُزونِ[4]

وقالَ النّابغة: [الطويل]

سيبلغُ عذراً أو نجاحاً من امرئٍ إلى رَبِّهِ ربِّ البريَّةِ راكعُ[5]

قوله «من امرئ» يعني نفسَهُ. ورُفعتْ «راكع» بوصفه: سيبلغُ عذراً، معناه: سيبلغُ راكعٌ عذراً إلى ربِّهِ[6]، يعني: النُّعمانَ. قالَ أبو عُبَيدة: الرّاكعُ: الخاشعُ، المطيعُ. يُقال: ركعَ فلانٌ لفلانٍ، أي خشعَ له[7]. وقالَ امرؤُ القيسِ في صفةِ ناقةٍ: [الوافر]

فأرجِعُها وقد نَقِبَتْ وكلَّتْ تشكَّى الأينَ تركعُ في الظِّرابِ[8]

نَقِبَتْ، أي حَفِيَتْ أخفافُها، والأينُ: الإعياءُ، وتركعُ[9]: تنحني، والظِّراب: الجبالُ الصِّغارُ[10]، واحدُها: ظرب. قالَ الجعديُّ: [الطويل]

يقودونَ شعثاً قد ركعنَ من الوَجَى دوابرُها تحذي السَّريحَ وتنكبُ[11]

---

(١) القول لابن قتيبة.
(٢) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/١٦٨.
(٣) شيء: هكذا في جميع الأصول، ولعل الصحيح: شخص.
(٤) ديوان الطرماح ص ٢٨٩.
(٥) لم أجده في ديوان النابغة الذبياني، والشطر الثاني في لسان العرب، مادة (ركع)، بلا نسبة.
(٦) أي أنها رُفعت على الفاعلية، باعتبارها فاعلاً للفعل «سيبلغ».
(٧) من «يقال» زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.
(٨) ديوان امرئ القيس بشرح السكري ص ٥٤٣، وبشرح النحاس ص ١٥٢، ولم يرد في طبعة المعارف.
(٩) زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.
(١٠) انظر: مجاز القرآن ١/٥٤.
(١١) لم أجده في ديوان النابغة الجعدي المجموع.

ركعنَ: خضعنَ وتساقطنَ من شدَّةِ الكلالِ. ويُقال للرَّجلِ، إذا أملقَ بعد إثراءٍ: «ركعَ»، لأنَّه تواضعَ بعد التَّرفُّعِ. قالَ الشّاعرُ: [البسيط]

بيعتْ بكيسٍ لتيمٍ واستغاثَ بها   من الهزالِ أبوها بعدَما ركعا[1]

أي بلغَهُ الجهدُ من الحاجةِ والذُّلِّ. قالَ زيدُ الخيلِ: [الوافر]

فأُبنا بالنِّهابِ وبالسَّبايا   نقودُ الخيلَ تركعُ في الظِّرابِ[2]

أي يتساقطنَ من الحفاءِ والهزالِ. وقالَ البعيثُ: [الطويل]

تخوَّد في محدودبِ البيضِ ناضبٍ   تقطَّعُ منه اليَعْمُلاتُ الرَّواكعُ[3]

أي تركعُ من الحفا. والنّاضبُ: البعيدُ. واليَعْمُلاتُ: الدَّوائبُ في سيرِها. فكأنَّ الرّاكعَ سُمِّيَ «راكعاً» لتطامنِهِ وتذلُّلِهِ وخشوعِهِ لربِّهِ في صلواتِهِ.

[٢٣٥]

السُّجود

السُّجود: التَّطامن، والسُّجود: الاستسلام. تقولُ العربُ «سجدتِ النَّخلة»، إذا مالتْ وانحنتْ. وأنشدَ: [البسيط]

بين الصَّفا وخليجِ العَينِ ساكنةٌ   غُلْبٌ سَواجدُ لم يدخلْ بها الحَصَرُ[4]

يصفُ النَّخلَ. سواجدُ: مائلةٌ. والحَصَرُ: الضِّيق، وهو أن يكونَ النَّخلُ في موضعٍ صلبٍ لا تتشعَّبُ فيه أصولُهُ وعروقُهُ. ويُقال: سجدَ البعيرُ، إذا خفضَ رأسَهُ[5]، ووضعَ جرانَهُ على الأرضِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وللّهِ يسجُدُ مَن في السَّمواتِ والأرضِ طَوعاً وكَرهاً وظِلالُهم بالغدوِّ والآصالِ﴾ [الرعد: ١٥]. وقالَ ﴿وللّهِ يسجدُ ما في السَّمواتِ وما في الأرضِ مِن دابَّةٍ والملائكةُ وهم لا

---

(١) تفسير الطبري ١/ ٢٩٥، بلا نسبة.
(٢) لم يرد في شعر زيد الخيل الطائي، وإن كان واضحاً أنه من القصيدة البائية في شعره ص ٧٣.
(٣) لم يرد في شعر البعيث المجموع.
(٤) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٢١، ولسان العرب، مادة (سجد). والبيت للبيد في ديوانه ص ٦٠.
(٥) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ١٦٨.

يستكبرونَ﴾ [النحل: ٤٩]. يعني أنَّ جميعَ ما في السَّموات وما في الأرضِ[١] خاضعٌ له، منقادٌ لأمرِهِ، متذلِّلٌ، فأمرُهُ نافذٌ فيهم كَرهاً وطَوعاً، وإن لم يكنِ السُّجودُ منهم على ما يتعارفُهُ النّاسُ من الإمالةِ والانحناءِ، لأنَّ الإمالةَ والانحناءَ هو علامةٌ يُستدَلُّ بها على مرادِ المنحني من الخضوعِ والانقيادِ. فإذا وضعَ جبهتَهُ[٢] على الأرضِ وانحنى وتطامنَ، قيلَ: قد سجدَ، أي انقادَ وخضعَ. فصارَ السُّجودُ اسماً لذلك الفعلِ. قالَ النّابغة: [الطويل]

سجودٌ له غسّانُ يرجونَ فضلَهُ ... وتُرْكٌ ورهطُ الأعجمينَ وكابُلُ[٣]

سجود له: يعني [أنَّهم][٤] خاضعونَ منقادونَ مُطيعونَ.

وروى أبو عبيد[٥] عن ابنِ جريج في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿وخرُّوا له سُجَّداً﴾ [يوسف: ١٠٠]، قالَ: هي تحيَّتُهم، كما يصنعُ ناسُ اليومِ[٦]. قالَ أبو عبيد[٧]: يذهبُ ابنُ جريج إلى أنَّ ذلكَ كانَ من أخلاقِهم، ولم يكنْ على جهةِ العبادةِ[٨]. قالَ: وممّا يدلُّ على أنَّ السُّجودَ كانَ في الأُمَمِ، وأنَّ ذلك لم يكنْ على جهةِ العبادةِ من بعضِهم لبعضٍ، حديثُ سلمانَ عليه السَّلام أنَّه كانَ إذا مرَّ به دهقان قالَ له «خُدا»[٩].

ومما رُوِيَ فيه الكراهةُ عن النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وآله، قالَ أَنس بن مالك، قالَ رجلٌ: يا رسولَ اللّهِ، أحدُنا يلقى صديقَهُ، أينحني له؟ قالَ: لا.

ويُروى أنَّ الجاثليقَ أرادَ أن يسجدَ لعليٍّ رضوانُ اللّه عليه، فقالَ: اسجدْ للّهِ، ولا تسجدْ لي.

---

(١) من «يعني» زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.
(٢) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: وجهه.
(٣) ديوان النابغة الذبياني ص ١٢٢، والرواية فيه: قعوداً له غسان يرجون أوبه.
(٤) زيادة منا لم ترد في الأصول.
(٥) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: أبو عبيدة.
(٦) النص في تفسير الطبري ١٣/ ٨٤.
(٧) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: أبو عبيدة.
(٨) في م وأخواتها وهـ: سجدة عبادة.
(٩) في بعض النسخ: خذا. وخدا بالفارسية معناها: اللّه أو الرب.

قالَ: ودخلَ رجلٌ من الدَّهاقينِ على ابن سيرينَ، وهو على سريرِهِ، فسجدَ له، فلم يختلطْ ذلك الاختلاطَ، ونهاه بالفارسيَّةِ أن يسجدَ له.

ويُقال: أسجدَ الرَّجُلُ، إذا طأطأَ رأسَهُ وانحنى، وسجدَ، إذا وضعَ جبهتَهُ بالأرضِ. قالَ حميد: [المتقارب]

فلمّا لوينَ على معصمٍ وكفٍّ خضيبٍ وإسوارِها[1]
فضولَ أزِمَّتِها أسجدتْ سجودَ النَّصارى لأحبارِها

وقالَ أعرابيٌّ من بني أسد: [الطويل]

وقُلْنَ له أسجِدْ لِلَيلى فأسجَدا

يعني: البعيرَ إذا طأطأَ رأسَهُ لتركَبَهُ. وقال كُثَيِّر عزَّةَ: [الطويل]

أغرَّكِ منّا أنَّ دُلَّكِ عندَنا وإسجادَ عينيكِ الصَّيودَينِ رابحُ[2]

وقالَ[3] ابنُ أحمرَ: [الكامل]

وحبتْ له أذنٌ يُراقِبُ سمعَها بصرٌ كناصيةِ الشُّجاعِ المُسجِدِ[4]

ويُروى: كناصبةِ، يعني عينَهُ التي نصبَها، والمُسجِد: الواضعُ رأسَهُ بالأرضِ. والسُّجودُ أشدُّ تطامناً وانحناءً وانكباباً من الرُّكوعِ. وأصلُهُ كلُّهُ التَّواضعُ والخضوعُ. قالَ زيدُ الخيلِ: [الطويل]

بجيشٍ تضلُّ البُلقُ في حُجُراتِهِ ترى الأُكْمَ منه سُجَّداً للحوافرِ[5]

يقولُ: تتخشَّعُ الأكمُ وتتهبَّطُ لمّا تعفِّرُها الخيلُ بحوافرِها. وفي الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ. إنَّما هو ترى الحوافرَ سُجَّداً للأُكمِ[6].

---

(١) ديوان حميد بن ثور ص ٨٩.
(٢) ديوان كثير عزة ص ١٨٤.
(٣) النص من «قال أعرابي من بني أسد» زيادة من م وأخواتها وهـ، لم يرد في ب.
(٤) شعر عمرو بن أحمر ص ٥٨. حبت: شخصت، وهي في الأصول: حنت. والشجاع: ذكر الحية. أي أن الحية ترفع بصرها حينما تسمع أدنى نأمة، فتنحني على ما تريد التقاطه. والقافية في شعره: الأصيد.
(٥) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٢٢، وتفسير الطبري ١/ ٣٤٥، بلا نسبة، والزاهر ١/ ١٤١، والبيت لزيد الخيل في ديوانه ص ١١٠.
(٦) وفي الكلام: زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.

قالَ المفسِّرونَ في قولِ اللّهِ تعالى ﴿وخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾ [يوسف: ١٠٠]: كانَ سجودُهم له أن طأطأوا رؤوسَهم حينَ رأوه[١]. قالَ: وكانوا يفعلونَ ذلكَ للسُّلطانِ والملكِ، وكذلك السُّنَّة في النَّصارى والمجوسِ وعامَّةِ أهلِ الذِّمَّة، كانوا يفعلونَ ذلك لرؤسائِهم، يريدونَ به الاستسلامَ والانقيادَ، حتّى نسخَهُ اللّهُ عزَّ وجلَّ بالإسلامِ. وتسليمُ بعضِهم على بعضٍ دلَّ بِهِ على أنَّ المسلمينَ مسلمونَ بعضُهم لبعضٍ، فمَن غدرَ بأخيه المسلمِ أو خانَهُ، فقد نقضَ عهدَ الإسلام. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿قالوا سَلاماً قالَ سَلامٌ﴾ [هود: ٦٩]، أي صلحٌ ومسالمةٌ وأمانٌ. والسَّلامُ تحيَّةُ أهلِ الجنَّةِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿والملائكةُ يدخلونَ عَلَيهم مِن كلِّ بابٍ سلامٌ عَلَيكم بما صَبَرتم فنِعْمَ عُقبى الدّارِ﴾ [الرعد: ٢٣- ٢٤]. وقد شرحنا هذا في غيرِ هذا الموضعِ[٢].

[٢٣٦]
التَّشهُّد

التَّشهُّد أُخِذَ من الشَّهادتينِ، كأنَّه «تفعُّل» منهما، لأنَّ الجالسَ في التَّشهُّد يقولُ: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّه، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ. والتَّشهُّد مصدر: تشهَّدَ، يتشهَّدُ، تشهُّداً، كما تقول: تعلَّمَ، يتعلَّمُ، تعلُّماً. فالتَّشهُّد فعلُكَ، كما أنَّ التعلُّمَ فعلُكَ، والتَّعليمُ فعلُ المعلِّم. والتَّشهُّد يُقال له «خطبة الصَّلاة». يُروى عن ابنِ مسعود أنَّه قالَ: كانَ النَّبيُّ صلَّى اللّهُ عليه يعلِّمُنا التَّشهُّدَ وخطبةَ الصَّلاةِ، كما يعلِّمُنا سُوَرَ القرآنِ. ويُقال في التَّشهُّد التَّحيَّاتُ للّهِ. وواحدُ التَّحيَّاتِ تحيَّة. قالوا: والتَّحيَّة: المُلك. قالَ الشّاعرُ: [مجزوء الكامل]

مِن كلِّ ما نالَ الفتى قد نلتُهُ إلّا التَّحيَّةْ[٣]

وقالَ آخرُ: [الوافر]

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ١٣/ ٨٤.
(٢) وقد شرحنا: زيادة من م وأخواتها وه، لم ترد في ب.
(٣) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ١٦٨.

أسيِّرُها إلى النُّعمانِ حتّى   أنيخَ على تحيَّتِهِ بجندي[1]

ويُقال: إنَّما قيلَ للمُلك «تحيَّة»، لأنَّ المَلِكَ كانَ يُحيَّا فيُقال له «أنعمْ صباحاً» و«أبيتَ اللَّعنَ»، ولا يُقال «أبيتَ اللَّعن» لغيرِهِ[2]. وقولهم «التَّحيَّات للّهِ، لا لغيرِهِ»، أي الممالكُ للّهِ[3]. وقالَ غيرُهُ: التَّحيَّة أصلُها من «الحياةِ»، أي الحياةُ للّهِ. وتقديرُها من الفعلِ «تفعلة». فتعني أنَّ البقاءَ له، لا لغيرِهِ[4]. ويُروى عن الحسنِ البصريِّ [أنَّه][5] قالَ: كانَ لأهلِ الجاهليَّةِ أصنامٌ صغارٌ، فكانوا يمسحونَ وجوهَها ويقولونَ: لكِ التَّحيَّة[6] الباقية. فأُمِرَ المسلمونَ أن يقولوا: التَّحيّاتُ للّهِ، أي البقاءُ للّهِ لا لغيرِهِ.

ويُقال إنَّ أهلَ الجنَّةِ لم يعطوا شيئاً بعدَ رؤيةِ اللّهِ عزَّ وجلَّ يعدلُ عندَهم دوامَ الحياةِ، وبها ينالونَ سائرَ النِّعَم. وحياةُ الجنَّةِ سليمةٌ من الآفاتِ[7]، فهم عندَ لقاءِ بعضِهم بعضاً يتباشرونَ، ويتلذَّذونَ عند ذكرِ بعضِهم لبعضِ الحياةَ التي فازوا بها، ويسلِّمُ بعضُهم[8] على بعضٍ، وتحيَّتُهم تسليمُ بعضِهم على بعضٍ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿تحيَّتُهم فيها سلامٌ﴾ [يونس: ١٠]، وقالَ ﴿لا يسمعونَ فيها لَغواً ولا تأثيماً إلّا قِيلاً سَلاماً سَلاماً﴾ [الواقعة: ٢٥-٢٦].

[٢٣٧]

القنوت

قالَ ابنُ قُتَيبة: القنوتُ أصلُهُ القيامُ. ويُقال لمن يدعو في الصَّلاةِ، وهو قائمٌ «قانت». وقيلَ للدُّعاءِ «قنوت». وسُئِلَ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله عن أفضلِ

---

(١) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/١٦٨. وقد نسب الشعر لعمرو بن معدي كرب، والفاخر للمفضل ص ٢.

(٢) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/١٦٨.

(٣) وردت الجملة في ج وخ فقط.

(٤) من: وقولهم التحيات: زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.

(٥) زيادة منا لم ترد في الأصول.

(٦) هكذا في ب، وفي م وأخواتها وهـ: لك الحياة الباقية.

(٧) هكذا في ب وج وخ، وفي م وهـ: الأوقات.

(٨) من: بعضاً يتباشرون: زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.

الصَّلاةِ، قالَ: طولُ القنوتِ. يعني طولَ القيامِ[1]. قالَ: وإنَّما قيل للدُّعاءِ قبلَ الرُّكوعِ أو بعدَهُ «قنوتاً»، كأنَّه سُمِّيَ باسمِ القيامِ، كما يُسمَّى الشَّيءُ باسم غيرِهِ[2]، إذا كانَ منه بسببٍ[3]. قالَ: وقيلَ للإمساكِ في الصَّلاةِ «قنوت» لأنَّ الإمساكَ عن الكلام يكونُ في القيامِ في الصَّلاةِ، ولا يجوزُ لأحدٍ أن يأتيَ فيه بشيءٍ غيرِ القرآنِ[4].

وقال زيد بن أرقم: كنّا نتكلَّمُ في الصَّلاةِ، حتّى نزلتْ ﴿وقُومُوا للّهِ قانِتينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فنُهينا عن الكلامِ، وأُمِرنا بالسُّكوتِ[5]. قالَ: والقنوتُ: الإقرارُ بالعبوديَّةِ، لقولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿وله أَسلمَ مَن في السَّمواتِ والأرضِ كلٌّ له قانِتونَ﴾ [الروم: ٢٦]، أي مُقِرُّونَ بالعبوديَّةِ[6]. قالَ: والقنوتُ: الطّاعةُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿القانتينَ والقانتاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، أي المطيعينَ والمطيعاتِ. وقولُهُ ﴿إنَّ إبراهيمَ كانَ أُمَّةً قانتاً للّهِ﴾ [النحل: ١٢٠]، قالَ: ولا أرى أصلَ هذا الحرفِ إلّا من الطّاعةِ، لأنَّ جميعَ هذه الخلالِ من الصَّلاةِ والقيامِ فيها والدُّعاءِ وغيرِ ذلك يكونُ عنها[7].

وقالَ أبو عبيد بإسنادٍ له عن عبدِ اللّهِ إنَّه قرأ ﴿إنَّ إبراهيمَ كانَ أُمَّةً قانتاً للّهِ﴾، فقالَ إنَّ معاذاً كانَ أُمَّةً قانتاً للّهِ، أتدرونَ ما الأُمَّة؟ الذي يعلِّمُ النّاسَ الخيرَ. أتدرونَ ما القانتُ؟ المطيعُ للّهِ عزَّ وجلَّ. قالَ أبو عُبيدة: فأنتَ مُقِرٌّ بأنَّه عبدُ اللّهِ.

وقانتاتٌ: مطيعاتٌ. قالَ في قولِهِ ﴿إنَّ إبراهيمَ كانَ أُمَّةً قانتاً للّهِ﴾، أي مطيعاً للّهِ[8]. وقالَ ابنُ عبّاس في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿الصّابرينَ والصّادقينَ والقانتينَ﴾ [آل عمران: ١٧]، قالَ: المطيعينَ للّهِ[9]. وفي قولِهِ ﴿يا مريمُ اقنتي لِرَبِّكِ﴾ [آل

---

(١) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٥٠.
(٢) هكذا في م وأخواتها وغريب الحديث لابن قتيبة، وفي ب: الشيء.
(٣) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٥٠، وغريب الحديث ١/ ١٧١.
(٤) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٥٠.
(٥) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٥٠.
(٦) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٥٠.
(٧) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٥٠.
(٨) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣٦٩.
(٩) تفسير الطبري ٣/ ٢٤٤.

عمران: ٤٣]، أي أطيلي الرُّكوعَ في الصَّلاةِ[(١)].

وقالَ بعضُ أهلِ المعرفةِ[(٢)]: القنوتُ هو الإخلاصُ للّهِ عزَّ وجلَّ. وإنَّما قيلَ له «قنوت» لأنَّ المخلصَ للّهِ عزَّ وجلَّ يدعوه بالنِّيَّةِ الصّادقةِ، وبتركِ الاشتغالِ بغيرِهِ، وإظهارِ الخشوعِ للّهِ عزَّ وجلَّ والرَّغبةِ إليه، والدَّليلُ على ذلك قولُ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله حينَ سُئِلَ عن أفضلِ الصَّلاةِ، قال: طولُ القنوتِ، لم يُرِدِ القيامَ دونَ الدُّعاءِ والقراءةِ، لأنَّ القانتَ قد يكونُ قانتاً وهو غيرُ قائمٍ في حالِ ركوعِهِ وسجودِهِ، وقيامِهِ وقعودِهِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿أمَّن هو قانتٌ آناءَ اللَّيلِ ساجداً وقائماً يحذرُ الآخرةَ﴾ [الزمر: ٩]، ألا تراه سمّاه «قانتاً» في حالِ سُجودِهِ، كما سمّاه «قانتاً» في حالِ قيامِهِ؟ وكذلكَ حديثُ زيد بن أرقمَ يدلُّ على ما قلناه، لأنَّه قالَ: كنّا نتكلَّمُ في الصَّلاةِ حتّى نزلتْ ﴿وقوموا للّهِ قانتينَ﴾، فأُمِرنا بالسُّكوتِ[(٣)]، لم يؤمروا بالسُّكوت دونَ غيرِهِ، إنَّما أُمروا بالسُّكوتِ عن الكلامِ، والاشتغالِ بالقراءةِ والدُّعاءِ والتَّسبيحِ، وإخلاصِ النِّيَّةِ للّه عزَّ وجلَّ، والإقبالِ على العبادةِ بقلوبِهم ونيّاتِهم، وبالخشوعِ والتَّذلُّلِ في صلواتِهم. وكذلك قوله عزَّ وجلَّ ﴿إنَّ إبراهيمَ كانَ أُمَّةً قانتاً للّهِ﴾، يعني مُخلِصَ النِّيَّةِ للّهِ عزَّ وجلَّ. وكذلك قوله (والقانتينَ والقانتاتِ) هم الذين يُخلِصونَ له، ويُفرغونَ قلوبَهم للعبادةِ، ويفزعونَ إليه بالدُّعاءِ والتَّضرُّعِ في حالِ قيامِهم وسجودِهم، ويُقبِلونَ عليه بالدُّعاءِ والتَّسبيحِ والتَّهليلِ، ويبسطونَ إليه أيديَهم بإظهارِ الرَّغبةِ بالخضوعِ والتَّسليمِ. فهذا معنى القنوتِ.

[٢٣٨]

الوَتْر

الوَتْرُ: الفردُ. وهو ضدُّ الشَّفْعِ. والشَّفْعُ: الزَّوجُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿والشَّفْعِ والوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣]. قالَ المفسِّرونَ: الوترُ هو اللّهُ عزَّ وجلَّ لأنَّه واحدٌ،

---

(١) تفسير الطبري ٣/ ٣١٠. وهي في جميع الأصول: الركوع، بينما تكررت مراراً في تفسير الطبري: الركود.

(٢) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: أهل اللغة.

(٣) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٥٠.

والشَّفعُ: الخلقُ. ويُقال: وَتْر، ووِتْر، بالفتحِ والكسرِ، يُقال ذلكَ لكلِّ فردٍ. وفي القراءة: والشَّفعِ والوَترِ والوِترِ جميعاً. قالَ بعضُ أهلِ التَّفسيرِ: الشَّفْعُ: يومُ النَّحرِ، والوَترُ: يومُ عَرَفَةَ[1]، يكون ثلاثةً، والشَّفع يكون أربعةً. قالَ الكُمَيتُ: [الطويل]

هُمُ ما هُمُ وَتْراً وشَفْعاً لقومِهم لفقدانِهم ما يُعذَرُ المتحوِّبُ[2]

قالَ أصحابُ اللُّغةِ في معنى ذلك: هم ما هُمُ: بمعنى التَّعجُّب، أي أيُّ شيءٍ هم، للّهِ دَرُّهم، أيُّ قومٍ هم فرادى كانوا أو شفعاً. وقولُهُ: «وتراً» يعني به النَّبيَّ صلّى اللّهُ عليه وجعفراً وحمزةَ. هؤلاء الثَّلاثة وتر. ثمَّ قالَ «وشفعاً»، يعني عليَّ بن أبي طالب عليه السَّلام، لأنَّه صارَ رابعَهم فشفعَهم. والعربُ تقولُ: عندي ثلاثة كيسةٍ فاشفعْهنَّ، وعندي كيسانِ فأوترْهما، أي اجعلْهما ثلاثةً حتّى يصيروا وتراً. قالَ الشّاعرُ: [الوافر]

شفعتُ سجالَهم بكهولِ صدقٍ لهم محضُ المكارمِ والقليبُ

شفعتُ: ثنَّيتُ، ويُقال: قرنتُ. والوتر: الطاق.

والشّفع: الزَّوج. قالَ لبيد: [الوافر]

تطيرُ عدائدُ الأشراكِ شفعاً ووتراً والزَّعامةُ للغُلامِ[3]

تطير: أي تصيرُ الأموالُ بعدَ الميِّتِ ميراثاً بين الوَرَثة، فللذَّكَرِ سهمانِ، وللأنثى سهمٌ. وهما شفعٌ ووترٌ. وهو مثلُ قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿للذَّكَرِ مثلُ حظِّ الأُنثيَينِ﴾ [النساء: ١١]. والزَّعامة: الرِّئاسة، أي أنَّها للذُّكورِ دون الإناثِ.

ويُقال: ناقة متواترة، قالَ الأصمعيُّ: هي التي إذا بركتْ وضعتْ إحدى يدَيها، فإذا اطمأنَّتْ وضعتِ الأخرى، فإذا اطمأنتْ وضعتْهما جميعاً، ثمَّ تضعُ وركَيها[4]. قالَ ابنُ قُتَيبة: هو أن تضعَ قوائمَها[5] وتراً وتراً، أي واحداً واحداً.

---

(١) تفسير الطبري ٣٠/٢٠٦.

(٢) ديوان الكميت ص ٥٤٠. والمتحوب: الباكي.

(٣) ديوان لبيد ص ٢٠٢. والعدائد: الذين يعادونه في شرك الميراث.

(٤) ابن قتيبة: غريب الحديث ٣/٦٩١.

(٥) قوائمها: سقطت من ب.

والمواترةُ في قضاءِ شهرِ رمضانَ قضاءُ يومٍ بعد يومٍ، يفطرُ يوماً ويصومُ يوماً[١].

قالَ أبو سعيد[٢] عن الأصمعيِّ في النّاقةِ المتواترةِ: هي التي تضعُ إحدى يديها، ثمَّ تسكنُ ساعةً، ثمَّ تضعُ الأخرى، ثمَّ تسكنُ ساعةً. ومن ذلك: واترْ كتبَكَ. قالَ: المُواتَرَةُ: كتابٌ، ثمَّ فترةٌ، ثمَّ كتابٌ آخرُ[٣]. قالَ: ومن ذلك قولُهُ عزَّ وجلَّ ﴿ثمَّ أرسلْنا رُسُلَنا تَتْرى﴾ [المؤمنون: ٤٤]. ويُقال: أوترَ، إذا صلَّى الوترَ، يُوتِرُ، إيتاراً. والوترُ في غيرِ هذا المعنى[٤]: الذَّحَلُ. يُقال في الذَّحَلِ: وترَهُ، يَترُهُ، وِتراً، وتِرَةً. فكأنَّ صلاةَ الوترِ مأخوذةٌ من الرَّكعةِ الواحدةِ، لأنَّها منفردةٌ، ثمَّ تُقرَنُ مع غيرِها، فتكونُ شفعاً معها. ومن أجلِ ذلك قيلَ لصلاةِ المغربِ أيضاً «وتر النَّهار»، لأنَّها ثلاثُ ركعاتٍ.

[٢٣٩]
التَّكبير والتَّسبيح والتَّهليل والتَّهجُّد[٥]

التَّكبير هو «التَّفعيل» مِن قولِكَ: اللّهُ أكبرُ، اللّهُ أكبرُ. قالَ أهلُ العربيَّةِ: اللّهُ أكبرُ معناه اللّهُ كبيرٌ. ومثله: أوجَلُ، أي وَجِلٌ. وهو أهوَنُ عليه، أي هيِّنٌ. قالَ معن بن أوس: [الطويل]

لعمرُكَ ما أدري وإنِّي لأوجَلُ ... على أيِّنا تعدو المنيَّةُ أوَّلُ[٦]

معناه: وَجِلٌ. وأنشدَ للفرزدقِ: [الكامل]

إنَّ الذي سَمَكَ السَّماءَ بنى لنا ... بيتاً دعائِمُهُ أعزُّ وأطولُ[٧]

أي عزيزةٌ طويلةٌ.

والتَّسبيحُ: «التَّفعيل» من «سبَّحَ، يسبِّحُ، تسبيحاً»، وهو مصدرٌ من ذلك، كما

---

(١) ابن قتيبة: غريب الحديث ٣/ ٦٩١.
(٢) أي السكري.
(٣) من: واتر كتبك: زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.
(٤) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: الموضع.
(٥) والتهجد: سقطت من ب.
(٦) ديوان معن بن أوس المزني ص ٩٣.
(٧) النقائض ١/ ١٨٢، وديوان الفرزدق ٢/ ٣١٨.

يُقال: قتَّلَ، يقتِّل، تقتيلاً، وعمَّر، يعمِّرُ، تعميراً. ومعنى سبَّحَهُ، أي نزَّهَهُ، أي ينزِّهُ اللّهَ عزَّ وجلَّ ممّا يدَّعيه المشركونَ به. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿سُبحانَ اللّهِ وَتَعالى عمّا يُشرِكونَ﴾ [القصص: ٦٨]، أي تنزيهاً له من ذلك. وقد بيَّنّاه في باب «سبُّوح، قدُّوس».

والتَّهليل أيضاً مصدرٌ من «هلَّلَ» و«كبَّرَ». فـ«هلَّلَ»: أن تقولَ: لا إلهَ إلّا اللّهُ، و«كبَّرَ»: أن تقولَ: اللّهُ أكبرُ. ويُقال: أهلَّ، واستهلَّ، إذا رفعَ صوتَهُ. وأصلُهُ من رفعِ الصَّوتِ بالتَّكبيرِ. ثمَّ قيلَ لكلِّ مَن صاحَ: قد استهلَّ، وأهلَّ[1]. ومنه: استهلَّ الصَّبيُّ: إذا سقطَ من بطنِ أُمِّهِ فبكى وصاحَ. وقيلَ لمن رفعَ صوتَهُ بالتَّلبيةِ: قد أهلَّ بالحجِّ. وقد ذكرنا ذلك في بابِ الإهلالِ بالحجِّ.

والتَّهجُّدُ رُوِيَ عن علقمةَ والأسودِ قالا: التَّهجُّدُ في كلامِ العربِ[2] بعدَ النَّومِ. وعن الحَسَنِ البصريِّ، قالَ: التَّهجُّدُ ما كانَ بعد عشاءِ الآخرةِ. قالَ أبو عبيد: التَّهجُّدُ في كلامِ العربِ: التَّيقُّظُ للصَّلاةِ والسَّهَرُ، والهجودُ: النَّومُ. قالَ الحُطَيئة: [الطويل]

ألا طَرَقتْ هِنْدُ الهنودِ وصُحْبتي ... بحورانَ حورانِ الجُنودِ هُجودُ[3]

وقالَ ذو الرِّمَّةِ يذكرُ ماءً وردَهُ: [الرجز]

ومنهلٍ كالمِرجَلِ الرَّكودِ ... وردتُ بينَ الهبِّ والهُجُودِ[4]

وعن الحجّاجِ بن عُمَر، قالَ: إنَّما التَّهجُّد بعدَ رقدةٍ. وقالَ أبو عُبَيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿ومنَ اللَّيلِ فتهجَّدْ بِهِ نافلةً لكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، أي اسهرْ بصلاتِكَ. ويُقال: تهجَّدتُ، أي سهرتُ، وهجدتُ: أي نمتُ. وهو الهُجودُ[5].

وأنشدَ للبيد: [الرمل]

---

(١) من «وأصله» سقطت من هـ.
(٢) في كلام العرب: سقطت من ب.
(٣) ديوان الحطيئة ص ٣٦٢.
(٤) ديوان ذي الرمة ص ١٦٠، وفيه: طافٍ كحمِّ المرجل الركودِ. وقبله شطر: ومنهلٍ من القطا موروِدِ.
(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣٨٩.

قالَ هجِّدْنا فقد طالَ السُّرى وقدرْنا إنَّما الدَّهرُ غفلْ[1]

هجِّدنا: أي نوِّمْنا.

فكأنَّ التَّهجُّدَ مشتقٌّ من الهجودِ، وهو النَّومُ، أي العبادةُ بعد النَّومِ، أو العبادةُ[2] والنّاسُ نيامٌ. فالذي يقومُ في الصَّلاةِ في وقتِ نومِ النّاسِ هو متهجِّدٌ.

[٢٤٠]

الخشوع والتَّضرُّع والخشية والخضوع

يُقال: خشعَ، إذا تواضعَ وتطامنَ. قالَ الشّاعرُ: [الطويل]

ودويَّةٍ غبراءَ خاشعةِ الصُّوى لها قُلُبٌ عُفًّى الحياضِ أجونُ[3]

خاشعةُ الصُّوى: أي قد تواضعتْ وتطامنتْ من طولِ الزَّمانِ. وخشعَ للّهِ، إذا تواضعَ له وتطامنَ وتضاءلَ. قالَ أبو عُبَيدة: الخاشعونَ: المُخبِتونَ المتواضعونَ[4]. وقالَ النّابغة: [الطويل]

بكى حارثُ الجولانِ من هُلْكِ رَبِّهِ وحَورانُ[5] منه خاشعٌ مُتَضائلُ[6]

وكذلك التَّضرُّع هو أن يتواضعَ ويتصغَّرَ للّهِ تعالى. وأصلُهُ من قولِكَ: فلانٌ ضريعُ الجسمِ، وضارعُ الجسمِ، أي صغيرُهُ. فكأنَّ «التَّضرُّعَ» هو «التَّفعُّل» من ذلك.

والخشيةُ: التَّهيُّبُ والاستحياءُ. يُقال: خشيَهُ، يخشاهُ، إذا تهيَّبَهُ. فالذي يخشى ربَّهُ يتهيَّبُ أن يركبَ الذُّنوبَ، ويستحي من ربِّهِ أن يقترفَها. قالَ الهُذَليُّ: [الطويل]

---

(١) الشطر الأول فقط استشهد به أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣٨٩، وديوان لبيد ص ١٨٢.

(٢) أو العبادة: زيادة من م وأخواتها.

(٣) أبو عبيد: غريب الحديث ٥/ ٢٠٥، بلا نسبة. ونسب لامرئ القيس في إضافات ديوانه بشرح السكري ص ٦٩٦ في قصيدة طويلة.

(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣٩.

(٥) هكذا في م وأوخواتها وهـ والديوان، وفي ب: ولوذان.

(٦) ديوان النابغة الذبياني ص ١٢١، والرواية فيه: موحش متضائل.

وقد طُفتُ من أحوالِها وأردتُها سنينَ فأخشى بعلَها وأهابُها[١]

قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿الذينَ هُمْ من خشيةِ رَبِّهم مُشفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧]، يعني من هيبتِهِ، واستحياءً منه.

والخضوعُ: الذي فيه انحناءٌ. ومنه قيلَ للقومِ إذا نَكَسوا رؤوسَهم «خُضَع». قالَ الشّاعرُ: [الكامل]

وإذا الرجالُ رأوا يزيدَ رأيتَهم خُضُعَ الرِّقابِ نواكِسَ الأبصارِ[٢]

[٢٤١]

الابتهال والمباهلة

الابتهالُ والمباهلةُ: الاجتهادُ في الدُّعاءِ، والاستعانة[٣] باللّهِ عزَّ وجلَّ من شرٍّ يُتَّقى، والتَّضرُّعُ إليه أن يصرفَ الشَّرَّ والعذابَ إلى أهلِ الشَّرِّ. والابتهالُ مأخوذٌ من الانقطاعِ إلى اللّهِ عزَّ وجلَّ والثِّقةِ بوعدِهِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿قُلْ تعالوا نَدْعُ أبناءَنا وأبناءَكم﴾ إلى قولِهِ ﴿ثمَّ نبتَهِلُ فنجعَلْ لَعنةَ اللّهِ على الكاذبينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. ويُقال: باهلتُ فلاناً، إذا دَعَوَا اللّهَ على الظّالمِ منهما. قالَ عمرو بن معدي كرب: [الوافر]

وكلٌّ قد أَبأْتُ إلى ابتهالِ[٤]

أي لاجتهادٍ في الدُّعاءِ. وإنَّما دعاهم رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه إلى المباهلةِ لأنَّهم كذَّبوه. وكانَ عليه السَّلام واثقاً بربِّهِ، مُنقطعاً إليه، مجتهداً في طاعتِهِ، مُوقِناً بأنَّه على الحقِّ، وأنَّهم على الباطلِ. فدعاهم إلى الابتهالِ، يعني أن يَسألوا ربَّهم، وينقطعوا إليه أن يُنزِلَ اللَّعنَ على المستوجبينَ له من الفريقَينِ. فهذا معنى الابتهالِ.

---

(١) لأبي ذؤيب في ديوان الهذليين ١/ ٧١.

(٢) الكامل للمبرد ٢/ ٣٣٤، ونسبه للفرزدق في مدح يزيد بن المهلب، وانظر ديوان الفرزدق ١/ ٤٩٦.

(٣) في م وأخواتها وهـ: والاستعاذة.

(٤) لم يرد في شعر عمرو بن معدي كرب المجموع، ونسب لعمرو ذي الكلب في ديوان الهذليين ٣/ ١١٣. وفي الأصول: (وكل قد أناب)، والصحيح (قد أبأت)، أي أرجعته إلى الاجتهاد في الابتهال. وأوله: أسرَّك لو قتلت بأرض فهم.

وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وآله «مَن وليَ مِن أمرِ النّاسِ شيئاً فلم يعظِّمْ كتابَ اللّهِ فعليه بُهلةُ اللّهِ». أي لعنَةُ اللّهِ، من قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿ثُمَّ نبتَهِلُ فنجعَلْ لعنةَ اللّهِ على الكاذبينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. وفي لغةٍ أخرى، «بَهلة»، وهي مثل سُدفة وسَدفة، وبُرهة من الدَّهر وبَرهة، وبُقعة وبَقعة. وقالَ أبو عُبَيدة في قولِهِ ﴿ثُمَّ نبتَهِلُ﴾، أي نلتعنُ، ويُقال في الكلامِ: ما له بَهَلَهُ اللّهُ، أي لعنَهُ اللّهُ، وما هو بَهْلةُ اللّهِ عليه، أي لعنةُ اللّهِ[١]. وقالَ لبيد، وذكرَ قوماً هلكوا: [الرمل]

فـي قـرومٍ سـادةٍ مـن قـومِـهِ ... نظـرَ الدَّهـرُ إليـهـم فـابـتـهـلْ[٢]

كأنَّه أرادَ: دعا عليهم بالهلاكِ. وقالَ بعضُهم: ابتهلَ: يعني فرحَ. قالَ الأعشى[٣]: [البسيط]

لا تقعدنَّ وقد أضرمتَها حَطَباً ... تعوذُ من شرِّها يوماً وتبتهلُ[٤]

تبتهلُ: أي تسألُ اللّهَ عزَّ وجلَّ أن يصرفَ الشَّرَّ إلى أهلِهِ. قالَ: والنّاقةُ باهلٌ، وباهلةٌ، إذا كانتْ بغير صِرارٍ[٥]، لأنَّ الصِّرارَ قد قطعَ أخلافَها. ورجلٌ باهلٌ: لا رقيبَ عليه، مهمَلٌ، ورجلٌ باهلٌ أيضاً: لا عصا معه. وأبهلَ الرّاعي إبلَهُ، إذا تركَها. ويُقال: أبهلتُ ناقتي: تركتُها بغير صِرارٍ. والباهلُ: المتردِّدُ بلا عملٍ. ويُقال: بهلَني الأمرُ، أي غلَبَني. واستبهلتُهُ، إذا استمكنتُ منه. فكأنَّ الباهلَ المتروكُ الذي لا راعيَ له، الملعونُ. وكلُّ مَن لا راعيَ له فهو متروكٌ ملعونٌ على هذا المعنى.

[٢٤٢]

المسجد والمصلّى

يُقال للبيتِ[٦] الذي يُصلَّى فيه «مسجد» و«مصلَّى»، اشتقُّوا له اسماً من الصَّلاةِ

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٩٦، وينظر: غريب الحديث لأبي عبيد ٥/ ٢٦١.
(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٥/ ٢٦١، وديوان لبيد ص ١٩٧.
(٣) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: أبو سعيد الضرير.
(٤) ديوان الأعشى ص ١٤٨.
(٥) ينظر: كتاب الإبل للأصمعي، الكنز اللغوي، ص ٨٦.
(٦) للبيت: سقطت من ب.

والسُّجودِ، ولم يشتقُّوا له اسماً من الرُّكوعِ، ولا من الدُّعاءِ، ولا من التَّسبيحِ، وغيرِ ذلك. وذلك أنَّ الصَّلاةَ هي المقصودُ إليها، والسُّجودُ هو غايةُ العبادةِ والنِّهايةُ فيها. ورُوِيَ أنَّ عليّاً رضوانُ اللّه عليه لمّا أُتِيَ بذي الثُّدَيَّة قتيلاً يوم النَّهروانِ، سجدَ للّهِ شكراً، وأنَّه كان إذا وردَ عليه أمرٌ سرَّهُ يفعلُ ذلك، ويقولُ: لو علمتُ شيئاً أفضلَ منه لفعلتُ. فالسُّجودُ أفضلُ حدودِ الصَّلاةِ، ولذلك اشتقُّوا اسمَ المسجدِ منه، دون غيرِهِ من حدودِ الصَّلاةِ. وسمّاهُ اللّه عزَّ وجلَّ «مسجداً» في كتابِهِ في غيرِ موضعٍ.

ويُقال إنَّ المساجدَ سبعةٌ؛ مسجدُ مكَّةَ، وهو المسجدُ الحرامُ، ومسجدُ المدينةِ، وهو مسجدُ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه، ومسجدُ بيتِ المقدسِ، وهو مسجدُ الأرضِ المقدَّسة، والمسجدُ الجامعُ في كلِّ مصرٍ. ومساجدُ المسلمينَ في كلِّ محلَّةٍ لصلاةِ الجماعةِ بينَهم، ومساجدُ تكونُ بينهم في البيوتِ، يُصلِّي فيها النِّساءُ، ومَن له عذرٌ من الرِّجالِ في التَّخلُّفِ عن مسجدِ الجماعةِ، ومساجدُ تُتَّخَذُ في البراري من حجارةٍ أو غيرها، ليُهتَدى بها إلى القبلةِ، ويُصلِّيَ السّالكُ فيها. وقد جاءَ فيه عن النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وآله «مَن بنى مسجداً ولو مثلَ مفحصِ قَطاةٍ بنى له اللّهُ بيتاً في الجنَّةِ».

والمساجدُ أيضاً: الأعضاءُ السَّبعةُ التي يسجدُ عليها الإنسانُ. قالَ بعضُ المفسِّرينَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وأنَّ المساجدَ للّهِ﴾ [الجن: ١٨]، قالَ: هي الأعضاءُ السَّبعةُ التي يسجدُ عليها الإنسانُ؛ اليَدانِ والرُّكبتانِ والقَدَمانِ والوجهُ. وهي تُسَمَّى «مساجدَ» إذا وضعَ الإنسانُ وجهَهُ على الأرضِ، وإلّا فليستْ بمساجدَ. فقد دلَّ ذلك أنَّ السُّجودَ هو تمامُ العبادةِ وغايتُها، ولذلك اشتقُّوا اسمَ «المسجدِ» منه دونَ سائرِ حدودِ الصَّلاة.

[٢٤٣]

المحراب

قالَ أبو عُبَيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وَهُوَ قائمٌ يُصَلِّي في المحرابِ﴾ [آل عمران: ٣٩]، قالَ: المحرابُ: سيِّدُ المجالسِ، وأشرفُها وأكرمُها ومقدَّمُها،

وكذلك هو من المساجدِ[١]. وقالَ المفسِّرونَ في قولِهِ تعالى ﴿كلَّما دخلَ عليها زكريّا المحرابَ﴾ [آل عمران: ٣٧]، قالوا: هي الغرفة[٢]. وفي حديثِ أبي وهيب أنَّ زكريّا عليه السَّلام كانَ يصعدُ إليها في سُلَّمٍ[٣]. وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وآله أنَّه بعثَ عروةَ بنَ مسعودٍ إلى الطّائفِ، فأتاهم فدخلَ محراباً له، فأشرفَ عليهم عندَ الفجرِ، ثمَّ أذَّنَ بالصَّلاةِ، ثمَّ قالَ: أسلموا تسلموا.

قالَ ابنُ قتيبةَ: المحرابُ هاهنا هو الغرفةُ. قالَ الأصمعيُّ: المحرابُ في بعض اللُّغاتِ هو الغرفةُ. وأنشدَ: [السريع]

رَبَّةُ محرابٍ إذا جئتُها لم أرضَ حتّى أرتقي سُلَّما[٤]

وقالَ آخرُ: [المنسرح]

مُبَلَّطٌ بالرُّخامِ أسفلُهُ له محاريبُ بينَها العمدُ[٥]

المحاريبُ يعني الغرفَ. قالَ عَدِيٌّ: [الخفيف]

كدمى العاجِ في المحاريبِ أو كالـ ـبيضِ في الرَّوضِ زهرُهُ مستنيرُ[٦]

فكأنَّ محرابَ المسجدِ سُمِّيَ بذلك لأنَّه صدرُ المجلسِ، وأعلى مجالسِهِ الذي يقومُ فيه الإمامُ.

[٢٤٤]

القِبلة

القِبلة مأخوذةٌ من القِبالةِ، وهي المحاذاةُ والمقابلةُ. يُقال: منزلُ فلانٍ قِبالةُ كذا، أي بحذائِهِ. ويُقال أيضاً: هو قِبَلٌ له، إذا كانَ موازياً له، متوجِّهاً إليه، ومقابلاً له. قالَ الشّاعرُ: [المنسرح]

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٩١.
(٢) ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص ١٠٤.
(٣) ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص ١٠٤.
(٤) بلا نسبة مع رأي الأصمعي في ديوان امرئ القيس بشرح السكري ١/ ٣٣٦، ولوضاح اليمن في الأغاني ٦/ ١٦٧، وفيه: لم ألقها أو أرتقي سلما، والفائق ١/ ٢٧٣.
(٥) العباب الزاخر، مادة (بلط)، بلا نسبة.
(٦) ديوان عدي بن زيد العبادي ص ٨٤.

[. . . . .] إذ   لاحَ سُهَيلٌ كأنَّه قَبَلُ[1]

واستقبلَ فلانٌ القبلةَ، إذا وقفَ بحذائِها. فكأنَّ القِبلةَ في كلِّ بقعةٍ، سُمِّيَتْ بذلك لأنَّها بحذاءِ الكعبةِ. ويُقال للكعبةِ نفسِها «قبلة»، لأنَّها قِبلةٌ لأهلِ الأرضِ. وسُمِّيَتْ بذلك لأنَّ مَن استقبلَها متوجِّهٌ إلى اللّهِ عزَّ وجلَّ. قالَ اللّهُ تعالى ﴿قد نَرى تَقَلُّبَ وجهِكَ في السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قبلةً تَرضاها فولِّ وجهَكَ شَطرَ المسجدِ الحرامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فسمّاها «قبلة». وقالَ بعضُهم: سُمِّيَت «قِبلة» لأنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ يتقبَّلُ صلاةَ مَن يتوجَّهُ إليها، فكأنَّها «فعلة» من: قبلَ، يقبلُ، قِبلةً، وقُبولاً، كما تقول: جلسَ، يجلسُ، جِلسةً، وجُلوساً، وقعدَ، يقعدُ، قِعدة، وقُعوداً.

[٢٤٥]

الصَّوم

الصَّوم: الإمساكُ عن الشَّيءِ. ومنه قيلَ للصّائمِ «صائم»، لأنَّه أمسكَ عن الطَّعامِ والشَّرابِ، وأمسكَ عن الغِيبةِ. ويُقال: مَن اغتابَ فقد أفطرَ. قالَ المفسِّرونَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿إنِّي نذرتُ للرَّحمنِ صَوماً﴾ [مريم: ٢٦]، أي السُّكوت، ثمَّ نُسِخَ في الإسلامِ. يُقال: لأصمتْ يوماً إلى اللَّيلِ. وقالَ أبو عبيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿إنِّي نذرتُ للرَّحمنِ صَوماً﴾، قالَ: يُقال لكلِّ ممسكٍ عن الطَّعامِ والشَّرابِ والكلامِ أو عن أعراضِ النّاسِ وغيبتِهم «صائم»[2]. وأنشدَ للنّابغة: [البسيط]

خيلٌ صِيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ   تحتَ العجاجِ وخيلٌ تعلُكُ اللُّجما[3]

يعني قياماً من غيرِ اعتلافٍ، ممسكةً عن الجريِ، وعن تعليكِ اللُّجمِ وعن الصَّهيلِ.

---

(١) هكذا استشهد به ثعلب في المجالس ١/ ٢٥٤ بلا نسبة، والبيت لعبيد بن الأبرص في ديوانه ص ٩١، وأوله: تخترق البيد والفيافيَ إذ.

(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ٦.

(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ٦، والكامل للمبرد ٣/ ٦٦، ولم أجده في ديوان النابغة الذبياني في القصيدة ص ٦٥.

قالَ أبو عبيد[1]: قد جاءَ التَّفسيرُ بما يصدِّقُ هذا المذهبَ. وروى بإسنادٍ له عن ابنِ عبّاس رضيَ اللّهُ عنه: ﴿إنّي نَذَرتُ للرَّحمنِ صَوماً﴾، قالَ: صَمتاً.

ويُقال للقائمِ أيضاً «صائم». قالَ الأعشى: [المتقارب]

وقوفاً بما كانَ من لأمةٍ ... وهنَّ صيامٌ يَلُكْنَ اللُّجُمْ[2]

صِيامٌ: قِيامٌ. وكلُّ صائم قائمٌ. وهو الرّافعُ رأسَهُ، لا يرعى، ولا يعتلفُ.

والمصامُ: المقامُ. قالَ العجّاجُ: [الرجز]

بحيثُ صامَ المِرجَلُ الصَّاديُّ[3]

أي قامَ. وقالَ الشَّمّاخ: [الطويل]

[متى ما يسُفْ خيشومُهُ فوقَ تلعةٍ] ... مصامةَ أعيارٍ من الصَّيفِ ينشجِ[4]

أي مقامهنَّ.

والصّائم: جمعُهُ: «صُيَّم» و«صُوَّم». فمَن قالَ: «صُوَّم»، أخرجَها على «الصَّوم»[5]، ومَن قالَ «صُيَّم»، بناها على «الصّائم». قالَ الأعشى: [الطويل]

[فباتَ عَذوباً للسَّماءِ] كأنَّما ... يوائمُ رَهطاً للعزوبةِ صُيَّما[6]

يصفُ الثَّورَ. يوائمُ: يفعلُ ما يفعلونَ. يقولُ: كأنَّه يوائمُ رهطاً صُيَّماً لا يأكلونَ ولا يشربونَ. ويُقال: صامَ النَّهارُ، إذا قامَ قائمُ الظَّهيرة. قالَ الأعشى: [الطويل]

[ذمول] إذا صامَ النَّهارُ وهجَّرا[7]

---

(١) في ك وهـ: أبو عبيدة.

(٢) ديوان الأعشى ص ١٩٨. ولم يرد الشطر الأول في ب. و(وقوفاً) هي رواية الديوان، وفي م وأخواتها: قعوداً.

(٣) ديوان العجاج ص ٦٧.

(٤) ديوان الشماخ ص ٩٣، والزيادة منه. والبيت في وصف حمار وحشي، ومعناه: متى شم أنفه فوق أرض مرتفعة آثار الحمر الوحشية طفق بالنشيج وتهيأ للنهاق.

(٥) في م وأخواتها: على الأصل.

(٦) ديوان الأعشى ص ١٨٧. والزيادة منه. العذوب: الذي ترك الأكل من شدة العطش، والسماء: المطر، والعزوبة: الأرض البعيدة.

(٧) سبق توثيق هذا المقطع، وهو جزء من بيت كما في العقد الفريد ٣/ ٣٩٧، ونسبه للنابغة الجعدي، وهو في ديوانه ص ٧٤: =

وقالَ آخرُ: [الكامل]

وترى المسوَّمَ في العنانِ كأنَّه صَعْلٌ إذا فقدَ السِّباقَ يصومُ[1]

يقولُ: إذا لم يسبقْهُ سابقٌ قامَ. وقالَ آخرُ: [الخفيف]

نضربُ الهامَ والدَّوابرَ منها ثمَّ صامتْ بنا الجيادُ صياما[2]

أي قامتْ بنا الجيادُ، فلم تنبعثْ وأمسكتْ عن الجري. فكأنَّ الممسكَ عن كلِّ عملٍ من الطَّعامِ والشَّرابِ والكلامِ والمشيِ يُقال له «صائم»، لإمساكِهِ. والذي يصومُ شهرَ رمضانَ سُمِّيَ «صائماً» لإمساكِهِ عن الطَّعامِ والشَّرابِ والنِّكاحِ والغِيبةِ وغيرِ ذلكَ، فقيلَ: صامَ، يصومُ، صَوماً، فهو صائمٌ. وقيلَ لشهرِ رمضانَ «شهر الصَّومِ» لذلك.

والصَّوم في غيرِ هذا المعنى هو اسمُ شجرٍ. قالَ الشّاعرُ، وهو الهُذَليُّ يصفُ وعلاً: [البسيط]

موكَّلٌ بشُدوفِ الصَّومِ يبصرُها[3] من المغاربِ مخطوفُ الحشا زَرِمُ[4]

والصَّومُ أيضاً: ذرقُ النَّعامِ. قالَ الشّاعرُ: [المديد]

عُرَّةُ الطَّيرِ كصومِ النَّعامْ[5]

صومُ البيضِ وصوم السِّرارِ[6]، أمّا أيّامُ البيضِ فإنَّ الأيّامَ مضافةٌ إلى البيضِ، والبيضُ نعتٌ لاسمٍ مضمرٍ، وليسَ نعتاً للأيّامِ. ولو كانَ كذلكَ لسقطتِ الألفُ واللامُ من البيضِ، وكانَ يُقال: أيّامُ بيضٍ، أو كانَ يُقال: الأيّامُ البيضُ، فتعرَّفُ

= وعلقمة الجعفي أدرك ركضنا على الخيل إذ صام النهار وهجرا

وهناك بيت لامرئ القيس استشهد به المبرد في الكامل ٣/ ٦٦:

فدعها وسل الهم عنك بجسرةٍ ذمولٍ إذا صام النهار وهجرا

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص ١٣٤.

(٢) البيت في الحاوي للماوردي بلا نسبة. الهام: أعلى الشيء، والدوابر: أسفله. وفي الأصول: الدوائر.

(٣) في م وأخواتها: ينظرها.

(٤) لساعدة بن جؤية في ديوان الهذليين ١/ ١٩٤. والشدوف: الشخوص، والمغارب: الأمكنة التي يتوارى فيها.

(٥) العين للفراهيدي ١/ ٨٥، والبيت للطرماح في ديوانه ص ٢٢٩، وأوله: في شناظي أقنٍ بينها.

(٦) في هـ: فراغ في مكان هذا العنوان.

الأيّامُ بالألفِ واللام، لأنَّ «أيّام» نكرةٌ، والبيضَ مَعرِفَةٌ. ولا يُنعَتُ نكرةٌ بمعرفةٍ. وإنَّما معناه أيّامُ اللّيالي البيضِ. وهي ليلةُ ثلاثَ عشرةَ، وأربعَ عشرةَ، وخمسَ عشرةَ. وسُمِّيَت «بيضاً» لأنَّها ليالٍ مُقمِرةٌ من أوّلِ اللّيلِ إلى آخرِهِ. ويُقال لها: الغُرُّ، كما يُقال لها: البيض. قالَ أعرابيٌّ للنَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وآله: إنّي أصومُ ثلاثةَ أيّامٍ من الشَّهرِ. فقالَ: إن كنتَ صائماً فَصُمِ الغرَّ.

قالَ ابنُ قُتيبة: الغرُّ: البيضُ، جمعُ غَرّاء. وإنَّما قيلَ لها «غُرٌّ» لبياضِها بطلوعِ القَمرِ في كلِّ ليلةٍ من أوّلِها إلى آخرِها. قالَ: وإنَّما أمرَ بصيام البيضِ لأنَّ الكسوفَ لا يكونُ إلّا فيها. وليسَ لما قالَهُ ابنُ قُتَيبةَ في هذا وجهٌ. لأنَّ الكسوفَ إنَّما يكونُ في ليلةِ أربعَ عشرةَ، لا في غيرِها. ولا يكونُ الكسوفُ في كلِّ شهرٍ. وكسوفُ الشَّمسِ أعظمُ من كسوفِ القمرِ، ويكون في آخر الشَّهر[1]. قالَ: وأمّا غررُ الشّهرِ فثلاثُ ليالٍ من أوّلِهِ. وغرّةُ كلِّ شيءٍ أوّلُهُ. قالَ أبو عمرو: العربُ تسمّي لياليَ الشَّهر كلَّ ثلاثٍ منها باسم الثُّلثِ في أوّلِ الشَّهرِ «الغُرَر»، لأنَّ أوّلَ كلِّ شيءٍ غرَّتُهُ. ولذلك قيلَ «غُرَّةُ الشَّهرِ». ثمَّ الثّلاثُ التي تليها يُقال لها «النّفل»، لأنَّها نافلةٌ بعدَ الغُرَّةِ. ثمَّ الثّلاثُ التي تليها يُقال لها «التّسع»، أُخِذَ من التِّسعِ، لأنَّ آخرَها اليومُ التّاسعُ من الشَّهرِ. والثّلاثُ التي تليها يُقال لها «العشر»، أُخِذَ من العشرِ، لأنَّ أوّلَها يومُ العاشرِ من الشَّهرِ. والثّلاث التي تليها يُقال لها «البيض»، لأنَّها مقمرةٌ من أوّلِها إلى آخرِها. والثّلاثُ التي تليها «الدّرع»، لأنَّ بعضَها مظلمٌ، وبعضَها مُقمِرٌ، فهي كالغنم الدّرع، التي فيها سوادٌ وبياضٌ. والثّلاثُ التي تليها «الظُّلَم»، لأنَّها مظلمةٌ من أوّلِها إلى آخرِها[2]. والثّلاثُ التي تليها «الحنادس»، لأنَّها أشدُّ ظلمةً. والثّلاثُ التي تليها «الدأديّ»، لذلك أيضاً. والثّلاثُ التي تليها «النَّواحر»، لأنَّها تنحرُ الشَّهرَ الذي يليها، أي تستقبلُهُ. ويُقال لها أيضاً «السِّرار»، لأنَّ الهلالَ يَستَسِرُّ فيها. والمحاقُ: محاقُ الهلالِ. وأنشدَ في «الدأداء»: [الطويل]

تداركَهُ في مُنصلِ الألِّ بعدَما ... مضى غيرَ دأداءٍ وقد كادَ يعطبُ[3]

---

(١) من «وكسوف الشمس» سقطت من ب.

(٢) سقطت الجملة من هـ.

(٣) ديوان الأعشى ص ١٢، وديوان دريد بن الصمة ص ١٨٣.

وأنشد في النَّواحرِ: [البسيط]

في ليلةٍ نحرتْ شعبانَ أو رَجَبا[1]

وأنشد في السِّرارِ: [الوافر]

فوافقَ نوؤُهنَّ سِرارَ شهرٍ وخيرُ النَّوءِ ما لَقِيَ السِّرارا[2]

وقالَ جرير: [الوافر]

رأتْ مرَّ السِّنينَ أخذنَ منّي كما أخذَ السِّرارُ من الهلالِ[3]

[وكانَ يُقال لِرَجَب في الجاهليَّة «مُنصِل الأسنَّةِ»، و«مُنصِل الحال»، لأنَّهم كانوا ينزعونَ الأسنَّةَ، ولا يفرُّونَ، ولا يغيرُ بعضُهم على بعضٍ][4].

قالَ الأثرمُ: السِّرارُ حينَ يَستَسِرُّ القمرُ، فلا يُرى يومينِ في آخرِ الشَّهرِ. وقالَ أبو نصر: السِّرارُ في آخرِ الشَّهرِ، يُشَكُّ فيه أهوَ من الشَّهرِ الذي أنتَ فيه، أم من الشَّهرِ المقبلِ.

فأيّامُ البيضِ معناه أيّامُ اللّيالي البيضِ، وهي التي الصَّومُ فيها له فضلٌ، على ما جاءَ في الحديثِ. وأمّا السِّرارُ فإنَّه رُوِيَ عن النَّبيِّ صلواتُ اللّهِ عليه أنَّه قالَ لعليّ بنِ أبي طالب عليه السَّلام: هل صمتَ من سِرارِ هذا الشَّهرِ شيئاً؟ قالَ: لا. قال: فَصُمْ بدلَ يوم يومينِ.

والبراء آخرُ اللَّيلةِ في الشَّهرِ، سُمِّيَتْ بذلك لتبرُّؤِ القمرِ من الشَّمسِ.

والهلالُ إذا كانَ ابنَ ليلةٍ وليلتَينِ وثلاثٍ، ثمَّ في الرّابعةِ هو قمرٌ إلى آخرِ الشَّهرِ.

والبدرُ لأربعَ عشرةَ، سُمّيَ بذلكَ لأنَّه يبدرُ قبلَ وجوبِ الشَّمسِ، ويُقال لمبادرتِهِ وجوبها بالطُّلوع. قالَ زُهير: [الكامل]

---

(١) الشطر لعمرو بن أحمر في شعره ص ٤٢، وأوله: ثم استهل عليه واكف همع.

(٢) فضل العرب والتنبيه على علومها ص ١٣٤، وغريب الحديث ٢/ ٢٠١، وديوان الراعي النميري ص ١٤٤.

(٣) لجرير في الكامل للمبرد ٢/ ٣٩٤، وبلا نسبة في تفسير الطبري ١٢/ ١٨٦، و ١٣/ ١٩٤، ولم يرد في ديوان جرير، وإن وردت في الإضافات أبيات من بحره وقافيته.

(٤) زيادة انفردت بها هـ، لم ترد في بقية النسخ. ووردت في م في الحاشية.

لو كنتَ مِن شَيءٍ سوى بَشَرٍ   كنتَ المنوَّرَ ليلةَ البدرِ[1]

ويُقال سُمِّيَ بدراً لامتلائِهِ وتمامِهِ. وكلُّ شيءٍ تمَّ فهو بدرٌ. ومنه قيل لعشرةِ آلافِ دِرْهَمٍ «بدرة»، لأنَّها تمامُ العَدَدِ. ومنه «عين حدرة بدرة»، أي عظيمة. قالَ امرؤ القيس: [المتقارب]

وعينٌ لها حدرةٌ بدرةٌ   شققنَ مآقيهما من أُخرْ[2]

[٢٤٦]

الاعتكاف

الاعتكافُ هو أن يحبسَ الرَّجُلُ نفسَهُ في المسجدِ، ويصومَ أيّامَ احتباسِهِ. والاعتكافُ هكذا هو في سُنَّةِ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه، وهو مأخوذٌ من العكفِ والإقامةِ. قالَ أبو عبيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿يعكفونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]: يقيمونَ[3]. وقالَ في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿العاكفُ فيها والبادِ﴾ [الحج: ٢٥]: العاكفُ: المقيمُ، والبادي: الذي لا يُقيمُ[4]. وفي قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿والهدي معكوفاً﴾ [الفتح: ٢٥]، أي محبوساً[5]. وأنشدَ: [الرجز]

باتتْ تبيَّا حَوضَهُ عُكوفا[6]

تبيَّا: تعتمدُ، ومنه: حيّاكَ اللّهُ وبيّاكَ، أي اعتمدَكَ بالملكِ والنِّعمةِ. وتقولُ العربُ: عكفَ على الشَّيءِ، إذا أقامَ عليه، ولزمَهُ مُتَعَطِّفاً[7] حَدِباً، ولم يشتغلْ بشيءٍ سواه، كأنَّه يعبدُهُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وانظرْ إلى إلهِكَ الذي ظَلْتَ عليهِ

---

(١) شعر المسيب بن علس في الصبح المنير ص ٣٥٣، وديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب ص ٨٢.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ١٦٦.

(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٢٢٧.

(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ٤٨.

(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ٢١٧.

(٦) إصلاح المنطق ص ٣٨٨، الفاخر للمفضل بن سلمة ص ٣، وبعده: مثل الصفوف لاقت الصفوفا. وشرح أدب الكاتب للجواليقي ص ١٢٣.

(٧) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: منقطعاً.

عاكفاً﴾ [طه: ٩٧]، أي مُقيماً عليه عاطفاً. قالَ أبو ذؤيب: [المتقارب]

فـهـنَّ عُـكـوفٌ كـنـوحِ الـكـريـمِ　　　قـد شـفَّ أكـبـادَهـنَّ الـهـويُّ[١]

يعني الأثافيَ، أي أنَّها مقيمةٌ لا تبرحُ، متعطِّفةٌ على الرَّمادِ، كتعطُّفِ النَّوحِ على الكريمِ. وقالَ الطِّرمّاح: [الطويل]

فباتَتْ بناتُ اللَّيلِ حَوليَ عُكَّفاً　　　عُكوفَ البَواكي بَيْنَهنَّ صَريعُ[٢]

عكَّفاً، أي مقيمةً حولي، عاطفةً عليَّ بمنزلةِ البواكي التي تعطفُ على الميِّتِ.
وقالَ آخرُ: [الخفيف]

وكأنَّ السُّموطَ عكَّفها السِّلكُ　　　بـعـطـفـي جـيـداءَ أمِّ غـزالِ[٣]

عكَّفها: ثناها وحبسَها.

فالاعتكافُ هو لُزومُ المسجدِ بالعبادةِ والتَّعطُّف بالسُّجودِ والرُّكوعِ. وقيلَ له «مُعتَكِف» لاحتباسِهِ نفسَهُ في المسجدِ، وتعطُّفِهِ وتحدُّبِهِ ولزومِهِ العبادةَ، وإقبالِهِ عليها، دونَ غيرِها من الأعمالِ.

[٢٤٧]

الفطر

أصلُ الفطرِ[٤]: الابتداءُ في الأكلِ والشُّربِ. يُقال: «أفطرَ»، إذا ابتدأَ في ذلك، كأنَّه كانَ مُمسِكاً عنه ثمَّ ابتدأَ فيه. ويُقالُ للطَّعامِ الذي يبتدئُ به الصّائمُ «فطور». ويومُ الفطرِ: هو الذي يبتدئُ النّاسُ فيه بالطَّعامِ، بعدَما كانوا صائمينَ لا يطعمونَ. وقيلَ للزَّكاةِ التي يُخرِجُها النّاسُ يومَ الفطرِ «الفطرة»، لأنَّه يُبدَأُ بإخراجِها قبل أن يُفطَرَ. وقيل: خبزٌ فطيرٌ، وهو الذي لا خميرَ فيه، سُمِّيَ بذلك لأنَّه ابتداءٌ في التَّخبيزِ من غيرِ أن يُخمَّرَ بخميرٍ قبلَ ذلك. وأصلُ اللَّفظِ مشتقٌّ مِن «فطرَ»، إذا

---

(١) ديوان الهذليين ١/ ٦٧.
(٢) ديوان الطرماح ص ١٨٤.
(٣) ديوان الأعشى ص ١٦٤.
(٤) في م وأخواتها: أصل الإفطار.

ابتداً، يُقال: فطرَ نابُ البعيرِ، إذا طلعَ وانشقَّ اللَّحمُ عنه[1]. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فاطرِ السَّمواتِ والأرضِ﴾ [الأنعام: ١٤]، أي مُبتَدِئهما. قالَ ابنُ عبّاس رضيَ اللّهُ عنه: كنتُ لا أدري ما معنى ﴿فاطرِ السَّمواتِ والأرضِ﴾، حتّى اختصمَ إليَّ أعرابيّانِ في بئرٍ، فقالَ أحدُهما: أنا فطرتُها، أي ابتدأتُها. قالَ أبو عبيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]، أي من صدوعٍ[2]. فكأنَّ معنى «الإفطارِ» إنَّما يدورُ على الابتداءِ.

[٢٤٨]

الأضحى

الأضحى مأخوذٌ من ضحوةِ النَّهارِ، وذلك إذا بزغتِ الشَّمسُ. ومنه[3] قيلَ للقربانِ «أُضحية»، وأنَّثوها لأنَّهم ذهبوا إلى معنى البَدَنةِ أو البَقَرةِ أو الشّاةِ، لأنَّها تُنحَرُ في ذلك الوقتِ. ويُقال: ضحّى بكبشٍ، وضحَّى ببدنةٍ، إذا ذبحَها في ذلك اليومِ وقتَ الضُّحى[4]. فإذا كانَ غيرَ يومِ الأضحى[5] لم تُسَمَّ «أضحية». ولا يُقال: ضحَّى به، وإن ذبحَهُ ضحوةَ النَّهارِ، لأنَّ الاسمَ قد لزمَ كلَّ ما كانَ في هذا المعنى، حتّى أنَّهم قالوا لمن يقتلُ رجلاً يومَ الأضحى «قد ضحَّى به». قالَ الشّاعرُ في عُثمانَ، وذلك أنَّه قُتِلَ يومَ الأضحى: [البسيط]

ضحَّوا بأشمطَ عنوانُ السُّجودِ بِهِ ... يقطِّعُ اللَّيلَ تسبيحاً وقرآنا[6]

ضحَّوا به: قتلوه يومَ الأضحى. وقالَ الكُميتُ: [الكامل]

إنّا لَنرجو أن يُقيمَ لنا ... سُنَنَ الخلائفِ[7] من بني فِهرِ[8]

(١) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ١٨٧.
(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ٢٦٢.
(٣) ومنه: زيادة من ب.
(٤) ينظر: شرح فصيح ثعلب لابن خالويه، الورقة، ١٠١.
(٥) سقطت الجملة من ب.
(٦) غريب الحديث لابن قتيبة ٢/ ٤٦٧، الجمل للشيخ المفيد ص ١١٢. والبيت في ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ص ٤٦٩.
(٧) الخلائف: هكذا في ب، وفي م وأخواتها: الخلائق.
(٨) لم أجد البيتين في ديوان الكميت المجموع.

عُثمانَ إذ قتلوه وانتهكوا دَمَهُ صبيحةَ ليلةِ النَّحرِ

ويُقال له «يوم النَّحرِ» لما يُنحَرُ فيه من الجزرِ، ويوم القرِّ بعد يومِ النَّحرِ، لأنَّ النّاسَ[1] يستقرُّونَ فيه، ويوم النَّفرِ، لأنَّ النّاسَ ينفرونَ فيه متعجِّلينَ.

[٢٤٩]

العيد

يُقال ليوم الفِطرِ ويومِ الأضحى «يوم العيد». قالوا: والعيدُ: كلُّ يوم مُجمِّعٍ، وكذلك يُقال لسائرِ الأعيادِ التي لغيرِ أهلِ الإسلام. قالَ: اشتقاقُهُ مِن «عادَ، يعودُ»، كأنَّه يومٌ كانوا اجتمعوا فيه، فإذا أتى لذلكَ مُدَّةٌ، عادَ عليهم ذلك اليومُ، فاجتمعوا وعادوا في مثلِ ذلكَ[2]. وقالَ غيرُهُ: يُسَمَّى «عيداً» لأنَّهم اعتادوا أن يجتمعوا فيه. ويُقال: عاودتَهُ هذا الأمرَ، وعوَّدتَهُ العطيَّةَ، إذا رسمتَ له أن تعطيَهُ في وقتٍ معلومٍ. قالَ الشّاعرُ: [الكامل]

عوَّدتَ كندةَ عادةً فاصبرْ لها اغفرْ لجاهلِها وروِّ سجالَها[3]

قالَ أبو عُبَيدةَ[4] في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿تكونُ لنا عِيداً لأوَّلِنا وآخرِنا وآيةً منكَ﴾ [المائدة: ١١٤]، العيدُ هاهنا عائدٌ[5] من اللّهِ، وحجَّةٌ وبرهانٌ. (وآيةً منك)، أي علماً وعلامةً[6]. ويُقال: فلانٌ تعاودُهُ الحُمَّى، إذا كانتْ تعودُ عليه وتأتيه في وقتٍ معلومٍ. وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وآله: «ما زالتْ أكلةُ خيبرَ تعادُّني، فهذا أوانُ قطعتْ أبهَري»[7]. أي كنتُ أجدُ ألَمَها في كلِّ سنةٍ في ذلك الوقتِ. فكأنَّ العيدَ يُسَمَّى بذلك لأنَّهم يُحيونَ السُّنَّةَ فيه في كلِّ عامٍ في ذلك

---

(١) في م وأخواتها: لأن الإنسان.

(٢) ذكر الزجاجي هذا الرأي في كتابه «اشتقاق أسماء اللّه»، دون أن ينسبه إلى أحد. قال: وقال بعضهم: اشتقاق العيد من: عاد، يعود، كأنهم عادوا إليه، ص ٢٥٠.

(٣) ديوان الأعشى ص ١٥٢، من قصيدة في مدح قيس بن معدي كرب الكندي.

(٤) في ب: أبو عبيد.

(٥) هكذا في الأصول، وفي مجاز القرآن: عائدة.

(٦) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٨٣.

(٧) أبو عبيد: غريب الحديث ١/ ٢٠٣.

الوقتِ، ويعودونَ فيه، ويجعلونَ ذلك اليومَ عَلَماً بينَهم.

[قالَ أبو جعفر: «تعاذُني» ليسَ من العيدِ في شيءٍ من جهةِ الاشتقاقِ، ولو كانَ منه لقالَ «تعاوذُني»][1].

[٢٥٠]

الزَّكاة والصَّدقة

الزَّكاةُ: النَّماءُ والزِّيادةُ. ومنه يُقال: زكا الزَّرعُ، إذا نما وطالَ، وزكتِ القريةُ، وقريةٌ زكيَّةٌ، إذا كثرَ خيرُها. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فلا تزكُّوا أنفسَكم﴾ [النجم: ٣٢]، أي لا ترفعوها فوقَ قَدرِها. فالزَّكاةُ والزَّكاءُ: النَّماءُ والفضلُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وما آتيتم من رِبا ليربوَ في أموالِ النّاسِ فلا يربو عندَ اللّهِ وما آتيتم من زكاةٍ تريدونَ وجهَ اللّهِ فأولئكَ هم المُضعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩]. قالَ بعضُ أهلِ التَّفسيرِ: يعني أنَّ الرِّبا وإن كانَ زائداً في الدُّنيا، فإنَّه لا يزيدُ في الآخرةِ عندَ اللّهِ، والزَّكاةُ يضاعفُها اللّهُ للمزكِّي للواحدِ عشرةً. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿مَن جاءَ بالحسنةِ فله عشرُ أمثالِها﴾ [الأنعام: ١٦٠]. قالَ أبو عبيدةَ[2] في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿أيُّها أزكى طعاماً﴾ [الكهف: ١٩]، أي أكثر[3]. قالَ القتّال الكلابيُّ: [الطويل]

قبائلُنا سبعٌ وأنتم ثلاثةٌ ... وَلَلْسَّبعُ أزكى من ثلاثٍ وأكثرُ[4]

وقالَ آخرُ: [المتقارب]

فذاكَ أوانُ الزَّكى والفتاءِ ... وهذا أوانٌ من المُلْكِ حارا[5]

---

(١) زيادة من م وأخواتها، لم ترد في ب. وأرجح أن أبا جعفر هو ابن النحاس، النحوي واللغوي المصري صاحب «معاني القرآن» و«إعراب القرآن» و«شرح ديوان امرئ القيس». ولعل قوله المذكور كان في اتصال مباشر مع أبي حاتم، لأنه كان في بغداد وقت وجود أبي حاتم فيها.

(٢) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: أبو عبيد.

(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣٩٧.

(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣٩٧، ديوان القتال الكلابي ص ٥٠.

(٥) ديوان الأعشى ص ٨٣، باختلاف قليل.

قالَ: ومنه: أخساً أم زكاً[1]، فخساً هو الواحدُ، وزكاً اثنانِ، لأنَّها زيادةٌ على الواحدِ.

والزَّكاة في وجهٍ آخرَ هي الطَّهارةُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿قد أفلحَ مَن تزكَّى﴾ [الأعلى: ١٤]. وقالَ ﴿قد أفلحَ مَن زكَّاها﴾ [الشمس: ٩]، أي طهَّرَها. ويُقال: فلانٌ زكيٌّ، أي طاهرٌ، وزاكٍ أيضاً. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿أقتلتَ نَفْساً زكيَّةً بغيرِ نفسٍ﴾ [الكهف: ٧٤]. وبقراءةٍ: (زاكيةً)، ومعناهما جميعاً: طاهرة. قالَ أبو عبيد: قرأَ ابنُ عبّاس (زكيَّةً بغيرِ نفسٍ). وقالَ: يعني كقوله (زكيّاً). وقرأَ أهلُ المدينةِ (زاكيةً). وكذلك قرأها أبو عمرو، وقالَ: هي التي لا ذنبَ لها. والزَّكيَّة: النَّقيَّة. وعن ابنِ جريج قالَ: الزَّكيَّة: السَّليمة[2]. وقالَ آخرونَ: زاكية: نامية. قالوا: وتزكيةُ القاضي للشُّهود هو رفعُهُ إيّاهم بالتَّعديلِ. وقالَ عزَّ وجلَّ ﴿هل لَكَ إلى أن تَزَكَّى﴾ [النازعات: ١٨]. قرأها أبو عمرو [تَزْكى][3] خفيفةً، وقالَ: معناه تكون زاكياً. قالَ[4]: وتَزَكَّى، بالتَّشديد، أرادَ أن يتصدَّقَ بالزَّكاةِ. قالَ: وكيفَ يقولُ موسى لفرعونَ [أن][5] يتصدَّقَ بالزَّكاةِ وهو كافرٌ؟ إنَّما قالَ: هل لكَ أن تكونَ زاكياً مُؤمِناً؟

ويُقال للزَّكاةِ المفروضةِ «صَدَقة». قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿إنَّما الصَّدَقاتُ للفقراءِ والمساكينِ والعاملينَ عَلَيها﴾، إلى قولِهِ ﴿فريضةً مِنَ اللّهِ﴾ [التوبة: ٦٠]. فالزَّكاةُ والصَّدَقةُ هما اسمانِ لما يُخرِجُهُ النّاسُ من أموالِهم في وجهِ اللّهِ تعالى، لما افترَضَهُ اللّهُ عليهم، وما كانَ تطوُّعاً من غيرِ فريضةٍ. والأغلبُ[6] أن يُقالَ لما أُخرجَ من الأموالِ من الذَّهَبِ والفضَّةِ والحبوبِ وما أخرجتِ الأرضُ «زكاة»، ويُقال لها أيضاً «صَدَقة». والأغلبُ على ما يخرجُ من الإبلِ والبقرِ والغنمِ أن يُقالَ

(١) في الأصول: ومنه خسا وزكا، وقد نقلت ما في أساس البلاغة للزمخشري، مادة (خسي)، الذي شرحه: أوتر أم شفع.

(٢) هكذا في م وك وهـ، وفي ب وج وخ: المسلمة.

(٣) زيادة منا ليست في الأصول.

(٤) من «قرأها» زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.

(٥) زيادة منا لم ترد في الأصول.

(٦) في ب: والأقرب.

«صَدَقة»[1]، ويُقال لها أيضاً «زكاة». ويُقال هو في الأصلِ أن يُقالَ لما كانَ فريضةً «زكاة»، ولما كانَ تطوُّعاً «صَدَقة». ويُقال: زكَّى فلانٌ مالَهُ، إذا أخرجَ ما افترضَهُ اللّهُ عزَّ وجلَّ عليه فيه. ويُقال: أخرجَ زكاةَ مالِهِ، ولا يكادُ يُقالُ: أخرجَ صَدَقَةَ مالِهِ، أو صدَّقَ مالَهُ، كما يُقال: زكَّى مالَهُ. ويُقال لمن تصدَّقَ بمالِهِ تطوُّعاً: قد تصدَّقَ بمالِهِ، ولا يُقال: تزكَّى بمالِهِ. إنَّما يُقال تزكَّى في الفريضةِ الواجبةِ.

وفي الحديثِ أنَّ سعداً استأذنَ رسولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله أن يتصدَّقَ بمالِهِ كلِّهِ، فقالَ: لا. فقالَ: فالشَّطر، قالَ: لا. قالَ: فالثُّلث، قالَ: نعم، والثُّلثُ كثيرٌ. إنَّكَ لئن تتركَ أولادَكَ[2] أغنياءَ خيرٌ من أن تتركَهم عالةً يتكفَّفونَ النّاسَ[3].

وفي حديثٍ آخرَ قالَ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه: «أفضلُ الصَّدقةِ على ذي رحمٍ كاشحٍ»[4]. فهذا في التَّطوُّعِ الذي ليسَ بفريضةٍ. ويُقال لما يُؤخَذُ من الأموالِ السّائمة «صدقات»، ولا يكادُ يُقال لها «زكوات». ويُقال للعاملِ عليها «عاملُ الصَّدقاتِ»، ولا يُقال له «عاملُ الزَّكواتِ». وفي الحديثِ: كانَ فلانٌ عاملَ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله على صَدَقاتِ بني فلانٍ. وفي حديثٍ آخرَ أنَّ عكراش بن ذويب قالَ: بعثَني بنو مرَّةَ بِصَدَقاتِ أموالِهم إلى رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله، فقدمتُ عليه بإبِلٍ كأنَّها عروقُ الأرطى.

ويُقال لما يُؤخَذُ من الأموالِ السّائمةِ أيضاً «فرائض». قالَ الرّاعي: [الكامل]

ولئنْ رجعتُ لأدعونَّ بدعوةٍ　　　تدَعُ الفرائضَ بالشُّرَيفِ قليلا[5]

ولا يكادُ يُقالُ لما يُؤخَذُ من سائرِ الأموالِ من الذَّهَبِ والفضَّةِ والحبوبِ وما أخرجتِ الأرضُ «فرائض»، وإن كانتْ كلُّها فرائضَ من اللّهِ عزَّ وجلَّ.

فأصلُ الزَّكاةِ، على ما فسَّرناه، مأخوذٌ من الزِّيادةِ والفضلِ[6]، لأنَّ الذي

---

(١) سقطت الجملة من هـ.
(٢) أولادك: هكذا في ب وغريب الحديث، وفي م وأخواتها: عيالك.
(٣) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٣٤٣.
(٤) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٣٤٤، أبو عبيد: الأموال ص ٣٦٣.
(٥) ديوان الراعي النميري ص ٢٤١.
(٦) في ب: والنقصان.

يُخرِجُ زكاةَ مالِهِ يضاعفُ اللّهُ عزَّ وجلَّ له في الآخرةِ، للواحدِ عشراً، تصديقاً لقولِهِ ﴿مَن جاءَ بالحسنةِ فله عشرُ أمثالِها﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ويُبارِكُ اللّهُ عزَّ وجلَّ له في الدُّنيا فيما أخرجَ منه الزَّكاةَ. قالَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليه وآله «لا يُنقِصُ مالٌ من صدقةٍ»(١). وفي الوجهِ الذي قالوا هو الطَّهارة. فكلُّ مالٍ قد أخرجتَ زكاتَهُ وأُدِّيَ منه حقُّ اللّهِ عزَّ وجلَّ فهو حلالٌ طاهرٌ، فإذا لم يُخرَجْ منه حقُّ اللّهِ فهو حرامٌ نجسٌ.

والصَّدَقة مأخوذةٌ من الصِّدقِ، كأنَّ الذي يُخرِجُ الصَّدَقَةَ مِن مالِهِ مصدِّقٌ بما وعدَهُ اللّهُ عزَّ وجلَّ عليه من الثَّوابِ. فتصدَّقَ تعني «تفعَّلَ» من «الصِّدق». وقيلَ للزَّكاةِ المفروضةِ «صَدَقة»، وللتَّطوُّعِ «صَدَقة»(٢). وتصدَّقَ فلانٌ بمالِهِ، وأخرجَ صَدَقَةَ مالِهِ، لأنَّه فعلَ ذلكَ تصديقاً بما وعدَهُ اللّهُ عزَّ وجلَّ من الزِّيادةِ في الدُّنيا من طهارةِ مالِهِ، ومن الثَّوابِ في الآخرةِ، والأجرِ العظيمِ، فسُمِّيَ بذلك.

[٢٥١]

تفسير أسنان الإبل ممّا يُؤخَذُ في الصَّدَقَة

«ابنُ مَخاض»: إذا تمَّ حَولُهُ، ودخلَ في السَّنَةِ الثّانيةِ، وذلك أنَّ أُمَّهُ ضربَها الفحلُ، فحملتْ، فهي مخاضٌ، وابنُها ابنُ مَخاضٍ، والأنثى بنتُ مَخاضٍ(٣).

و«ابنُ لَبُونٍ»: إذا استكملَ السَّنَةَ الثّانيةَ، ودخلَ في الثّالثةِ، وذلك أنَّ أُمَّهُ وضعتْ، فصارَ بها لَبَنٌ، فهي لَبُونٌ، وابنُها ابنُ لَبُونٍ، والأنثى بنتُ لَبُونٍ(٤).

فإذا تمّتِ الثّالثةُ، ودخلتِ الرّابعةُ، فالذَّكَرُ «حِقٌّ»، والأنثى «حِقّةٌ»، وذلك أنّه استحقَّ أن يُحمَلَ عليه ويُركَبَ(٥). والأنثى «طَروقةُ» الفحلِ، لأنّه قد حانَ أن يطرقَها الفحلُ.

---

(١) في ب: من زكاة.
(٢) وللتطوع صدقة: سقطت من هـ.
(٣) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/ ٤٢٣.
(٤) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/ ٤٢٣.
(٥) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/ ٤٢٤.

فإذا تمَّتِ الرّابعةُ، ودخلَ في الخامسةِ، فهو حينئذٍ «جذعٌ»، والأنثى «جذعةٌ». وليسَ الجذعُ بسنٍّ يُؤخَذُ في الصَّدَقةِ.

فإذا دخلَ في السَّنَةِ السّادسةِ، فهو «ثَنْيٌ»، والأنثى «ثنيةٌ». ولا يُؤخَذُ في الصَّدَقَةِ.

فإذا دخلَ في السّابعةِ، فهو «رَباعٌ»، والأنثى «رَباعِيَةٌ»[١].

فإذا دخلَ في الثّامنةِ[٢]، فهو «سديسٌ» و«سَدَسٌ»[٣].

فإذا دخلَ في التّاسعةِ، فهو «بازلٌ»، والأنثى «بازلةٌ»[٤]. وليسَ شيءٌ من هذه الأسنانِ ممّا يُؤخَذُ في الصَّدَقَةِ بعدَ الحقَّةِ.

[٢٥٢]
معنى الجوالي

قالَ أبو عُبَيدة في قولِ[٥] اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿ولولا أن كتبَ اللّهُ عَليهمُ الجلاءَ لعذَّبَهم في الدُّنيا﴾ [الحشر: ٣]: جَلَوا من أرضٍ إلى أرضٍ. ويُقال: جلا، وأجلى القومُ، إذا تنحَّوا، وأجليتُهم وجليتُهم وجلوتُهم[٦]. قالَ أبو ذؤيب: [الطويل]

فلمّا اجتلاها بالإيامِ تحيَّزتْ ثباتٍ عليها ذلُّها واكتئابُها[٧]

فالجوالي: الذّاهباتُ. وأجلينَ: انكشفنَ. وأجلى القومُ: انكشفوا وخرجوا من أرضٍ إلى أرضٍ. ويُقال: استُعملَ فلانٌ على الجاليةِ، لأنَّ القومَ الذينَ عليهم الجاليةُ يُجلونَ بأغنامِهم من مكانٍ إلى مكانٍ. فأموالُ الجوالي مأخوذةٌ من ذلكَ.

---

(١) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/ ٤٣٠.
(٢) هنا توجد زيادة في م وأخواتها: وتمت السابعة. قال أبو جعفر: الصواب فهو سدس.
(٣) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/ ٤٣٠.
(٤) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/ ٤٣٠.
(٥) زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.
(٦) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ٢٥٦. والنص فيه غير مكتمل.
(٧) ديوان الهذليين ١/ ٧٩. واجتلاها بالإيام: طردها بالدخان، وتحيزت: تجمعت، ثبات: جماعات.

[٢٥٣]

الحجّ

قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وللّهِ على النّاسِ حَجُّ البيتِ مَن استطاعَ إِلَيهِ سَبيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧]. قالَ المفسِّرونَ: إتيانُ البيتِ. والحجُّ مأخوذٌ مِن: حجَّ، يحجُّ، إذا أتاه مرَّةً بعدَ مرَّةٍ، وعاودَهُ تارةً بعدَ تارةٍ، وعظَّمَهُ وقصدَهُ. ويُقال: حجَّ فلانٌ موضعَ كذا، إذا أدامَ الاختلافَ إليه ولزمَهُ. قالَ المخبَّلُ: [الطويل]

وأشهدُ من عوفٍ حلولاً كثيرةً يحجُّون سِبَّ الزِّبْرِقانِ المزعفَرا[١]

السِّبُّ: العمامةُ. يعني أنَّهم يُديمونَ الاختلافَ إليه، ويُكثِرونَ إتيانَهُ، ويعظمونَهُ ويلزمونَهُ. وكانَ السَّيِّدُ منهم يعتمُّ بعمامةٍ صفراءَ. قالَ الشّاعرُ: [الطويل]

رأيتُكَ هَرَّيتَ العمامةَ بعدَما أراكَ زماناً حاسراً لم تُعصَّبِ[٢]

هرَّيتَ العمامةَ: أي لبستَها صفراءَ. ومهروَّة: مصفرَّة. وفي حديثِ المسيحِ عليه السَّلام أنَّه ينزلُ من السَّماءِ وعليه عمامتانِ مهروذتانِ. قالَ أهلُ اللُّغة: هو مصحَّفٌ، إنَّما هو «مَهْروَّتانِ»، أي مصفرَّتانِ. وكانَ الزِّبرقانُ سيِّدَ بني عوفٍ، وكان عريفَ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وآله على صدقاتِ بني عوفٍ والأبناء. وقالَ فيه آخرُ: [البسيط]

كانتْ تحجُّ بنو سعدٍ عمامَتَهُ إذا أَهَلُّوا على أنصابِهم رَجَبا[٣]

لأنَّهم كانوا يزورونَهُ ويعظِّمونَهُ ويقصدونَهُ، ويلزمونَ بابَهُ[٤]، ويفعلونَ ذلك في رجبٍ عند عكوفِهم على أصنامِهم. ويقال: زبرقَ عمامتَهُ، إذا صفَّرَها[٥].

قالَ الخليلُ: الحجُّ كلمةٌ جامعةٌ، تنتظمُ أمورَ الحجِّ؛ الإدامةَ والإقامةَ بالفناءِ

---

(١) نسبه قطرب للمخبل في الفروق ص ٦٠، والشطر الأول فيه: فهم أهلات حول قيس بن عاصم، وقال إن (السب): (الاست)، والبيت للمخبل في المعاني لابن قتيبة ص ٤٧٨: وأشهد من قيس، والشطر الثاني في أساس البلاغة، مادة (حجج).

(٢) للمخبل في المعاني لابن قتيبة ص ٤٧٩، لسان العرب ١٥/ ٨٣، مادة (هرو).

(٣) العين للفراهيدي ٣/ ٩، بلا نسبة.

(٤) في م وأخواتها: ويلزمونه بأفناء بابه.

(٥) في ب: إذا حمرها.

واللَّوَذانَ بمعلمِهِ. والحجُّ في كلِّ سنةٍ إنَّما هو الوقوفُ بِعَرَفَةَ. فمَن فاتَهُ فقد فاتَهُ الحجُّ. والحاجُّ: الذينَ يُكثِرونَ إتيانَ البيتِ والموضعِ، والدّاجُّ[1]: الذينَ يُريدونَ البيتَ بغيرِ نيَّةٍ، إمّا للتِّجارةِ أو لغيرِها. والحجُّ أن يحلق ما حولَ الشَّجَّةِ. قالَ الشّاعرُ: [البسيط]

يحجُّ مأمومةً في قعرِها لجفٌ ... فاستُ الطَّبيبِ قذاها كالمغاريدِ[2]

ويُقال: تحجَّى فلانٌ بكذا، إذا لزِمَهُ وتمسَّكَ به وأعادَ ذكرَهُ مرَّةً بعد مرَّةٍ. قالَ ابنُ أحمرَ: [الوافر]

أصمَّ دعاءُ عاذلتي تَحَجَّى ... بآخرِنا وتنسى أوَّلينا[3]

قالَ الأصمعيُّ: تَحَجَّى بآخرِنا، يقولُ: تُقبِلُ عليهم باللَّومِ، وتنسى مَن مضى. وتحجِّيها: بسطُها[4] إيّاهم بالقولِ، وإقبالُها عليهم باللَّومِ. قالَ الباهليُّ عن ابنِ الأعرابيِّ: تَحَجَّى: تمسَّكَ، يُقال: تَحَجَّى فلانٌ بذلك المكانِ، إذا لزِمَهُ. قالَ جرير[5]: [الوافر]

فدينُكَ يا فرزدقُ دينُ ليلى ... تعودُ القَينَ حَجّاً واعتمارا[6]

قالَ أبو بكر القارئُ[7] عن أبي سعيد: دينُكَ: عادتُكَ. وليلى: أمُّ غالبٍ، أبي الفرزدق. تعودُ القَينَ: تأتيه مرَّةً بعدَ مرَّةٍ، بمنزلةِ الحجِّ تحجُّهُ وتعتمرُهُ.

وقيلَ لمعظمِ الطَّريقِ: «مَحَجَّة»، وهو مأخوذٌ من كثرةِ اختلافِ النّاسِ فيه بالمجيءِ والذَّهابِ ولزومِهم إيّاه. قالَ الشّاعرُ: [الطويل]

---

(١) في م وأخواتها: الراج، وهو خطأ، وانظر: غريب الحديث لأبي عبيد ٥/ ٢٧٥: هؤلاء الداج وليسوا بالحاج.

(٢) المعاني لابن قتيبة ص ٩٧٧، وقد شرح البيت بأن يحج هنا بمعنى يصلح أو يعالج، والمأمومة: الشجة التي تبلغ أم الدماغ. والمغاريد: نوع من الكمأ. وينظر الكامل للمبرد ٢/ ٣٤٩، ومعاني القرآن للنحاس ١/ ١١٥. ولم يرد الشطر الثاني في م وأخواتها.

(٣) المعاني لابن قتيبة ٤٢٨، وشعر عمرو بن أحمر المجموع ص ١٦٤. أي يدعو عليها بأن يلاقي عذلها قوماً صماً، لأنه تلوم أواخرهم قبل قدمائهم.

(٤) في م وأخواتها: ضبطها.

(٥) في ب: قال ذو الرمة.

(٦) ديوان جرير ص ٨٨٨.

(٧) زيادة من م وأخواتها. ورواية أبي بكر القارئ عن أبي سعيد السكري ترجح أنه ابن الأنباري.

ألا أبلغا عنّي حُرَيثاً رسالةً فإنَّكَ عن قصدِ المحجَّةِ أنكبُ[1]

ويُقال: حَجَّ، يَحُجُّ، حَجّاً. والحَجَّةُ الواحدةُ، بفتحِ الحاءِ، وتُجمَعُ: حجّاتٍ. فإذا كُسِرَتِ الحاءُ قلتَ «حِجَّة»، تعني به السَّنَةَ، ويُجمَعُ: حِجَجاً. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ثَمانِيَ حِجَجٍ﴾ [القصص: ٢٧]. فكأنَّ السَّنَةَ قيلَ لها «حِجَّة»، لأنَّ النّاسَ يحجُّونَ في كلِّ سَنَةٍ مرَّةً. ويُقال أيضاً «حَجَّة»، بفتحِ الحاءِ. قالَ لبيد: [الطويل]

يرضْنَ صعابَ الدُّرِّ في كلِّ حِجَّةٍ وإن لم تكنْ أعناقُهنَّ عواطلا[2]

قالَ قومٌ: الحِجَّةُ هاهنا السَّنَةُ. وقالَ آخرونَ: الحِجَّة: شحمةُ الأذنِ، وهو اسمٌ لها. وقالَ آخرونَ: الحجَّةُ: السَّيرُ إلى الحجِّ.

ويُقال: حاجَّهُ واحتجَّ عليه بِحُجَّةٍ، أي فلجَ عليه عندَ الاختصامِ، لإعادةِ القولِ عليه مرَّةً بعدَ مرَّةٍ، حتّى ألزمَهُ الحجَّةَ. ويُقال: حاجَّهُ واحتجَّ عليه، أي كرَّرَ القولَ في إعادتِهِ، حتّى ألزمَهُ الحجَّةَ[3]. وهو مأخوذٌ من الإعادةِ والإلزامِ. ويُقال: خرجَ إلى الحَجِّ والحِجِّ، بالفتحِ والكسرِ. والفتحُ أفصحُ، والكسرُ رديءٌ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ولِلّهِ على النّاسِ حَجُّ البيتِ﴾، بالفتحِ. ويُقرأُ بالكسرِ. والاختيارُ الفتحُ. قالَ أبو عبيدةَ: الحَجُّ يُكسَرُ أوَّلُهُ ويُفتَحُ[4]. ويُقال: رجلٌ حَجّاجٌ: كثيرُ الحجِّ، ومحجاجٌ: كثيرُ الحججِ، وحُجّاجٌ بالضَّمِّ: جماعةُ الحاجِّ. وشهرُ ذي الحِجّةِ بالكسرِ. والعجّاجُ مِن «عجَّ»: مثلُ الحجّاجِ مِن «حجَّ». وحاججتُهُ حِجاجاً: مصدرٌ. والحِجاجُ أيضاً: العظمُ المستديرُ حولَ العينِ. ويُقال هو الأعلى الذي تحتَ الحاجبِ. فكأنَّ الحجَّ مأخوذٌ من لزومِ النّاسِ إيّاه بالإعادةِ والاختلافِ إليه مرَّةً بعدَ مرَّةٍ، وإقبالِهم عليه، وتمسُّكِهم به.

---

(١) ديوان الأعشى ص ١١.

(٢) العين للفراهيدي ٣/ ١٠، وديوان لبيد ص ٢٤٣. والحجة: شحمة الأذن.

(٣) الجملة زيادة من م وأخواتها.

(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ٤٤.

العمرة

العمرةُ مأخوذةٌ مِن «اعتمرَ»، إذا زارَ. والعمرةُ: الزِّيارةُ. ويُقال: اعتمرَ فلانٌ، وجاءَنا مُعتَمِراً، أي زائراً. ومن أجلِ ذلكَ قالوا: دارٌ معمورةٌ، لأنَّها مأهولةٌ تُزارُ، ويُزارُ مَن فيها. ومكانٌ معمورٌ: أي مَزورٌ، مقصودٌ، يقصدُهُ النّاسُ، ويأتونَهُ. فإذا خربَ لم يأتِهِ أحدٌ، ولم يُزَرْ. فلا يكونُ حينئذٍ معموراً، أي مَزوراً. وقيلَ: «البيت المعمور»: الذي في السَّماءِ، سُمِّيَ بذلك للزِّيارةِ، لأنَّه فيما يُقال يزورُهُ في كلِّ يومٍ سبعونَ ألفِ مَلَكٍ، لا يعودونَ إليه. وفي حديثٍ آخرَ: يدخلُ البيتَ المعمورَ[١] في كلِّ يومٍ سبعونَ ألف دحيةً، كلُّ دحيةٍ سبعونَ ألفِ مَلَكٍ. قالَ السِّجستانيُّ: الدّحية: الرَّئيسُ. ولستُ أدري أبذلك سُمِّيَ الرَّجلُ أم لا. وقيلَ لمن اعتمرَ إلى مكَّةَ «مُعتَمِر»، معناه زائرٌ، لأنَّه يزورُ البيتَ[٢]. قالَ أعشى باهلةَ، ويُقال أيضاً لدعجاءَ بنتِ وهب الهلاليَّة[٣]: [البسيط]

فجاشتِ النَّفسُ لمّا جاءَ جمعُهُمُ   وراكبٌ جاءَ من تثليثَ مُعتَمِرُ[٤]

وقالَ العجّاجُ: [الرجز]

لقد سما ابنُ معمرٍ حينَ اعتمرْ[٥]

قالَ أبو عبيدةَ: المعتَمِر: المعتمُّ[٦]، والعمارةُ: العمامةُ، وكذلكَ الإكليلُ والتّاجُ وكلُّ شيءٍ يكونُ على الرَّأسِ[٧]. والمعتمرُ: من العمرةِ. قالَ أبو عمرو: البيتُ المعمورُ: الكثيرُ الأهلِ. فكأنَّ العمرةَ مأخوذةٌ من الزِّيارةِ، زيارةِ البيتِ، لأنَّ الحجَّ الأكبرَ هو الوقوفُ بعَرَفَةَ، والمعتمرُ إذا زارَ البيتَ، وطافَ به، وسعى بينَ

---

(١) في ب: العتيق.
(٢) من «وقيل لمن اعتمر»: سقطت من ب.
(٣) ويقال أيضاً: زيادة من م وأخواتها، لم ترد في ب.
(٤) شعر أعشى باهلة في الصبح المنير ص ٢٦٦.
(٥) ديوان العجاج ص ١٩.
(٦) هكذا في ب ومجاز القرآن، وفي م وأخواتها: المتعمم.
(٧) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٥٠.

الصَّفا والمروةِ، أحلَّ من إحرامِهِ، وقد فرغَ من عُمرتِهِ. فإذا أرادَ الحجَّ، أحرمَ يومَ التَّرويةِ، وخرجَ إلى منى، ثمَّ إلى الموقفِ. فسُمِّيَ ذلك «عمرة» لأنَّه زارَ البيتَ.

[٢٥٥]
مكَّة

يُقال لها: مكَّةُ وبكَّةُ، بالميمِ والباءِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿إنَّ أوَّلَ بيتٍ وُضِعَ للنّاسِ لَلَّذي بِبَكَّةَ مُبارَكاً﴾ [آل عمران: ٩٦]. وقالَ تباركَ وتعالى ﴿ببطنِ مكَّةَ مِن بعدِ أن أظفرَكم عَلَيهم﴾ [الفتح: ٢٤]. وكلامُ النّاسِ أكثرُهُ «مكَّة». قالَ أبو عبيدةَ: بكَّةُ اسمٌ لبطنِ مكَّةَ، وذلكَ أنَّهم كانوا يتباكُّونَ فيه ويزدحمونَ[١]. وأنشدَ: [الرجز]

إذا الشَّريبُ أَخَذَتْهُ أَكَّةْ فَخَلِّهِ حتّى يبكَّ بكَّةْ[٢]

قالَ: وكانَ بعضُهم يزعمُ أنَّ بكَّةَ هو موضعُ المسجدِ[٣]، وما حولَهُ مكَّةُ، كما فُرِّقَ بينَ «الأيكةِ» و«لَيْكةَ»، فقيلَ: الأيكةُ: الغيظةُ، ولَيْكَةُ: البَلَدُ حولَها. وكانَ بعضُهم يجعلُ «مكَّةَ» و«بكَّةَ» شيئاً واحداً، يُقيمُ الباءَ مكانَ الميمِ، كما قالوا: سمَّدَ رأسَهُ، وسبَّدَ رأسَهُ، إذا استأصلَهُ، وكما قالوا: لازب ولازم[٤]. وحُدِّثْتُ عن الحسن بن تميم الأصبهانيِّ عن الزِّياديِّ عن الأصمعيِّ، قالَ: سُمِّيَتْ «بكَّة» لأنَّ النّاسَ يبكُّ بعضُهم بعضاً، أي يدفعُ. وأنشدَ: [الرجز]

إذا الشَّريبُ أَخَذَتْهُ أَكَّةْ فَخَلِّهِ حتّى يبكَّ بكَّةْ

فبكَّ: معناه: دفعَ. وباكَ، بالألفِ من المجامعةِ. يُقال: باكَ الرَّجُلُ المرأةَ، يبوكُ، بوَكاً، إذا جامعَها. ويُقال: سُمِّيَتْ «تبوك» بذلك، لأنَّ أصحابَ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه نزلوا على عينِ ماءٍ، فكانوا يفتحونَهُ بالقِدحِ، فقيلَ لهم: ظللتم تبوكونَها هذا اليومَ. فسُمِّيَتْ «تبوك»، يعني: يُدخِلونَ فيها القِدحَ ويحرِّكونَهُ حتّى

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/٩٧.
(٢) النوادر لأبي زيد ص ٣٨٩، الفروق لقطرب ص ٧٩، الزاهر ٢/١١٢، الأضداد لأبي الطيب اللغوي ص ١٢٧.
(٣) الرأي في تفسير غريب القرآن للأمام زيد بن علي، ص ١٥٥.
(٤) ينظر: كتاب القلب والإبدال لابن السكيت، في الكنز اللغوي ص ١٢، وص ١٤.

يفتحوه ويُخرِجوا الماءَ. ومنه قيلَ: باكَ الحمارُ الأتانَ. وقالَ غيرُهُ من أصحابِ اللُّغة: مكَّةُ هي القريةُ، وبكَّةُ موضعُ الطُّوافِ للتَّباكِّ والتَّزاحمِ. وأنشدَ لرؤبةَ: [الرجز]

أخرجتُها مِن بينِ تصريحٍ ولَكّ   إذا الخصومُ وَرَدَتْ وِرْدَ الأبكّ[1]

لَكّ يعني: الاختلاطَ. يُقال: تلاكَّ الإبلُ على الحوضِ، إذا ازدحمتْ عليه. والأَبَكُّ اسمٌ، وهو الحمارُ. وإنَّما قيلَ له «أبكُّ» لأنَّه يبكُّ الأُتُنَ بكّاً، أي يدفعُها. ويُقال هو مِن «باكَها»، وقد مضى تفسيرُهُ.

وقالَ آخرُ: «بكَّةُ» مأخوذةٌ مِن «بككتُ الرَّجُلَ، أبكُّهُ»، إذا وضعتُ منه ورددتُ نخوتَهُ. ويُقال: سُمِّيَت «بكَّة» لأنَّ كلَّ ذي نخوةٍ يتواضعُ فيها ويتَّضعُ ويتذلَّلُ. قالَ: و«مكَّةُ» مِن: مككتُ المخَّ، مثل: مخختُهُ، إذا استخرجتَهُ. وأنشدَ لبعضِ الأعرابِ في تلبيتِهِ: [الرجز]

يا مكَّةَ الفاجرِ مُكّي مَكّا   ولا تمكّي مِذحَجاً وعَكّا[2]

مكَّة الفاجرِ: يعني تمكُّ الفاجرَ عنها وتُخرِجُهُ منها، كما يُمَكُّ المخُّ من العظمِ ويُخرَجُ منه. وقد ذكرنا طَرَفاً من هذا في بابِ الأمصارِ.

ويُقال لمكَّةَ «أمُّ القرى». قالَ أبو عبيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وما كانَ رَبُّكَ مُهلِكَ القُرى حتّى يبعَثَ في أُمِّها رَسولاً﴾ [القصص: ٥٩]: تقولُ العربُ: مكَّةُ أمُّ القرى، وأمُّ الأرضينَ[3]. ويُقال لمكَّةَ «أمُّ رحم»، كأنَّهم إذا لزموها رُحِموا. ويُقال لها: النّاسَّة، وكانوا إذا ظلموا فيها نسستْهم، أي أخرجتْهم فهلكوا. قالَ الشّاعرُ: [الرجز]

ونَسَّ وغراتُ المصيفِ العقربا[4]

---

(١) ديوان رؤبة بن العجاج ص ١١٧.
(٢) الأزمنة وتلبية الجاهلية لقطرب، ص ٤٣، الزاهر ٢/ ١١٢.
(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ١٠٨.
(٤) المعاني لابن قتيبة ٦٧٧، ونسبه لأبي النجم، وديوان أبي النجم العجلي ص ٨٦.

[٢٥٦]

الكعبة

قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿جعلَ اللّهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قِياماً للنّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧]. فسمّى البيتَ «كعبةً». والكعبةُ اسمٌ له. قالوا: إنَّما سُمِّيَ بذلك لتربيعِهِ وانفرادِهِ. وكلُّ بناءٍ مربَّعٍ منفردٍ يُقال له «كعبة»، وجمعُهُ: كِعابٌ. قالَ الشّاعرُ: [مجزوء الكامل]

يـا مَـن رأى رَيـمـانَ أمـ — ـسى خاوياً خَرِباً كِعابُهْ[١]

يعني بكِعابِهِ بيوتاً مربَّعةً. قالَ الأعشى: [المتقارب]

فكعبةُ نجرانَ حَتمٌ عليكِ — حتّى تُناخي بأبوابِها[٢]

وفي الحديثِ قالَ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه لعبدةَ بنِ مسهر البجليِّ، وكانَ قد وفدَ عليه مع جرير بن عبد اللّه البجليِّ، أينَ منزلُكَ يا ابنَ مسهرٍ؟ قالَ: كعبةُ نجرانَ. أرادَ: دارَ نجرانَ. قالَ: ولم يكنْ أحدٌ يكعِّبُ منزلَهُ بمكَّةَ، حتّى كانَ قُبَيلَ الإسلامِ، فكعَّبَ جدُّ حميد بن عبد الرَّحمن، المحدِّثِ المكيِّ، بيتَهُ. وكانَ اسمُهُ حميداً، فقالوا: كَعَّبَ حميدٌ بيتَهُ[٣]، إمّا حياتَهُ وإمّا موتَهُ. وكانَ عبدُ اللّهِ بنُ جدعانَ، قُبَيلَ الإسلامِ، يُطعِمُ النّاسَ، وهو من تيم بن مرَّةَ، رهطِ أبي بكر. وروى أصحابُ الأخبارِ أنَّ أبا قحافةَ كانَ بعيدَ الصَّوتِ، وكانَ يُنادي في كلِّ غداةٍ فوقَ دارِ عبدِ اللّهِ بن جدعانَ: هلمُّوا إلى الفالوذَجِ. ففي ذلك يقولُ الشّاعرُ: [الوافر]

لـه داعٍ بـمـكَّـةَ مُـشـمَـعِـلٌّ — وآخـرُ فـوقَ دارتِـهِ يُـنـادي[٤]

قالَ ابن قتيبة: سمعتُ مَن ينشدُ: فوقَ كعبتِهِ[٥]، والرِّواية: فوقَ دارتِهِ، يعني:

---

(١) ديوان الأعشى ص ٢١. وينظر الإكليل للهمداني ٨/ ٣٢، و(ريمان) فيه: (ريدان). ورواية أخرى لآخر في ص ٥٧: (بينون).

(٢) ديوان الأعشى ص ٢٥.

(٣) وكان اسمه: زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.

(٤) لأمية بن أبي الصلت في فضل العرب لابن قتيبة ص ٨٢، والمعاني الكبير ٣٨٠، وديوانه ص ١٩٥.

(٥) قال ابن قتيبة: سقطت من هـ.

فوقَ دارِهِ. وهذه الدّارُ هي التي تُسَمَّى «دار النَّدوة». وكانتْ قُرَيش تجتمعُ فيها، إذا حزبَهم أمرٌ. وفيها اجتمعتْ قُرَيش حينَ تشاوروا في أمرِ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه، فأتاهم إبليسُ في صورةِ شيخٍ من أهلِ نجدٍ، فأشارَ عليهم أن يجتمعوا على قتلِهِ. فخرجَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليه، بعد أن صاروا إلى بابِهِ، وقد أعمى اللّهُ أبصارَهم، فوضعَ التُّرابَ على رؤوسِهم، وقالَ: شاهتِ الوجوهُ.

وقالَ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه: «لا تقومُ السّاعةُ حتّى تضطربَ أَلَياتُ نساءِ دَوسٍ على ذي الخَلَصة»(١). قالَ: وذو الخَلَصة: بيتٌ كانَ فيه صَنَمٌ، يُقال له «الخَلَصة». وكانَ لدوسٍ وخثعمٍ وبجيلةَ، وكان يُسمَّى(٢) «الكعبة اليمانيَّة». فبعثَ رسولُ اللّه صلّى اللّهُ عليه وآله جرير بن عبد اللّه البجليَّ، فخرَّبَها(٣).

ورُوِيَ في الكعبةِ، البيتِ الحرامِ، أنَّ مثلَهُ(٤) في السَّمواتِ السَّبعِ والأرضينَ السَّبعِ، وأنَّه رابعُ أربعةَ عشرَ بيتاً؛ في كلِّ سماءٍ بيتٌ، وفي كلِّ أرضٍ، لو سقطَتْ وقعَ بعضُها على بعضٍ. وفي حديثِ عليٍّ صلواتُ اللّهِ عليه قالَ: «البيتُ المعمورُ نِتاقُ الكعبةِ مِن فوقِها»(٥). يعني: مُطِلٌّ عليها من فوقِها، من قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وإذ نَتَقنا الجَبَلَ فوقَهم﴾ [الأعراف: ١٧١]. ورُوِيَ عن جعفر بن محمَّد رضوانُ اللّهِ عليه قالَ: دُحِيَتِ الأرضُ من تحتِ الكعبةِ إلى العقبةِ إلى وادي محسر، وكانتِ الدُّنيا لُجَّةً، وكانَ موضعُ البيتِ زَبَداً مُجتَمِعاً، فأمرَهُ اللّهُ عزَّ وجلَّ فجمدَ. ثمَّ أمرَ جبريلَ عليه السَّلام أن يدحوَهُ من عقبة منى إلى محسر. ثمَّ بسطَ الأرضَ. وقالَ في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿وقدَّرَ فيها أقواتَها في أربعةِ أيّامٍ﴾ [فصلت: ١٠]، قالَ: لكلِّ أرضٍ قوتٌ، لا يصلحُ في غيرِها من البلدانِ. ألا ترى أنَّ السابوريَّ لا يصلحُ إلّا بالسّابورِ، واليمانيَّ لا يصلحُ إلّا باليمنِ؟

---

(١) صحيح البخاري (٧١١٦)، صحيح مسلم ٨/ ١٨٢.
(٢) في م وأخواتها: يدعى.
(٣) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: فحرقها.
(٤) في ب: أن بناءه من السموات.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ١٣.

[٢٥٧]

وجوه الحجِّ

الحجُّ على ثلاثةِ وجوهٍ[١]؛ حجّ مفردٍ، وحجّ متمتِّعٍ، وحجّ قارنٍ. فالمفردُ إنَّما سُمِّيَ «مفرداً» لأنَّه يخرجُ غيرَ متمتِّعٍ، ولا قارنٍ، إذا أحرمَ بحجِّهِ، يكونُ محرماً حتّى يفرغَ من جميعِ مناسكِهِ، فيكونُ حجّاً واحداً مفرداً. وأمّا المتمتِّعُ فإنَّه يحرمُ متمتِّعاً بالعمرةِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فمَن تمتَّعَ بالعمرةِ إلى الحجِّ﴾ [البقرة: ١٩٦]. فإذا أحرمَ بالعمرةِ، ثمَّ دخلَ مكَّةَ، طافَ بالبيتِ وسعى بينَ الصَّفا والمروةِ، وحلَّ من إحرامِهِ. فإذا كانَ يومُ التَّرويةِ، أحرمَ بحجِّهِ. فيحتاجُ أن يُحرِمَ مرَّتينِ. والمفردُ يُحرِمُ مرَّةً واحدةً. فلذلك سُمِّيَ هذا «متمتِّعاً»، وذاك «مفرداً». وليسَ بينَ المتمتِّعِ[٢] والقارنِ فرقٌ، إلّا بسياقِ الهديِ معَهُ. فإنَّ القارنَ إذا أحرمَ ساقَ معَهُ الهديَ من الميقاتِ. فلذلكَ سُمِّيَ «قارناً» لأنَّه قرنَ الهديَ معَهُ سائقاً له إلى يومِ النَّحرِ. والمتمتِّعُ سُمِّيَ «متمتِّعاً» لأنَّه حينَ قضى طوافَهُ وسعيَهُ، حلَّ من إحرامِهِ ومسَّ الطِّيبَ، وقصَّرَ من الشَّعرِ، وانتفعَ بما ينتفعُ به الحلالُ. والمتعةُ: الانتفاعُ بالشَّيءِ. فسُمِّيَ «متمتِّعاً» بذلك.

والمتعُ ثلاثٌ؛ متعةُ الحجِّ، ومتعةُ المطلَّقةِ، ومتعةُ النِّساءِ. فأمّا متعةُ الحجِّ فعلى ما ذكرنا[٣]. ومتعةُ المطلَّقةِ، قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وللمطلَّقاتِ متاعٌ بالمعروفِ حقّاً على المتَّقينَ﴾ [البقرة: ١٤١]. قالَ العالمُ: متاعُها بعدَ ما تنقضي عُدَّتُها، على الموسعِ قدرُهُ، وعلى المقترِ قدرُهُ. قالَ: والموسعُ يتمتَّعُ بالعبدِ والأَمَةِ، والمقترُ بالحنطةِ والزَّبيبِ والدَّراهمِ. قالَ: ومتعةُ المطلَّقةِ فريضةٌ، وهو لمن طلَّقَ امرأتَهُ قبلَ أن يدخلَ بها. وسُمِّيَتْ «متعة» لأنَّه يمتِّعُها، أي يُعطيها ما تنتفعُ به. ومتعةُ النِّساءِ هو الذي كانَ في صدرِ الإسلامِ، ثمَّ حرَّمَهُ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه.

وأُخِذَ أيضاً من أنَّ الرَّجُلَ كانَ يمتِّعُ المرأةَ بشيءٍ يُعطيها وينفعُها بذلك، ويتمتَّعُ بها. وقد قالَ قومٌ بتحليلِها إلى يومِنا هذا، وأنكروا تحريمَها، واحتجُّوا

---

(١) هكذا في ب، وما يتطلبه العنوان، وفي م وأخواتها: أوجه.

(٢) هكذا في ب وم، وفي ك وج وخ وه: بين المفرد والقارن.

(٣) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: ما فسرنا.

بقولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿فما استمتعتُم بِهِ منهنَّ فآتوهنَّ أجورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤]. قالوا: هي في المتعةِ التي حُرِّمَتْ. قالوا: وإنَّما حرَّمَها عُمَر بعدَ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه، وهي حلالٌ. وقد جهلوا معنى الآيةِ من جهةِ اللُّغةِ، لأنَّ كلَّ مَن طلَّقَ امرأتَهُ، وإن لم يكنْ تزوَّجَها متعةً، ثمَّ أعطاها مهرَها، فقد متَّعَها، وقد استمتعَ بها، لأنَّه انتفعَ بنكاحِها، ونفعَها بما أعطاها من المهرِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فمتِّعوهنَّ وسرِّحوهنَّ سَراحاً جَميلاً﴾ [الأحزاب: ٤٩]. هذا في المطلَّقةِ. ومتعةُ النِّساءِ ليسَ فيها طلاقٌ.

وذهبَ هؤلاءِ [إلى][1] أنَّ المتعةَ لا تكونُ إلّا في من يتزوَّجُ بغير وليٍّ ولا شهودٍ. وهذا غلطٌ منهم، لأنَّ المتعةَ مأخوذةٌ من الإمتاعِ والانتفاعِ. وممّا يصحِّحُ ذلك أنَّ متعةَ المطلَّقة هو انتفاعُها وإعطاؤُها. وكذلك متعةُ الحجِّ هو انتفاعُ الإنسانِ بالشَّيءِ يمسُّهُ بعد أن كانَ حراماً عليه في وقتِ إحرامِهِ، مثل لبسِ الثِّيابِ والطِّيبِ وغيرِ ذلك. وأُخِذَ ذلك من المتاعِ. والمتاعُ: كلُّ شيءٍ يُنتَفَعُ به من الآلاتِ والثِّيابِ والورقِ والنِّساءِ وغيرِ ذلك. وأصلُهُ المنفعةُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿نحنُ جَعَلناها تذكرةً ومَتاعاً للمُقوينَ﴾ [الواقعة: ٧٣]. قالَ أهلُ التَّفسيرِ: منفعة. وقالَ عزَّ وجلَّ ﴿أن تدخلوا بيوتاً غيرَ مسكونةٍ فيها متاعٌ لكم﴾ [النور: ٢٩]. قالَ أهلُ التَّفسيرِ: أي تنفعُكم وتقيكم الحرَّ والبردَ. ويُقال: هيَ بيوتُ الخاناتِ. وقالوا في قوله عزَّ وجلَّ ﴿ولكم في الأرضِ مستقرٌّ ومتاعٌ إلى حينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]، قالوا: المتاع: المدَّة. ويُقال: فلانٌ متمتِّعٌ، أي متنعِّمٌ منتفعٌ بالنِّساءِ والثِّيابِ والدَّوابِّ وغيرِ ذلك من الآلاتِ. قالَ امرؤ القيسِ: [الطويل]

تـمـتَّـعْ مـنَ الـدُّنـيـا فـإنَّـكَ فـانِ ... مـنَ النَّشَواتِ والنِّسـاءِ الـحـسـانِ[2]

النَّشَواتُ: السَّكَراتُ. جعلَ السُّكرَ تمتُّعاً، مثل التَّمتُّعِ بالنِّساءِ. وهذا جاهليٌّ لم يعرفْ متعةَ النِّساءِ، ولكنَّه جعلَ الانتفاعَ بها متعةً، والتَّنعُّمَ متعةً. قالَ الأعشى: [البسيط]

---

(١) زيادة منا لم ترد في الأصول.
(٢) ديوان امرئ القيس ص ٨٧.

حتّى إذا ذرَّ قرنُ الشّمسِ صبَّحَها   ذو آل نبهانَ يبغي أهلَهُ المُتَعا[1]

كلُّ ما استمتعتَ به من الزّادِ فهو متعةٌ. وهو هاهنا كسبُهُ بها اللّحمَ. وقالَ آخرُ: [الطويل]

هل النّفسُ إلّا متعةٌ مستعارةٌ   تُعار فتأتي ربَّها فرطَ أشهُرِ[2]

متعةٌ يُستمتَعُ بها، ثمّ تُرَدُّ إلى المعيرِ.

وقالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ في صفةِ الكافرِ ﴿قُلْ تمتَّعْ بكفرِكَ قليلاً إنّكَ من أصحابِ النّارِ﴾ [الزمر: ٨]. وقالَ في موضعٍ آخرَ ﴿تمتَّعوا فإنَّ مصيرَكم إلى النّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]. فالمتعةُ هي الانتفاعُ بهذه الأسبابِ، ليسَ هي متعة النِّساءِ، على ما يدَّعيه أهلُ التّحليلِ للمتعةِ فقط، حيث احتجُّوا بقولِهِ عزَّ وجلَّ (فما استمتعتُمْ بِهِ منهنَّ فآتوهنَّ أجورَهنَّ). وهي مأخوذةٌ من المتاعِ. وكلُّ شيءٍ يُنتَفَعُ به سُمِّيَ «متاعاً» و«متعةً».

[٢٥٨]

الإحرام

يُقال: أحرمَ الرَّجُلُ، فهو مُحرِمٌ، إذا دخلَ في الإحرامِ، كما يُقال: أشتى، فهو مُشْتٍ، إذا دخلَ في الشِّتاءِ، وأربعَ، فهو مُربعٌ، إذا دخلَ في الرَّبيعِ. والإحرامُ أن يُحرِّمَ على نفسِهِ مسَّ الطِّيبِ، وملامسةَ النِّساءِ، والصَّيدَ[3]، وغيرَ ذلك ممّا لا يحلُّ له، حتّى يخرجَ من إحرامِهِ. ويُقال: أحلَّ الرَّجُلُ، إذا قضى مناسكَهُ، وخرجَ من إحرامِهِ[4]. ويُقال: رَجُلٌ حرامٌ، إذا كانَ مُحرِماً، ورَجُلٌ حلالٌ، إذا خرجَ من إحرامِهِ. قالَ أبو عُبَيدة في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وأنتُم حُرُمٌ﴾ [المائدة: ١]،

---

(١) ديوان الأعشى ص ١٠٨، وفيه: (ذؤال)، وقد شرحها الناشر بأنه: الصائد الخفيف المسرع. وهي في ب: (زوال)، وفي م وأخواتها وهـ: (ذو آل). وقد اخترتها، لأن هذه الصيغة تكثر جداً في النقوش الثمودية والصفوية قبل الإسلام.

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص ٥٧.

(٣) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/٢١٨، بتصرف.

(٤) سقطت الجملة من ب.

واحدُهُ: حرامٌ[1]. وأنشدَ: [الطويل]

فقلتُ لها فيئي إليكِ فإنَّني حرامٌ وإنِّي بعدَ ذاكَ لبيبُ[2]

وقالَ ابن أحمرَ: [البسيط]

إنِّي حرامٌ وإنِّي غيرُ لائمِها ولا جَداءَ بحبلٍ بتَّ فانقضبا[3]

والرَّجُلُ والمرأةُ فيه سواءٌ. يُقال: رَجُلٌ حرامٌ، وامرأةٌ حرامٌ. فإذا قالوا: رجلٌ مُحرِمٌ، قالوا: امرأةٌ مُحرِمةٌ. والإحرامُ هو الدُّخولُ فيه. يقالُ: أحرمْنا، إذا دخلوا في الشَّهرِ الحرامِ وفي الحَرَمِ. ويُقال: شهرٌ حرامٌ، وأشهرٌ حُرُمٌ، وبلدٌ حرامٌ، كمكَّةَ والمدينةِ، وهما الحَرَمانِ؛ حَرَمُ اللّهِ عزَّ وجلَّ وحَرَمُ رسولِهِ صلّى اللّهُ عليه وآله. ويُقال: حرَّمَ اللّهُ مكَّةَ، أي جعلَها حَرَماً[4]. وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه «إنّي حرَّمتُ المدينةَ كما حرَّمَ اللّهُ مكَّةَ، فحرامٌ ما بين لابَتَيها، لا يُختلى خلاها، ولا يعضدُ شجرُها، ولا تحلُّ لُقطتُها إلّا لمنشدٍ»[5].

فيُقال للبلد: حرامٌ وحَرَمٌ. وفي الحديثِ عن النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه «مَن أخافَ أهلَ حَرَمي، أخافَهُ اللّهُ، ومن آذى أهلَ حَرَمي وأخافَهُ فقد آذى اللّهَ». ويُقال: رجلٌ مُحرِمٌ، إذا كانَ في الشَّهرِ الحرامِ، وإن لم يكنْ مُحرِماً للحجِّ[6]. قالَ الشّاعر، وهو عبيد بن الحصين الرّاعي[7]: [الكامل]

قتلوا ابنَ عَفّانَ الخليفةَ مُحرِماً فمضى ولم أرَ مثلَهُ مقتولا[8]

إنَّما قالَ «مُحرِماً» لأنَّه قُتِلَ في ذي الحجَّةِ، وهو شهرٌ حرامٌ، ولم يكنْ مُحرِماً

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٤٥.
(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٤٥، وانظر مصادره فيه، وهو في ملحق شعر هدبة بن خشرم ص ١٥٣ (نقلاً عن الأضداد).
(٣) لم يرد في شعر عمرو بن أحمر المجموع.
(٤) هكذا في هـ، وفي ب: حراماً.
(٥) غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٩٤، وأطرافه في صحيح مسلم ٤/ ١١٤، وصحيح البخاري (١٨٦٧).
(٦) غريب الحديث لأبي عبيد ٥/ ٧.
(٧) وهو عبيد بن الحصين: لم ترد في ب وج.
(٨) غريب الحديث لأبي عبيد ٥/ ٧، ونزهة الألباء ص ٩١، وديوان الراعي النميري ص ٢٣١، والرواية فيه: فلم أرَ مثله مخذولا. وانظر مصادره هناك.

بالحجِّ، فسمّاه «مُحرِماً». ويُقال: مُحرِم، أي مسلم. ويُقال للمسلمِ «مُحرِم»، أي له حرمةُ الإسلامِ. قالَ الحُطَيئة[1]: [الوافر]

ألـم أكُ مُـحـرِمـاً فـيكـون بَـيـنـي وبـيـنَـكـمُ الـمـودَّةُ والإخـاءُ[2]

ويُقال للبيتِ الحرامِ «الكعبة». قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿جعلَ اللّهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ﴾ [المائدة: ٩٧]. وفي الحديثِ أنَّ النَّبيَّ صلّى اللّه عليه خطبَ النّاسَ بمنى يومَ النَّحرِ فقالَ: «أيُّها النّاسِ، أيُّ يومٍ هذا؟ فقالوا: يومٌ حرامٌ. قالَ: فأيُّ شهرٍ هذا؟ قالوا: شهرٌ حرامٌ. قالَ: فأيُّ بلدٍ هذا، قالوا: بلدٌ حرامٌ. قالَ: فإنَّ دماءَكم وأموالَكم حرامٌ بينكم، كحرمةِ يومِكم هذا في شهرِكم هذا في بلدِكم هذا»[3].

فالرَّجلُ المحرمُ سُمِّيَ حراماً، وكذلك اليومُ الحرامُ، والشَّهرُ الحرامُ، والبلدُ الحرامُ، مأخوذٌ كلُّهُ من الحرمةِ. والحرمةُ هي العقدُ والجوارُ. فكلُّ مُحرِمٍ هو في جوارِ اللّهِ عزَّ وجلَّ، أي في عقدِهِ وذمَّتِهِ. يُقال رجلٌ مُحْرِمٌ، إذا كانَ له عقدٌ وجوارٌ، وله حرمةُ ذلك العقدِ والجوارِ، ورجلٌ مُحِلٌّ، لا عقدَ له ولا جوارَ، وليست له حرمةُ الجوارِ. قالَ زُهَير: [الطويل]

جعلنَ القنانَ عن يمينٍ وحُزْنَهُ وكمْ بالقنانِ من مُحِلٍّ ومُحرِمِ[4]

لم يُرِدْ بها هاهنا مُحرِماً بالحجِّ، ولا مَن هو في حَرَمِ الحجِّ، ولكنَّ المحرمَ هاهنا مَن له عقدٌ وجوارٌ، والمُحِلَّ مَن لا عقدَ له ولا جوارَ، فهو حلالُ الدَّمِ والمالِ، قد أحلَّ نفسَهُ[5]. ومَن دخلَ الحرمَ فهو مُحرِمٌ، لأنَّه في جوارِ اللّهِ عزَّ وجلَّ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿أوَ لم نُمكِّنْ لهم حَرَماً آمناً﴾ [القصص: ٥٧].

وكذلك يُسَمَّى المسلمُ «مُحرِماً»، لأنَّه في عقدِ الإسلامِ وحرمتِهِ. يُقال: أحرمَ، يُحرِمُ، إحراماً، فهو مُحرِمٌ، وأحلَّ، يُحِلُّ، إحلالاً، فهو مُحِلٌّ. وفي الحديثِ «أَحِلَّ لمن أَحَلَّ بكَ». يعني مَن تركَ الإحرامَ، وقتلَكَ فقاتلْهُ، وإن كانَ

---

(١) في ب: قال الشاعر.

(٢) هكذا في ديوان الحطيئة بشرح السكري ص ٢٦، وفي طبعة نعمان، ص ٩٨: ألم أكُ مسلماً.

(٣) صحيح البخاري (٥٥٥٠)، سيرة ابن هشام ٢/٥٠٩.

(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب ص ٢٠.

(٥) في جميع الأصول: أحل بنفسه.

مُحرِماً. ويُقال: رجلٌ مُحِلٌّ، إذا أحلَّ الحرمَ وقاتلَ فيه. وقيلَ لعبدِ اللّهِ بنِ الزُّبيرِ «المُحِلُّ»، لإحلالِهِ القتالَ في الحرمِ. قالَ الشّاعرُ في رملةَ بنتِ الزُّبَير: [المتقارب]

ألا مَن لـقـلـبٍ مُـعـنَّـىً غَـزِلْ   بـذكـرِ الـمُـحِـلَّـةِ أخـتِ الـمُـحِـلّ[1]

وفيه يقولُ الكُميت: [الخفيف]

وسميُّ النَّبيِّ بالشِّعبِ ذي الخيـ   ـفِ طـريـدُ الـمُـحِـلِّ بـالإحـرام[2]

سَمِيُّ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه: محمَّد بن الحنفيَّة، وذلك أنَّ ابنَ الزُّبَيرِ كانَ قد حبسَهُ، ثمَّ خرجَ من حبسِهِ، فخرجَ من مكَّةَ، فسمّاه «طريداً». وفيه يقول كُثَيِّر عزَّة: [الطويل]

تُـخـبِّـرُ مَـن لاقـيـتَ أنَّـكَ عـائـذٌ   بلِ العائذُ المظلومُ في حبسِ عارمِ[3]

عائذ: ابن الزُّبَيرِ. ويُقال له «عائذ»، لأنَّه عاذَ بالحَرَمِ[4].

ويُقال: حلَّ بالمكانِ، يحلُّ، حلّاً، وحلَّ العقدةَ، يحلُّ، حلّاً[5]، وحلَّ من إحرامِهِ، وأحلَّ. ويُقالُ: حرمتُهُ، من الحرمانِ[6]، وأحرمتُهُ. قالَ سيبويه: لا يُقال: أحرمتُهُ[7]. والبيتُ الذي ينشدونَهُ في هذا: [المتقارب]

ونُـبِّـئـتُـهـا أحـرمـتْ قـومَـهـا   لتنكحَ في معشرٍ آخرينا[8]

لا موضعَ للحرمانِ هاهنا، إنَّما معناه: جعلتْ قومَها حراماً عليها أن تنكحَ فيهم. قالَ حُميد: [الطويل]

إلى شَجَرٍ أحمى الظِّلالِ كأنَّه   رواهبُ أحرَمْنَ الشَّرابَ عُذوبُ[9]

---

(١) الكامل للمبرد ٣/ ١٨٨.
(٢) الهاشميات ص ٢١، وديوان الكميت ص ٥٠٦.
(٣) الكامل للمبرد، وديوان كثير ص ٢٢٤.
(٤) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: عاذ بالبيت.
(٥) لم ترد في ب.
(٦) هكذا في م وأخواتها، وفي م: من الإحرام.
(٧) من ب، لم ترد في هـ.
(٨) ورد في لسان العرب ٣/ ١٤٣، مادة (حرم)، بلا نسبة، ثم أورده في قصيدة نسبها لشقيق بن السليك وتروى لابن أخي زر بن حبيش الفقيه القارئ.
(٩) ديوان حميد بن ثور ص ٢٥. وعُذوب: قيام لا يأكلن ولا يشربن، كما في غريب الحديث ٢/ ٢٩٤.

يُريد: جعلْنَ الشَّرابَ حراماً عليهنَّ.

ويُقال: سوطٌ محرَّمٌ، إذا لم يُضرَبْ به، ويُقال: هو الذي لم تليِّنْه الأيدي بالاعتمالِ[1] والامتهانِ. وأنشدَ: [الطويل]

ترى عينَها صغواءَ في جنبِ موقِها   تراقبُ كفِّي والقطيعَ المحرَّما[2]

وجمل محرَّم، إذا لم يُرَضْ. وأنشدَ: [الوافر]

مصاعيبٌ محرَّمةٌ ذُراها   لفحلٍ لم تُدَيَّثْ باقتعادِ

محرَّمة: صعاب، لم تُرَضْ. لم تُدَيَّثْ: لم تُذلَّلْ. وكلُّ محرَّمٍ صعبٌ. والمحرَّمُ من الجلودِ: الذي لم يستوفِ الدِّباغَ. والحرامُ: المنعُ. والحلالُ: الفسحُ[3] والإطلاقُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿كلُّ الطّعامِ كانَ حِلاًّ لبني إسرائيلَ﴾ [آل عمران: ٩٣]، أي مُطلَقاً، ﴿إلّا ما حرَّمَ إسرائيلُ على نفسِهِ﴾، أي حظرَ على نفسِهِ.

[٢٥٩]
التَّلبية

هو «تفعلة» من قولك «لَبّيكَ». يُقال: لبّى فلانٌ، إذا قال: لَبّيكَ[4]. ومنه يُقال: لبّى فوكَ، يُدعَى لكَ أن تُلَبِّيَ في الحجِّ. و«لَبّيكَ» مشتقٌّ من «ألبَّ»[5] بالمكانِ، إذا أقامَ به ولزمَهُ[6]. ومنه الحديثُ «نعوذُ باللّهِ من فقرٍ مُلبٍّ»، يعني: لازم، وقد أبدلَ من إحدى البائينِ ياءً، فقيل: لَبّيكَ. ومثله قولُ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿إذا

---

(١) هكذا في ب وم وأخواتها.

(٢) العين للفراهيدي ٣/ ٢٢٣، والغريب المصنف ١/ ٣١٢، ونظام الغريب للربعي ص ٢٤١، وديوان الأعشى ص ١٨٧. صغواء: مائلة، والقطيع المحرم: السوط غير المدبوغ.

(٣) في ب: الفتح.

(٤) لم ترد الجملة في ب.

(٥) نقل سيبويه في الكتاب ١/ ٣٥٣ أن «الإلباب والمساعدة دنو ومتابعة. إذا ألبَّ على الشيء فهو لا يفارقه». ثم استدرك قائلاً: «فهذا تمثيل، وإن كان لا يستعمل في الكلام». وقال المبرد: ألبَّ فلانٌ على الأمر إذا لزمه ودام عليه. فمعناه مداومة على إجابتك، ومحافظة على حقك. فإذا قال العبد لربه لبيك فمعناه ملازمة لطاعتك، ومحافظة على أمرك. المقتضب ٣/ ٢٢٥.

(٦) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٢٢٠، ونسب أبو عبيد الرأي إلى الخليل في غريب الحديث ٥/ ٤٤٥.

قومُكَ منه يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧]، فأبدلَ من إحدى الدالَين ياءً. وهو من «صددتُ»، ويضجُّونَ من «ضججتُ»، ويعجُّونَ من «عججتُ». يقول القائلُ: لَبَّيكَ، أي أنا مقيمٌ على طاعتِكَ وأمرِكَ ونهيِكَ، لا أزولُ عنه.

قالَ ابنُ قُتَيبة: إنَّما ثنَّوا «لَبَّيكَ» لأنَّهم أرادوا إقامةً بعدَ إقامةٍ، وطاعةً فوقَ طاعةٍ، كما قالوا: حنانَيكَ ربَّنا، أي هَبْ لنا رحمةً بعدَ رحمةٍ، أو رحمةً مع رحمةٍ، وكما قالوا: سعدَيكَ، أي سعداً مقروناً بسعدٍ[١]. وهذا معنى حَسَنٌ. ولكن أحسنُ من هذا أنَّ «لَبَّيكَ» معناها أنا مطيعٌ عندَ أمرِكَ ونهيِكَ، مقيمٌ على الطّاعةِ في الحالَينِ. وكذلك «سعدَيكَ»، أي أرجو السَّعادةَ على الحالَينِ جميعاً، أي سعدَ مَن أطاعَ أمرَكَ ونهيَكَ.

[٢٦٠]

الإهلال بالحجِّ

يُقال: أهلَّ فلانٌ بالحجِّ، إذا رفعَ صوتَهُ بالتَّلبيةِ. قالَ ابنُ قتيبةَ: هو إظهارُ التَّلبيةِ. ومنه يُقال: استهلَّ الصَّبيُّ وأهلَّ، إذا صاحَ وبكى حينَ يسقطُ إلى الأرضِ[٢]. وأصلُ الإهلالِ من التَّكبيرِ والتَّهليلِ، وهو أن يقولَ الرَّجُلُ: لا إلهَ إلّا اللّهُ، واللّهُ أكبرُ. فإذا قالَ ذلك، فقد هلَّلَ وكبَّرَ. ويفعلُ النّاسُ ذلك في كثيرٍ من أمورِهم، إذا اجتمعوا عندَ بشارةٍ أو وليمةٍ أو غيرِ ذلكَ، ويرفعونَ الصَّوتَ به. فقيلَ لكلِّ مَن رفعَ صوتَهُ: قد أهلَّ واستهلَّ[٣]، وإن لم يَقُلْ: لا إلهَ إلّا اللّهُ. ومن ذلكَ قيلَ: استهلَّ الصَّبيُّ، إذا سقطَ من بطنِ أُمِّهِ، فصاحَ وبكى، وأهلَّ الرَّجُلُ، إذا رفعَ صوتَهُ بالتَّلبية. و«أهلَّ» في وزنِ[٤] «أفعلَ»، و«هلَّلَ» «فعَّلَ»، وهما جميعاً مشتقّانِ من لفظٍ واحدٍ.

ويُقالُ إن «أهلَّ» مأخوذٌ من الهلالِ، لأنَّهم كانوا يُحرِمونَ ويلبُّونَ إذا رأوا

---

(١) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٢٢٠.

(٢) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٢١٨.

(٣) خلق الإنسان للأصمعي، الكنز اللغوي ص ١٥٩.

(٤) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: في معنى.

الهلالَ، وكذلك الإنسانُ يهلُّ ويهلِّلُ ويكبِّرُ إذا نظرَ إلى الهلالِ. قالَ ابنُ أحمرَ: [المتقارب]

يُهِلُّ بالفرقدِ ركبانُها   كما يُهِلُّ الرّاكبُ المعتمرْ[1]

يصفُ المفازةَ. يقولُ[2]: إذا نظروا إلى الفرقدِ، لأنَّهم به يهتدونَ الطَّريق، فيستبشرونَ بذلك، ويكبِّرونَ، كما يفعلُ مَن يُهِلُّ بالحجِّ، إذا رفعَ صوتَهُ بالتَّلبية. قالَ أبو عُبَيدة في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وما أُهِلَّ بِهِ لغيرِ اللّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، أي ما أُريدَ بِهِ، وله مجازٌ آخرُ، أي ما ذُكِرَ عليه أسماءُ آلهتِهم، ولم يُذكَرْ عليه اسمُ اللّهِ تباركَ وتعالى[3]. وجاءَ في الحديثِ: خاصمَ رجلٌ إلى النَّبيِّ صلّى اللّه عليه وآله في جنينٍ. فقالَ: أرأيتَ من لا شَرِبَ ولا أكلَ ولا صاحَ، فاستهلَّ؟ أليسَ مثل ذلك يُطَلُّ؟ قالَ: ومثلُهُ قولهم: أهلَّ بالحجِّ، إذا تكلَّمَ به، وأظهرَهُ من فيه[4]. وأنشدَ لابن أحمرَ: يُهِلُّ بالفرقدِ ركبانُها[5].

قالَ: وله معنى آخرُ. أهلَّ: ذبحَ، كقولِ ابنِ هرمة: [المنسرح]

كم ناقةٍ قد وجأتُ لبَّتَها   بمستهلِّ الشُّؤبوبِ أو جَمَلِ[6]

مُستَهِلٌّ: مُنفَجِرٌ. ويُقال في غيرِ هذا المعنى: هلَّلَ الرَّجُلُ في الحربِ، إذا أحجمَ عن قرنِهِ. قالَ كعب بن زهير: [البسيط]

لا يقعُ الطَّعنُ إلّا في نحورِهِمُ   وما لهمْ عن حياضِ الموتِ تهليلُ[7]

يُقال: حملَ الفارسُ فما هلَّلَ، أي ما كَعَّ.

---

(١) شعر عمرو بن أحمر ص ٦٦.
(٢) سقطت من ب.
(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٦٤.
(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٥٠.
(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٥٠.
(٦) شعر إبراهيم بن هرمة القرشي ص ١٨٤.
(٧) ديوان كعب بن زهير ص ٢٧.

[٢٦١]

المناسك والمشاهد والمواسم

المناسكُ: واحدُها مَنْسَكٌ، وهي المواقفُ التي يجبُ الوقوفُ عليها بالدُّعاءِ والعبادةِ والتقرُّبِ إلى اللّهِ عزَّ وجلَّ. فكلُّ موقفٍ منسكٌ. ويُقالُ لها أيضاً: مشاهد، لأنَّ النّاسَ يشهدونَها ويحضرونَها ويجتمعونَ فيها، ويقفونَ عليها بالدُّعاءِ والتَّضرُّعِ. وواحدُ المشاهدِ: مشهدٌ، أي مجمعٌ للنّاسِ. والمنسكُ مأخوذٌ من النُّسُكِ. والنُّسُكُ: العبادةُ. ويُسمَّى الرَّجلُ «ناسكاً» لعبادتِهِ وتقرُّبِهِ إلى اللّهِ عزَّ وجلَّ بأعمالِهِ الصّالحةِ. يُقال رجلٌ ناسكٌ بيِّنُ النُّسُكِ، أي العبادةِ. قالَ النّابغة: [الطويل]

إلى خيرِ دينٍ نُسْكُهُ قد علمتَهُ ... وميزانُهُ في سورةِ البرِّ ماتعُ[1]

قالَ بعضُ أهلِ اللُّغة: النّاسك: التّابع، وسُمِّيَ النّاسك «تابعاً» لاتّباعِهِ أثرَ الأنبياءِ والصّالحينَ. وسُمِّيَ الموضعُ الذي يُنحَرُ فيه القربانُ «منسكاً». قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿لكلِّ أُمَّةٍ جَعَلنا منسكاً هُمْ ناسِكوهُ﴾ [الحج: ٦٧]، أي يفعلونَ ذلك عبادةً للّه عزَّ وجلَّ وقربةً إليه. وفي الحديثِ «العرجاءُ تجرُّ برجلَيها إلى المنسكِ». يعني إلى الموضعِ الذي تُنحَرُ فيه. ويُقال للقربانِ «نُسُك». قالَ زُهير: [البسيط]

كمنصبِ العِترِ دَمَّى رأسَهُ النُّسُكُ[2]

يُقال: نَسَكَ، ينسُكُ، بضمِّ السِّين، والموضعُ: منسَكٌ، بالفتح. فإذا قالَ: نسكَ، ينسِكُ، بالكسرِ، فالموضعُ منسِك، بالكسرِ، مثل مسجِد. قالَ أبو عُبَيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿نُسْكي ومَحْيايَ ومَماتي﴾ [الأنعام: ١٦٢]: هو مصدر «نَسَكْتُ»، وهو تقرَّبتَ بالنَّسائكِ، وهي النَّسيكة والنَّسيك والنُّسْك، بتخفيفِ السّين، أي تُنسَكُ، أي تُذبَحُ للّهِ. وجمعُهُ: نُسُك، مضمومُ السّين[3]. ويُقال:

---

(١) ليس في ديوانه طبعة المعارف، وهو في رواية ابن السكيت، ولسان العرب ١٣/ ١٦، مادة (متع)، وخزانة الأدب ومفردات الراغب الأصفهاني ص ٥٩٦.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب ص ١٣٥، وأوله: فزلَّ عنها ووافى رأس مرقبةٍ.

(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٢٠٩، وفي نص المؤلف شرح لم يرد في المطبوع من مجاز القرآن.

جمع نُسْك: أنساكٌ، وهو ما يُذبَحُ. والواحدُ نُسْك ونُسُك. قالَ كعب: [الكامل]

يتطهَّرونَ كأنَّه نُسكٌ لهم بدماءِ مَن عَلقوا مِنَ الكُفّارِ[1]

ومواسم: جماعات. وكلُّ مجمعٍ موسمٌ. ومنه سُمِّيَ «يوم الموسم»، لاجتماعِ النّاسِ فيه، كأنَّه أُخِذَ من «السِّمة»، لأنَّ كلَّ شيءٍ قد وُسِمَ فقد عُرِفَ، فكأنَّه يومٌ معروفٌ باجتماعِ النّاسِ فيه.

[٢٦٢]

القربان والهدي والبَدَنة

القربانُ ما يُذبَحُ لوجهِ اللّهِ عزَّ وجلَّ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿إذ قَرَّبا قُرْباناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهما ولم يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾ [المائدة: ٢٧]. وإنَّما قيلَ لما يُذبَحُ «قربان»، لأنَّه يُتقرَّبُ به إلى اللّهِ عزَّ وجلَّ، ويُذبَحُ لوجهِهِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿لن يَنالَ اللّهَ لُحومُها ولا دِماؤُها ولكنْ يَنالُهُ التَّقوى مِنْكُم﴾ [الحج: ٣٧]. وكذلكَ يُقالُ لكلِّ ما يتقرَّبُ به العبدُ إلى اللّهِ «قربان»، وإن كانَ غيرَ ما يُذبَحُ، لأنَّه يفعلُهُ قربةً إليه.

والهديُ: ما يُذبَحُ بمنى. سُمِّيَ بذلكَ لأنَّه يُهدى إلى اللّهِ عزَّ وجلَّ. وكانَ أهلُ الجاهليَّةِ يُهدونَ إلى أصنامِهم، ويسمُّونَهُ «هدياً». ثمَّ قيلَ لما ذُبِحَ للّه «هدي». قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿حتّى يبلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٦]. ويُقال: أهديتُ إلى البيتِ هَدياً، وهِدياً، وهديتُ العروسَ إلى زوجِها هِداءً[2]. قالَ زُهَير: [الوافر]

فإن تكنِ النِّساءُ مخبَّآتٍ فحقٌّ لكلِّ مُحصنةٍ هِداءُ[3]

وهديتُ القومَ الطَّريقَ، هدايةً، وهديتُهم في الدّينِ هدىً[4]. قالَ ثعلب في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿هَدْياً بالغَ الكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]: إن كانتْ قيمتُهُ ما يُهدى إلى البيتِ، فهو هَدْيٌ، وإن كانت قيمتُهُ درهماً أو درهمينِ، فهو صدقةٌ[5]. قالَ

---

(١) ديوان كعب بن زهير ص ٣٣.

(٢) ثعلب: الفصيح ص ٢٧٣. وانظر: شرحه لديوان زهير ص ٦٥.

(٣) ثعلب: الفصيح ص ٢٧٣، وديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب ص ٦٥.

(٤) ثعلب: الفصيح ص ٢٧٣.

(٥) النصوص السابقة منقولة من كتاب «الفصيح» لثعلب، ولم أجد هذا النص فيه، ومن المحتمل أنه من كتاب «معاني القرآن» لثعلب.

يونسُ بن حبيب: كانَ أبو عمرو يقولُ في واحدِ الهدي «هَدْية»، تقديرُها: جَدْيَة السَّرج[1]، وجمعُها جَدْيٌ، مخفَّف، وهو باطنُ الدَّفَّتينِ من لبدٍ أو كساءٍ. قالَ: ولا أعلمُ حرفاً يشبِهُهُ. وجديُ المعز جمعُهُ جِداء.

والبَدَنة هي النّاقة. قالَ: ولا يقالُ للبقرةِ والشّاةِ «بَدَنة». وسُئِلَ ابنُ عبّاس رضيَ اللّهُ عنه عن رجلٍ أوصى ببدنةٍ، أيجزي عنه بقرةٌ؟ قالَ: نعم. ثمَّ قال: ممّن صاحبُكم؟ فقالوا: من بني رياح. قالَ: فمتى اقتنتْ بنو رياحٍ البقرَ؟ وهمَ صاحبُكم. قالَ ابنُ قتيبة: سُمِّيَتْ «بَدَنة» لسِمَنِها أو لسنِّها، لأنَّه لا يجوزُ أن يُساقَ منها الصِّغارُ. إنَّما يُساقُ منها الثُّنيانُ فما فوق ذلك[2]. قالَ الأسودُ بن يعفرَ: [السريع]

هَلْ لِشَبابٍ فاتَ من مطلبِ ... أم ما بكاءُ البَدَنِ الأشيبِ[3]

البَدَن هاهنا: المسنُّ الذي قد شابَ.

وجمع البَدَنة «بُدْن». قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿والبُدْنَ جَعَلناها لكم مِن شعائرِ اللّهِ لكم فيها خيرٌ﴾ [الحج: ٣٦]. ولا يُقال لها «بَدَنة» إلّا إذا كانتْ للهَدي. فالبَدَنة مأخوذةٌ من الكبرِ في السِّنِّ وفي عظم الخلقةِ والسّمنِ. وفي حديثِ النَّبيِّ صلَّى اللّهُ عليه أنه لما بَدُنَ صلّى قاعداً. «بَدُنَ»: يعني كَبُرَ. يُقال: بَدُنَ الرَّجُلُ: إذا كَبُرَ بَدَنُهُ[4]. فأصلُ البَدَنةِ الناقةُ المُسنَّةُ السَّمينةُ، ثمَّ قيلَ لكلِّ ما يُهدى من الإبلِ والبقر والغنمِ «بَدَنة»، إلّا أنَّ يونُسَ لم يجوِّزْ أن يُقالَ للبقرِ والشّاةِ «بَدَنة».

[٢٦٣]
إشعار الهدي والمشعر الحرام

قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿لا تُحِلُّوا شعائرَ اللّهِ﴾ [المائدة: ٢]. قالَ أبو عُبَيدة:

---

(١) في أساس البلاغة: جدية السرج: ما يبطن به الدفتان من لبد محشو. وجمعه: جدْيٌ وجَدَيات.

(٢) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٢١٩.

(٣) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٢٢٠، وديوان الأسود بن يعفر النهشلي ص ٢١، وفيه: البائس الأشيب.

(٤) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤٩٨: بَدُنَ، يبدُن، بُدناً وبَدانةً.

الشَّعائرُ في كلامِ العربِ الهدايا المشعرة. وواحدُ الشَّعائرِ: شعيرة، وأصلُها من الإشعارِ، وهو أَن تُقلَّدَ أو تُجلَّلَ أو تُطعَنَ في شقِّ سنامِها الأيمنِ بحديدةٍ، حتّى يخرجَ الدَّمُ. فإذا أُشعرَتْ لم تُركبْ، ويُعلِمُها بذلك ليُعلَمَ أنَّها هديٌ[1]. وأنشدَ: [الطويل]

نقتِّلُهم جيلاً فجيلاً تراهمُ شعائرَ قربانٍ بهمْ نتقرَّبُ[2]

ويُقال: قد أشعرتُ الرَّجُلَ، إذا نصبتُهُ لشيءٍ يضرُّه. قالَ الأصمعيُّ: الإشعارُ: الإعلامُ. ورُوِيَ عن عائشةَ أنَّها قالتْ[3]: إنما أُشعِرتْ ليُعلَمَ أنَّها بَدَنةٌ. ويُروى عن مجاهد في قوله ﴿وما يُشعِرُكم﴾ [الأنعام: ١٠٩]، أي وما يُدريكم. والمشعرُ الحرامُ هو المعلمُ الذي بُنِيَ بينَ الحدَّينِ بالمُزدَلَفة، وإنَّما قيلَ له «مَشْعَر»، أي مَعْلَم يُعرف به الحدُّ والميقاتُ الذي وُقِّتَ للنّاسِ. ويُقال: شعرتُ بالشَّيء: أي فطنتُ له وعلمتُهُ. قالَ أبو عبيدةَ في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿ولا يُشعِرَنَّ بِكُم أَحَداً﴾ [الكهف: ١٩]: ولا يُعلِمَنَّ[4]. وقالَ بعضُ أهلِ التَّفسير: شعائرُ اللّهِ معالمُ دينِهِ وحدودُهُ. وقالَ بعضُهم: هي أعلامُ طاعتِهِ[5].

قالَ: وسُمِّيَ الشّاعرُ «شاعراً» لأنَّه يشعرُ بالشَّيءِ ويفطنُ له ويعلمُهُ. ومعنى قولِهم «ليتَ شعري» أي ليتَني أشعرُ وأعلمُ. ويقولُ الرَّجُلُ لصاحبِهِ: أشعرتَ، معناه: أعلمتَ. قالَ الكسائيُّ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿ولكنْ لا يَشعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢]: مصدرُهُ شعرتُ به، فأنا أشعرُ، شِعراً. ومنه قولُ النّاسِ: ليتَ شِعري ما صنعتَ. وكذلك: شعوراً. ويقولُ بعضُهم: مشعورة. قالَ أبو عمرو[6]: المشعرُ الحرامُ هو الجَبَلُ وما حولَهُ. وقالَ سعيد بن جبير: هو ما بينَ جَبَلَي جمعٍ.

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٦٢، باختلاف قليل، وانظر ١/ ١٤٦.
(٢) مجاز القرآن ١/ ١٤٦، وديوان الكميت ص ٥٣٠.
(٣) في م وأخواتها زيادة: بإسناد له.
(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣٩٧.
(٥) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٢٢١.
(٦) في ب: قال ابن عمر.

[٢٦٤]

جمع والمزدلفة

«جمع» اسمٌ لذلك المكانِ، سُمِّيَ «جمعاً» لأنَّ النّاسَ يجتمعونَ فيه قبلَ الإفاضةِ، وبعدَ الإفاضةِ من عَرَفَةَ. ويُقال لذلك المكانِ أيضاً «المزدلفة»[١]، لأنَّ النّاسَ يزدلفونَ فيه، أي يقربُ بعضُهم من بعضٍ، ويُقال لأنَّهم يقربونَ من منى. وأصلُ «ازدلفَ»: قربَ. قالَ العجّاج: [الرجز]

ناجٍ طواه اللَّيلُ لمّا وَجَفا طيَّ اللَّيالي زُلَفاً فزُلَفا

سَماوةَ الهلالِ حتّى احقَوقَفا[٢]

قالَ أبو عُبَيدة في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿وأُزلِفَتِ الجنَّةُ﴾ [الشعراء: ٩٠]، أي قُرِّبتْ وأُدنِيَتْ[٣]. ومنه قولُهُ عزَّ وجلَّ ﴿وإنَّ له عندَنا لَزُلفى﴾ [ص: ٢٥]. وقالَ في قولِهِ ﴿وَزُلَفاً منَ اللَّيلِ﴾ [هود: ١١٤]: واحدتُها زُلفة، أي ساعة بعد ساعةٍ، ومنزلة وقربة. ومنها سُمِّيَت «المزدلفة»[٤]. وأنشدَ: طيَّ اللَّيالي زُلَفاً فزُلَفا[٥]. وقالَ في قولِهِ ﴿وأزلَفنا ثَمَّ الآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٤]، أي جمعنا، والحُجَّةُ فيه: ليلةُ جمعٍ وليلةُ المزدلفة[٦]. وذُكِرَ عن الحسنِ أنَّه قالَ: أزلفنا: أهلكنا.

[٢٦٥]

الإفاضة

الإفاضةُ: الدَّفعُ في السَّيرِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ثمَّ أفيضوا مِن حيثُ أفاضَ النّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩]، لأنَّهم يدفعونَ في السَّيرِ دفعةً واحدةً، كأنَّهم ينصبُّون ويجرونَ فيه جَرْياً سهلاً. ويُقالُ: فاضَ الماءُ، إذا جَرى جَرْياً سهلاً، وأفاضَ عليه

---

(١) من «لأن» سقطت من هـ. وفي م وأخواتها بعدها: سمي بذلك لأن الناس.

(٢) خلق الإنسان للأصمعي، الكنز اللغوي ص ١٦٣، الكامل للمبرد ١/١٢٠، ونسبه للعجاج، وهو في ديوانه ص ٨٤.

(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/٨٧.

(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/٣٠٠. وفي ب هنا نقص كبير لعدد من الجمل.

(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/٨٧.

(٦) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/٨٧.

الماءَ، إذا صَبَّهُ عليه صبّاً سهلاً. وفي الحديثِ أنَّ أهلَ الجاهليَّةِ كانوا يُفيضونَ من عرفةَ، إذا كانتِ الشَّمسُ على رؤوسِ الجبالِ، كعمائمِ الرِّجالِ، وأنَّ رسولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه خالفَهم، فدفعَ حينَ غابتِ الشَّمسُ، وأنَّ أهلَ الجاهليَّةِ كانوا يُفيضونَ من المزدلفةِ، إذا أشرقتِ الشَّمسُ، ويقولون: أشرقْ ثبيرُ، كيما نغيرَ، وأنَّ رسولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله خالفَهم، فدفعَ منها قبل أن تطلعَ الشَّمسُ. قالَ: ونغيرُ معناه: نُسرعُ الدَّفعةَ. يُقال: أغارتِ النّاقةُ، إذا أسرعتْ. ويُقال: شرقتِ الشَّمسُ إذا طلعتْ، وأشرقتْ إذا أضاءتْ[1].

فالإفاضةُ مأخوذةٌ من الدَّفعِ والتقدُّمِ دفعةً واحدةً بأجمعِهم. يُقال: أفاضَ القومُ، إذا دفعوا بأجمعِهم دفعةً واحدةً[2]. ومنه الإفاضةُ بالقِداحِ، وهو أن يجيلَها ويدفعَها دفعةً واحدةً، فيصبَّها صَبّاً. وقيلَ للذي يضربُ بالقِداحِ «مفيض». قالَ ابنُ مقبل: [الطويل]

صريعٌ دريرٌ مسُّهُ مسُّ بيضةٍ ... إذا سنحتْ أيدي المفيضينَ يبرحُ[3]

وقالَ أبو ذؤيب: [الكامل]

وكأنَّهنَّ ربابةٌ وكأنَّه ... يَسَرٌ يُفيضُ على القِداحِ ويصدَعُ[4]

يُفيضُ على القداحِ، أي يجيلُها دفعةً واحدةً، فيصبُّها صبّاً.

[٢٦٦]

الجمار

رميُ الجِمارِ أي رميُ الحجارةِ[5]. والجمار: الحجارةُ الصَّغيرةُ التي يُرمى بها في تلك المواقفِ. ويُقالُ: استجمرَ الرَّجُلُ، أي تناولَ حجارةً صغيرةً وتطيَّبَ بها. وفي الحديثِ: «إذا استجمرتَ فأوترْ»[6]. وجمرةُ العقبةِ هي أوَّلُ جمرةٍ تُرمَى،

(١) ثعلب: الفصيح ص ٢٧٣.
(٢) زيادة من م وأخواتها وه، لم ترد في ب.
(٣) ديوان تميم بن مقبل ص ٤٠. والدرير: المكتنز.
(٤) ديوان الهذليين ١/٦.
(٥) سقطت الجملة من ب.
(٦) أبو عبيد: غريب الحديث ٣/٨٧، وابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ١٦٠.

سُمِّيَت بذلكَ لأنَّ الجمارَ تُرمى هناكَ. وبذلك تُسمَّى الجمراتُ الثَّلاثُ كلُّها.

[٢٦٧]
الاستلام

استلامُ الحجرِ الأسودِ: مَسُّهُ. يُقال: استلمَ الحجرَ الأسودَ: أي لمسَهُ بيدِهِ. وهو مأخوذٌ من السَّلِمَةِ، وهو الحجرُ، وجمعُها: سِلام. قالَ النّابغة: [الوافر]

قوافٍ كالسِّلامِ إذا استمرَّتْ   فليسَ يردُّ مذهبَها التَّظنّي[١]

وقالَ آخرُ: [المنسرح]

تبصرُني منكَ عينُ معتذرٍ   يرمي ورائي بالسَّهمِ والسَّلِمَةْ[٢]

فاستلمَ معناه «افتعلَ»، من «السَّلِمَة»، مثل «استجمرَ» من «الجِمارِ».

[٢٦٨]
السَّعي والرَّمل

السَّعيُ: المشيُ بين الصَّفا والمروةِ. يُقال له «سعي»، لأنَّه مشيٌ سريعٌ. يُقال: سعى، يسعى، إذا أسرعَ المشيَ. وفي بعضِ القراءاتِ، وأراها لابنِ مسعودٍ، ﴿إذا نُوديَ للصَّلاةِ من يومِ الجمعةِ فامضوا[٣] إلى ذِكرِ اللّهِ﴾ [الجمعة: ٩]. وقال: لو كانَ (فاسعوا) لسعيتُ حتّى ينقطعَ ردائي.

والرَّملُ: مشيٌ واسعٌ. والمُرمِلُ الذي يوسِّعُ الخطوةَ. وكذلك الرّاملُ. ومنه قيلَ لمن ينسجُ الحُصُرَ[٤] «رامل» و«مرمل»، لأنَّه نسيجٌ واسعٌ[٥] غيرُ متقاربٍ،

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ١٢٦.

(٢) بلا نسبة في غريب الحديث لأبي عبيد ٥/٢١٧، والزاهر ٢/١٧٨، وفي بيتين في لسان العرب ٦/٣٤٨، مادة (سلم)، لبجير بن عنمة الطائي، وفيه:

وإن مولاي ذو يعاتبني   لا إحنةٌ عنده ولا جرمةْ

ينصرني منك غير معتذرٍ   يرمي ورائي بامسهمِ وامْسلمةْ

وفيه استخدام (ذو) الطائية، و(ام) التعريف.

(٣) هكذا في ب وم وأخواتها، وفي هـ: فاسعوا. و(امضوا) هي موضع الشاهد على هذه القراءة.

(٤) في الأصول: الحصير.

(٥) سقطت من ب.

خلاف نسيجِ الثَّوبِ. قالَ كعب بن زهير: [البسيط]

ولاحبٍ كحصيرِ الرّاملاتِ ترى   منَ المطيِّ على حافاتِهِ جِيَفا[1]

الرّاملات: اللَّواتي ينسجنَ من السَّعَفِ الحصيرَ وغيرَهُ.

ويُقال: رَمَلَتْ، وأرمَلَتْ، والمرأةُ راملةٌ ومُرمَلَةٌ. قالَ آخرُ: [الرجز]

كأنَّ نسجَ العنكبوتِ المرملِ[2]

يعني أنَّه نسجٌ واسعٌ.

وقالَ الطِّرمّاح: [مجزوء الكامل]

وكأنَّما نسجَ[3] الشَّوا   طِبُ بينَها حُصُرَ الرَّواملْ[4]

ولذلك قيل للرَّملِ «هرولة»، لأنَّه تباعُدُ الخطوةِ، وهو بين الشَّدِّ والمشيِ.

[٢٦٩]

الصَّفا والمروة والمقام

الصَّفا: الحجرُ الصُّلبُ الأملسُ، وسُمِّيَ ذلك الموضع «الصَّفا» لأنَّه حجرٌ يقومُ عليه النّاسُ. قالَ الشّاعر: [الرجز]

بمثلِ مِقراعِ الصَّفا الموقَّعِ[5]

قالَ الكسائيُّ: الصَّفا، منقوص، مثل شفا، وتثنيته: صَفَوانِ، مثل سَفَوانِ. وقالَ في قولِهِ ﴿صَفْوانٍ عليه ترابٌ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، قالَ: الصَّفا: واحدٌ، وجمعُهُ صَفوانٌ، وصفا. قالَ أبو عُبَيدَةَ: الصَّفوان: جماعٌ، ويُقال للواحد: صَفْوانة في معنى الصَّفاة، والصَّفا: الجمع، وهي الحجارةُ المُلسُ التي لا تُنبِتُ شيئاً[6]. وقيلَ

---

(١) شرح ديوان كعب بن زهير للسكري ص ٦٠.

(٢) ديوان العجاج ص ٤٧، وبعده:

على ذرى قلامه المهدَّلِ   سبوبُ كتّانٍ بأيدي الغزَّلِ

(٣) في الأصول: بسط.

(٤) ديوان الطرماح ص ٢١٠. والشواطب: النساء اللواتي يعملن في البسط والحصر.

(٥) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٨٧، والمعاني ص ١٨٣ بلا نسبة: وأوله: يستخبر الريح إذا لم يسمعِ. واللسان (قرع). وفي الأصول: مقلاع. وقد شرح الجاحظ المقراع بأنه الفأس التي تكسر بها الصخور.

(٦) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٨٢.

لشمعون الصَّفا، تلميذ عيسى، «شمعون الصَّفا»[١]. وفي الإنجيلِ أنَّ المسيحَ عليه السَّلام قالَ له: أنتَ الحجرُ، وعليكَ أبني بيتي[٢].

والمروةُ: الحجارةُ الرَّخوة، وهي سريعةُ الانكسارِ، إذا وطئتْها الدَّوابُّ تكسَّرت وتفتَّتتْ. قالَ ابنُ أحمرَ: [البسيط]

تطايرَ المروُ من أخفافِها فَرَقاً كما تطايَرُ من ماموسةَ الشَّرَرُ[٣]

يعني أنَّ هذه الناقةَ ترضُّ المروَ برجلَيها من شدَّةِ جريِها، فيتطايرُ من تحتِ قوائمِها، تطايُرَ[٤] الشَّرَرِ من النّارِ. قالَ أبو ذؤيب: [الكامل]

حتّى كأنّي للحوادثِ مروةٌ بصفا المشرَّقِ كلَّ حينٍ تُقرَعُ[٥]

وإنَّما قيلَ للمروةِ التي يصعدُ عليها النّاسُ بمكَّةَ للدُّعاءِ «مروة» لأنَّها حجارةٌ رخوةٌ، دونَ الصَّفا في الصَّلابةِ. ورُوِيَ في حديثٍ عن جعفر بن محمَّد عليه السَّلام أنَّه قالَ: نزلَ آدمُ عليه السَّلام على الصَّفا، وحوّاءُ على المروةِ، فسُمِّيَ الصَّفا باسمِ آدمَ «المصطفى»، وسُمِّيَتِ المروةُ باسم «المرأة». ويُروى عن مجاهد، قالَ: قالتِ الأنصارُ إنَّ السَّعيَ بين هذينِ الحجرينِ من أمرِ الجاهليَّةِ. فأنزلَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿إنَّ الصَّفا والمروةَ من شعائرِ اللّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، الآية.

والمقامُ: الموضعُ الذي تقومُ عليه النّاسُ[٦]. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿واتَّخذوا من مَقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. فمَقامُ إبراهيمَ عليه السَّلام هو الموضعُ الذي قامَ فيه إبراهيمُ عليه السَّلام، وهو بفتحِ الميمِ، ويُجمَع: مَقامات. قالَ لبيد: [الكامل]

---

(١) شمعون الصفا هو الحواري سمعان بطرس، واسمه في اللاتينية (Peter)، ومعناها: الحجر، وقد أطلق الرومان على «البتراء» عاصمة الأنباط اسم (Petra)، ومعناها: الصخرية، أو العربية الحجرية.

(٢) إنجيل متى ١٦: ١٩.

(٣) المعاني لابن قتيبة ص ٤٣٢، وشعر عمرو بن أحمر ص ١٠٠، برواية أخرى. وماموسة: النار.

(٤) في بعض النسخ: كما تطاير الشرر.

(٥) ديوان الهذليين ١/ ٣.

(٦) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: الإنسان.

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فمُقامُها[(١)]

فإذا قلت: «مُقام»، بالضَّمِّ، فهو الإقامةُ. قالَ أبو عُبَيدةَ في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿خافَ مُقامي﴾ [إبراهيم: ١٤]: مجازُهُ: حيث أقيمُهُ بين يديَّ للحسابِ[(٢)].

[٢٧٠]

مِنى وعَرَفة

قالوا: سُمِّيَت «مِنى» لأنَّ النَّحرَ مُنِيَ فيها، أي قُدِّرَ. ويُقال: منى له الماني[(٣)]، أي قَدَّرَ له المقدِّرُ. قالَ: ومنه سُمِّيَ المَنِيُّ «مَنِيّاً»، لأنَّه يُقدَّرُ منه الولدُ. قالَ: ومنه سُمِّيَت «الأماني»، لأنَّ الإنسانَ يقدِّرُ في نفسِهِ أشياءَ لعلَّه يبلغُها[(٤)]. ومنه يُقال: مَنَتْ له نفسُهُ. وتمنَّى: «تفعَّلَ» من ذلك. قالَ صخرُ الغيِّ: [الوافر]

مَنَتْ لك أن تلاقِيَني المنايا[(٥)] أُحادَ أُحادَ في الشَّهْرِ الحلالِ[(٦)]

وقالَ غيرُهُ: سُمِّيَت «منى» للأقذارِ والدَّمِ الذي يُرمى فيها. ومن ذلك حديثُ عُمَر بن الخطّاب حينَ قالَ لابن حماس: ما مالُكَ؟ قال: أقرُنٌ [لي و] آدِمَةٌ في المَنيئةِ[(٧)]. وهي التي لم يتمَّ دِباغُها. ويُقال: هي ممّا منَّ اللّهُ به على أوليائِهِ. وفي الدُّعاءِ الذي يُدعى بمنى: اللهمَّ إنَّ هذه مِنى، وهيَ ما مَنَنتَ به من المناسكِ، فأسألُكَ أن تمنَّ عليَّ فيها بما مننتَ بِهِ على أوليائِكَ وأهلِ طاعتِكَ.

قالَ: ومِنى مهبطُ العقبةِ إلى مُحَسِّرٍ[(٨)]، وموقف هو من المزدلفة إلى مُحَسِّرٍ، إلى أنصابِ الحَرَمِ[(٩)].

---

(١) ديوان لبيد ص ٢٩٧، وتتمته: بمنى تأبد غولها فرجامها.

(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣٣٧.

(٣) في ب: منى لك الماني.

(٤) في م وأخواتها: لعله لا يبلغها. وفي ب: لعلة لا يبلغها.

(٥) في م وأخواتها: الأماني. وفي ب: ورد الشطر الأول وحده.

(٦) لعمرو ذي الكلب في ديوان الهذليين ٣/ ١١٧. والمعنى: قدرت لك أن نتلاقى الأقدار منفردين واحداً واحداً في الشهر الحلال.

(٧) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٥٥، والزيادات والتصحيح منه. وقد شرح ابن قتيبة الأقرن بأنها جمع قرن وهي الجعبة من جلود تكون للصيادين، والآدمة جمع أديم، مثل جريب وأجربة.

(٨) ينظر: معجم البلدان ٥/ ٦٢.

(٩) سقطت الجملة من ك.

وموقفُ عَرَفَةَ في الجبلِ. قالَ: وسُمِّيَت عَرَفَة لخضوعِ النّاسِ فيها، وصبرِهم على القيامِ والدُّعاءِ، وتذلُّلِهم في ذلك الموضعِ. والعارفُ: الخاضعُ الصّابرُ المتذلِّلُ. قالَ النّابغة: [الطويل]

على عارفاتٍ للطِّعانِ عوابسٍ بِهِنَّ كلومٌ بين دامٍ وجالبِ[1]

وقالَ آخرُ: [الرجز]

أتعجبينَ والمطيُّ معترفْ[2]

ولغيرِهِ: [البسيط]

نفسٌ عَروفٌ إذا ما أُكرِمتْ عرفتْ[3]

وفي المثلِ: النَّفسُ عَروفٌ وما حمَّلتَها احتملتْ، عَروفٌ أي صابرةٌ محتمِلةٌ.

وقالَ آخرُ: عَرَفَةُ مأخوذةٌ من العَرْفِ، والعَرفُ: الطِّيبُ. وأنشدَ لِعَدِيّ بن زيد: [الرمل]

أبصرَتْ عَيني عِشاءً ضوءَ نارٍ مِن سَناها عَرْفُ هنديٍّ وغارِ[4]

وقالَ قومٌ في تفسيرِ قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿عَرَّفَها لهم﴾ [محمد: ٦]: طيَّبَها لهم[5].

فكأنَّ «مِنى» كانَ فيها الأقذارُ من الدَّمِ والفرثِ، فليستْ بطيِّبةٍ، و«عَرَفَة» ليسَ فيها شيءٌ من ذلك، وهي طيِّبةٌ. وفي الحديثِ أنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ أهبطَ آدمَ إلى الأرضِ بالهندِ، وحوّاءَ بجدَّةَ، فالتقيا بعَرَفةَ، فعرفَ أحدُهما صاحبَهُ[6]. فسُمِّيَ ذلك المكانُ «عَرَفة»، واللّهُ أعلمُ. ويقال لها «عَرَفات». قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فإذا أَفَضتُم من عَرَفاتٍ فاذكُروا اللّهَ﴾ [البقرة: ١٩٨]. وهو جمعُ «عَرَفة»، كأنَّه جُمِعَ

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٤٣.

(٢) في معاني القرآن للفراء ٢/٣٦٧، ونظام الغريب للربعي ص ١٤٠ في شطرين بلا نسبة:

ما لك ترغين ولا يرغو الخلِفْ وتضجرينَ والمطيُّ معترفْ

(٣) الشطر زيادة من م وأخواتها. وهو بيت في الزاهر ٢/٢١٣ بلا نسبة، وفيه:

نفس عروف إذا ما أكرمت ألفت وإن ترَ الهونَ لا تألفْ على الهونِ

(٤) ديوان عدي بن زيد العبادي ص ٩٣.

(٥) فسرها أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٢١٤: بيَّنَها لهم وعرَّفهم منازلها.

(٦) انظر: الفراء: الأيام والليالي ص ٧٩.

بما حولَهُ من المواضعِ، فقيل له «عَرَفات». ويومُ عَرَفةَ هو اليومُ الذي يجتمعُ النّاسُ فيه بعَرَفَةَ. وسُمّيَ ذلك الموضعُ «الموقف»، لأنَّهم يقفونَ فيه للدُّعاءِ، لا يقعدونَ، بل يَدْعونَ قياماً للّهِ عزَّ وجلَّ. وهو يومُ الحجِّ الأكبرِ، لأنَّ الحجَّ الأصغرَ هو العمرةُ، ولا يكونُ بعَرَفةَ.

[٢٧١]

يوم التَّروية والنَّحر والتَّشريق

يوم التَّروية هو اليومُ الذي يخرجُ النّاسُ فيه من مكَّةَ إلى مِنى. وسُمِّيَ «تروية» لأنَّ النّاسَ يرتوونَ من الماءِ[١]. وتروية «تفعلة» من «ارتوى»، إذا استقى فشربَ واغتسلَ. فالنّاسُ يستقونَ من بئرِ زمزمَ في ذلك اليومِ عند خروجِهم، فيغتسلونَ ويشربونَ. وأصلُ الارتواءِ: الاستقاءُ. ومنه قيلَ للمزادةِ «راوية»، لأنَّها يُستَقى فيها. وقيلَ للجَمَلِ الذي يُستَقى عليه «راوية». قالَ حاتم: [البسيط]

مهلاً بني ثُعَلٍ فالغزوُ حظُّكمُ[٢]　　عدُّوا الرَّوايا ولا تبكوا لمن قُتِلا[٣]

فالارتواء: الاستقاء. وهو من الرّيِّ. والرّيُّ ضدُّ العطشِ. ورجلٌ ريّانُ: خلافُ العطشانِ.

وسُمِّيَ يوم النَّحر لما يُنحَرُ فيه من الهَدْيِ. وقالوا «يوم النَّحر»، ولم يقولوا «يوم الذَّبح»، لأنَّ أكثرَ ما كانَ يُهدى البُدْنُ، وهي تُنحَرُ. كما قالوا لكلِّ هَدْيٍ «بَدَنة»، وأصلُهُ الكِبارُ السِّمانُ من الإبلِ. فقيلَ للبقرِ والغنمِ «بَدَنة».

ومعنى «النَّحر» أنَّ النّاحرَ يتلقّى نحرَ الجملِ بالشَّفرةِ. يُقالُ: نحرَهُ، إذا حاذاه، فهو يتلقّى نحرَ الهديِ بالشَّفرة، ثمَّ يطعنُ فيه[٤]. قالَ علقمةُ بنُ عبدةَ[٥]: [البسيط]

أوردتُها وصدورُ العيسِ مُسنِفةٌ　　والصُّبحُ بالكوكبِ الدُّرِّيِّ منحورُ[٦]

---

(١) الفراء: الأيام والليالي ص ٧٩.
(٢) في الأصول: فالعز وحدكم. وقد أثبت رواية الديوان.
(٣) ديوان شعر حاتم الطائي ص ١٨٢، والرواية فيه: لمن نكلا.
(٤) سقطت من هـ.
(٥) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: علقمة فقط.
(٦) ديوان علقمة الفحل ص ٤٥. ومسنفة: مشدودة بالسناف، وهو حبل يشد إلى حزام البعير.

منحور: متلقٍّ مستقبلٌ. وقالَ ابنُ أحمرَ: [البسيط]

في ليلةٍ نَحَرَتْ شعبانَ أو رَجَبا[1]

نحرتْ: استقبلتْ.

والذَّبحُ: الشَّقُّ، يقال: ذبحَ، إذا شقَّ موضعَ الذَّبحِ، والمذبوحُ: المشقوقُ، وكلُّ ما شُقَّ فقد ذُبِحَ. قالَ الأعشى: [الطويل]

لها حارسٌ لا يبرحُ الدَّهرَ بيتَها وإن ذُبِحَتْ صلّى عليها وزَمْزَما[2]

وقالَ آخرُ: [الرجز]

كأنَّ بين فكِّها والفكِّ فارةَ مسكٍ ذُبِحَتْ في مسكِ[3]

وقالَ آخرُ: [البسيط]

كأنَّ عينيَ فيها الصّابُ مذبوحُ[4]

وقالَ آخرُ: [مجزوء الرمل]

وكأنَّ القومَ نَهْبٌ بينَهم مِسْكٌ ذبيحُ[5]

وأيّامُ التَّشريقِ بعد يومِ النَّحرِ، سُمِّيَت بذلك لأنَّ النّاسَ يبرزونَ فيها إلى المشرَّق. والمشرَّقُ: الموضعُ الذي يقيمُ النّاسُ فيه بمنى. قالَ أبو ذؤيب: [الكامل]

حتّى كأنّي للحوادثِ مروةٌ بصفا المشرَّقِ كلَّ حينٍ تُقرَعُ[6]

قالَ: وإنَّما سُمِّيَ هذا المكانُ «المشرَّق»، لأنَّ النّاسَ يبرزونَ فيه للشَّمسِ، ويشرِّقونَ فيه لحومَ الأضاحي. وتشريقُ اللَّحمِ هو أن يُشَرَّحَ ويُنشَرَ في الشَّمسِ، ويُقال للذي يشرِّحُ ويقدِّدُ شرائقَ اللَّحمِ. قالَ رسولُ اللّهِ صلّى اللّه عليه وآله: «أيّامُ التَّشريقِ أيّامُ أكلٍ وشُربٍ وبِعالٍ»[7]، وليستْ بأيّامِ صَومٍ. يعني بالبِعال: النِّكاحَ.

---

(١) شعر عمرو بن أحمر ص ٤٢، وأوله: ثم استهل عليه واكف همع.

(٢) ديوان الأعشى ص ١٨٦.

(٣) ملحق ديوان رؤبة بن العجاج ص ١٩٣، والقافية الثانية فيه: (بالسك).

(٤) لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ١/ ١٠٤، وأوله: نام الخلي وبتُّ الليل مشتجراً.

(٥) ديوان أبي نؤاس ص ٢٥٩، وفيه: نهبى.

(٦) ديوان الهذليين ١/ ٣.

(٧) غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٢٣١.

وروى شعبة عن يسارٍ عن الشعبيِّ، قالَ: لا ذبحَ إلّا بعدَ التَّشريقِ. قالَ: والتَّشريقُ هاهنا: الصَّلاةُ، لأنَّهم يبرزونَ للشَّمسِ.

[٢٧٢]

بئر زمزم

يُقال لها «زمزم»، وركضةُ جبرئيلَ، وحفيرُ عبدِ المطَّلبِ، وبرَّة، والمضنونه[١]، والسُّقيا، والرُّواء، وشبعةُ شَبَع، وطعامُ طُعم، وشفاءُ سُقم[٢]. ورُوِيَ عن عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام أنَّه قالَ: خيرُ بئرٍ في الأرضِ بئرُ زمزمَ، وشرُّ بئرٍ في الأرضِ بئرُ بَرَهوتَ[٣]. و«بَرَهُوت» بئرٌ بحضرموتَ، يُقال إنَّ فيها أرواحَ الكافرينِ. حكى الأصمعيُّ عن رجلٍ من أهلِ حضرموتَ، قالَ: نَجِدُ فيها الرِّيحَ المنتنةَ الفظيعةَ جدّاً، ثمَّ نمكثُ حيناً، فيأتينا الخبرُ أنَّ عظيماً من عظماءِ الكفّارِ قد ماتَ، فنرى أنَّ تلك الرِّيحَ منه. قالَ ابن عُيينة[٤]: أخبرَني رجلٌ أنَّه أمسى ببرهوتَ، فكانَ فيه أصواتُ الحُجّاجِ. قالَ: وسألتُ أهلَ حضرموتَ، فقالوا: لا يستطيعُ أحدٌ أن يُمسيَ فيه[٥].

وقالَ رسولُ اللّهِ صلّى اللّه عليه وآله لبني عبدِ المطّلب، وهم ينزعونَ على زمزمَ: «انزعوا على سقائِكم، فلولا أن يغلبَكم النّاسُ عليها لنزعتُ معَكم حتّى يؤثِّرَ الجريرُ بظهري». قالَ ابنُ قتيبةَ: سُمِّيَت «زمزم» لصوتِ الماءِ حينَ ظهرَ[٦]. وفي خبرٍ لقتيبةَ بنِ مسلم في خطبتِهِ: العصا من العُصَيَّة، وحولَ الصِّلِّيانِ الزَّمزمة[٧]. قالَ: الزَّمزمة: كلامُ المجوسِ عند أكلِهم. وزمزم أيضاً: بئر بمكَّة[٨].

---

(١) هكذا في م ولسان العرب، وفي ب: المصونة، وفي بعض النسخ: المفنونة، أو المغنونة.

(٢) وردت هذه الأسماء في لسان العرب ٦/٨٦، مادة (زمم)، بصيغة مشابهة.

(٣) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/١١٣.

(٤) هكذا في ب، وغريب الحديث، وفي م وأخواتها وهـ: ابن عنبسة.

(٥) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/١١٤.

(٦) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/٥٠٢.

(٧) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/٥٠١. والصِّلِّيان، على وزن فِعِلِّيان، نبت تأكله الخيل.

(٨) من «الزمزمة» زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.

والزَّمزمة: الصَّوت. وأنشدَ للأعشى:

لـــه زمـــزمٌ كـــالــمِـــغـــنّ[1]

قالَ[2]: وإنَّما جعلَ الزَّمزمةَ حول الصِّلِّيانِ لأنَّه يُقطَعُ للخيلِ التي لا تفارقُ الحيَّ مخافةَ الغارةِ، والأصواتُ حولَهُ[3]. والصِّلِّيانُ: شجرٌ تأكلُهُ الخيلُ، واحدُهُ: صِلِّيانة[4]. ويُروى: الزِّمزِمة: الجماعةُ من النّاسِ. قالَ أبو زيد: الخمسون ونحوها[5].

قالَ مجاهد: سُمِّيت «زمزم» لأنَّها مشتقَّةٌ من الهزمةِ، يعني هزمةَ جبرئيلَ عليه السَّلام بعَقِبِهِ. وليستْ «زمزمُ» على طريقِ اللُّغةِ من الهزمةِ في شيءٍ. والهزمةُ: الكسرةُ في الأرضِ حتّى تصيرَ فيها كالنُّقرةِ. والتَّهزُّم: التَّكسُّر[6].

وفي الحديثِ أنَّ زمزم هزمةُ جبرئيلَ عليه السَّلام، أي ضربَها برِجلِهِ، فنبعَ الماءُ. ويُقال: هزمتُ البئرَ: إذا حفرتُها. والهزائمُ: البِئارُ الكثيرةُ الماءِ. قالَ الطِّرمّاح: [الرجز]

أنـا الـطِّـرِمّـاحُ وعـمّـي حـاتـمُ   والـبـحـرُ حـيـنَ تَـنـكَـدُ الـهـزائـمُ[7]

[٢٧٣]

الميراث والفرائض والعصبة والكلالة والإزواء والأرحام

يُقال لسهامِ المواريثِ «فرائض»، لأنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ فرضَ لكلِّ ذي سهمٍ

---

(١) هكذا ورد البيت عند ابن قتيبة، وهو في المطبوع: له زهزم. انظر: غريب الحديث ٢/ ٥٠٢، وليس في ديوان الأعشى.
(٢) أي ابن قتيبة.
(٣) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٥٠٢.
(٤) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٥٠١.
(٥) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٥٠٢.
(٦) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٥٠٢.
(٧) لم أجد الشطرين في ديوان الطرماح. وهما في ثلاثة أشطار للطرماح بن عدي في لسان العرب، مادة (هزم). وتنكد الهزائم: يقل ماء الآبار. وفي الأصول: تذكر الهزائم.

سهمَهُ، وبيَّنَهُ[1] في كتابِهِ، فصارَ حدّاً محدوداً. وقد بيَّنّا اشتقاقَ الفريضةِ ومعناه في بابِهِ[2]. والميراثُ «مِفعال» من الإرثِ. والإرثُ ما يبقى بعدَ صاحبِهِ. فقيلَ لمالِ الميِّتِ «الإرث» و«الميراث»، لأنَّه يُخلِّفُهُ ويبقى بعدَهُ. قالَ الشّاعرُ: [الطويل]

عَفا غيرَ إرثٍ من رمادٍ كأنَّه حمامٌ بألبادِ القِطارِ جُثُومُ[3]

إرثٌ: بقيَّةٌ من رمادٍ، بقيَ بعدَ الظّاعنينَ عن الدّارِ. وقالَ الهذليُّ: [المتقارب]

فينظرُ في صُحُفٍ كالرِّياطِ فيهنَّ إرثُ كتابٍ مَحيُّ[4]

إرثُ كتابٍ: يعني امَّحى الكتابُ، وبقيتْ منه بقيَّةٌ، فهو إرثٌ منه. فالميراثُ ما يبقى من المالِ بعد مضيِّ صاحبِهِ. وقد بيَّنّا هذا في بابِ «الوارث» في صفاتِ اللّهِ تعالى.

والعصبةُ هم أقرباءُ الرَّجلِ ووَرَثَتُهُ من قبل أبيه، الذينَ ليسَ لهم سهمٌ معلومٌ في كتابِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ذكرُهُ[5]، الذين يرثونَ مالَهُ، إذا لم يكنْ له وارثٌ ذو سهمٍ، أو إذا فضلَ شيءٌ من ميراثِهِ بعد أن يأخذَ صاحبُ السَّهمِ سهمَهُ. وهو مثل الأخِ وابنِ الأخِ والعمِّ وابنِ العمِّ، وإن بعدوا، فالأقربُ فالأقربُ منهم. وإنَّما قيلَ لهم «عصبة» لأنَّهم أنصارُهُ، يتعصَّبونَ له عند الحربِ والخصومةِ. والعصبةُ مأخوذةٌ من التَّعصُّبِ، والتَّعصُّبُ مأخوذٌ[6] من العصابةِ، وهي التي يعصبُ بها الرَّجُلُ ناصيَتَهُ عند الحربِ أو العملِ. وكذلك كانوا يفعلونَ. كانوا إذا اجتمعوا وتعاونوا لأمرٍ، شدُّوا نواصيَهم بالعصائبِ، فقيلَ: قد تعصَّبوا لفلانٍ، أي شدُّوا نواصيَهم[7] لنُصرتِهِ. ثمَّ قيل لكلِّ ناصرٍ باليدِ واللِّسانِ «متعصِّب»، وإن لم يشدَّ ناصيَتَهُ. ومنه قيل: هؤلاءِ عصبةٌ. ويُقال: جاءَني عصابةٌ من القومِ. كلُّهُ مأخوذٌ من ذلك. قالَ النّابغة: [الطويل]

---

(١) وبينه: زيادة من ب.
(٢) تنظر مادة (الفريضة)، برقم (٢٢١).
(٣) لساعدة بن جؤية في شرح أشعار الهذليين للسكري ص ١١٥٧.
(٤) ديوان الهذليين ١/ ٦٥.
(٥) لم ترد في ب.
(٦) من «العصبة» سقطت من هـ.
(٧) من «بالعصائب» سقط من ب.

يظلُّ الجميعُ عاصباً بردائِهِ يقي حاجبيهِ ما تُثيرُ القنابلُ[1]

يصفُ أنَّه قد تعصَّبَ بردائِهِ، يدفعُ عن ناصيتِهِ وحاجبيه غُبارَ القنابلِ. والقنابلُ: جماعاتُ الخيلِ، واحدتُها: قنبلةٌ.

[٢٧٤]

الكلالة

قالَ أبو عبيدة: الكَلُّ والكَلالةُ: النَّسَبُ لغيرِ صلبِ الرَّجُلِ. وقالَ غيرُهُ: الكَلُّ من النّاس: الذي يُنفِقُ عليه غيرُهُ. قالَ أبو بكر القارئ[2]: الكَلُّ: الصِّغارُ الذين لا كاسبَ لهم. وأنشدَ: [الوافر]

إذا ما تعزبُ الأنعامُ راحتْ على الأيتامِ والكَلِّ العِيامِ[3]

قالَ ابنُ الكلبيِّ: الكلالة: الوَرَثة الذينَ يرثونَ الرَّجُلَ، إذا لم يدَعِ والداً ولا وَلَداً. وقالَ السُّدِّيُّ: الكلالة: الميِّتُ نفسُهُ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وإن كانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالةً أوِ امرأةٌ﴾ [النساء: ١٢]. وروى أبو عبيد بإسنادٍ له عن الشَّعبيِّ أنَّ أبا بكر سُئِلَ عن الكلالةِ، فقالَ: أقولُ فيها برأيي، فإن كانَ صواباً فمنَ اللّهِ، هو ما دونَ الوالدِ والولدِ. فلمّا وليَ عُمَر، سُئِلَ عنها، فقالَ: إنّي لأستحيي من اللّهِ أن أردَّ شيئاً قالَهُ أبو بكر. وعن ابنِ عبّاس: هو ما خلا الوالدَ والولدَ.

قالَ أبو عبيد: والذي يُرادُ من الكلالةِ أنّه مَن ماتَ وليس له ولدٌ ولا والدٌ، وله أخوةٌ وأخواتٌ من أُمِّهِ، ورثوه، وإن كانَ له ولدٌ أو والدٌ، لم يرثوه، ولا يحجبُ الأخوةُ والأخواتُ من الأمِّ غيرهم، لقولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وله أخٌ أو أختٌ فلكلِّ واحدٍ منهما السُّدسُ فإن كانوا أكثرَ من ذلكَ فهمْ شركاءُ في الثُّلثِ﴾ [النساء: ١٢]، إنَّما أرادَ الأخوةَ والأخواتِ من الأمِّ خاصَّةً. وقد كانَ بعضُ السَّلَفِ[4]

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ١١٩، والشطر الأول فيه: يحث الحداة جالزاً بردائه.

(٢) سبقت الإشارة إلى أنه أبو بكر ابن العلاف الشاعر المقرئ الراوية، أو أبو بكر الأصفهاني، مؤلف كتاب «الزهرة»، أو أبو بكر الأنباري، مؤلف «الزاهر».

(٣) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص ٢٠٤.

(٤) هكذا في ب، وفي م وأخواتها وهـ: بعض الصحابة.

يُدخِلُ ذلك في قراءتِهِ. كانَ سعد بن أبي وقّاص يقرأُ: (وإن كانَ رجلٌ يورثُ كلالةً أو امرأةٌ وله أخٌ أو أختٌ من أُمّهِ). وروى أبو عبيد عن أبي عُبَيدةَ في قولِهِ (يُورَثُ كَلالةً) قالَ: مَن لم يَرِثْهُ أبٌ أو ابنٌ أو أخٌ فهو عند العربِ كَلالةٌ. قالَ: وكلالة: مصدرٌ مِن «تَكَلَّلَهُ النَّسَبُ». ومن قرأَ (يُورَثُ كَلالةً)، فهم الرِّجالُ الورثةُ، أي يعطفُ النَّسَبُ عليه[1]. فقوله «تَكَلَّلَهُ النَّسَبُ»، أي يعطفُ، كأنَّه ليس هو نُسِبَ في الطُّولِ، مثل فلان بن فلانٍ، ولكنَّه في العرضِ، مثل فلان أخو فلانٍ، فكأنَّه معطوفٌ عليه. قالَ الطِّرمّاح: [الطويل]

يـهـزُّ سـلاحـاً لـم يـرثْـهُ كَـلالـةً ... يشكُّ به منها غموضَ المَغابنِ[2]

يصفُ الثَّورَ، وسلاحُهُ قرناه، يعني ورثَهُ عن أبيه، لأنَّ أباه كانَ ذا قرنينِ، فكذلك هو ذو قَرْنينِ صُلبينِ من ذلك الجوهرِ. قالَ عليّ بن سليمان الأخفش: أنشدَني أبو العبّاس الأحولُ لأعرابيٍّ جاهليٍّ: [مجزوء الكامل]

الـمـرءُ يـكـسـبُ مـالَـهُ ... بـالـشُّـحِّ يـورثُـهُ الـكـلالـة[3]
الـعـبـدُ يُـقـرَعُ بـالـعـصـا ... والـحـرُّ تـكـفـيـه الـمـقـالـة[4]

والإزواءُ مأخوذٌ من «أزوى» عنه الميراثَ، إذا قبضَهُ عنه، ونحّاه. وفي الحديثِ «إنَّ المسجدَ لينزوي عن النُّخامةِ كما تنزوي الجلدةُ من النّارِ»[5]. ينزوي: ينقبضُ، والانزواءُ: الانقباضُ. وأنشدَ أبو عبيد[6] للأعشى: [الطويل]

يزيدُ يغضُّ الطَّرفَ دوني كأنَّما ... زوى بينَ عينيه عليَّ المحاجمُ[7]

وفي حديثِ النَّبيِّ صلى اللّه عليه «زُوِيَتْ ليَ الأرضُ، فأُرِيتُ مشارقَها

---

(١) نص أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/١١٨- ١١٩. وينظر: غريب الحديث لابن قتيبة ١/٢٢٦. ويعطف في م وأخواتها: تعطف.
(٢) ديوان الطرماح ص ٢٧٩.
(٣) البيان والتبيين للجاحظ ٢/٢٧ بلا نسبة، ولأبي دؤاد الإيادي في الأغاني ١٦/٢٥٩، وشعره ص ٣٣٣، وديوان أبي الأسود الدؤلي ص ١٤٨.
(٤) هكذا رواية ب، في بيتين، ولكن القافية الثانية: الإشارة. وفي م وأخواتها: وقال آخر: والقافية في البيت الثاني: الملامة.
(٥) أبو عبيد: غريب الحديث ١/١١٧.
(٦) في م وأخواتها: أبو عبيدة.
(٧) غريب الحديث لأبي عبيد ١/١١٧، وديوان الأعشى ص ١٧٨.

ومغاربَها، وسيبلغُ مُلكُ أُمَّتي ما زُوِيَ لي منها»[١]. معناه: قُبِضتْ وجُمِعَتْ. والزّاوية: النّاحية. فكأنَّ الإزواءَ سُمِّيَ بذلك لأنّه مالٌ يُقبَضُ دونَ الميراثِ، ويقبضُهُ مَن لا يَرِثُهُ، وينحّيه عن الوَرَثةِ. فالإزواءُ هو من بابِ «أفعلَ». يُقال: أزوى، يزوي، وزوى من باب «فعلَ». يُقال: زوى، يزوي، في معنى «قبض». فكأنَّ الموصّيَ أمرَ الوصيَّ أن يزويَ شيئاً من مالِهِ، أي يقبضَهُ وينحّيَهُ. ويُقال: ازوِهِ، أي اجعلْه مقبوضاً مُنحّى، كما يُقال: قطعَ، وأقطعَ. فقطعَ «فعلَ»، وأقطعَ: أمرَ أن يُقطَعَ.

والزَّواء أيضاً: اسمُ القدرِ. قالوا: وإنَّما سُمِّيَ القدر «زواءً»، لأنَّه يذهبُ بالشَّيءِ ويزويه. ويُقال: زاءَهُ الدَّهرُ، أي انقلبَ عليه[٢]. فيكونُ الإزواءُ أيضاً من هذا، كأنَّه شيءٌ ذهبَ به الموصّي فقلبَهُ عن وجهِهِ، ونحّاه عن الورثةِ.

وذوو الأرحامِ مأخوذٌ من «الرّحم»، وهو القراباتُ الذين لا سهمَ لهم في كتابِ اللّهِ عزَّ وجلَّ، وليسوا بعصبيَّةٍ ولا كلالةٍ، وهم الأبعدونَ في النَّسبِ. وأصلُ الرَّحمِ مأخوذٌ من رحمِ المرأة، لأنَّ النَّسَبَ يجمعُهم، حتّى يلتقوا في أُمٍّ قد ولدتْهم، وخرجوا من رحمِها. قالَ الأصمعيُّ: الرِّحْم، بكسرِ الراءِ وتخفيفِ الحاءِ، هو رِحْم الأنثى، والرَّحِمُ، بفتحِ الراءِ وكسرِ الحاءِ هو القرابةُ، والرُّحمُ، بضمِّ الراءِ، هو الرَّحمةُ. قالَ أبو عُبَيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وأقربَ رُحماً﴾ [الكهف: ٨١]، قالَ: عطفاً. قالَ: والرُّحْمُ والرَّحِمُ واحدٌ[٣]. وأنشدَ للعجّاج: [الرجز]

ولم تعوَّجْ رُحْمَ مَن تعوَّجا[٤]

وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّه عليه وآله «توضعُ الرَّحمُ يومَ القيامةِ لها حجنةٌ كحجنةِ المغزلِ، تتكلَّمُ بلسانٍ طلقٍ ذلقٍ، فتصلُ مَن وصلَها، وتقطعُ مَن قطعَها»[٥].

قالَ: حجنة: تعقيف.

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ١/١١٦.

(٢) اللسان، مادة (زوأ)، نقلاً عن أبي عمرو.

(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/٤١٢، ولم يرد الشرح المفصل.

(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/٤١٣.

(٥) برواية قريبة في الأدب المفرد للبخاري ص ٣٢.

ورُوِيَ عن أبي جعفر محمَّد بن عليٍّ رضوان اللّه عليه، قال: قاطعُ الرَّحِمِ ملعونٌ في كتابِ اللّهِ. قالَ اللّهُ تعالى ﴿فَهَل عَسيتم إن تولَّيتُم أن تُفسِدوا في الأرضِ وتقطَعوا أرحامَكم أولئكَ الذينَ لعنَهم اللّهُ فأصمَّهم وأعمى أبصارَهم﴾ [محمد: ٢٢]. وقالَ الذينَ ﴿يقطعونَ ما أمرَ اللّهُ بِهِ أن يُوصَلَ ويُفسِدونَ في الأرضِ أولئكَ لهمُ اللَّعنةُ ولهم سوءُ الدّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]. وفي الحديثِ: يقولُ اللّهُ للرَّحمِ: أنا الرَّحمنُ، وأنتِ الرَّحِمُ، شققتُ اسمَكِ من اسمي، فمن وصلَكِ وصلتُهُ، ومن قطعَكِ قطعتُهُ[١].

فالأرحامُ جمع الرَّحِمِ، وهي القرابةُ على ما فسَّرنا. وذوو الأرحامِ القراباتُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وألو الأرحامِ بعضُهم أولى ببعضٍ في كتابِ اللّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

[٢٧٥]
النِّكاح

النِّكاحُ هو التَّزويجُ حلالاً. يُقال: نكحتُ المرأةَ، إذا تزوَّجتُها حلالاً، فإذا لم يكنْ حلالاً فهو سِفاحٌ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ولا تَنكِحوا ما نَكَحَ آباؤُكُم من النِّساءِ إلّا ما قد سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]. وقالَ ﴿ولا تَنكِحوا المشركاتِ حتّى يُؤمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١]. ويقال: أنكحتُ الرَّجُلَ، إذا زوَّجتُهُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ولا تُنكِحوا المشركينَ حتّى يُؤمِنوا﴾ [البقرة: ٢٢١]، أي لا تزوِّجوهم. وقالَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليه «لا نكاحَ إلّا بوليٍّ وشاهدينِ»[٢]. يعني إذا لم يكنْ وليٌّ وشاهدانِ، فهو سِفاحٌ، وليسَ بنِكاحٍ. وهو في الأصلِ اسمٌ للتَّزويجِ، وهو أن تُذكَرَ المرأةُ للرَّجلِ بمهرٍ، فيكون أحدُهما زوجاً لصاحبِهِ، ثمَّ صارَ اسماً للمجامعةِ حلالاً، كما صارَ السِّفاحُ اسماً للمجامعةِ حراماً. والنِّكاحُ والسِّفاحُ ضدّانِ، كما أنَّ التَّزويجَ والزِّنى ضدّانِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿مُحصِنينَ غيرَ مُسافِحينَ﴾ [النساء: ٢٤]. وقال

---

(١) البخاري: الأدب المفرد ص ٣١، سنن الترمذي (١٩١٤)، أبو تمام: شجرة اليقين ص ٩٦، مفردات غريب القرآن للأصفهاني ١/ ٢٥٤.

(٢) سنن الترمذي (١١٠٤)، سنن ابن ماجة (١٨٨١).

﴿مُحصَناتٍ غيرَ مسافحاتٍ﴾ [النساء: ٢٥]. وقالَ الشّاعرُ في النّكاحِ: [الطويل]

فلا تنكحي إن فرّقَ الدّهرُ بينَنا ... أغمَّ القفا والوجهِ ليسَ بأنزعا[(١)]

معناه لا تتزوَّجي. فالتَّزويجُ والنِّكاحُ اسمانِ للمجامعةِ الحلالِ، والمخادنةُ والزِّنى والسِّفاحُ أسماءٌ للمجامعةِ الحرامِ. والجماعُ اسمٌ يجمعُ المعنَيينِ جميعاً، حلالاً كانَ أم حراماً. ثمَّ للمجامعةِ أسامٍ كثيرةٌ غيرُ هذه يُتَكلَّمُ بها في الحلالِ والحرامِ. يُقال: جامعَها، وخجأَها، وقطأَها، وخلجَها، وكاسَها، وعصدَها، ومخجَها، والسِّقاء يُمخَجُ، إذا مُخِضَ، ودعسَها، ورطأَها، وحشأَها، وعزدَها، وآرَها، وعفجَها[(٢)]، وزخَّها. وأنشدَ: [الرجز]

أفلحَ مَن كانتْ له مَزَخَّةْ ... يزخُّها ثمَّ ينامُ الفَخَّةْ[(٣)]

ونكأَها، ومحجَها، وعاشَها، ورطمَها، وكامَها، وبعلَها، والبِعال: النِّكاح، وفي الحديثِ: «أيّامُ التَّشريقِ أيّامُ أكلٍ وشُربٍ وبِعالٍ»[(٤)]، ومشمشَها، وهرجَها، ويُقال: ما زالَ يهرجُها ليلتَهُ[(٥)]. وأنشدَ في «كامَها» و«مشمشَها»: [الرجز]

كامَ حُبَيٌّ[(٦)] أمَّهُ كَومَ الفَرَسْ ... مَشْمَشَها أربعةً ثمَّ جَلَسْ[(٧)]

وعقدةُ النِّكاحِ إبرامُهُ. وكذلك عقدةُ كلِّ شيءٍ إبرامُهُ. قالَ اللّه عزَّ وجلَّ ﴿ولا تعزموا عقدةَ النِّكاحِ حتّى يبلغَ الكتابُ أجَلَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. والسِّرُّ أيضاً اسمٌ للنِّكاحِ، واسمٌ للسِّفاحِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ولكن لا تواعدوهنَّ سِرّاً﴾ [البقرة: ٢٣٥]. هذا هو في النِّكاحِ الحلالِ. وقالَ الحُطَيئة: [الوافر]

ويحرُمُ سرُّ جارتِهم عليهم ... ويأكلُ جارُهم أُنُفَ القِصاعِ[(٨)]

فالسِّرُّ هاهنا السِّفاحُ، أي لا يزنونَ بجارتِهم. قالَ: وسُمِّيَ «سِفاحاً» لأنَّهما

---

(١) لهدبة بن خشرم في إصلاح المنطق ص ٦٠، وشعره ص ١١٤.
(٢) وآرها وعفجها: زيادة من ب، سقطت من م وأخواتها.
(٣) الفروق لقطرب ص ٧٨، وغريب الحديث لابن قتيبة ٢/ ١٤٠، والإمتاع والمؤانسة ٣/ ٧٠.
(٤) أبو عبيد: غريب الحديث ١/ ٢٣١.
(٥) غريب الحديث لأبي عبيد ٥/ ٩١.
(٦) في جميع الأصول: حي، والتصحيح من ابن السكيت.
(٧) القلب والإبدال لابن السكيت ص ٢٢ لزينب بنت أوس.
(٨) ديوان الحطيئة، طبعة النعمان، ص ٦٢،

يتسافحانِ، أي يصبّانِ الماءَ. وهذه الأسامي كلُّها كنايةٌ عن المجامعةِ حلالاً كانتْ أم حراماً. وتتكلَّمُ العامَّةُ أيضاً باسمٍ آخرَ يُستَقبَحُ ذكرُهُ، وهو يُتكلَّمُ به في الحلالِ والحرامِ.

[٢٧٦]

الإحصان

يُقال لكلِّ ذي زوجةٍ من الرِّجالِ «مُحصِن»، بكسرِ الصّادِ، قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿مُحصِنينَ غيرَ مُسافِحينَ﴾ [النساء: ٢٤]، ولكلِّ ذاتِ زوجٍ من النِّساءِ «مُحصَنة»، بفتحِ الصّادِ، قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿مُحصَناتٍ غيرَ مُسافِحاتٍ﴾ [النساء: ٢٥]. وقالَ ﴿فإذا أحصنَّ فإن أتينَ بفاحشةٍ فعليهنَّ نصفُ ما على المُحصَناتِ من العذابِ﴾ [النساء: ٢٥]، فإذا أحصنَّ، يعني: تزوَّجْنَ، ونصفُ ما على المُحصَناتِ من العذابِ، يعني الحرائرَ، ويعني بالعذابِ: الضَّربَ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وليشهدْ عذابَهما طائفةٌ من المؤمنينَ﴾ [النور: ٢]. وقالَ زُهَير [الوافر]

فإن تَكُنِ النِّساءُ مُخَبَّآتٍ فحقَّ لكلِّ مُحصَنةٍ هِداءُ[1]

وقالَ زُهَير في العذابِ أنَّه الضَّرب: [البسيط]

وخلفَها سائقٌ يحدو إذا خَشِيَتْ منه العذابَ تمدُّ الصُّلبَ والعُنُقا[2]

والمحصنُ والمحصنةُ هم ذوو الأزواجِ من الرِّجالِ والنِّساءِ. والمحصناتُ: الحرائرُ من النِّساءِ، وإن لم يكنَّ متزوِّجاتٍ. والإحصانُ هو المنعُ والحفظُ والصِّيانةُ والحمايةُ. ويُقال لكلِّ شيءٍ منعتَهُ وحفظتَهُ وصُنتَهُ وحميتَهُ: أحصنتَهُ، تُحصِنُهُ، إحصاناً. والفاعلُ مُحصِنٌ، والمفعولُ به مُحصَنٌ. وإنَّما قيلَ رجلٌ مُحصِنٌ ورجالٌ مُحصِنونَ، بكسرِ الصّادِ، لأنَّهم أحصنوا فروجَهم، وحفظوها. وقيلَ: امرأةٌ مُحصَنةٌ، ونساءٌ مُحصَناتٌ، بفتحِ الصّادِ، يعني ذواتَ الأزواجِ، قد أحصنوهنَّ ومنعوهنَّ وحفظوهنَّ. ويُقال للحرائرِ، وإن لم يكنَّ ذواتَ أزواجٍ «مُحصَنات»،

---

(١) ثعلب: الفصيح ص ٢٧٣، وديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب ص ٦٥. وقد سقط البيت من ب.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب ص ٤٣.

لأنَّهنَّ قد أحصنَّ في بيوتهنَّ من الامتهانِ وكشفِ الشَّعَرِ والزِّينةِ. والأَمَةُ، إذا لم تكنْ ذاتَ زوجٍ، فلا يُقال لها «مُحصَنة»، لأنَّها تُمتَهَنُ. فإذا كانتْ ذاتَ زوجٍ، قيلَ لها «مُحصَنة»[1]. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ في صفةِ الإماءِ ﴿فإذا أحصنَّ﴾، يعني تزوَّجنَ. والمحصنةُ: العفيفةُ أيضاً. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿الذينَ يرمونَ المُحصَناتِ﴾ [النور: ٤]. قالَ أهلُ التَّفسيرِ: يعني العفائفَ[2]. فكأنَّها سُمِّيَت بذلك لأنَّها أحصنتْ فرجَها. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ومريمَ ابنةَ عمرانَ التي أحصنتْ فرجَها﴾ [التحريم: ١٢][3]، كانَ حقُّها أن يُقالَ لها: قد أحصنتْ، فهي مُحصَنةٌ، إلّا أنَّهم ذهبوا إلى الاسمِ الأوَّلِ، فأجروه ذلك المجرى. ويُقال أيضاً: امرأةٌ حَصانٌ، أي عفيفةٌ، ونسوةٌ حواصِنُ. قالَ امرؤُ القيسِ: [الطويل]

من البيضِ والغزلانِ واللُّعسِ كالدُّمى ... حواصِنُها والمبرِقاتِ الرَّواني[4]

حواصِنُها: عفائفُها. والمبرقات: اللَّواتي يتزيَّنَّ للرِّجالِ ليُفجَرَ بهنَّ. وقالَ العجّاجُ: [الرجز]

وحاصِنٍ من حاصناتٍ مُلْسِ ... منَ الأذى ومن قِرافِ الوَقْسِ[5]

والوقسُ: الجربُ. وقالَ حسّانُ: [الطويل]

حَصانٌ رَزانٌ ما تزنُّ بريبةٍ ... وتصبحُ غرثى من لحومِ الغوافلِ[6]

ويُقال: امرأةٌ حَصانٌ رَزانٌ: بيِّنةُ الحصنِ والرَّزانةِ. والتَّحصُّن: العفافُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿إن أردنَ تحصُّناً﴾ [النور: ٣٣]، أي عِفَّةً عن الزِّنى. ويُقال: فَرَسٌ حِصانٌ، بكسرِ الحاءِ: بيِّنُ التَّحصُّنِ، إذا كانَ كريماً. وأصلُهُ من الإحصانِ والصِّيانةِ والكنِّ. ويُقال: سُمِّيَ «حِصاناً»، لأنَّه يمنعُ راكبَهُ من أن يُدرِكَهُ طالبٌ.

---

(١) زيادة من م وأخواتها وهـ.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٩٣.

(٣) زيادة من ب.

(٤) ديوان امرئ القيس، طبعة المعارف، ص ٣٤٥، وشرح السكري ص ٥٠٦، وشرح النحاس ص ٢١٣.

(٥) ديوان العجاج ص ٧٩. وقد ورد البيتان في لسان العرب، مادة (وقس)، وقال: ضرب الجرب مثلاً للفاحشة.

(٦) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ص ٣٨٠.

ومنه قيلَ للخيلِ «حصون». وكانوا يقولونَ: «الخيلُ حصونُ العَرَبِ»[1]. قالَ الشّاعر: [الكامل]

ولقد شهدتُ على توقّي الرَّدى ... أنَّ الحصونَ الخيلُ لا مَدَرُ القرى[2]

وأصلُهُ كلُّهُ من «الحصنِ»، وإنَّما سُمِّيَ الحصنُ «حصناً» لأنَّه مَنَعةٌ من العدوّ. قالَ الجعديُّ في الخيلِ: [الرمل]

جاوَبَتْه[3] حُصُنٌ مُمسِكةٌ ... أرِناتٌ لم يلوِّحْها الهَمَلْ[4]

يعني أنَّها في كنٍّ، لم تُهمَلْ. وقالَ ابنُ أحمرَ، يصفُ بيضَ النَّعام: [الوافر]

وضعْنَ وكلُّهنَّ على غِرارٍ ... حصانُ الجيبِ قد وسَقَتْ جَنينا[5]

يقولُ: هي صحيحةٌ، لم يُصِبْها عيبٌ، ولم تقارفْ ريبةً. وحَصانُ الجيبِ واقعٌ على ما أضمرَ عليه الجيب. كما قالَ الحُطَيئة: [الوافر]

لعمرُكَ إنَّ جارةَ آل لأيٍ ... لعفٌّ جيبُها حَسَنٌ نشاها[6]

ومثلُهُ: فلانٌ طاهرُ الثَّوبِ، إذا كان متوقِّياً نقيّاً عفيفاً. وفلانٌ عفيفُ الإزارِ مثلُهُ.

[٢٧٧]

الطَّلاق

الطَّلاقُ مشتقٌّ من قولك: أطلقتُ البعيرَ، إذا أرسلتُهُ من وثاقِهِ. ويقال: بعيرٌ طَلقٌ، إذا لم يكنْ عليه قيدٌ ولا عقالٌ، والجمع: أطلاق. قالَ ذو الرّمَّة: [الطويل]

تقاذفنَ أطلاقاً وقاربَ خطوَهُ ... من الذَّودِ تقييدٌ وهنَّ حبائبُهْ[7]

---

(١) ابن قتيبة: فضل العرب والتنبيه على علومها ص ٤٩.

(٢) للأسعر الجعفي في الأصمعيات ص ١٤١، والخيل لأبي عبيدة ص ١١، وابن قتيبة: فضل العرب والتنبيه على علومها ص ٥٠.

(٣) في م وأخواتها: حاربته.

(٤) ديوان النابغة الجعدي ص ١١٥.

(٥) شعر عمرو بن أحمر ص ١٥٨، وفيه (هجان اللون) في موضع (حصان الجيب).

(٦) ديوان الحطيئة، طبعة النعمان، ص ١١٩.

(٧) ديوان ذي الرمة ص ٤٣.

ويُقال: ناقةٌ طالقٌ، إذا لم يكن عليها صِرارٌ[1]. قالَ ابنُ هرمة: [الكامل]

تُشلى كبيرتُها فتُحلَبُ طالقاً   ويرمِّقونَ صغارَها ترميقا[2]

تُشلى كبيرتُها: تُرعى. والتَّرميق: التَّقليل. فالمرأةُ ما دامتْ معَ زوجِها فهي في وثاقِهِ، فإذا فارقَها فقد أطلقَها من وثاقِهِ. وقيلَ: طلّقَ امرأتَهُ، فهي طالقٌ، كما قالوا: ناقةٌ طالقٌ، ولم يُقَلْ: أطلقَ امرأتَهُ، لأنّها لا تبينُ منه إلّا بعدَ ثلاثِ تطليقاتٍ، فقيل: طلّقَ، إذا أعادَ التَّطليقَ ثلاثَ مرّاتٍ. وأطلقَ وطلَّقَ بمعنى واحدٍ، إلّا أن «طلَّقَ» فيه معنى التَّكريرِ، كما يُقال: أغلقَ، وغلَّقَ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وغَلَّقَتِ الأبوابَ﴾ [يوسف: ٢٣]. فالتَّكريرُ للتَّكثيرِ. قالَ الشّاعرُ: [الرجز]

يا عمرو يا ابنَ عامرٍ يا أنتا   أنتَ الذي طلّقتَ عامَ جُعتا[3]

يعني أطلقَ من عيالِهِ واحداً واحداً. وقالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿إذا طلَّقتُم النِّساءَ فطلِّقوهنَّ لعِدَّتِهنَّ﴾ [الطلاق: ١]. لأنّه تكريرُ الطَّلاقِ في كلِّ حيضةٍ. فكثُرَ ذلك حتّى قيلَ لمن طلّقَ أيضاً مرَّةً: قد طلّقَها مرَّةً. ويُقال: قد طَلُقَتِ المرأةُ، فهي طالقٌ، بضمِّ اللامِ، إذا طلَّقَها زوجُها. وطَلَقَتِ الناقةُ من الوِثاقِ، بفتحِ اللامِ، فَرْقاً بين المعنَيينِ. وطلَّقَ الرَّجُلُ المرأةَ تطليقاً، إذا طلَّقَها فبانتْ منه، فإذا أردتَ مرَّةً واحدةً، قلتَ: تطليقةً، وتطليقتَينِ، وثلاثَ تطليقاتٍ. وامرأةٌ مطلَّقةٌ وطالقٌ، ونساءٌ طوالقُ. ويُقال أيضاً: امرأةٌ طالقةٌ. قالَ الأعشى: [الطويل]

أيا جارتي بيني فإنَّكِ طالقةْ   كذاك أمورُ النّاسِ غادٍ وطارقةْ[4]

ويُقال: طُلِّقَ السَّليمُ تطليقاً، إذا رجعتْ إليه نفسُهُ. والسَّليمُ: اللَّديغُ. قالَ النّابغة: [الطويل]

تناذرَها الرّاقونَ من سوءِ سمِّها   تطلِّقُهُ طوراً وطوراً تُراجِعُ[5]

---

(١) في الإبل للأصمعي: ناقة طالق: وهي التي تطلب الماء في الكلأ، الكنز اللغوي ص ١٤٦. والصرار كيس لتغطية ضروع الناقة.

(٢) شعر إبراهيم بن هرمة القرشي ص ١٥٠. والترميق: القليل من الأكل الذي يسد الرمق.

(٣) الرجز في نوادر أبي زيد برواية أخرى لسالم بن دارة الغطفاني ص ١٦٣، وفيه: يا مرَّ يا ابن واقع، وفي الشواهد الكبرى للعيني: يا أبجر بن أبجر يا أنتا.

(٤) ديوان الأعشى ص ١٢٢.

(٥) ديوان النابغة الذبياني ص ٣٤.

قالَ أبو عُبَيدةَ: تطلِّقُهُ: تخفِّفُ عنه مرَّةً، ومرَّةً تشتدُّ عليه. وكذلك يكونُ اللَّديغُ. وقالَ الأصمعيُّ: يعني ينفرجُ عنه أذاها حيناً، وحيناً يعاودُهُ. وأنشدَ للممزَّقِ العبديِّ: [الطويل]

تبيتُ الهمومُ الطّارقاتُ يَعُدْنَني كما تعتري الأهوالُ رأسَ المطلَّقِ[1]

قالَ: المطلَّقُ أن يُفيقَ ساعةً، فينطلقَ عنه غشيُ السّمِّ، ثمَّ يغمى عليه بعدُ. ويُروى بيت النّابغة: [الطويل]

تراسلُهُ طَلْقاً وطَلْقاً تراجعُ

أي يُفيقُ ساعةً فينطلقُ، ثمَّ يعودُ فيراجعُ، أي عن المراسلةِ. ويُقال للأسيرِ «طليق»، إذا خُلِّيَ سبيلُهُ، وأُطلِقَ من وثاقِهِ، لأنَّه أُرسِلَ.

فكأنَّ المطلَّقةَ من النِّساءِ تُطلَّقُ تطليقةً، ثمَّ تُترَكُ حيضةً، ثمَّ تُطلَّقُ مرَّةً أخرى، ثمَّ تُترَكُ حيضةً، حتّى تنقضيَ ثلاثُ تطليقاتٍ. ومعناه أنَّها تُرسَلُ عند كلِّ حيضةٍ، كما يُرسَلُ هذا السَّليمُ مرَّةً بعد مرَّةٍ. ويُقال: يومٌ طَلْقٌ، وليلةٌ طلقةٌ، أي ساكنةٌ لا ريحَ فيها ولا حرَّ ولا بردَ. قالَ أوس: [المتقارب]

فليستْ بطلقٍ ولا ساكرةْ[2]

ورجلٌ طلقُ اليدينِ، إذا كانَ سخيّاً بالعطيَّةِ. قالَ لبيد: [الرجز]

طلقُ اليدينِ كاملُ السِّلاحِ[3]

سمِّيَ بذلك لأنَّه يَهَبُ المالَ ويُرسِلُهُ ويُطلِقُهُ. ويُقال: طَلَقتِ الإبلُ طلقاً، إذا وردتِ الماءَ. ويُقال: الطَّلَقُ أن يكونَ بينَها وبينَ الماءِ ليلتانِ[4]، والقَرَبُ أن يكونَ بينَها وبينَ الماءِ ليلةٌ. قالَ رؤبةُ: [الرجز]

يطلقنَ قبلَ القَرَبِ المقهْقَهِ[5]

ويُقال: لسانٌ طليقٌ وطَلْقٌ، إذا كانَ فصيحاً، لأنَّه يُرسِلُ الكلامَ إرسالاً. وقالَ

---

(١) الأصمعيات ص ١٦٤.
(٢) ديوان أوس بن حجر ص ٣٤، وأوله: تزاد لياليَّ في طولها.
(٣) لم يرد في الأرجوزة الحائية في ديوان لبيد ص ٣٣٢.
(٤) في ب: ليلة. ويتوقف النص، وهذه رواية م وأخواتها.
(٥) القلب والإبدال ص ٢٧، برواية أخرى، وديوان رؤبة ص ١٦٧.

أميرُ المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام: «إنَّ ربِّي وهبَ لي قلباً عقولاً ولساناً طلقاً». ويُقال: عدا طلقاً أو طلقَينِ، ومنه: عدا شوطاً أو شوطَينِ، إذا عدا وجهاً واحداً. ويُقال: هو طلقٌ لكَ، أي حلالٌ. ويُقال لضربٍ من الدَّواءِ «طلق»، وللقيدِ من الجلودِ «طلق». ويُقال في غيرِ هذا المعنى: طَلقتِ المرأةُ، بالتَّخفيفِ، فهي مطلوقٌ، إذا أخذَها المخاضُ.

[٢٧٨]

الرَّجعة

يُقالُ في الطَّلاق: فلانٌ يملكُ رَجعةَ المرأةِ، بفتحِ الرّاءِ، إذا طلَّقَها تطليقةً أو تطليقتَينِ. فإذا طلَّقَها ثلاثاً في ثلاثِ حيضاتٍ، فلا رَجعةَ له في ذلك. فهو في التَّطليقتَينِ يراجعُها رَجْعةً. وأصلُها من الرُّجوعِ، أي أن يراجعَها بالنِّكاحِ. ومعناه يرجعُ عن الطَّلاقِ رَجعةً، بالفتحِ، وهي «الفَعلة». قالوا: وهو مثلُ قولِهم: فلانٌ لرَشدةٍ، وفلانٌ لزَنيةٍ، ولي عليه أَمرةٌ مطاعةٌ. فأمّا الإِمرةُ، بالكسرِ، فهي الولايةُ. ويُقالُ أيضاً في الحربِ «رَجعة»، وهو مثلُ الكرَّة. والرَّجعةُ أيضاً ما يدَّعيه قومٌ من الشِّيعة. وإنَّما سُمِّيَت «رَجعة»، لأنَّها فيما يدَّعونَ كرَّةٌ قبلَ يومِ القيامةِ. وهي أيضاً بالفتحِ، لأنَّه اسمٌ للفَعلة. وقد ذكرناهُ في موضعِهِ.

[٢٧٩]

الإيلاء

قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿للذينَ يُؤلونَ من نسائِهم تربُّصُ أربعةِ أشهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٢٦]. وفي قراءةِ ابنِ عبّاس: (الذينَ يُقسمونَ من نسائِهم)، وهو من القَسَم[١]، وهي اليمينُ. والإيلاءُ في اللُّغة هو مصدرٌ من: آلى، يؤلي، إيلاءً. ومصدرُ كلِّ فعلٍ على «أفعل» يكونُ على ضربَينِ؛ على «إفعالٍ»، و«مَفعلٍ»، كما يُقال: أكرمَ، يُكرِمُ، إكراماً. وهو مأخوذٌ من «الأليّةِ». والأليَّةُ: اليمينُ والحلفُ. يُقال لليمينِ:

---

(١) من «الذين» سقط من هـ.

أليَّة، وألوَّة، وإليَة، بالتَّخفيف، قالَها الكسائيُّ[1]. قالَ الشّاعرُ: [الوافر]

علـيَّ أليَّـةٌ عـتـقـتْ قـديـمـاً ... فليسَ لها وإن طُلِبَتْ مرامُ[2]

ويُقال: آلى الرَّجُلُ من امرأتِهِ، إذا حلفَ، إيلاءً، أي حِلْفاً ويميناً. وقولُهُ ﴿فإن فاءوا﴾ [البقرة: ٢٢٦]، أي رجعوا. يُقال: فاءَ، يفيءُ، فَيئاً. والفَيءُ: الرُّجوعُ والفَيئةُ. ومنه قيلَ للظِّلِّ بالعشيِّ «فيء»، لأنَّه رجعَ من الظِّلِّ إلى الفيءِ، وهو رجوعٌ من مكانٍ إلى مكانٍ. فالإيلاءُ هو أن يحلفَ الرَّجُلُ باللّهِ أن لا يجامعَ امرأتَهُ، ويقولَ لها: واللّهِ، لأغيظنَّكِ ولأسوءنَّكِ، ثمَّ يهجرُها فلا يجامعُها، حتّى تمضيَ أربعةُ أشهرٍ. فإذا مضتْ أربعةُ أشهرٍ، جبرَهُ الإمامُ حتّى يفيءَ، أو يطلِّقَ. واختلفَ أهلُ الفقهِ في ذلك، فمنهم مَن يقولُ إنَّها تطليقةٌ، وهي أملَكُ بنفسِها، وبعضُهم لا يرى الإيلاءَ طَلاقاً، ولكنَّه يُحمَلُ على الطَّلاقِ، إذا لم يفئْ. وإنَّما قيلَ له «إيلاء» لأنَّه يمينٌ باللّهِ، وليستْ يميناً بالطَّلاقِ. فقالوا: آلى من امرأتِهِ، أي حلفَ عليها، ولم يقولوا طلَّقَها واحدةً، لأنَّها يمينٌ بغيرِ طلاقٍ.

[٢٨٠]
الظِّهار

قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿والذينَ يُظاهِرونَ من نِسائِهم ثمَّ يَعودونَ لِما قالوا﴾ [المجادلة: ٣]. فالظِّهار مشتقٌّ من الظَّهر. وهو أن يقولَ الرَّجُلُ لامرأتِهِ: أنتَ عليَّ كظهرِ أُمّي[3]. فيقعُ به التَّحريمُ، وهو ممنوعٌ عن أن يطأَ امرأتَهُ، حتّى يكفِّرَ بتحريرِ رَقَبة. فمن لم يجدْ، فصيامُ شهرينِ متتابعينِ، فمَن لم يستطعْ، فإطعامُ ستِّينَ مسكيناً[4]. واختلفَ أهلُ الفقهِ في ذلك، فقالَ قومٌ: إن وطئَ قبلَ أن يكفِّرَ، حُرِّمتْ عليه. وقالَ آخرونَ: لم تَبِنْ منه، وعليه الكفّارة. وقالَ آخرونَ: إن وطئَ قبلَ أن يكفِّرَ فعليه كفّارتانِ. واختلفوا في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿ثمَّ يعودونَ لما قالوا﴾.

---

(١) زيادة من م وأخواتها وهـ.

(٢) ديوان أوس بن حجر ص ١١٥.

(٣) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٢٠٩.

(٤) تفسير غريب القرآن للإمام زيد بن علي، مخطوطة برنستن، ص ٢٧٤.

فقالَ قومٌ: معناه أنَّه يقولُ لها مرَّتينِ: أنتَ عليَّ كظهرِ أمِّي، لأنَّه أعادَ القولَ مرَّتينِ. وقالَ آخرونَ ﴿ثمَّ يعودونَ لما قالوا فتحريرُ رَقَبةٍ من قبلِ أن يتماسّا﴾ [المجادلة: ٣]، أي يعودُ إليها فيطأُها قبلَ الكفّارة[١].

[٢٨١]

الخلع والمباراة والمختارة والناشزة والملاعنة

الخلعُ: أن تريدَ المرأةُ فراقَ زوجِها، والزَّوجُ كارهٌ، لذلكَ يحكمُ الإمامُ بالفديةِ، ويفرِّقُ بينَهما. وهو أن تقولَ المرأةُ للرَّجُلِ: لا أُقيمُ فيكَ[٢] حدودَ اللّهِ، ولا أطيعُ لكَ أمراً، ولا أُبِرُّ لكَ قَسَماً، ولأُوطئنَّ فراشَكَ غيرَكَ، ولأُدخِلَنَّ بيتَكَ بغيرِ إذنِكَ. إذا قالتْ، مفسَّراً أو غيرَ مفسَّرٍ، إذا كان هذا معناه، فإذا قالتْ ذلك، حلَّ له أن يأخذَ منها ما أعطاها، وفوقَ ما أعطاها، ثمَّ تُخلَعُ منه.

والفرقُ بين الخلعِ والمباراةِ أنَّ المباراةَ[٣] أن يأخذَ منها زوجُها دونَ ما أعطاها. والمختَلَعةُ يأخذُ منها فوقَ ما أعطاها. والمباراةُ هو أن يكرهَ أحدُهما صاحبَهُ، ويكونَ لها عليه بعضُ الحقِّ، فتتركَهُ عليه، ثمَّ يُفَرِّقُ بينَهما.

والتَّخييرُ أن يقولَ الرَّجُلُ لامرأتِهِ: اختاري. فإن اختارتْ نفسَها، فقد بانتْ منه. وقالَ قومٌ: إن اختارتْ زوجَها، فهي واحدةٌ، وزوجُها أحقُّ بها. وإن اختارتْ نفسَها فهي تطليقةٌ. وقالَ قومٌ: هي أملكُ بنفسِها. وقالَ قومٌ: إن اختارتْ زوجَها، فليسَ بشيءٍ. وقد رُوِيَ أنَّ رسولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله خيَّرَ نساءَهُ، فاخترنْهُ، فلم يُعَدَّ ذلك طلاقاً. واختلفوا في ذلكَ. وهو مأخوذٌ من الاختيارِ. كأنَّ المختارةَ تأخذُ ما تعلمُ أنَّه خيرٌ لها، وأحبُّ إليها، ولأنَّه جعلَ الاختيارَ إليها. ويُقال: اخترتُ الشَّيءَ، معناه: أخذتُ خيرَهُ، وهو مشتقٌّ من «الخيرِ».

وأمّا الخلعُ فهو مأخوذٌ مِن: خلعَ، يخلعُ، كأنَّ المرأةَ كانتْ بمنزلةِ القميصِ أو

---

(١) ناقش ابن قتيبة كلا الرأيين في غريب الحديث ١/ ٢١٠.

(٢) فيك: زيادة من ب.

(٣) في م وك: المبارتة.

الثَّوبِ، يلبسُهُ. فإذا فُرِّقَ بينَهما، فقد خلعَ منه ذلك الثَّوبَ. قالَ الجعديُّ: [المتقارب]

إذا ما الضَّجيعُ ثنى عِطْفَها   تَثَنَّتْ فكانتْ عليه لِباسا[1]

ويُقال: خَلَعتُ المرأةَ، خُلْعاً، وخَلَعتُ الثَّوبَ عني خَلْعاً. وإنَّما قيلَ للذي يكونُ في خلعِ المرأةِ «خُلْع»، بضمِّ الخاءِ، لأنَّه مصدرٌ من «خُلعتُ»، والخاءُ من «خُلعتُ» مضمومةٌ، لأنَّها خُلِعَتْ منه، وهو كارهٌ لم يخلعْها هو برضىً منه. فالمرأةُ مخلوعةٌ، والرَّجلُ مخلوعٌ، لأنَّه «فُعِلَ»، كما تقولُ «سُلِبَ»، فهو مسلوبٌ. والشَّيءُ الذي يُسلَبُ منه أيضاً مسلوبٌ وسلبٌ أيضاً.

والخَلعُ أيضاً يكونُ في الإمارةِ والخلافةِ. يُقال: خُلِعَ فلانٌ من الإمارةِ، فهو مخلوعٌ، وخلعَهُ النّاسُ خَلعاً. وفُتِحَتِ الخاءُ هاهنا، لأنَّهم خلعوه برضىً منهم، ليسَ أحدٌ أكرهَهم على خلعِهِ. وتكونُ الإمارةُ والخلافةُ له بمنزلةِ القميصِ والسِّربالِ. قالَ الشّاعرُ: [البسيط]

إنَّ الخليفةَ إنَّ اللّهَ سَرْبَلَهُ   سربالَ ملكٍ به تُرجى الخواتيمُ[2]

فجعلَ الخلافةَ بمنزلةِ السِّربالِ. فمن أجلِ ذلكَ قالوا: «خُلِعَ»، إذا انتُزِعَتْ منه الإمارةُ، لأنَّها بمنزلةِ القميصِ. ومنه حديثُ عُثمانَ حينَ قيلَ له: اخلعْ نفسَكَ، قالَ: ما كنتُ لأخلعَ سِربالاً سَرْبَلَنِيهِ اللّهُ[3]. فجعلَ الخلافةَ بمنزلةِ السِّربالِ. وَرَوَتِ الشِّيعةُ في بعضِ خطبِ أميرِ المؤمنينَ عليٍّ عليه السَّلام أنَّه قالَ: «واللّهِ لقد تَقَمَّصَها ابنُ أبي قُحافةَ، وهو يعلمُ أنَّ مَحَلِّي منها مَحَلُّ القُطبِ من الرَّحى»[4]. فسمَّى الخلافةَ «قميصاً». وقالَ لبيد: [البسيط]

الحمدُ للّهِ إذ لم يأتِني أَجَلي   حتّى كساني منَ الإسلامِ سِربالا[5]

---

(١) ديوان النابغة الجعدي ص ١٠٠.
(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٢١٨، وتفسير الطبري ١٧/١٥٢، وأمالي الزجاجي ص ٦٢، وديوان جرير ٦٧٢.
(٣) تاريخ الطبري ٤/١٠٣، والبداية والنهاية ٥/٤١١.
(٤) شرح نهج البلاغة ١/١٥٤.
(٥) ديوان لبيد ص ٣٥٨.

لمّا كانَ من أهلِ الإسلامِ، ويتولّى وليَّ الإسلامِ، جعلَ الإسلام بمنزلةِ السِّربالِ. والعربُ تُقيمُ السِّربالَ والقميصَ مقامَ الولايةِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿اذهبُوا بِقَمِيصي هذا فَأَلْقُوهُ على وَجْهِ أبي يَأْتِ بَصِيراً﴾ [يوسف: ٩٣].

وأمّا المباراْةُ فهي مأخوذةٌ من البراءةِ، وهي أن يتفرّقَ أحدُهما عن صاحبِهِ عن تراضٍ منهما. ومن ذلك اشتُقَّتِ البراءةُ التي يكتبُها النّاسُ بينَهم، كأنّها تكونُ كتاباً متّفقاً عليه. ومنه قولُ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿براءةٌ مِنَ اللّهِ ورسولِهِ إلى الذينَ عاهدتم مِنَ المشركينَ﴾ [التوبة: ١]، لأنَّه ردَّ عليهم الكتابُ المتَّفقُ عليه، وتبرَّأَ بعضُهم من بعضٍ عن تراضٍ من غيرِ نقضٍ بميثاقٍ. فسُمِّيَ ذلك «براءة».

والنّاشزةُ مأخوذةٌ مِن: نشزتْ، تنشزُ، إذا عَلَتْ عليه وغلبتْهُ. فالمرأةُ إذا استعصتْ على زوجِها قيلَ لها «ناشزة»، لأنَّها استعلتْ عليه بالعصيانِ والغَلَبةِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿واللاتي تخافونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]، يعني استعلاءَهُنَّ بالعصيانِ والغلبةِ[١]. وهو مأخوذٌ من النَّشزِ، وهو ما ارتفعَ من الأرضِ وعلا.

واللِّعانُ مأخوذٌ من اللَّعنِ. يُقال: لاعنَ الإمامُ بين المرأةِ وزوجِها. ويُقال لهما: تلاعنا. وذلك إذا رمى الرَّجُلُ امرأتَهُ، ولم يكنْ له على ذلك شهودٌ، أقامَهما الإمامُ، فبدأَ بالزَّوجِ، ووعظَهُ وذكَّرَهُ، فإن ثبتَ على ذلك، أمرَهُ أن يشهدَ أربعَ شهاداتٍ باللّهِ أنَّه فيما رماها به من الصّادقينَ، ثمَّ يقولَ في الخامسةِ: لعنةُ اللّهِ عليه إن كانَ من الكاذبينَ. فإذا فعلَ ذلك، دعا بالمرأةِ فوعظَها وذكَّرَها، فإن ثبتتْ على الإنكارِ، أمرَها أن تشهدَ أربعَ شهاداتٍ باللّهِ أنَّه فيما رماها من الكاذبينَ. وتقولُ في الخامسةِ: وغَضَبُ اللّهِ عليها إن كانَ فيما رماها من الصّادقينَ. ثمَّ يفرِّقُ بينَهما. ويدرأُ عن الزَّوجِ حدَّ القاذفِ، وعن المرأةِ حدَّ الزّاني. فهذه هي الملاعنةُ. وهي «مفاعلةٌ»، مشتقَّةٌ من «اللَّعنِ».

---

(١) زيادة من م وأخواتها وهـ.

[٢٨٢]

العتق

قالَ ثعلب: يُقال: أعتقتُ الغلامَ، فهو معتَقٌ [وعتيقٌ][(١)]، وعتقَ هو[(٢)].
ويُقال: أعتقَ فلانٌ رقبةً، وعليه عِتْقُ رقبةٍ. وخُصَّتِ الرَّقَبَة بذلك، لأنَّها تملكُ الجسدَ كلَّهُ. قالوا: ومعنى «أعتقَهُ»: جعلَهُ عتيقاً. والعتيقُ: الكريمُ. فكأنَّ العبدَ هو قنٌّ، ليس بكريم. فإذا صارَ حُرّاً، صارَ كريماً. والعتيقُ من كلِّ شيءٍ: الكريمُ. يُقال: فَرَسٌ عتيقٌ، إذا كانتْ له سباقةٌ، وعتقتِ الفرسُ، إذا سبقتْ. ويُقال: عَتُقَتْ منّي يمينٌ، أي سبقتْ وتقدَّمتْ. وقالَ الشّاعرُ: [الوافر]

عليَّ أليَّةٌ عَتُقَتْ قديماً فليسَ لها وإن طُلِبَتْ مرامُ[(٣)]

وقالَ آخرُ: [الطويل]

لها حُرَّتانِ تعرفُ العتقَ فيهما كسامعتَي مذعورةٍ وسطَ ربربِ[(٤)]

يصفُ الفرسَ. والحُرَّتانِ: الأُذنانِ، وعتقُهما: كرمُهما وانجرادُهما من الشَّعَرِ.

والعتقُ: الرِّقَّة والحسنُ. ورجلٌ عتيقٌ، أي كريمٌ، وامرأةٌ عتيقةٌ، ونساءٌ عواتقُ. قالَ الشّاعرُ: [الوافر]

كأنَّ النّاسَ حينَ تمرُّ حبّى عواتقَ لم تكنْ تَدَعُ الحِجالا[(٥)]

يعني أنَّهنَّ كريماتٌ لا يبرزنَ.

ويُقال: عتَّقتُ الشَّيءَ: جعلتُهُ خالصاً. وأنشدَ: [البسيط]

كأسٌ عزيزٌ منَ الأعنابِ عتَّقَها لبعضِ أربابِها حانيَّةٌ حُومُ[(٦)]

عتَّقَها: صفّاها وخلَّصَها. والعبدُ، إذا عُتِقَ، قيل: هو حرٌّ. والحرُّ خلافُ العبدِ. والحرُّ أيضاً هو الكريمُ في كلامِ العربِ. قالَ طَرَفة: [الرمل]

---

(١) زيادة من فصيح ثعلب، لم ترد في الأصول.
(٢) ثعلب: الفصيح ص ٢٧٧.
(٣) ديوان أوس بن حجر ص ١١٥.
(٤) ديوان علقمة الفحل ص ٢٤. والسامعتان: الأذنان، والربرب: القطيع.
(٥) لذي الرمة في الموشح ص ٢٣٦، وديوانه ص ٤٤٣.
(٦) ديوان علقمة الفحل ص ٦٨.

لـيـسَ هـذا مـنـكِ مـاويَّ بِـحُـرّ[1]

أي أمرٌ هجينٌ. والحرَّةُ: المَطَرَةُ التي تجيءُ في أوَّلِ السَّنَة، فتغسلُ العشبَ والنَّباتَ. قالَ عنترةُ: [الكامل]

جـادتْ عـلـيـه كـلُّ بـكـرٍ حُـرَّةٍ فـتـركـنَ كـلَّ قـرارةٍ كـالـدِّرهـمِ[2]

البكرُ: أوَّلُ مَطرةٍ تجيءُ في السَّنَةِ، وحرُّ البلادِ: وسطُها. قالَ طرفةُ: [الطويل]

ألا ربَّ دارٍ لي سوى حرِّ دارِكِ[3]

ويُقال: أعتق فلانٌ رقبةً، إذا أعتقَ عبداً أو أَمَةً[4]. وإنَّما خُصَّتِ الرَّقَبةُ من بين جميعِ الأعضاءِ لأنَّ ملكَ الصاحبِ له بمنزلةِ الحبلِ في رقبتِهِ. فإذا أعتقَهُ، فكأنَّه قد حلَّ ذلك الحبلَ من رَقَبَتِهِ. وفي الحديثِ «مَن فارقَ الجماعةَ شبراً، فقد خلعَ رِبْقةَ الإسلامِ من عُنُقِهِ»[5]. إنَّما يعني عهدَ الإسلامِ وذمَّتَهُ. فكأنَّ عهدَ الإسلامِ وذمَّتَهُ بمنزلةِ الحبلِ في عُنُقِهِ. والرِّبقةُ من تربيقِ البهمِ. يُقال: ربقَها، إذا جعلَ[6] أعناقَها في عرى الحبلِ. وكانوا يمدُّونَ حبلاً، ويجعلونَ فيه عرى، ويشدُّونَ كلَّ عروةٍ في عنقِ جَدْيٍ. وهذا إذا ولدتِ الغنمُ. فكلُّ عروةٍ منها يُقال لها «رِبْقة». تقولُ العربُ: ربَّدتِ المعزى فربقَ ربيقٌ. وربَّدت، أي استبانَ حملُها[7]. فكأنَّ الإسلامَ بمنزلةِ الحبلِ الذي قد شُدَّتْ فيه هذه العُرى، وقد رُبِطَ به أهلُ الإسلامِ. فكلُّ مسلمٍ في عُنُقِهِ رِبقةٌ منها. ويُقال للعبدِ، إذا أُعتِقَ، هو عتيقٌ، وهو حرٌّ. فكأنَّ العبدَ، إذا أُعتِقَ، صارَ عتيقاً، وصارَ حرّاً، معناه صارَ كريماً، بعد أن كانَ مهيناً. فهو يُكرَّمُ ويُصانُ عن الامتهانِ. والامتهانُ: الاستعمالُ. يُقال: امتهنَهُ، أي استعملَهُ، فهو

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ٤٥، وأوله فيه: لا يكنْ حبُّك داءً قاتلاً.
(٢) ديوان عنترة بن شداد ص ٨١.
(٣) ديوان طرفة بن العبد ص ٨٢، وأوله: تعير سيري في البلاد ورحلتي.
(٤) في ب: أقامه.
(٥) سنن الترمذي (٢٨٧٢).
(٦) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: يقال ربقتها إذا جعلوا. وسقطت الجملة من هـ.
(٧) في لسان العرب: ربَّدت الشاة ورمَّدت، إذا أضرعت فصار في ضرعها لمع سواد وبياض.

مهينٌ. وهو «فعيل»، بمعنى «مفتعل»، أي ممتَهنٌ. ويُقال: فلانٌ ممهَّنٌ على أهلِهِ، إذا كانَ يخدمُهم[1] ويعملُ لهم.

[٢٨٣]
الحدّ والرَّجم والجلد[2]

الحدُّ هو أن يُضرَبَ الرَّجُلُ والمرأةُ، إذا زَنيَا، أو قذفا، أو شَرِبَا الخمرَ. يُقال: حُدَّ الرَّجُلُ، فهو محدودٌ، إذا أُقيمَ عليه الحدُّ. وإنَّما سُمِّيَ «حدّاً» لأنَّه شيءٌ قد حدَّهُ اللّهُ، وأمرَ عبادَهُ أن لا يتعدَّوه، فإذا تعدّاه الإنسانُ، قيلَ: أتى حدّاً من حدودِ اللّهِ. ويجوزُ أن يكونَ سُمِّيَ «حدّاً» لأنَّه شيءٌ قد بُيِّنَ من الضَّربِ، وحُدَّ فيه، كما حُدَّ في الزّاني، إذا لم يكنْ مُحصِناً، مائةُ سوطٍ، وفي القاذفِ ثمانونَ سوطاً، فسُمِّيَ «حدّاً» لذلك.

والجلدُ سُمِّيَ بذلك، لأنَّه يُكشَفُ عن بدنِهِ، فيُضرَبُ على جلدِهِ، لا يُوارى بثوبٍ ولا غيرِهِ. فيُقال: جُلِدَ الرَّجُلُ، معناه: ضُرِبَ على جلدِهِ.

والرَّجمُ مأخوذٌ من الحجارةِ. فالرَّجمُ: الرَّميُ بالحجارةِ. والرِّجامُ: الحجارةُ، واحدُها: رُجْمة. ورُجَم، ورِجام هي الحجارة، يُجمَعُ بعضُها إلى بعضٍ. قالَ جرير: [الكامل]

لـمّا رأوا رَجْـمَ الـعذابِ عـلـيهـمُ كـانَ الـقـيـونُ كـسـاقـةِ الأفـيـالِ[3]

وروى أبو عُبَيدة «رُجَمَ العَذابِ»[4]، أرادَ رُجِموا به، وهو مصدر: رجمَ، يرجمُ، رَجْماً، يعني: رُجِموا بقوافيَ كأنَّها هذه الرُّجَمُ، حتّى صاروا كأنَّهم الذين ساقوا الفيلَ، فرُجِموا بالعذابِ. والرِّجامُ: أن تعلقَ صخرةٌ في دلوٍ، فتُضرَبَ بها البئرُ، إذا كانتْ كثيرةَ الحمأةِ، ثمَّ يخرجُ الماءُ مع الحمأةِ. وأنشدَ: [الوافر]

---

(١) في ب: يحرمهم.

(٢) هكذا العنوان في ب، وفي م وأخواتها: الحد والجلد والرجم.

(٣) النقائض لأبي عبيدة ١/٢٩٦، وديوان جرير ص ٩٥٦. وفي المطبوع في المصدرين: جمّ العذاب.

(٤) أبو عبيدة: نقائض جرير والفرزدق ١/٢٩٦.

كأنَّهما إذا عَلَوا وَجِيناً ومقطعَ حَرَّةٍ بعثا رِجاما[1]

والرّجمة: حجارةٌ كانتْ تُجمَعُ، ثمَّ يُطافُ بها في الجاهليَّةِ. قالَ الأعشى: [المتقارب]

يطوفُ عليهم ويُمضيهمُ كما طافَ بالرّجمةِ المرتجمْ[2]

والرّجمةُ أيضاً أن يكونَ المكانُ بينَ حجرَينِ، فيُوضَعَ فوقه الكليبُ، وهو طَبَقٌ، ثمَّ يضعونَ فوقَهُ لحماً، فإذا تناولَهُ السَّبُعُ، وقعَ فيه. قالَ الفرّاءُ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿إنِّي عُذتُ بربِّي وربِّكم أن ترجُمُونِ﴾ [الدخان: ٢٠]، قالَ: الرَّجمُ هاهنا: القتلُ[3]. فكأنَّ رجمَ المحصنِ، إذا زنى، هو الضَّربُ بالحجارةِ. والضَّربُ بالحجارةِ يُقال له «رجم» لذلك. قالَ الشّاعرُ: [الخفيف]

عِرْمِسٌ ترجُمُ الأكامَ بأخفا فِ صِلابٍ عنها الحصى أفْلاقُ[4]

يعني: تضربُ بيدَيها ورجلَيها على الأكامِ، وسمَّى ذلك «رجماً»، لأنَّ الحصى والحجارةَ تنفلقُ بذلك الضَّربِ وتتبدَّدُ، فسمّاه «رجماً» لذلك. ويُقال في غيرِ هذا المعنى: رجلٌ مرجومٌ، وهو المغلَّبُ عليه في الشَّرَفِ. والشَّيطانُ الرَّجيمُ أُخِذَ من «الرَّجمِ». وقد ذكرناه في موضعِهِ.

[٢٨٤]

الخسف

أصلُ الخسفِ شدَّةُ السَّيرِ. قالَ الشّاعرُ: [الرجز]

والخيلُ يجرمنَ خسيفاً يبذلُهْ[5]

---

(١) لصخر الغي في أشعار الهذليين بشرح السكري ص ٢٩٠. والوجين: الموضع الغليظ المرتفع.

(٢) ديوان الأعشى ص ١٩٨.

(٣) الفراء: معاني القرآن ٣/ ٤٠.

(٤) ديوان الأعشى ص ١٢٧. والعرمس: الناقة الصلبة.

(٥) المعاني لابن قتيبة ص ٧٦، وشرحه قائلاً: يجرمن: يمنعن، والخسيف يعني به شدة عدوه، شبهه بالخسف، وهي الآبار التي لا تنزح. وانظر ديوان أبي النجم ص ٣٢٣. وفي الأصول: والخيل تجري من خسيف تبذله.

والخسفُ أيضاً: البئرُ التي[1] قد كثُرَ حَبَلُها[2]، أي هي منقورةٌ منقوبةٌ إلى البحرِ، فلا يُنزَحُ ماؤُها لكثرتِهِ. ومنه حديثُ الحجّاج لعبيدةَ السُّلَميِّ، حينَ بعثَهُ يحفرُ بئراً له، ففعلَ، فقالَ: أخسفتْ أم أوشلتْ؟ يريدُ أنبطتْ ماءً قليلاً أو كثيراً[3]. وقالَ أوس: [البسيط]

وقد أتاني على الحِرمانِ محضرُكمْ ... لكمْ مراجلُ فوضى بينَكم خُسُفُ[4]

وفي بعضِ الأخبارِ أنَّ العبّاسَ سألَ عُمَر عن الشُّعراءِ، فقالَ: امرؤُ القيسِ خسفَ لهم عينَ الشِّعْرِ فافتقرَ عن معانيَ عورٍ أصحَّ بصراً[5]. يعني فتحَ أبصاراً كانتْ عوراءَ عن المعاني، واستخرجَ لهم من الشِّعرِ المعانيَ الكثيرةَ، كما يُستَخرَجُ الماءُ من البئرِ التي قد كثُرَ حَبَلُها، حتّى أدَّتْ إلى ماءٍ كثيرٍ لا يُنزَحُ. ويُقال: الخسفُ أيضاً آبارٌ يابسةٌ، لا ماءَ فيها. فكأنَّه من الأضدادِ. ويُقال: عينٌ خاسفةٌ، وهي العمياءُ. قالَ الشّاعرُ: [الرمل]

حُبُسٌ[6] في المحْلِ حتّى يخسفوا ... لابتغاءِ المجدِ أو تركِ الفَنَدْ[7]

يخسفونَ، أي يهزلونَ. والفَنَدُ: الحمقُ والكَذِبُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿أن يخسفَ بكم الأرضَ فإذا هيَ تمورُ﴾ [الملك: ١٦]. والخسفُ هو أن يقلبَ الأرضَ حتّى يصيرَ أعلاها أسفلَها. ويُقال: خسفَ بهم، إذا فعلَ بهم ذلك[8]. ويُقال: خُسِفَ بدارِ كذا وكذا، إذا ساختْ في الأرضِ، حتّى لا تُرَى. فكأنَّ البئرَ إذا كثُرَ[9] حَبَلُها حتّى صارتْ إلى ماءٍ لا يُنزَحُ قيلَ لها «بئر خسيف»، لأنَّه لا يُرَى قعرُها. وإنَّما قيلَ لشدَّةِ السَّيرِ «خسف» لأنَّه يبعدُ حتّى لا يُرَى. فالخسفُ مأخوذٌ

---

(١) في الأصول: الذي.

(٢) في جميع الأصول: كسر. والحبَل: الامتلاء.

(٣) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٧، وفيه: أوشكت.

(٤) لم يرد في القصيدة الفائية في ديوان أوس بن حجر ص ٧٥.

(٥) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٧.

(٦) هكذا في ب والمصادر الأخرى، وفي م وأخواتها: حبسوا.

(٧) لطرفة في أشعار الشعراء الستة الجاهليين ٢/ ١٠٤، وديوانه ص ١٣١.

(٨) سقطت من هـ.

(٩) في الأصول: كسر.

من الانقلابِ والذّهابِ. فالذي خُسِفَ به قُلِبَ على وجهِهِ أو ساخَ في الأرضِ حتّى لا يُرَى.

[٢٨٥]

العفو

العفوُ في كلامِ العربِ: الابتداءُ والدُّفعة الأولى. قالَ الشّاعرُ: [الطويل]

على رَبِذٍ يزدادُ عَفْواً إذا جَرَى   مِسَحٍّ حثيثِ الرَّكضِ والدَّألانِ[(١)]

قالَ أبو سعيد: أي جرى كأنَّه ابتداءٌ، لأنَّ العفوَ أوَّلُ كلِّ شيءٍ، يزدادُ من العفوِ الذي جرى أوَّلاً[(٢)]. وقالَ غيرُهُ: إذا جرى جاءَ ما عندَهُ عفواً، أي من غيرِ إكراهٍ عليه[(٣)]. ومنه قولُهم: أعطاني عَفواً صَفواً، أي من غيرِ مسألةٍ، وأخذتُهُ منه عَفواً صَفواً. ويُقال: عفواً، أي كثرةً، من قولِكَ «عفا مالُهُ»، أي كثرَ. فكأنَّ العفوَ هو السَّعةُ والتَّفضُّلُ والتَّبرُّعُ من غيرِ إلحاحٍ ولا ضربٍ ولا عناءٍ.

وتقولُ العربُ: أكلنا عَفْوَ الرَّوضةِ، ورَعَينا عفوَها، أي أوَّلها، لم تُرْعَ قبلَنا، وهي أُنُفٌ. ويُقال: عفتْ وفرةُ الرَّجُلِ، أي كثرتْ، وعفوتُ الكبشَ، أي جززتُ صوفَهُ، وأعفيتُهُ: تركتُهُ حتّى طالَ. ومنه: قصُّ الشّاربِ، وإعفاءُ اللِّحيةِ. وفي الحديثِ: أوَّلُ الوقتِ رضوانُ اللّهِ، وآخرُهُ عفوُ اللّهِ. أي تبرَّعَ ربُّكم وتفضَّلَ عليكم بآخرِ الوقتِ من غيرِ أن سألتموه وألححتم عليه في السُّؤالِ. وفي حديثٍ آخرَ: إنَّ اللّهَ يُحِبُّ أن يؤخَذَ برخصِهِ، كما يُحِبُّ أن يؤخَذَ بعزائمِهِ. فاقبلوا رخصةَ اللّهِ، ولا تكونوا كبني إسرائيلَ حينَ شدَّدوا على أنفسِهم، فشدَّدَ اللّهُ عليهم. فكأنَّ آخرَ الوقتِ سعةُ اللّهِ ورخصُهُ لهذه الأمَّةِ. قالَ المفسِّرونَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿خذِ العفوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، أي الطّاقةَ. فكأنَّ العفوَ عن الذَّنبِ هو ابتداءٌ من اللّهِ

---

(١) ديوان امرئ القيس، طبعة المعارف، ص ٨٦، وبشرح السكري ص ٥٠٠، وشرح النحاس ص ٢١٠.

(٢) في شرح السكري لهذا البيت قال: «يزداد عفوا، يقول: يجم، وما جاء من عدوه جاء سهلاً على غير مكروه». ديوان امرئ القيس بشرح السكري ص ٥٠٠. ولعل نص المؤلف مأخوذ من رواية شفوية عن السكري.

(٣) ديوان امرئ القيس بشرح النحاس ص ٢١٠.

عزَّ وجلَّ وتفضُّلٌ على عبدِهِ من غيرِ استحقاقٍ من العبدِ. والعفوُ من العبادِ بعضُهم عن بعضٍ هو أيضاً تفضُّلٌ وابتداءٌ من بعضِهم على بعضٍ. ويكونُ العفوُ أيضاً عن المذنبِ في أوَّلِ ذنبِهِ، فلذلك سُمِّيَ «عفواً»، لأنَّه الذَّنبُ الأوَّلُ الذي يستوجبُ التَفضُّلَ عليه والسَّعةَ فيه وتركَ التَّشديدِ عليه، فإذا عادَ عُوقِبَ. فلذلك سُمِّيَ «عفواً».

[٢٨٦]

الصَّرف والعدل

قالَ أبو عبيد[١]: يُروى عن مكحولٍ في حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وآله، وذكرَ المدينةَ: «مَن أحدثَ فيها حَدَثاً أو آوى مُحدِثاً فعليه لعنةُ اللّهِ والملائكةِ والنّاسِ أجمعينَ. لا يقبلُ اللّهُ منه صَرفاً ولا عدلاً»[٢]. قالَ: الصَّرفُ: التَّوبةُ، والعدلُ: الفديةُ[٣]. وقالَ غيرُهُ: الصَّرفُ: الفريضةُ، والعدلُ: التَّطوُّع. قالَ أبو عبيد[٤]: وقولُ مكحولٍ أشبهُ عندي بالصَّوابِ، لقولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿لا يُؤخَذُ منها﴾ [الأنعام: ٧٠] عدلٌ[٥]. والعدلُ هو المثلُ، لأنَّ مكحولاً فيما يرى تأوَّلَ في الفديةِ قولَهُ ﴿لا تَجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً﴾ [البقرة: ٤٨]، أي لا تفديها، فتكونُ في العذابِ مكانَها. وكذلك عدلُ كلِّ شيءٍ ما يقومُ مقامَهُ في ذلك. ومنه قوله ﴿فجزاءٌ مثلُ ما قَتَلَ من النَّعَمِ﴾، إلى قولِهِ ﴿أو عَدْلُ ذلكَ صِياماً﴾ [المائدة: ٩٥]. فقامَ الصِّيامُ مقامَ الهديِ، وطعامِ المساكينِ. وأمّا قولُهم: هو على يَدَي عَدْلٍ، فقالَ ابنُ الكلبيِّ: هو عدل بن فلان بن جزي[٦] بن سعد العشيرة، وكانَ يلي شَرَطَ تُبَع. فكانَ تُبَع إذا أرادَ قَتْلَ رجلٍ، دفعَهُ إليه، فقال النّاسُ: وُضِعَ على يَدَي عَدْلٍ. ثمَّ

---

(١) في م وج: أبو عبيدة.
(٢) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/ ٦٦٢.
(٣) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/ ٦٦٣.
(٤) في خ: أبو عبيدة.
(٥) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/ ٦٦٤.
(٦) جزي: سقط من ب، وهو في م وخ، وفي ج وهـ وك ولسان العرب: جزء.

قيلَ ذلك لكلِّ شيءٍ يُئِسَ منه[1]. قالَ أبو عبيد: فقوله ﴿لا يُؤخَذُ منها عدل﴾ إنَّما هو الفديةُ كقولِ مكحولٍ، لأنَّ الشَّيءَ إنَّما يعدلُهُ مثلُهُ. وقالَ بعضُ المفسِّرينَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وإن تعدلْ كلَّ عدلٍ لا يُؤخَذْ منها﴾ [الأنعام: ٧٠]، أي تُفدى كلَّ فداءٍ[2].

وقالَ يونس: الصَّرفُ: الحيلةُ. ومنه قيل إنَّه ليتصرَّفُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فما تستطيعونَ صَرْفاً ولا نَصراً﴾ [الفرقان: ١٩]. وقالَ غيرُهُ: الصَّرف: التَّطوُّع، والعدلُ: الفريضةُ[3].

[٢٨٧]
الوسط[4]

وروي عن أبي سعيد الخدريِّ رفعه في قولِهِ ﴿وكذلكَ جَعَلناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ [البقرة: ١٤٣]، قالَ: عدلاً. وقالَ أبو عُبَيدةَ: الوسطُ: الخيارُ. قالَ: ومنه قولُهم: فلانٌ واسطٌ في عشيرتِهِ، أي خيارٌ، ومعنى واسط ووسط: سواءٌ، كما قالوا: يابس ويَبَس[5]. قالَ ابنُ قتيبةَ: ﴿جَعَلناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾، أي عَدلاً خِياراً. ومنه قولُهُ: ﴿قالَ أوسطُهم ألم أَقُلْ لكم لولا تسبِّحون﴾ [القلم: ٢٨]، أي خيرُهم وأعدلُهم[6]. وأنشدَ: [الطويل]

هُمُ وَسَطٌ يرضى الأنامُ بحكمِهم   إذا نزلتْ إحدى اللَّيالي بِمُعظَمِ[7]

ومنه قيل للنَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه: هو أوسطُ قريش حَسَباً. وأصلُ هذا أنَّ خيرَ

---

(١) لسان العرب ٩/ ٨٧، مادة (عدل).
(٢) تفسير الطبري ٧/ ٢٧٠.
(٣) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/ ٦٦٤، بتصرف.
(٤) انفردت ب بهذا العنوان، وسقط من م وجميع أخواتها.
(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٥٩.
(٦) ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص ٦٤.
(٧) ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص ٦٥، وتفسير الطبري ٢/ ١١، والبيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ٣٣ برواية أخرى:

لحيٍّ حلالٍ يعصم الناسَ أمرُهم   إذا طرقت إحدى الليالي بمعظمِ

الأشياءِ أوسطُها، وأنَّ الغُلُوَّ والتَّقصيرَ مذمومانِ. وكانَ أبو عمرو يقرأ بالفتحِ[1] ﴿أو عَدْلُ ذلكَ صِياماً﴾ [المائدة: ٩٥]. قالَ الكسائيُّ: والعِدْلُ والعَدْلُ لغتانِ بمعنى واحدٍ. وهو المِثْلُ في قوله ﴿أو عَدْلُ ذلكَ صِياماً﴾. وقالَ الفرّاءُ: العَدلُ ما عادلَ الشَّيءَ من غيرِ جنسِهِ، والعِدلُ المثلُ في جنسِهِ. يُقال: عندي غلامٌ عِدلُ غلامِكَ، بالكسرِ، لأنَّه من جنسِهِ. فإذا أرادَ قيمتَهُ دراهمَ، قالَ: عِندي عَدلُ غلامِكَ[2]، بالفتحِ، لأنَّ الدَّراهمَ من غيرِ جنسِهِ[3]. وقالَ أبو عُبَيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿ولا يُقبَلُ مِنْها عَدْلٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، أي مِثْلٌ. ويُقال: هذا عَدلُ هذا، أي مِثلُهُ. قالَ: وقالوا: العدلُ: الفريضةُ، والصّرفُ: النّافلةُ[4]. فالعدلُ كأنَّه الشَّيءُ الذي يفتدي به الإنسانُ، فيكفِّرُ عن ذنبٍ يُذنِبُهُ بشيءٍ قد حدَّهُ اللّهُ وافترضَهُ عليه في كتابِهِ، مثل قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿أو عَدْلُ ذلكَ صِياماً﴾. فكأنَّ الكفّارةَ تكونُ بإزاءِ الذَّنبِ مثالاً له وعدلاً، فتزالُ عنه بتلك الكفّارةِ عقوبةُ الذَّنبِ. وسُمِّيَت «عَدلاً» من المعادلة، أي هي بإزائِهِ، وعديلٌ له.

والصَّرفُ أيضاً هو الكفّارةُ عن الذَّنبِ، وليسَ هو بشيءٍ قد حدَّهُ اللّهُ تعالى في كتابِهِ، إلّا أنَّها كفّارةٌ عن ذنبٍ لا حدَّ فيه في كتابِ اللّهِ. فإذا كفَّرَ عن ذلك الذَّنبِ بصدقةٍ، صرفَ اللّهُ عنه العقوبةَ. فسُمِّيَ «صرفًا» لذلك. وإنَّما قالَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليه «لا يُقبَلُ منه صَرفٌ ولا عدلٌ»[5]، أي هو ذنبٌ لا تُقبَلُ فيه كفّارةٌ لها حدٌّ معروفٌ في كتابِ اللّهِ، ولا كفّارةٌ لم يُبَيَّنْ فيها حدٌّ في كتابٍ ولا سُنَّةٍ. فيكونُ مثالاً للذَّنبِ، والحدَّ الذي يبين أو يصرفُ به عنه العقوبةَ والعذابَ. وكذلك قولُ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿لا يُقبَلُ منها عدلٌ ولا تنفعُها شَفاعةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، إنَّما يعني يومَ القيامةِ، إذا أُغلِقَ بابُ التَّوبةِ، فلا تُقبَلُ فديةٌ ولا كفّارةٌ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿إنَّ الذينَ كَفَروا لو أنَّ لهم ما في الأرضِ جميعاً ومِثلَهُ مَعَهُ ليَفتَدوا بِهِ مِن عَذابِ يومِ القِيامةِ ما تُقُبِّلَ مِنهُم﴾ [المائدة: ٣٦].

---

(١) هكذا في م وأخواتها وهـ، وفي ب: بالكسر.
(٢) زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.
(٣) الفراء: معاني القرآن ١/ ٣٢٠، بتصرف.
(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٥٣.
(٥) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/ ٦٦٢.

[٢٨٨]

الصَّبر

الصَّبرُ أصلُهُ الحبسُ. يُقال: صبرتُ الشَّيءَ، أي حبستُهُ[١]. قالَ الهُذَليُّ: [الطويل]

وإنّي صبرتُ النَّفسَ بعدَ ابنِ عَنبَسٍ ... نُشَيبةَ والهلكى يهيجُ ادّكارُها[٢]

وقالَ آخرُ: [السريع]

قلتُ له أصبِرُها صادقاً ... ويحكَ أمثالُ طريفٍ قليلْ[٣]

وقالَ آخرُ: [الكامل]

فصبَرْتِ عارفةً لذلكَ حُرَّةً[٤]

هذا كلُّهُ بمعنى الحبسِ. وفي الحديثِ: نهى رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله عن صبرِ الرُّوحِ، يعني أن يُحبَسَ شيءٌ من الحَيَوانِ فيُرمى[٥]. ويُقال: شاةٌ مصبورةٌ، إذا حُبِسَتْ ثمَّ رُمِيَتْ بالسِّهامِ أو بالحجارةِ، وهو مكروهٌ. فأصلُ الصَّبرِ هو الحبسُ. فكأنَّ الصّابرَ يحبسُ نفسَهُ عن الخفَّةِ[٦] والهلعِ عندَ نزولِ الحادثةِ والمكروهِ. ويُقال: صبرَ نفسَهُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿واصبرْ نفسَكَ معَ الذينَ يَدعُونَ ربَّهم بالغداةِ والعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨].

[٢٨٩]

البصيرة

البصيرةُ في كلامِ العربِ: أَثَرُ الدَّمِ. قالَ لبيد: [الخفيف]

---

(١) أبو عبيد: غريب الحديث ١/ ٣٢١.

(٢) لأبي ذؤيب في ديوان الهذليين ١/ ٢٩.

(٣) ديوان الحطيئة بشرح السكري ص ٨٣، وطبعة النعمان، ص ٧٧.

(٤) أبو عبيد: غريب الحديث ١/ ٣٢١، وهو لعنترة بن شداد في ديوانه ص ٤٩، وتتمته: ترسو إذا نفس الجبان تطلعُ.

(٥) أبو عبيد: غريب الحديث ١/ ٣٢١.

(٦) هكذا في الأصول، ولعلها: الخيفة.

ثمَّ لاقتْ[1] بصيرةً بعد يأسٍ وإهاباً في بعضهِ أوصالُ[2]

وقالَ آخرُ: [الطويل]

فبينَ قتيلٍ في الدِّماءِ معفَّرٍ ومجتنبٍ تعلو خُطاه البَصائرُ

البصائرُ: مدافعُ الدَّمِ كأنَّها تعلو قَدَميهِ.

ويُقال: البصيرةُ هاهنا أَثَرٌ يستضيءُ به كلَّما خطا خطوةً، تركَ أثراً من دمِ الجرحِ الذي به. قالَ عليُّ بن سُلَيمانَ الأخفش[3]: البصيرةُ من الدَّمِ بمنزلةِ الورَق والرَّشاش منه، والبصيرةُ مثل فِرسِن البعير، والجَدِيَّة أوسعُ من البصيرة[4].

والورق: الدَّمُ. وأنشدَ لرؤبةَ: [الرجز]

ترى بها من كلِّ رشّاشِ الوَرَقْ[5]

قالَ: والبصيرةُ: التُّرسُ، وهي أيضاً الحَلَقة من حَلَقِ الدِّرعِ، ويجوزُ أن يُقال للدِّرعِ كلِّها «بصيرة». وقالَ آخرُ في البصيرةِ إنَّه الدَّمُ: [الكامل]

راحوا بصائرُهم على أكتافِهم وبصيرتي يعدو بها عَتَدٌ وَأَى[6]

---

(١) في ب: فتراءت، وفي م وأخواتها: فرأته، وهذه رواية الديوان.
(٢) ديوان لبيد ص ٢٧٠.
(٣) الأخفش الأصغر، توفي سنة ٣١٥، وربما زامل المؤلف في الدراسة على المبرد. ولعل الأخفش نقله عن أبي عبيدة، لأن النص التالي موجود في كتاب «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، وهو قبل الأخفش بكثير. وعلي بن سليمان بالطبع غير الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة، الذي اعتمد المؤلف على كتابه «معاني القرآن» في موضع آخر. ومن المرجح أن النص المذكور منقول من كتابه «شرح الاختيارين»، لأن القصيدة التي يستشهد بالبيت فيها من الأصمعيات. وقد فقد الجزء الأول من الاختيارين، ولم يطبع منه سوى الجزء الثاني، وهو يخلو من هذه القصيدة ومن شرحها.
(٤) ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢٣٧، والنص في لسان العرب، مادة (ورق)، نقلاً عن أبي عبيدة. وانظر: ابن قتيبة: فضل العرب ص ٥٠.
(٥) ديوان رؤبة ص ١٠٨. والبيت في ب: ترى بها كل شائش، وفي م وأخواتها: رشاش، وفي الديوان: مرشاش.
(٦) البيت للأسعر الجعفي في الأصمعيات ص ١٤١، والخيل لأبي عبيدة ص ١١، وبلا نسبة في فضل العرب والتنبيه على علومها ص ٥٠، ولسان العرب، مادة (بصر). وقد شرحه على نحو مختلف: يعني بالبصائر دم أبيهم. يقول: تركوا دم أبيهم خلفهم ولم يثأروا به، وطلبته أنا. وكذلك شرحه أبو عبيد في الغريب المصنف ٣/ ٧٣٥.

أي راحوا ودماؤُهم على أكتافِهم. فكأنَّه لما كانَ أَثَرُ الدَّمِ بصيرةً، سُمِّيَ الدَّمُ كلُّهُ «بصيرةً».

وقالَ أبو عُبَيدة في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿بصائرُ مِن رَبِّكم﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، أي حججٌ من رَبِّكم وبيانٌ وبرهانٌ، واحدتُها بصيرة[1]. وإنَّما قيلَ لكلِّ أثرٍ وعلامةٍ يُهتدى بها إلى الشَّيءِ «بصيرة»، وكذلك أثرُ الدَّمِ قيلَ له «بصيرة»، لأنَّه العلامةُ التي تدلُّ على المقتولِ أو المجروحِ. وقولُ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿بصائرُ للنّاسِ وهُدى﴾ [القصص: ٤٣]، أي أنَّه آثارٌ يُهتَدى بها وعلاماتٌ يُستَدَلُّ بها على طريقِ النَّجاةِ.

[٢٩٠]

السَّكينة

قالَ ابنُ عبّاس في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿أن يأتيَكم التّابوتُ فيه سَكينةٌ من رَبِّكم﴾ [البقرة: ٢٤٧]، قال: السَّكينة ريحٌ هفّافةٌ لها وجهٌ كوجهِ الإنسانِ[2]. قالَ ابنُ إسحاقَ: إنَّ التّابوتَ الذي كانَ في بني إسرائيلَ، الذي كانَ فيه السَّكينة، إنَّما كانَ فيه شيءٌ مثل رأسِ الهرَّة[3]. فكانوا إذا دهَمَهم[4] أمرٌ أخرجوا التّابوتَ بين أيديهم، فكانَ إذا هرَّ مثل هريرِ السِّنّور[5]، أيقنوا بالنَّصرِ، وإذا لم يهرَّ خذلوا. وروى ابنُ قُتَيبة في حديثِ عليٍّ عليه السَّلام قالَ: «إنَّ اللّهَ أوحى إلى إبراهيمَ عليه السَّلام أن ابنِ لي بيتاً، فضاقَ إبراهيمُ بذلك ذرعاً، فأرسلَ اللّهُ إليه السَّكينةَ، وهي ريحٌ خَجوجٌ، فتطوَّفتْ موضعَ البيتِ كالحَجَفةِ»[6]. وفي حديثٍ آخرَ له، قالَ: «السَّكينةُ لها وجهٌ كوجهِ الإنسانِ، وهي بعدُ ريحٌ هفّافةٌ»[7]. الخَجوج: الرِّيحُ السَّريعة المرِّ. ويُقال لها أيضاً «خجوجاة». قالَ ابنُ أحمرَ: [الكامل]

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٢٣٧.
(٢) تفسير الطبري ٢/ ٧٢٩.
(٣) في خ: المهرة.
(٤) في خ: أهمهم، وفي هـ: كانوا دهم أمر.
(٥) في خ: التنور.
(٦) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ١٣٣. والحجفة: الترس.
(٧) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ١٣٤.

هـوجـاءُ رَغْبَلَـةُ الـرَّواحِ خَـجَـو   جـاةُ الـغـدوِّ رواحُـهـا شَـهْـرُ[1]

والهفّافة أيضاً: الخفيفة السَّريعة. قالَ ابنُ أحمرَ: [الوافر]

يـظـلُّ يـحـفُّـهـنَّ بـقَـفْـقَـفَـيـهِ   ويُـلـحـفُـهُـنَّ هـفّـافـاً ثـخـيـنـا[2]

يصفُ الظَّليم، قَفْقَفَيه يعني جناحيه[3].

وفي الحديثِ عن زيد بن ثابت قالَ: كنتُ عندَ رسولِ اللّهِ صلّى اللّه عليه وآله يوماً قاعداً، فغشيَتْهُ السَّكينةُ، فسقطَ فخذُ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله على فخذي، فواللّهِ، ما وجدتُ ثقلَ شيءٍ قطُّ أثقلَ منها. ثمَّ سُرِّيَ عنه، فقالَ لي: اكتبْ. فأخذتُ كتفاً، فكتبتُ فيها ﴿لا يستوي القاعدونَ منَ المؤمنينَ والمجاهدونَ في سبيلِ اللّهِ﴾ [النساء: ٩٥]، الآية كلَّها. فلمّا كتبتُها، قامَ ابنُ أمِّ مكتوم[4]، وكانَ رجلاً أعمى، لمّا سمعَ فضلَ المجاهدينَ على القاعدينَ. فقالَ: يا رسولَ اللّهِ، فكيفَ بمَن لا يستطيعُ الجهادَ؟ وذكرَ عماه وضَرَرَهُ. قالَ زيد: فواللّهِ، ما قضى ابنُ أمِّ مكتوم كلامَهُ، أو قالَ: ما هو إلا أن قضى كلامَهُ، فغشيتْ رسولَ اللّهِ صلّى اللّه عليه السَّكينةُ ثانيةً، فسقطتْ فخذُهُ على فخذي، فوجدتُ من ثقلِها في المرَّةِ الثانيةِ ما وجدتُ في الأولى. ثمَّ سُرِّيَ عنه، فقالَ: اقرأ، فقرأتُ: ﴿لا يستوي القاعدونَ منَ المؤمنينَ﴾، فقالَ: (غيرُ أولي الضَّرَرِ)، قالَ: فألحقتُها. فوالذي نفسي بيدِهِ، لكأنّي أنظرُ إلى ملحقِها عند صدعٍ كانَ في الكَتِفِ. فكانَ جارحة بن زيد بن ثابت يقولُ: نزلتْ واللّهِ وحدها[5].

قالَ أبو عُبَيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿فأنزلَ اللّهُ سَكينتَهُ﴾ [التوبة: ٢٦]: مجازُهُ «فعيلة» من السُّكونِ. قالَ الكُلَيبيُّ[6]: [الكامل]

---

(١) شعر عمرو بن أحمر ص ٨٧.

(٢) المعاني لابن قتيبة ص ٣٥٧، وشعر عمرو بن أحمر ص ١٥٨.

(٣) في خ هنا زيادة: ويقفقفُ بهما: أي يضربُ بهما. هفهافاً ثخيناً، يعني الريش، يلحفهن، أي يلبسهن. يصف الظليم.

(٤) هكذا في ح وخ، وفي ب وم والبقية: ابن مكتوم.

(٥) صحيح البخاري (٤٥٩٢)، سنن الترمذي (٣٠٤٤)، تأويل مشكل القرآن ص ١٨٤، أسباب النزول ص ١٢١.

(٦) في ك وهـ: الكسائي، وفي م وأخواتها: الكلبي، وفي مجاز القرآن ١/ ٢٥٤: أبو عريف الكليبي.

لـلّـهِ قـبـرٌ غـالـه وأجـنّـهُ   ماذا يُجِنُّ سكينةً ووقارا[1]

وقالَ أبو عبيد[2] أيضاً: السَّكينة «فعيلة» من السُّكونِ. وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه قال: «استقرُّوا على سكناتِكم، فقد انقطعتِ الهجرةُ». أي على مواضعِكم وفي مساكنِكم. وقالَ الشّاعرُ: [الطويل]

بضربٍ يُزيلُ الهامَ عن سَكَناتِهِ[3]

فكأنَّ السَّكينةَ مأخوذةٌ من السُّكونِ، لأنَّه صلّى اللّه عليه كان يسكنُ إلى ما ينزلُ عليه من الوحيِ، فسمّاه «سكينةً»، وكانَ المسلمونَ يسكنونَ إلى ما ينزلُ على رسولِ اللّهِ صلّى اللّه عليه. وكذلك السَّكينة التي كانتْ في بني إسرائيلَ، كانوا يسكنونَ إلى ما يرونَ فيها من الآياتِ.

[٢٩١]

اليقين والملكوت

قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ في قصَّةِ إبراهيمَ عليه السَّلام ﴿وكذلكَ نُري إبراهيمَ مَلَكوتَ السَّمواتِ والأرضِ وليكونَ من الموقنينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]. قالَ: وإنَّما صارَ من الموقنينَ[4]، بعد أن رأى الملكوتَ وعاينَ، لأنَّ اليقينَ مع المعاينةِ، وليسَ مع المعاينةِ ارتيابٌ. وضدُّ اليقينِ: الرَّيبُ والشَّكُّ. وقالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ في قصَّةِ إبراهيمَ أيضاً ﴿ربِّ أرِني كيفَ تُحيي الموتى قالَ أوَ لم تُؤمِنْ قالَ بلى ولكنْ ليَطمَئِنَّ قَلبي﴾ [البقرة: ٢٦٠]. فأقرَّ أنَّه قد آمنَ بأنَّ اللّهَ يُحيي الموتى، ولكنْ سألَ المعاينةَ، فقالَ: ربِّ أرِني حتّى أُعاينَ. فلمّا عاينَ من أمرِ الطَّيرِ ما عاينَ، ﴿قالَ أعلمُ أنَّ اللّهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

ورُوِيَ عن جعفر بن محمَّد عليه السَّلام أنَّه سُئِلَ فقيلَ له: ما أقلُّ شيءٍ، وما

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٢٥٥، برواية مضطربة، وكذلك في هـ وتفسير الطبري ٢/ ٧٣٢. والبيت في لسان العرب مادة (سكن).

(٢) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: أبو عبيدة.

(٣) سبق توثيق الشطر في مادة (المهاجرون والأنصار)، برقم (١٨٩).

(٤) سقطت الجملة من ب.

أكثرُ شيءٍ؟ فقالَ: أمّا أقلُّ شيءٍ فاليقينُ، وأمّا أكثرُ شيءٍ فالشَّكُّ. قالَ بعضُ العلماءِ: لأنَّ اليقينَ يكونُ مع المعاينةِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿لَتَرَوُنَّ الجحيمَ ثُمَّ لَترَوُنَّها عينَ اليقينِ﴾ [التكاثر: ٧]، فقرنَ اليقينَ بالعينِ، لأنَّهم أيقنوا عندَ المعاينةِ. قالَ أبو عمرو في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿حقُّ اليقينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]، الحقُّ مضافٌ إلى اليقينِ، كقولِكَ صلاة الأولى، وصلاة العصرِ.

والفرقُ بين الإيمانِ واليقينِ أنَّ الإيمانَ بما قد غابَ عنكَ، واليقينَ بما تُشاهدُهُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿الذينَ يُؤمِنونَ بالغيبِ﴾ [البقرة: ٣]، لأنَّهم آمنوا بما غابَ عنهم من أمورِ الآخرةِ، وصدَّقوا بما قالتِ الأنبياءُ والرُّسُلُ من ذلك، فسمّاهم «مؤمنينَ بالغيبِ». والإيمانُ ربَّما شابَهُ الشَّكُّ والشُّبهةُ، لأنَّه تصديقٌ بالغائبِ. واليقينُ ضدُّ الشَّكِّ والشُّبهةِ. فإذا جاءَ اليقينُ زالَ الشَّكُّ، لأنَّه لا شكَّ بعدَ المعاينةِ.

والملكوتُ قالَ الفرّاء: الملكوتُ: المُلكُ على البلدِ وما فيها، والعربُ تقولُ له: مَلَكوتُ اليمنِ والعراقِ. قالَ: ويُقال: مَلَكوتُ كلِّ شيءٍ خزائنُ كلِّ شيءٍ. وهو «فَعَلوت»، يُقال: «رَهَبوتٌ خيرٌ من رَحَموتٍ»[١].

قالَ أبو عُبَيدةَ: ﴿مَلَكوتُ السَّمواتِ والأرضِ﴾، أي مُلكُ السَّمواتِ والأرضِ، خرجتْ مخرجَ قولِهم في المثل «رَهَبوتٌ خيرٌ من رَحَموتٍ»، أي ترهُّبٌ خيرٌ من ترحُّمٍ[٢].

ورُوِيَ عن مجاهد: ﴿مَلَكوتُ السَّمواتِ والأرضِ﴾ الشَّمسُ والقَمَرُ. وفي وجهٍ آخرَ عن مجاهد أيضاً قالَ: فُرِجَتْ له السَّمواتُ السَّبعُ فنظرَ إلى ما فيهنَّ، حتّى انتهى إلى العرشِ، وفُرِجَت له الأرضونَ السَّبعُ حتّى نظرَ إلى ما فيهنَّ[٣]. قالَ الكسائيُّ وغيرُهُ من النَّحويِّينَ: المَلَكوتُ والجَبَروتُ أصلُهما من المُلكِ والجبرِ، فزيدتِ التّاءُ فيهما. وقالَ غيرُهُ: مَلَكوتُ العراقِ: عزُّهُ وسُلطانُهُ. ويُقال «المَلْكُوَة»[٤].

---

(١) لم يرد تفسير «ملكوت السموات والأرض» في الأعراف أو الأنعام في المطبوع من «معاني القرآن» للفراء.

(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/١٩٨، والشرح فيه: أي رهبة خير من رحمة.

(٣) من «انتهى إلى العرش»: سقطت من ب.

(٤) انفردت ب بالجملة الأخيرة.

[٢٩٢]

الفتنة والبلاء والبليَّة

قالَ أبو عُبَيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿ولا تفتنِّي﴾، مجازُهُ: ولا تؤثِّمْني، ﴿ألا في الفتنةِ سقطوا﴾ [التوبة: ٤٩]، أي في الإثمِ[١]. وقالَ في قولِهِ ﴿يُفتَنونَ في كلِّ عامٍ مرَّةً أو مرَّتينِ﴾ [التوبة: ١٢٦]، هو من الفتنةِ في الدِّينِ والكفرِ[٢]. وفي قوله ﴿وفتنّاكَ فُتوناً﴾ [طه: ٤٠]، مجازُهُ: ابتليناكَ[٣]. وفي قولِهِ ﴿الفتنةُ أشدُّ منَ القتلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، أي الكفرُ أشدُّ من القتلِ في الشَّهرِ الحرامِ. ويُقال: رجلٌ مفتونٌ في دينِهِ، أي كافرٌ، ودينارٌ مفتونٌ، محرَّقٌ بالنّارِ[٤]. [وفي قوله][٥] ﴿إنَّ الذينَ فتنوا المؤمنينَ والمؤمناتِ﴾ [البروج: ١٠]، وفي قوله ﴿يفتنوكَ﴾ [المائدة: ٤٩]: يُضِلُّوكَ ويستزلُّوكَ ﴿عن بعضِ ما أنزلَ اللّهُ إليكَ﴾[٦]. وأنشدَ لأعشى همدانَ: [الطويل]

لئن فتنتْني لهيَ بالأمسِ أفتنتْ　　　سعيداً فأمسى قد قَلَى كلَّ مُسلِمِ[٧]

أفتنتْ: لغة، يُقال: فتنَ وأفتنَ.

قالَ الكسائيُّ في قوله ﴿واحذرْهم أن يفتِنوكَ﴾ [المائدة: ٤٩]: لغةُ أهلِ الحجازِ: فتنَهُ، وأفتنَهُ، فُتوناً. قالَ أبو عبيد[٨]: الفتونُ يكونُ معناه في شيئينِ؛ أحدُهما الابتلاءُ وهو الاختبارُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وفتنّاكَ فُتوناً﴾. فهذا في التَّفسيرِ الابتلاءُ. ومنه قيل: فتنتَ الذَّهبَ في النّارِ، إنَّما هو اختبارُكَ إيّاه لتعرفَ

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٢٦١.
(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٢٧١.
(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ١٩.
(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٦٨، بزيادة لا توجد في النص المطبوع.
(٥) زيادة منا لم ترد في الأصول.
(٦) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٦٨. وفي تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٦٣: يصدوك ويستزلوك.
(٧) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٦٨، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٥٢٥، وديوان أعشى همدان في الصبح المنير ص ٣٤٠.
(٨) في خ: أبو عبيدة.

خالصَهُ من غيرِ خالصِهِ. ومنه قولُهُ ﴿يومَ هُم على النّارِ يُفتَنونَ﴾ [الذاريات: ١٣]، هو في التَّفسير: يُحرَقونَ. وقالَ بعضُ أهلِ العلمِ: هي لغةُ حميرَ: فتنتُ الذَّهَبَ، إذا حميتُ عليه النّارَ.

والفتونُ في غيرِ هذا الموضعِ أن تصرفَ صاحبَكَ عن الحقِّ إلى الباطلِ. وكلُّ مَن ميَّلَ عن الحقِّ فقد فُتِنَ. ومنه قولُهُ ﴿وإن كادوا لَيفتِنونَكَ عنِ الذي أوحَينا إليكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]. ولهذا سُمِّيَت الفتنةُ. وكذلك قولُهُ ﴿والفتنةُ أشدُّ منَ القتلِ﴾ [البقرة: ١٩١]. ففي التَّفسيرِ أنَّها الكفرُ، وهو من هذا، لأنَّه ميلٌ عن الإسلام. ومنه قولُ مسروقٍ، حين مرَّ به أصنامٌ لتُباعَ[1]، فقالَ: لولا أنّي أعلمُ أنَّ فلاناً يقتلُني لغرَّقتُها، ولكنّي أخافُ أن يعذِّبَني فيفتنَني: يعني يزيلَني عن الحقِّ إلى ما يريدُهُ.

وكلُّ ما جاءَ من ذكرِ الفتونِ والفتنةِ فليسَ يخلو معناه من واحدٍ من هذينِ، ثمَّ يتفرَّقُ في معانيَ كثيرةٍ.

وفي الحديثِ قالَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليه: أتتْكم السُّدَفُ الجونُ. قالوا: ما هيَ يا رسولَ اللّهِ؟ قالَ: فِتَنٌ كقطعِ اللَّيلِ المظلم، يُصبحُ الرَّجُلُ فيها مؤمناً، ويُمسي كافراً، يبيعُ الرِّجالُ فيها دينَهم بعَرَضٍ من الدُّنيا[2].

سُدَف: جمعُ سُدفة، وهي الفتنةُ المظلمةُ.

ومعنى الفتنةِ كلُّهُ يرجعُ إلى الامتحانِ والاختبارِ، لأنَّ كلَّ مَن امتُحنَ واختُبِرَ بالشِّدَّةِ لا بدَّ أن يثبتَ أو يزولَ، فيظهرَ عند الامتحانِ المؤمنُ من المنافقِ، فيكونَ بمنزلةِ الذَّهَبِ والفضَّةِ، الذي قد فُتِنَ بالنّارِ، فامتازَ خالصُهُ من غيرِ خالصِهِ. وكذلكَ يُقال لكلِّ رجلٍ «مفتون» بالنِّساءِ، وفتنتْه المرأةُ، إذا امتُحِنَ بها، فظهرَ عفافُهُ من عهرِهِ. قالَ الشّاعرُ: [الرمل]

فَتَنتْ سَلْسَلُ قلبَ ابنِ قَطَنْ ... ثمَّ ثنَّتْ بابنِ هندٍ فافتَتَنْ[3]

---

(١) في ب: لتبع.

(٢) صحيح مسلم ١/٧٦، وسنن الترمذي (٢٢٠٤).

(٣) الشعر لأبان بن عبد الحميد اللاحقي في الأغاني ١٠/٤٠، وسلسل اسم جارية لمحمد بن حرب، وابن قطن هو محمد بن قطن الهلالي.

فأصلُ الفتنةِ هو الامتحانُ على ما بيّنا، ثمَّ قيلَ لكلِّ مَن دُفِعَ إلى أمرٍ صعبٍ «قد فُتِنَ»، و«هو في فتنةٍ».

والبلاءُ أيضاً الاختبارُ. قالَ أبو عُبيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وفي ذلكم بلاءٌ من ربِّكم عظيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩]، أي ما ابتُليتُم به من شدَّةٍ. ويُقالُ في المَثَلِ «الثَّناءُ بعدَ البلاءِ»[١]، أي بعد الاختبارِ والامتحانِ، وهو من «بلوتُهُ». ويُقال: له عندي بلاءٌ عظيمٌ، أي نِعمةٌ ويَدٌ، وهو مَن «ابتليتُهُ خَيراً»[٢].

وقالَ الأحنفُ لزياد: البلاءُ ثمَّ الثَّناءُ.

وقال أبو عُبَيدة في قوله عزَّ وجلَّ ﴿وابتَلوا اليَتامى﴾ [النساء: ٦]، أي اختبروهم[٣]. وفي قوله ﴿ولنبلونَّكم بشيءٍ منَ الخوفِ والجوعِ﴾ [البقرة: ١٥٥]، أي لنختبرنَّكم ولنبتلينَّكم[٤]. وفي قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿ونبلوكم بالشَّرِّ والخيرِ فتنةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فجعلَ الفتنةَ مصدراً من البلاء، وهما متقاربانِ في المعنى. واللّهُ عزَّ وجلَّ يمتحنُ عبادَهُ بالشَّرِّ ليعرفَ كيفَ صبرُهم، ويمتحنُهم بالخيرِ ليعرفَ كيفَ شكرُهم[٥]. وهو عزَّ وجلَّ أعلمُ بهم قبل أن يبلوَهم، ولكنَّه لتأكيدِ الحجَّةِ عليهم.

فالفتنةُ والبلاءُ متقاربانِ في المعنى، وهما جميعاً بمعنى الامتحانِ، إلّا أنَّ البلاءَ يجيءُ في الخيرِ والشَّرِّ، والفتنةَ لا تكادُ تجيءُ إلّا في الشَّرِّ.

وأمّا البليَّة فإنَّ أصلَها ما كانَ عليه أهلُ الجاهليَّةِ، كانوا إذا ماتَ منهم ميِّتٌ، يعقلونَ ناقتَهُ عند قبرِهِ، فلا تُعلَفُ، ولا تُسقى، حتّى تموتَ، يزعمونَ أنَّ صاحبَها يُحشَرُ عليها. وجمعُ البليَّةِ: بلايا. قالَ أبو دؤاد: [الهزج]

رذايا كالبلايا أو كعيدانٍ منَ القَضْبِ[٦]

الرَّذايا: الإبلُ المهازيلُ، شبَّهَها بالبلايا، لأنَّ البلايا إذا تُرِكَتْ على هذه الحالِ هزلتْ. فهذا أصلُ «البليَّةِ»، ثمَّ قيلَ لكلِّ شرٍّ «بليَّة».

---

(١) في مجاز القرآن لم يرد: في المثل.

(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٤٠. ونص المؤلف هنا أوضح من مطبوع مجاز القرآن.

(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١١٦.

(٤) لم يرد تفسير هذه الآية في المطبوع من مجاز القرآن ١/ ٦٠.

(٥) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٦٠، بتصرف قليل.

(٦) أساس البلاغة ص ٣١٠، مادة (رذي)، وديوان أبي دؤاد الإيادي ص ٢٩٠.

[٢٩٣]

الفَرَج

أصلُ الفَرَجِ الانفراجُ والانكشافُ. يُقال: انفرجَ، إذا انكشفَ وانفتحَ، وفرجَ فاه، إذا فتحَهُ. وأنشدَ: [الطويل]

[يقصِّمُ أعناقَ المطيِّ] كأنَّما بمفرجِ لحييه الزُّجاجُ الموتَّدُ(١)

يعني: الأسدَ، ومفرجُ لحييه يعني مفتحَ فمِهِ. وقالَ لبيد: [الكامل]

فغدتْ كلا الفَرْجينِ تحسَبُ أنَّه مولى المخافةِ خلفُها وأمامُها(٢)

الفَرْجانِ: ما انفرجَ أمامَها ووراءَها، وكلُّ ما هو بين شيئينِ يُقال له «فُرْج» و«فُرْجة»، ويُقال أيضاً «فَرجة»، بفتحِ الفاءِ. وفي الخبرِ أنَّ فلاناً(٣) كانَ قد هربَ من الحجّاجِ، فقالَ: بَينا أنا في بعضِ المواضعِ، إذ سمعتُ مُنشِداً يُنشِدُ: [الخفيف]

ربَّما تكرَهُ النُّفوسُ من الأمْـ ـرِ لَهُ فَرْجةٌ كحلِّ العقالِ(٤)

فقلتُ له: ما ذاكَ؟ قالَ: ماتَ الحجّاجُ. قالَ: فواللّهِ ما أدري بأيِّهما كنتُ أفرحُ، بقولِهِ «ماتَ الحجّاجُ»، أم بقولِهِ «له فَرْجةٌ».

يُقال: فرجَ، وانفرجَ. قالَ الهُذَليُّ: [البسيط]

صفرُ المباءةِ ذي هرسينِ مُنعَجِفٌ إذا نظرتَ إليهِ قلتَ قد فَرَجا(٥)

هرساه: حلقاه، وفرجَ، أي فتحَ فاه.

والفَرْجُ: ما بينَ القوائمِ.

---

(١) المعاني لابن قتيبة ص ٢٥٥، وأشعار الهذليين بشرح السكري ص ١١٦٩. والزيادة منهما.

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص ٣١١.

(٣) هو أبو عمرو بن العلاء، في أغلب الروايات والمصادر، باستثناء رواية ابن خلكان، نقلاً عن أبي عبيدة، حيث يرويها أبو عمرو على لسان أبيه.

(٤) الفاخر للمفضل بن سلمة ص ٢٧٦، الزاهر ٢/ ٢٥١، التنوخي: الفرج بعد الشدة ٤/ ٦٩، نور القبس ص ٣٠، نزهة الألباء ص ٣٢، سرح العيون ص ١٨١، وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/ ٤٦٧. وينسب البيت لعمير الحنفي في التعازي للمدائني ص ١١٦، ولأمية بن أبي الصلت، وانظر تخريجاته في ديوانه ص ٣٤٢.

(٥) لساعدة بن جؤية، في ديوان الهذليين ٢/ ٢٠٨.

والفرجُ: الثَّغر. وهو فرجةٌ بين المسلمينَ والمشركينَ. وأنشدَ [الكامل]

بـالـفـرجِ منّـا مِـنْـسـرٌ وعـظـيـمُ[1]

فكأنَّ الفَرَجَ الذي يطلبُهُ المكروبُ هو أن ينكشفَ عنه، ويُفتَحَ عليه، لأنَّ المكروبَ كأنَّه في ظلمةٍ وغطاءٍ في أمرِهِ. فإذا بانَ له صلاحُ حالِهِ، انكشفتْ تلكَ الظُّلمةُ عنه وانفتحتْ.

---

(١) الشطر للبيد بن ربيعة العامري في ديوانه ص ١٣٧، والبيت فيه:

وإذا تـواكـلـت الـمـقـانـب لـم يـزلْ　　بـالـثـغـرِ مـنـا مـنـسـر وعـظـيـمُ

وفي معجم البلدان ٣/ ٣٤٧: بالنفر منا. وإذا تواكلت المقانب، أي إذا تراجعت الكتائب واعتمد بعضها على بعض، والمنسر: ما بين الثلاثين والأربعين، والعظيم: الرئيس.

[٢٩٤]

المَثَل والمعنى(١)

المَثَلُ كلامٌ يُعارضُ به الإنسانُ صاحبَهُ، فيبلغُ بِهِ ما يحاولُ من حاجتِهِ بلا تصريحٍ، ويفهمُ صاحبُهُ عنه مرادَهُ باختصارٍ وإيجازٍ، تعريضاً من غيرِ إفصاحٍ.

وقالَ أبو عبيد: الأمثالُ حكمةُ العربِ في الجاهليَّةِ والإسلامِ، ربّما كانت تعارضُ كلامَها، فتبلغُ به ما حاولتْ من حاجاتِها في المنطقِ بكنايةٍ غيرِ تصريحٍ، فيجتمعُ لها بذلك ثلاثُ خِلالٍ(٢): إيجازُ اللَّفظِ، وإصابةُ المعنى، وحُسْنُ التَّشبيهِ(٣). قالَ: وقد ضربَ النّبي صلّى اللّهُ عليه وآلِهِ الأمثالَ وتمثَّلَ بِها، هو ومَن بعدَهُ من السَّلَفِ. وممّا يُحفَظُ عنه صلَّى اللّهُ عليه المَثَلُ الذي ضربَهُ للإسلامِ والقرآنِ، وهو قولُهُ: «ضربَ اللّهُ مَثَلاً صِراطاً مُستقيماً، وعلى جنبَتَي الصِّراطِ سورٌ فيه أبوابٌ مفتَّحةٌ، وعلى تلك الأبوابِ ستورٌ مرخاةٌ، وعلى رأسِ الصِّراطِ داعٍ يقولُ: ادخلوا الصِّراطَ، ولا تعوجوا»(٤). قالَ: فالصِّراطُ الإسلامُ، والسُّتورُ حدودُ اللّهِ، والأبوابُ المفتَّحةُ محارمُ اللّهِ، وذلك الدّاعي القرآنُ(٥).

وذكرَ من كلامِهِ، صلّى اللّهُ عليه، أمثالاً كثيرةً، منها قولُهُ: «لا ترفعْ عصاكَ عن أهلِكَ». ولم يردِ الضَّربَ، إنَّما أرادَ الموعظةَ، وقولُهُ: «وللعاهرِ الحَجَرُ»، إنَّما عنى أنَّه لا حقَّ له في نَسَبِ الولدِ. وقالَ: «لا يلسع المؤمنُ من جُحرٍ مرَّتَينِ»، وغيرُ ذلك من كلامِهِ(٦).

وقد ضربَ اللّهُ الأمثالَ في القرآنِ، فقالَ عزَّ وجلَّ ﴿ولقد صرَّفنا للنّاسِ في هذا القُرآنِ من كلِّ مَثَلٍ﴾ [الإسراء: ٨٩]. ورُوِيَ عن محمَّد بن عليٍّ عليه السَّلام أنَّه قالَ لبعضِ أصحابِهِ: انظرْ أن لا يمرَّ بكَ مَثَلٌ في القرآنِ إلّا وأنتَ تعلمُهُ، فإنَّ

---

(١) في ب: باب في المثل والمعنى.

(٢) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: خصال، وفي مطبوع الأمثال: جلال، وهو تصحيف.

(٣) أبو عبيد: الأمثال ص ٣٤.

(٤) أبو عبيد: الأمثال ص ٣٤.

(٥) أبو عبيد: الأمثال ص ٣٤.

(٦) أبو عبيد: الأمثال ص ٣٨.

اللّهَ عزَّ وجلَّ يقولُ ﴿وتلكَ الأمثالُ نضربُها للنّاسِ وما يعقلُها إلّا العالِمونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وإنَّما يُسمَّى «مَثَلاً» لأنَّه كلامٌ «مثالٌ» لكلامٍ آخرَ، وليسَ هو ذلك بعينِهِ. فالأوَّلُ مَثَلٌ، والثّاني معنىً. يُقالُ: هذا مَثَلُ الشَّيءِ ومِثْلُهُ، كما يُقالُ: شَبَه وشِبْه، وبَدَل وبِدْل، وقَتَب وقِتْب، وحلَس وحِلْس. ويقال: مَثُلَ الشَّيءُ، يمثُلُ، مثولاً: إذا انتصبَ وظهرَ. والماثلُ: الشَّيءُ المنتصبُ القائمُ، وجمعُهُ مُثَّل. قالَ الفرزدقُ[1]: [الكامل]

برزوا كأنَّهمُ الجبالُ المثَّلُ[2]

والماثلُ أيضاً اللاطئُ بالأرضِ. وأنشدَ: [الطويل]

[سنونَ] فمنها مستبينٌ وماثلُ[3]

ويُقال: مثَّلتُ هذا الأمرَ، أي صوَّرتُهُ لكَ. فالمَثَلُ هو صورةٌ للكلمةِ المتمثَّلِ بها، وصفةٌ لها وشِبْهٌ، والمعنى هو المرادُ والمقصدُ. قالَ المفسِّرونَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿مَثَلُ الجنَّةِ التي وُعِدَ المتَّقونَ﴾ [الرعد: ٣٥]، أي صفةُ الجنَّةِ وصورتُها[4]. ويُروى أنَّ عليّاً رضوانُ اللّهِ عليه كانَ يقرأُ (مِثالُ الجنَّةِ)، وهو بمعنى (مَثَلُ الجنَّةِ)، إلّا أنَّه أوضحُ وأقربُ إلى أفهامِ النّاسِ في المعنى[5].

وقالوا في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿ولِلّهِ المَثَلُ الأعلى﴾ [النحل: ٦٠]، قالوا: هو قولُ لا إلهَ إلّا اللّهُ[6]، أي هذه صفتُهُ. وهو أعلى من كلِّ صفةٍ، إذ كانتْ لا تكونُ إلّا لَهُ. وقالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿محمَّدٌ رسولُ اللّهِ والذينَ مَعَهُ أشدّاءُ على الكُفّارِ رُحَماءُ بينَهم﴾ إلى قولِهِ ﴿ذلكَ مَثَلُهم في التَّوراةِ ومَثَلُهم في الإنجيلِ﴾ [الفتح: ٢٩]، أي ذلك صفتُهم، لأنَّه لم يضربْ[7] لهم مَثَلاً في أوَّلِ الكلامِ، فيكونَ ذلك

---

(١) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: جرير. والبيت للفرزدق، وليس لجرير.

(٢) النقائض لأبي عبيدة ١/ ١٨٣، وديوان الفرزدق ٢/ ٣١٨، وأوله: يلجون بيت مجاشع وإذا احتبوا.

(٣) لزهير بن أبي سلمى في ديوانه بشرح ثعلب ص ٢١٣، وأوله: تحمَّل منها أهلها وخلت لها.

(٤) تفسير الطبري ١٣/ ١٩٢.

(٥) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٥٩.

(٦) ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص ٢٤٤.

(٧) هكذا في الأصول، وسقطت «لم» من مطبوع كتاب ابن قتيبة.

مَثَلَهم، وإنَّما وصفَهم وحلّاهم، ثمَّ قالَ ﴿ذلكَ مَثَلُهم﴾، أي صفتُهم[1]. وقالَ ﴿مَثَلُ الذينَ اتَّخذوا من دونِ اللّهِ أولياءَ كمَثَلِ العنكبوتِ اتَّخذتْ بَيتاً﴾ [العنكبوت: ٤١]. وقالَ ﴿مَثَلُ الذينَ حُمِّلوا التَّوراةَ ثمَّ لم يحملوها كَمَثَلِ الحِمارِ﴾ [الجمعة: ٥]. قالَ أهلُ اللُّغةِ[2]: أي شَبَهُ العنكبوتِ شَبَهُ الذينَ اتَّخذوا أولياءَ من دونِ اللّهِ، وشَبَهُ الذينَ حُمِّلوا التَّوراةَ. والمَثَلُ: العبرةُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فَجَعلناهم سَلَفاً وَمَثَلاً للآخِرينَ﴾ [الزخرف: ٥٦]، قالوا: معناه عبرةً. وكذلكَ قولُهُ ﴿وجَعَلناه مَثَلاً لبني إسرائيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]، أي عبرة[3].

فالمثلُ يتصرَّفُ في هذه المعاني، وهي كلُّها قريبةٌ بعضُها من بعضٍ، لأنَّ صورةَ الأمرِ هو شِبْهُهُ وصفتُهُ، وهو مثالٌ له يُعتبَرُ به، ويُستدَلُّ به على معناه والمرادِ فيه. ومن أجلِ ذلك سمّوا الصُّوَرَ التي تُنقَشُ على الحيطانِ وفي الخشبِ وغيرِ ذلك «تماثيلَ»، وكذلك ما يُنحَتُ من الخشبِ وغيرِهِ. و«تماثيلُ» جمعُ «تمثالٍ»، وهو «تفعال» من المَثَلِ. قالَ الأعشى: [المتقارب]

[إذا أدبرتْ خلتَها دِعصةً] وتبرزُ كالظَّبيِ تمثالَها[4]

تمثالها أي صورتها، لأنَّ أصلَ التمثالِ هي الصُّورةُ المنقوشةُ أو المنحوتةُ المنصوبةُ في الجُدُرِ والخَشَبِ وغيرِ ذلك. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ما هذِهِ التَّماثيلُ التي أنتُم لها عاكِفونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢]، فسمّاها «تماثيلَ»، لأنَّها نُحتتْ على صُوَرِ الآدميِّينَ، ثم نُصِبَتْ ورُفِعَتْ. وهو مشتقٌّ من «المثل»، أي أنَّه مثلُ الإنسانِ. ويُقال لها «نُصُب» لأنَّها نُصِبَتْ، أي رُفِعَتْ. ويُقال: ضربَ لك مَثَلاً، أي أظهَرَ كلاماً ورَّى به عن غيرِهِ، يريدُ أن يَفهَمَهُ عنه مَن يختصُّهُ به دونَ غيرِهِ. فكأنَّه نصبَ له كلاماً وأظهرَهُ على مثالِ المعنى الذي يقصدُهُ به ويدلُّ عليه ويريدُهُ بمنزلةِ الرُّؤيا التي يراها الإنسانُ في منامِهِ. يُقال إنَّ المَلَك يضربُ له المثلَ، أي ينصبُ له شيئاً،

---

(١) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٦٠.

(٢) أي ابن قتيبة.

(٣) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٧٨.

(٤) ديوان الأعشى ص ١٥٩، والشطر الأول في ب: تسير غديراً بحرية، وفي م وأخواتها: تستر عذراء بحرية. وقد فضلت إكمال النص من الديوان.

يكون المرادُ غيرَهُ. فالأوّلُ الذي يراه الإنسانُ هو «المثَلُ»، والذي يستخرجُهُ المعبِّرُ منه هو «المعنى» والمرادُ والتّأويلُ. ومثلُهُ من الكلامِ ما قد ذكرناه عن أبي عبيد ما رواه عن رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله، وما ذكرَهُ اللّهُ عزَّ وجلَّ في القرآنِ حيثُ يقولُ ﴿وتلكَ الأمثالُ نضربُها للنّاسِ وما يعقلُها إلّا العالمونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. يعني أنّه ضربَ الأمثالَ لنبيِّهِ صلّى اللّه عليه في كتابِهِ، فعلمَ تأويلَها، وعلَّمَها مَن اختصَّهُ من أصحابِهِ الذينَ اختارَهم لسرِّهِ واجتباهم من المهاجرينَ والأنصارِ، حيثُ يقولُ «الأنصارُ كرشي وعَيبتي ومعدنُ سِرِّي»[(١)].

ويُروى عن أميرِ المؤمنينَ عليٍّ عليه السَّلام أنّه قالَ: أسرَّ لي رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه ألفَ بابٍ من العلمِ، يفتحُ كلُّ بابٍ ألفَ بابٍ، واللّهِ لأن أخرَّ من السَّماءِ حتّى يتخطَّفَني الطَّيرُ أحبُّ إليَّ من أن أكذبَ على رسولِ اللّهِ صلّى اللّه عليه وآله[(٢)]. وهذا هو العلمُ الذي اختصَّ به رسولَهُ صلّى اللّه عليه من تأويلِ الأمثالِ التي ضربَها في القرآنِ، ومن متشابهِ القرآنِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وما يعلمُ تأويلَهُ إلّا اللّهُ والرّاسخونَ في العلمِ يقولونَ آمنّا به﴾ [آل عمران: ٧]. وقد اختلفَ النّاسُ في ذلك، وذكرناه في بابِ المتشابهِ.

وأخبرَ اللّهُ عزَّ وجلَّ في كتابِهِ أنَّ الأنبياءَ والرُّسُلَ كلَّهم ضربوا الأمثالَ للنّاسِ، فنجا مَن نجا بمعرفةِ معانيها، وهلكَ مَن جهلَها. فقالَ عزَّ وجلَّ ﴿وعاداً وثموداً وأصحابَ الرَّسِّ وقُروناً بينَ ذلكَ كثيراً وكُلّاً ضربنا لَهُ الأمثالَ وكُلّاً تَبَّرْنا تَتبيراً﴾ [الفرقان: ٣٩].

ومكتوبٌ في الإنجيلِ أنَّ الحواريِّينَ قالوا لعيسى عليه السَّلام: ما بالُكَ تكلِّمُنا بالأمثالِ؟ فأجابَ وقالَ لهم: أنتم أُعطيتُم سرَّ ملكوتِ السَّماءِ، فأمّا أولئكَ فإنَّهم لم يُعطَوا، ومَن كانَ له فإنَّه يُعطى ويُزاد، ومَن لم يكنْ له يُؤخَذُ منه أيضاً ما كانَ له. وإنَّما أكلِّمُكم بالأمثالِ لأنَّهم يُبصِرونَ الحقَّ فيعمَونَ عنه، ويسمعونَ ثمَّ لا يعقلونَ

---

(١) أبو عبيد: غريب الحديث ٣/١٥٦.

(٢) أورد ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٦/١٠٤ قسماً من هذه الخطبة في رده على كتاب «النكت» للنظام. وانظر سابقاً مادة (العلم والجهل والجاهلية).

ولا يفهمونَ[١]. وفي الإنجيلِ أيضاً أنَّه قالَ للحوارِيِّينَ: أنتم أُعطيتُم معانيَ هذه الأمثالِ[٢]، فطُوبى لأعينِكم التي ترى وتُبصِرُ، وطُوبى لآذانِكم التي تسمعُ[٣].

وقالَ المسيحُ: أشكرُ لكَ يا ربِّ أنَّكَ أخفيتَ هذه الخطوبَ والأمورَ عن أحبارِ بني إسرائيلَ[٤] وعن الفقهاءِ والعلماءِ، وأعلنتَها للصِّبيانِ. نعم يا ربِّ، هكذا مسرَّتُكَ[٥].

قالَ: وإنَّما كانَ يكلِّمُهم بالأمثالِ ليتمَّ ما قالَ داودُ عليه السَّلام في الزَّبورِ: الآنَ بحقٍّ أفتحُ فمي بالأمثالِ، وأقولُ الأوابدَ، وأُعلِنُ السَّرائرَ التي كانتْ من قبلِ وضعِ أساسِ الدُّنيا[٦]. فهذا وما أشبهَهُ في القرآنِ العظيمِ وفي سائرِ الكتبِ كثيرٌ، ويطولُ الخطبُ فيه على ما ذكرناه.

وقالَ بعضُ الحكماءِ: لو كانَ القرآنُ وسائرُ الكتبِ المنزلةِ ظاهرةً مكشوفةً لا معانيَ لها ولا تأويلَ، حتّى يستويَ في معرفتِها العالمُ والجاهلُ والمتعلِّمُ، لبَطُلَ التَّفاضُلُ بين النّاسِ، وسقطتِ المحنةُ، وماتتِ الخواطرُ. فإنَّ مع الحاجةِ تَقَعُ الفكرةُ والحيلةُ، ومعَ الكفايةِ يقعُ العجزُ والبلادةُ[٧].

وقالوا: عيبُ الغنى أنَّه يُورِثُ البَلَهَ، وفضيلةُ الفقرِ أنَّه يبعثُ على الحيلةِ[٨].

وقالَ أكثمُ بنُ صَيْفيٍّ: ما يسرُّني أن أكونَ مكفيّاً كلَّ أموري، قيلَ له: ولِمَ؟ قالَ: أكرهُ عادةَ العجزِ[٩].

---

(١) كانت بين يدي المؤلف ترجمة عربية قديمة للإنجيل أو العهد الجديد، هي التي اطلع عليها ابن قتيبة، ونقل نصوصاً مطولة منها في كتابه «عيون الأخبار». وانظر في المقطع المذكور: إنجيل متى ١٣: ١١.

(٢) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: هذه الأشياء.

(٣) استشهد المؤلف بهذا المقطع أيضاً في أعلام النبوة ص ٨٣. وفي المطبوع بعض التحريف. وانظر: إنجيل متى ١٣: ١٦.

(٤) عن أحبار بني إسرائيل: سقطت من ب.

(٥) إنجيل متى ١١: ٢٦.

(٦) نقل المؤلف هذا النص أيضاً في أعلام النبوة ص ٨٣، ونسبه لنبي تحدث بالأمثال. وانظر: المزامير ٧٨: ٣.

(٧) النص لابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ٦٢.

(٨) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٦٢

(٩) مناقب الترك للجاحظ، الرسائل ٣/٢١٢، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٦٢: ما يسرني

قالَ[1]: وكلُّ بابٍ من أبوابِ العلمِ من الفقهِ والحسابِ والفرائضِ والسُّنَنِ والآدابِ، فمنه ما يجلُّ، ومنه ما يدقُّ، ليرتقيَ المتعلِّمُ فيه رتبةً بعد رتبةٍ حتّى يبلغَ منتهاه، ويُدرِكَ أقصاه، ولتكونَ للعالمِ فضيلةُ النَّظَرِ وحسنُ الاستخراجِ، ولتقعَ المثوبةُ من اللّهِ عزَّ وجلَّ على حسنِ العنايةِ. ولو كانَ كلُّ فنٍّ من العلوم شيئاً واحداً لم يكنْ عالمٌ ولا متعلِّمٌ، ولا خفيٌّ ولا جليٌّ، لأنَّ فضائلَ الأشياءِ تُعرَفُ بأضدادِها. فالعلمُ يُعرَفُ بالجهلِ، والخيرُ بالشَّرِّ، والنَّفعُ بالضُّرِّ، والحلوُ بالمرِّ[2]. وعلى هذا المثالِ تظهرُ الفضائلُ والخسائسُ، ويستبينُ الفاضلُ من المفضولِ.

والفرقُ بينَ المثلِ والمعنى كما قد ذكرناه في أمرِ الرُّؤيا التي يراها الإنسانُ، و[الرُّؤيا][3] هو مَثَلٌ يضربُهُ مَلَكُ الرُّؤيا، والمعنى ما يكونُ من تأويلِها. فأمّا الفرقُ بينَ التَّفسيرِ والتَّأويلِ فقد اشتبهَ ذلك، وتكلَّمَ النّاسُ فيه، وقد بيَّناه في بابِ التَّأويلِ، ونعيدُ طَرَفاً منه هاهنا، ليكونَ له في هذا البابِ رسمٌ.

قالَ قومٌ: التَّأويلُ والتَّفسيرُ واحدٌ. وقالَ آخرونَ: التَّأويلُ غيرُ التفسيرِ. والقولُ في ذلكَ: لو أنَّ رجلاً من العجمِ رأى رؤياً، فجاءَ إلى المعبِّرِ، فوجدَهُ عربيَّ اللِّسانِ، لا يفقهُ عنه، ثمَّ قصَّها على مترجمٍ، فترجمَها للمعبِّرِ، فعبَّرَها له. فقولُ صاحبِ الرُّؤيا هو «المثَلُ» الذي ضربَهُ مَلَكُ الرُّؤيا، وقولُ المترجمِ هو «التَّفسيرُ»، وقولُ المعبِّرِ هو «التَّأويلُ». فكذلك الفرقُ بينَ التَّأويلِ والتَّفسيرِ. وقد ضربَ اللّهُ الأمثالَ في القرآنِ، فكنّى بالنَّعجةِ عن المرأةِ[4]، فقال ﴿إنَّ هذا أخي له تسعٌ وتسعونَ نَعْجَةً ولي نَعْجَةٌ واحدةٌ﴾ [ص: ٢٣]. وقد جاءَ عن العربِ مثلُ هذا بعينِهِ. قالَ عنترةُ، وكنّى بالشّاةِ عن المرأةِ: [الكامل]

أني مكفي كل أمر الدنيا. وفي الكامل للمبرد ١/ ١٨١: قال يزيد بن المهلب: ما يسرني أني كفيت أمر الدنيا كله، قيل: ولم؟ قال: أكره عادة العجز. وانظر: الأجوبة المسكتة لابن أبي عون ص ٦٩، ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ص ٤٩.

(١) أي ابن قتيبة.
(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٦٢.
(٣) زيادة منا لم ترد في الأصول. وانظر: مادة عبارة الرؤيا التالية.
(٤) أعلام النبوة ص ٨٩.

يا شاةَ ما قَنَصٍ لمن حلَّتْ له   حرُمتْ عليَّ وليتَها لم تحرُمِ
فبعثتُ جاريتي فقلتُ لها اذهبي   فتجسَّسي أخبارَها لي واعلمي
قالتْ رأيتُ من الأعادي غِرَّةً   والشَّاةُ ممكنةٌ لمن هو مرتمي[(١)]

وقالَ الأعشى: [الكامل]

فرميتُ غفلةَ عينِهِ عن شاتِهِ   فأصبتُ حبَّةَ قلبِها وطحالَها[(٢)]

فكنى بالشَّاةِ عن المرأةِ.

والذي رُوِيَ عن النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه من الأمثالِ ما قد ذكرناه. ورُوِيَ عنه أنَّ البراءَ بنَ عازب[(٣)] رجزَ لرسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه في بعضِ أسفارِهِ، فلمّا قاربَ النِّساءَ، قالَ له صلّى اللّهُ عليه: إيّاكَ والقواريرَ[(٤)]. يعني بالقواريرِ: النِّساءَ، كرهَ أن يسمعْنَ رجزَ الحادي وحُسنَ صوتِهِ، وجعلَ القواريرَ مثلاً للنِّساءِ.

ورُوِيَ عنه: «لا تستضيئوا بنارِ المشركينَ»[(٥)].

وقال: «إنَّ الكاسياتِ العارياتِ لا يدخلْنَ الجنَّةَ»[(٦)].

وقال: «إنّي أجدُ نَفَسَ ربِّكم مِن قِبَلِ اليَمَنِ»[(٧)].

وقد جاءَ عنه صلّى اللّهُ عليه وآله مثلُ هذا كثيرٌ.

ورُوِيَ أنَّ رجلاً قدمَ على عُمَر من بعضِ الفروجِ، فنثرَ كنانتَهُ، فسقطتْ صحيفةٌ، فإذا فيها: [الوافر]

ألا أبلغْ أبا حَفْصٍ رَسُولاً   فِدىً لك من أخي ثِقَةٍ إزاري
قلائصَنا هداكَ اللّهُ إنّا   شُغِلْنا عنكمُ زَمَنَ الحصارِ
فما قُلُصٌ وُجِدنَ معقَّلاتٍ   قفا سلعٍ بمختلفِ النِّجارِ

---

(١) التبريزي ص ٢٠٨، وديوان عنترة بن شداد ص ٨٣.
(٢) ديوان الأعشى ص ١٥٠.
(٣) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: بن مالك.
(٤) في تعبير الرؤيا لابن قتيبة ص ٣٨ القول لأنجشة: إياك والقوارير، وفي أمثال الحديث لابن خلاد ص ١٢٧: يا أنجشة، رويداً سوقك بالقوارير.
(٥) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٥٩.
(٦) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٥٩.
(٧) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٥٩.

يـعـقِّـلـهـنَّ جـعـدٌ شَـيـظـمـيٌّ وبـئـسَ مـعـقِّـلُ الـذَّودِ الـظُّـؤارِ[1]

ويُروى: يعقِّلهنَّ جعدٌ من سُلَيم. الظُّؤار: جمع ظِئر. ويُقالُ إنَّ النّاقة تُعقَلُ للضِّرابِ، فكنى عنها وجعلَها مَثَلاً للنِّساءِ. قالَ: فبعثَ عُمَر إلى جعدةَ، وأحضرَهُ فجلدَهُ معقولاً. قالَ سعيد بن المسيَّب: إنّي لَفي الأُغَيلِمةِ الذينَ يجرُّون جعدةَ إلى عُمَر[2].

قالَ الأصمعيُّ: سألتُ عيسى بن عُمَر عن قولِ أُميَّةَ بن أبي الصَّلت الثَّقفيِّ: [الكامل]

والأرضُ نـوَّخـهـا الإلـهُ طَـروقـةً للـماءِ حتّى كلُّ زنـدٍ مُسفِـدُ[3]

فقالَ عيسى بنُ عُمَر: لا أعرفُهُ. وقالَ عيسى: سألتُ عنه، فلم أجدْ من يعرفُهُ. فعيسى بن عُمَر والأصمعيُّ، مع معرفتِهما بلغةِ العربِ، لم يعرفا هذا، لأنَّه مَثَلٌ. وقد استخرجَهُ غيرُهما فقالَ إنَّ اللّه عزَّ وجلَّ جعلَ الأرضَ كالأنثى للماءِ، وجعلَ الماءَ كالذَّكَرِ للأرضِ، فإذا مطرتْ أنبتتْ، وهكذا كلُّ شيءٍ حتّى الزُّنود، فإنَّ أعلى الزِّندِ ذَكَرٌ، والأسفلَ أنثى، والنّارَ لهما كالولدِ. ومُسفِد يعني: مُنكِحاً. ويُقال: سفدَ الذَّكَرُ الأُنثى، واللّهُ أسفَدَهُ، كما يُقال: نكحَ الذَّكَرُ الأُنثى[4]، واللّهُ أنكحَهُ. ومثلُهُ قولُ ذي الرُّمّة: [الطويل]

وسِقْطٍ كعينِ الدِّيكِ عاورتُ صحبتي أبـاهـا وهـيَّأنـا لـمـوقـدِها وَكْـرا
مشـهَّـرةٍ لا يـمـكـنُ الـفـحـلُ أمَّـها إذا نحنُ لم نمسكْ بأطرافِها قَسْرا[5]

فأرادَ بالسِّقْطِ النّارَ، وبالأبِ الزَّنْدَ الأعلى، وبالأمِّ الزَّنْدَ الأسفلَ[6]، وبالوَكْرِ ما نفخَ فيه الرِّيحُ من حُراقٍ وغيرِهِ.

وقالَ بعضُ العلماءِ: نزلَ القرآنُ بلغةِ العربِ ومذاهبِها، فمَن جهلَ لغةَ العربِ

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٨٦، ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ١٦٤، غريب الحديث ٢/ ٢٢، المؤتلف والمختلف للآمدي ص ٧٦، العمدة ١/ ٣١٢ (نقلاً عن ابن قتيبة).
(٢) غريب الحديث لابن قتيبة ٢/ ٢٤.
(٣) ديوان أمية بن أبي الصلت ص ١٨٢.
(٤) من «أسفده» سقط من ب.
(٥) تأويل مشكل القرآن ص ٦٣. وديوان ذي الرمة ص ١٧٥.
(٦) النص من «قال الأصمعي» إلى هنا من تأويل مشكل القرآن ص ٦٣.

ومذاهبَها وقعَ في البِدَعِ والضّلالاتِ. ومن أجلِ ذلكَ كانوا يتوقّونَ تأويلَ القرآنِ والكلامَ فيه إلّا بسماعٍ من العلماءِ. وفي الحديثِ: «مَن قالَ في القرآنِ برأيهِ فأصابَ لم يُؤجَرْ، ومن أخطأَ فليتبوَّأ مقعدَهُ من النّارِ»[١]. وروى جندب عن النّبيِّ صلّى اللّه عليه، وروى عنه ابن عبّاس، قالَ: قالَ رسولُ اللّهِ صلّى اللّه عليه وآله: «مَن قالَ في القرآنِ بغير علمٍ فليتبوَّأْ مقعدَهُ من النّارِ»[٢].

فضربَ اللّهُ الأمثالَ في القرآنِ وعلَّمَها رسولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه، وعلَّمَها الرَّسولُ عليه السَّلام مَن اختصَّ [به] من أصحابِهِ. فكانَ عليٌّ عليه السَّلام وجماعةٌ من المهاجرينَ والأنصارِ أهلَ ذلك السرِّ المخصوصِينَ به.

وقالَ صلَّى اللّهُ عليه: «ما نزلتْ عليَّ آيةٌ إلّا ولها ظهرٌ وبطنٌ، وكلُّ حرفٍ حدٌّ، وكلُّ حدٍّ مُطَّلَعٌ»[٣]. وقد ذكرنا هذا وغيرَهُ في غيرِ هذا البابِ.

وكانَ صلَّى اللّهُ عليه يضربُ الأمثالَ، وقالَ: «رحمَ اللّهُ امرأً استمعَ مقالتي فوعاها، ثمَّ أدّاها إلى مَن لم يسمعْها. فربَّ مبلِّغٍ أوعى من سامعٍ، وربَّ حاملِ فقهٍ لا فقهَ له، وربَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقهُ منه»[٤].

وكانَ الأنبياءُ عليهم السَّلام والحكماءُ والعلماءُ يضربونَ الأمثالَ، ويعرفونَ معانيَها، ويكتمونَها عن غيرِ أهلِها، ولا يضعونَها إلّا في معادنِها، لكيلا تضيعَ الحكمةُ، ويكونوا قد جهلوا حقَّها، واستوجبوا المقتَ من اللّهِ عزَّ وجلَّ في تضييعِها والاستهانةِ بها. ورُوِيَ عن بعضِ الحكماءِ أنّه قالَ: لا تضعوا الحكمةَ في غيرِ أهلِها فتظلموها، ويكونُ مَثَلُكم كمن ينثرُ الدُّررَ بين أيدي الخنازيرِ[٥].

---

(١) سنن الترمذي (٢٩٦١).

(٢) سنن الترمذي (٢٩٥٩).

(٣) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/ ٢٣٨. وهذه رواية ب وغريب الحديث، وفي م وأخواتها: لكل حرف حد ولكل حد. وهي رواية منقولة أيضاً.

(٤) أبو عبيد: الخطب والمواعظ ص ٢٠٩، سنن ابن ماجة (٣٠٥٦)، سنن الترمذي (٢٦٦٧).

(٥) في الخطب والمواعظ لأبي عبيد ص ١٩٢ نص قريب من هذا لعيسى، وفي عيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ٥٢٢، للمسيح بصيغة أخرى، وفي أمثال الحديث للرامهرمزي ص ١٢٧ حديث قريب من هذا المعنى: لا تطرحوا الدرة في أفواه الكلاب. وفي إنجيل متى (٧: ٦): لا تعطوا القدس للكلاب، ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير.

والذي رُوِيَ في هذا البابِ عن أهلِ بيتِ النَّبيِّ عليهم السَّلام أكثرُ من أن يُحصى. رُوِيَ عن جعفر بن محمَّد عليه السَّلام أنَّه قالَ: أمرُنا صعبٌ مستصعبٌ لا يحتملُهُ إلا مَلَكٌ مقرَّبٌ أو نبيٌّ مرسَلٌ أو عبدٌ امتحنَ اللّهُ قلبَهُ للإيمانِ(١).

ورُوِيَ عنه أنَّه قالَ: أنتم من أعلمِ النّاسِ إن فهمتم معانيَ كلامِنا. إنَّ الكلمةَ منّا لَتنصَرِفُ على سبعةِ أوجهٍ. قالوا: على سبعةِ أوجهٍ؟ قالَ: نعم، وعلى سبعينَ وجهاً(٢). هذا مع رواياتٍ كثيرةٍ عنهم تدلُّ على أنَّ ذلك كلَّهُ كانَ يجري بين العلماءِ بالأمثالِ، صيانةً للحكمةِ وضنّاً بها على غيرِ أهلِها. وهي سُنَّةُ اللّهِ بينَهُ وبينَ أنبيائِهِ، وسُنَّةُ الأنبياءِ بينَهم وبينَ المختصِّينَ من أصحابِهم، يتوارثونَهُ فيودعونَهُ نظراءَهم، فيأخذُهُ الخَلَفُ عن السَّلَفِ، ويزرعونَهُ في قلوبِ أشباهِهم، والمستوجبينَ منهم لكي لا تبطُلَ حججُ اللّهِ وبيِّناتُهُ. وللّهِ الحُجّةُ البالغةُ، وهو أحكمُ الحاكمينَ.

[٢٩٥]
معنى عبارة الرُّؤيا(٣)

قد قلنا إنَّ الرُّؤيا مَثَلٌ يضربُهُ مَلَكُ الرُّؤيا للنّائمِ، ثمَّ يُحتاجُ فيها إلى العبارةِ والتَّأويلِ. وقد ذكرنا معنى التَّأويلِ والتَّفسيرِ في «بابِ المَثَلِ»، وفي «بابِ التَّأويلِ». ونقولُ إنَّ «العبارةَ» مشتقٌّ من «عَبَرَ النَّهرَ»، إذا جازَ من أحدِ جانبيه إلى الجانبِ الآخرِ، إمّا بجسرٍ أو قنطرةٍ، أو معبرٍ، أو سباحةً. ورُوِيَ عن الحسنِ البصريِّ قالَ: اجعلِ الدُّنيا قنطرةً تعبرُها ولا تعمرُها(٤).

ويُقالُ «عبرَ الرُّؤيا»: إذا بيَّنَ تأويلَها، فكأنَّه عبرَ من المثَلِ إلى المعنى، كما يعبرُ العابرُ من أحدِ جانبَي النَّهرِ إلى الجانبِ الآخرِ. وكذلك عابرُ الرُّؤيا يجوزُها

---

(١) الصفار القمي: بصائر الدرجات ص ٢٦، ونسب للإمام علي في شرح نهج البلاغة ٦/ ١٠٢ (نقلاً عن كتاب الغارات).

(٢) ينظر القاضي النعمان: أساس التأويل ص ٢٧، والمجالس والمسايرات ص ٥١٥.

(٣) هكذا العنوان في جميع الأصول، بإثبات كلمة (معنى).

(٤) نسب ابن قتيبة هذا القول للمسيح في عيون الأخبار ١/ ٧٠٣: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها.

من «مثَلِها» إلى «معناها»، فيكونُ قد عَبرَها. ومَن لم يُحسنْ أن يعبرَها غَرِقَ في معناها، لأنَّه جهلَ المعنى، بمنزلةِ مَن يغرقُ إذا لم يجدْ مَعْبراً ولا قَنْطَرةً، ولم يُحسنِ السِّباحةَ. والذي يعبرُها يعرفُ[1] تأويلَها وما تعقبُ، فيكونُ قد جازَ «المَثَلَ» إلى «المعنى» بالمعرفةِ والعلمِ، وصارَ إلى محصولِهِ. وكذلكَ المعتبرُ بالشَّيءِ ينظرُ إليه، فيعرفُ ما يعقبُ.

و«اعتبر» معناه: افتعَلَ، من العبارةِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿فاعتَبِروا يا أُولي الأبصارِ﴾ [الحشر: ٢]، أي اعرفوا عواقبَ الأمورِ التي جعلَها اللّهُ لكم عبرةً، لتكونوا قد عبرتُموها ونجوتُم منَ الغَرَقِ فيها.

وفي الحديثِ «لا خيرَ في تفكُّرٍ لا عبرةَ فيه». يعني أنَّ المتفكِّرَ يجبُ أن يكونَ تفكُّرُهُ عبرةً، أي اعتباراً بالأشياءِ، ونظراً في عواقبِ الأمورِ. ورُوِيَ عن النَّبي صلّى اللّه عليه وآله في الرُّؤيا أنَّها «جزءٌ من ستَّةٍ وأربعينَ جزءاً من النُّبوَّةِ»[2]. وقالوا إنَّها وحيٌ من الملَكِ، يضربُ به الأمثالَ بما يُعاينُ من المَلَكوتِ.

وقالَ صلّى اللّهُ عليه «عبارةُ الرُّؤيا لأوَّلِ عابرٍ»[3]. قالوا: لم يُرِدْ أنَّ كلَّ مَن عبَّرَ الرُّؤيا، من عالمٍ وجاهلٍ، وبرٍّ وفاجرٍ، وقعتِ الرُّؤيا على ما يعبِّرُهُ، لأنَّ الرُّؤيا لا تتغيَّرُ عن أصولِها بعبارةِ عابرٍ لها. وكيف يغيِّرُ مخلوقٌ ما جاءتْ نسختُهُ من الملكوتِ مع ملكِ الرُّؤيا، عن «أمِّ الكتابِ»؟ ولكنَّه أرادَ أنَّ الرُّؤيا إن عبَّرَها الصّادقُ البرُّ العالمُ بأصولِها وفروعِها وباختلافِ الأسبابِ، وأجهدَ نفسَهُ، وفَّقَهُ اللّهُ للصَّوابِ، فوقعَ عليه دونَ غيرِهِ ممَّن يفسِّرُها بعده، وإن كانَ مثلَهُ.

وقالَ صلّى اللّهُ عليه: «الرُّؤيا على رِجْلِ طائرٍ ما لم تُعبَرْ، فإذا عُبِرَتْ وَقَعَتْ»[4].

---

(١) في خ: يفرق.

(٢) سنن الترمذي (٢٢٧٧)، صحيح البخاري (٦٩٨٣)، صحيح مسلم ٧/ ٥٢، سنن ابن ماجة (٣٨٩٣)، تعبير الرؤيا لابن قتيبة ص ٢٥.

(٣) سنن ابن ماجة (٣٩١٥).

(٤) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٤٤٧، سنن ابن ماجة (٣٩١٤)، سنن الترمذي (٢٢٨٥)، وفيه: ما لم يحدث بها، فإذا تحدث بها سقطت.

قالَ: وأتتْه امرأةٌ فقالت: رأيتُ كأنَّ حائزَ[1] بيتي انكسرَ. فقالَ لها: يقدمُ زوجُكِ.

ورأتْ أخرى مثلَ ذلك، فقالَ: لم تجدْهُ، [تريدُ رسولَ اللّهِ][2]، فسألتْ أبا بكر، فقالَ: يموتُ زوجُكِ. فوقعتِ الرُّؤيا بالتَّأويلينِ جميعاً متضادَّينِ[3].

قالَ: وكانَ ابنُ سيرينَ يقول: إنّي أعبِّرُ الرُّؤيا على الحديثِ. يُريدُ أنَّه يعبِّرُ الرُّؤيا على الحديثِ، ويجعلُهُ لها اعتباراً. والعابرُ: النّاظرُ في الأمرِ[4].

ومثلُهُ قولُ اللّهِ عزَّ وجلَّ في قصَّةِ يوسفَ: ﴿ويُعلِّمُكَ من تأويلِ الأحاديثِ﴾ [يوسف: ٦]. قالَ المفسِّرونَ: عبارة الرُّؤيا[5].

قالَ الرّياشيُّ: سمعتُ الأصمعيَّ يقولُ: سمعتُ عجوزاً لنا تقولُ: أعبِّرُ الكتابَ قبلَ أن يُقرأ[6].

وأنشدَ لرؤبةَ في رسمِ دارٍ: [الرجز]

يُبدي لِعينَي عابرٍ ما يفهَمُهْ ... ما فيهِ إلّا أنَّه يترجِمُهْ[7]

وقالَ بعضُ السَّلَفِ: سلِ الأرضَ فَقُلْ لها مَن حفرَ أنهارَكِ، وغرسَ أشجارَكِ، وأخرجَ ثمارَكِ، فإن لم تجبْكَ حواراً أجابتْكَ اعتباراً[8]. هذا على معنى الاستدلالِ. وقد ذكرنا ذلكَ في غيرِ هذا الموضعِ[9].

---

(١) في م وك وج وهـ: جائز بيتي انكسر، وفي ب: حائرة بيتي، وفي خ: حائز، وفي المطبوع من تعبير الرؤيا: جائز بيتي انكسر، وقال المحقق إنها في الأصل: جائزة بيتي انكسرت، وفي غريب الحديث لأبي عبيد: جائز بيتي. والحائز والجائز، كما في اللسان، الخشبة التي تنصب عليها الأجذاع، أي العمود الخشبي الذي يقوم عليه السقف.

(٢) زيادة من تعبير الرؤيا.

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٥٣٢، وابن قتيبة: تعبير الرؤيا ص ٤٨، ونقلها عن أبي عبيد.

(٤) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/ ٥٣٢، ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٦٢٤.

(٥) تفسير الطبري ١٢/ ١٨٢.

(٦) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٦٢٥.

(٧) غريب الحديث ٢/ ٦٢٥، وديوان رؤبة ص ١٤٩- ١٥٠.

(٨) البيان والتبيين ١/ ٧٥، والحيوان ١/ ٣٥، ونسب القول للفضل بن عيسى بن أبان. وانظر مادة (الوحي) سابقاً.

(٩) تنظر مادة (الوحي).

وقالَ صلّى اللّهُ عليه: «إنَّ للرُّؤيا كنىً وأساميَ، فكنُّوها بكُناها، واعتبروا بأساميها، والرُّؤيا لأوَّلِ عابرٍ»[1]. فكأنَّ الرُّؤيا هي الأمثالُ التي يضربُها مَلَكُ الرُّؤيا للإنسانِ في منامِهِ، يكني بها عن أعيانِ الأمورِ. فقولُهُ «فكنُّوها بكُناها» أي مثِّلوا عليها أمثالاً إذا اعتبرتم. وذلك كقولِهم في النَّخلِ إنَّها رجالٌ ذوو أحسابٍ من العربِ، لأنَّ النَّخلَ أكثرُ ما يكونُ ببلادِ العَرَبِ، وفي شجرِ الجوزِ إنَّه رجالٌ من العجمِ، لأنَّه أكثرُ ما يكونُ ببلادِ العَجَمِ، وفي التِّينِ إنَّه ندامةٌ، لأنَّ آدمَ وحوّاءَ خصفا عليهما من ورقِهِ عندَ النَّدامةِ، وفي السَّيفِ إنَّه غلامٌ، فإن انكسرَ غِمدُهُ ماتتْ أمُّهُ وسلمَ. قالَ الفرزدقُ في ذلك: [الطويل]

وجفْنِ سلاحٍ قد رُزئتُ فلم أَنُحْ ... عليه ولم أبعثْ عليه البواكيا[2]
وفي جوفِهِ من دارمٍ ذو حفيظةٍ ... لوِ آنَّ المنايا أنسأتْهُ لياليا

يعني امرأتَهُ، ماتتْ حاملاً.

فسبيلُ الرُّؤيا والتَّعبيرِ، وسبيلُ الأمثالِ والمعاني، وسبيلُ التَّنزيلِ والتَّأويلِ واحدٌ. وكلُّ ذلكَ قريبٌ بعضُهُ من بعضٍ.

[٢٩٦]

العربيُّ والعجميُّ

العربيُّ: المنسوبُ إلى العَرَبِ، وإن لم يكنْ بدويّاً. والأعرابيُّ مَن سكنَ الباديةَ، وإن لم يكنْ من العَرَبِ، وإن كانَ عبداً أو مَولىً. والعجميُّ: المنسوبُ إلى العَجَمِ بالنَّسَبِ، وإن كانَ فصيحاً عربيَّ اللِّسانِ. والأعجميُّ الذي هو أعجمُ اللِّسانِ، وهو الذي لا يُفصِحُ، وإن كانَ عربيَّ النَّسبِ، وإن سكنَ الباديةَ. قالَ أبو عُبيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿لسانُ الذي يلحَدونَ إليه أعجميٌّ﴾ [النحل: ١٠٣] قالَ: أُضيفَ إلى أعجمِ اللِّسانِ[3]. وقالَ في قولِهِ ﴿ولو نزَّلناه على بعضِ

---

(١) سنن ابن ماجة (٣٩١٥).
(٢) تعبير الرؤيا لابن قتيبة ص ١٥٧، التعازي والمراثي للمبرد ص ٨١، زهر الآداب ١/ ٢٣٢، ولم أجدهما في ديوانه.
(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣٦٨.

الأعجمينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨]: يُقال: رجلٌ أعجمُ، إذا كانَ في لسانِهِ عجمةٌ، ورجلٌ عجميٌّ، وليسَ من اللِّسانِ[١]. وأنشدَ لذي الرمَّة: [الطويل]

أُحبُّ المكانَ القفرَ من أجلِ أنَّني   به أتغنّى باسمِها غيرَ مُعجِمِ[٢]

قالَ: والدَّوابُّ كلُّها عُجْمٌ، لأنَّها لا تتكلَّمُ. وجاءَ في الحديثِ «جرحُ العجماءِ جُبارٌ»[٣]، لا تُودَى، أي لا دِيَةَ عليها[٤].

ويُقال: رجلٌ أعجمُ، وقومٌ عُجْمٌ، إذا لم يُفصِحوا. ورجلٌ عَجْميٌّ، وقومٌ عَجَمٌ، إذا لم يكونوا من العربِ. وقالَ عنترةُ في الأعجمِ: [الوافر]

كوحيِ صحائفٍ في عهدِ كسرى   فأهداها لأعجمَ طِمْطِميٍّ[٥]

ويُقال: عنترةُ أيضاً أعجمُ طمطميٌّ. وقالَ كُثَيِّر: [الطويل]

فما بينَ شرقِ الأرضِ والغربِ كلِّها   منادٍ يُنادي من فَصيحٍ وأعجمِ[٦]

الفصيحُ: ضدُّ الأعجمِ.

قالَ ثعلب: يُقالُ قد أفصحَ الرَّجُلُ الأعجميُّ إذا تكلَّمَ بالعربيَّةِ. وفصحَ الرَّجُلُ اللَّحّانُ فصاحةً: إذا حسنتْ لغتُهُ ولم يلحنْ[٧]. والأخرسُ: الذي لا يُفهِمُ الكلامَ ولا يُقيمُهُ. وقالَ الشّاعر: [الكامل]

ومزاجُها صهباءُ فتَّ[٨] ختامَها   قَرِطٌ من الخُرْسِ القِطاطِ مثقَّبُ[٩]

من الخُرسِ: الذين لا يفهمونَ الكلامَ، ولا يُقيمونَهُ.

ويُقال: تعرَّبَ الأعجميُّ: إذا تكلَّمَ بلسانِ العربِ، ودخلَ في جملتِهم، كما

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ٩١.
(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ٩١، وديوان ذي الرمة ص ٦٢٨.
(٣) صحيح مسلم ٥/ ١٢٨، صحيح البخاري (٦٩١٤)، غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٢٥٤.
(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ٩١.
(٥) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ٢/ ١٤٤، وديوان عنترة بن شداد ص ٩٤.
(٦) ديوان كثير ص ٣٣٦.
(٧) الفصيح لثعلب ص ٢٧٥، وقد شرح المؤلف نصه.
(٨) هكذا في ب وديوان الهذليين، وفي م وأخواتها: فضَّ.
(٩) لساعدة بن جؤية، ديوان الهذليين ١/ ١٨٢. قَرِط: ذو قرطة، والخرس: الأعاجم، والقطط: الجعد، ومثقب: مثقوب الأذنين، يصف الخمّار بأنه أعجمي مثقوب الأذنين، أجعد الشعر، وقد لبس أقراطاً.

يُقال: تنزَّرَ: إذا دخلَ في جملةِ نِزار، وتقيَّسَ: إذا دخلَ في جملةِ قَيس[١].

والعَرَبُ المتعرِّبةُ يقال إنَّهم ولدُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ عليهما السَّلام، لأنَّ إسماعيلَ أخذَ اللِّسانَ عن يعربَ بنِ قحطانَ، فقيلَ: تكلَّمَ بالعربيَّةِ، معناه: بلسانِ العَرَبِ[٢]. قالَ: وكانَ حقُّهُ أن يقالَ «يعربيَّة»، إلّا أنَّهم أسقطوا الياءَ لأنَّها ليستْ من نفسِ الكلمةِ. ويُقال لليمنِ «العرب العاربة» لأنَّ اللِّسانَ كانَ لهم. هذا في بعضِ الرّواياتِ، وقد شرحنا ذلك في غيرِ هذا الموضعِ.

فالمتعرِّبُ على ما قلنا هو الدّاخلُ في جملةِ العربِ، المتكلِّمُ بكلامِهم. والمُعْرِبُ هو المبينُ. يُقال: أعربَ: إذا بيَّنَ ما في ضميرِهِ بأيِّ لسانٍ كانَ.

قالَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليه: «الثيِّبُ يُعرِبُ عنها لسانُها»[٣]. قالَ أبو عبيد[٤]: في هذا الحديثِ هو «يُعرِّبُ» عنها لسانُها، بالتَّشديدِ، يُقال: عرَّبتُ عن القومِ: إذا تكلَّمتُ عنهم. قالَ: ومنه الحديثُ في الرَّجُلِ الذي قتلَ رجلاً وهو يقولُ: لا إلهَ إلّا اللّهُ، إنَّما كان يُعرِّبُ عمّا في قلبِهِ لسانُهُ[٥]. وخطَّأَهُ ابنُ قُتَيبةَ وقالَ: هو «يُعرِبُ»، بالتَّخفيفِ، ويُقال: اللِّسانُ يُعرِبُ عن الضَّميرِ، أي يبينُ عنه. والإعرابُ في الكلامِ هو الإفصاحُ والإبانةُ. قالَ: ولم أسمعْ «يُعرِّبُ» بالتَّشديد[٦]. وأنشدَ للكُمَيت: [الطويل]

وجدنا لكمْ في آيِ حاميمَ آيةً ... تأوَّلَها منّا تقيٌّ ومُعرِبُ[٧]

أي رجلٌ يتَّقي على نفسِهِ، فلا يتكلَّمُ ولا يُبدي ذلكَ التأويلَ خوفاً من بني

---

(١) ابن قتيبة: فضل العرب ص ٦١.

(٢) من المحتمل أن هذه الروايات تنتهي بما نقله وهب بن منبه في كتاب التيجان، ص ٣٥، حول كون يعرب بن قحطان أول من تكلم بالعربية، وأن إسماعيل أخذها من أولاده، ص ٩٨. ولذلك فالعرب في الأصل هم أولاد يعرب، أما أولاد إسماعيل، أي عرب الشمال، فمتعربون لاحقاً. والنص من فضل العرب لابن قتيبة ص ٥٩.

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٢٠٨.

(٤) في خ: أبو عبيدة.

(٥) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٢١٠.

(٦) ابن قتيبة: إصلاح غلط أبي عبيد ص ٧٨.

(٧) الهاشميات ص ٣٨.

أميَّةَ، وآخرُ مُعرِبٌ، أي يبينُ ويُفصِحُ به ولا يُبالي[1]. وأنشدَ أيضاً: [الطويل]

وإنّي لأكنو عن قَذورَ بغيرِها ... وأُعرِبُ أحياناً بها فأصارِحُ[2]

ويُروى عن إسحاقَ بنِ يحيى قالَ: سمعتُ مجاهداً يقرأُ قراءةً سليقيَّةً، لا ينبرُ فيها، يعني لا يهمزُ. قالَ: وسألتُ بعضَهم عن «السَّليقيَّة» قالَ: الفصيحة[3]. وأنشدَني: [الطويل]

ولستُ بخطّاءٍ[4] يلوكُ لسانَهُ ... ولكنْ سليقيٌّ يقولُ فيُعرِبُ[5]

«فيعرِبُ» يعني: يبينُ. والتَّقيُّ: ضدّ المعرب، لأنَّ التَّقيَّ يُمسِكُ عن بيانِ ما في ضميرِهِ، والمُعربَ يُبيِّنُهُ. والمُعربُ أيضاً ضدّ الأعجميِّ، لأنَّ الأعجميَّ لا يُحسنُ أن يبينَ. قالَ السَّيِّد: [المتقارب]

ألا ذا إذا متُّ مولاكمُ ... فأفهمَهُ المعرِبُ الأعجميّا[6]

والمتعرِّبُ، بالتَّشديد، هو الذي يرجعُ إلى الباديةِ بعد الهجرةِ. قالَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليه «لا تعرُّبَ بعدَ الهجرةِ»[7]. وتعرَّبَ الرَّجلُ: إذا صارَ أعرابيّاً. وإنَّما قيلَ له «أعرابيّ» لأنَّه دخلَ في جملةِ العربِ. وعرَّبَ في كلامِهِ معناه تكلَّمَ بالإعرابِ. والإعرابُ الفصاحةُ وتقويمُ الكلامِ حتّى لا يلحنَ. ويُقال: عرَّبَ، فهو معرِّب: إذا تكلَّمَ بالإعرابِ ولم يلحنْ. قالَ الشّاعر: [الطويل]

إذا ركبتْ نجداً غنيٌّ فما لَنا ... بنجدٍ ولا أقطارِهِ من معرِّبِ

ويُقال: هل عندَكَ من معرِّبةٍ خبرٌ[8]؟ فالمعرِّب: الذي يُعربُ كلامَهُ ويقوِّمُهُ. ومن أجلِ ذلكَ قالوا للمُعرِبِ «فصيح»، لأنَّه يبيّنُ كلامَهُ ويميِّزُهُ. ثمَّ قيلَ لكلِّ مُبينٍ

---

(١) ابن قتيبة: إصلاح غلط أبي عبيد ص ٧٨.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ١٦٥، ابن السكيت: إصلاح المنطق ص ١٤٠، ابن قتيبة: إصلاح غلط أبي عبيد ص ٧٩، لسان العرب، (عرب).

(٣) ينظر في السليقي: نوادر أبي مسحل ص ٣٤٢.

(٤) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: بخطال.

(٥) في لسان العرب ٦/ ٣٣٥، مادة (سلق) بلا نسبة: ولست بنحوي.

(٦) ديوان السيد الحميري ص ٤٦٣.

(٧) النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٠٢.

(٨) في م وأخواتها: خبير. وفي ج: من مغربة.

«فصيح». قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وأخي هارون هُوَ أفصحُ منّي لِساناً﴾ [القصص: ٣٤]. قالَ أبو عُبَيدة: كانتْ في لسانِهِ عقدةٌ[1].

والفصاحةُ أصلُها البيانُ. ويُقال للفرسِ والبعيرِ، إذا كان صافيَ الصَّهيلِ وصافيَ الهديرِ، إنَّه لفصيحُ الصَّهيلِ وفصيحُ الهديرِ. وقالَ غيرُهُ: إنَّما قالَ فِرعَونُ لقومه ﴿أم أنا خيرٌ من هذا الذي هُوَ مَهينٌ ولا يكادُ يبينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]، إنَّما قالَ للعقدةِ التي كانتْ في لسانِهِ.

فالعربيُّ خلافُ العجميِّ، وهما في النَّسَبِ.

والمعربُ خلافُ الأعجمِ، وهما من اللِّسانِ.

والمعربُ أيضاً خلافُ التَّقيِّ، وهما من البيانِ والإمساكِ.

والأعرابيُّ ضدُّ المهاجرِ، وهو من الهجرةِ والتَّعرُّب. وقد ذكرنا ذلك في بابِ المهاجرينَ.

والفصيحُ خلافُ الأعجمِ، وهما في اللِّسانِ.

والمعربُ خلافُ اللَّحّانِ.

[٢٩٧]
اللَّحن

اللَّحنُ: الخطأُ في الكلامِ. يُقال: فلانٌ يلحَنُ في الكلامِ، إذا لم يُعرِبْ، فيرفعُ ما سبيلُهُ أن يُنصَبَ، وينصبُ ما سبيلُهُ أن يُرفَعَ. فهذا يُقالُ له «اللَّحن». وإنَّما قيلَ له «لحن» لأنَّه كلامٌ يلتبسُ، فلا يكونُ مميَّزاً، ويكونُ معدولاً عن جهتِهِ. وأصلُ اللَّحنِ الرمزُ. يُقال: لحنَ له لحْناً: إذا رمزَ له بكلامٍ يُخفيهِ عن غيرِهِ.

وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وآله أنَّه بعثَ رَجُلينِ إلى بعضِ الثُّغورِ عَيناً، فقالَ لهما: «إذا انصرفتُما، فالحنا لي لحناً»[2]. كأنَّه أحبَّ صلّى اللّهُ عليه أن لا يقفَ عليه المسلمونَ كلُّهم. فلعلَّهما يُخبرانِ عن العدوِّ بالبأسِ والشِّدَّةِ، فتنكسرَ قلوبُهم. فقالَ لهما: الحنا لي لحناً. أي ارمُزا لي رمزاً.

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ١٠٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢٤١.

وقالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وَلَتعرفنَّهُم في لَحْنِ القَولِ﴾ [محمد: ٣٠]، قالَ قومٌ من المفسِّرينَ: فيما يومئُ بعضُهم إلى بعضٍ بالإشارةِ دونَ التَّصريح. وقالَ غيرُهُ: في لحنِ القَولِ: في قصدِهِ. فسُمِّيَ اللَّحنُ في العربيَّةِ بذلك لأنَّه ملتبسٌ، وليس بمعروفٍ. قالَ ابنُ أحمرَ: [الطويل]

وتعرفُ في عنوانِها بعضَ لحنِها　　　وفي جوفِها صمعاءُ تُبلي النَّواصِيا[1]

يصفُ صحيفةً، أي يعرفُ في عنوانِها ما قد أُخفِيَ في جوفِها، ولم يظهرْ.

وقالَ جحدر بن مالك الأسعديُّ[2]: [الوافر]

لَقِدماً هاجني فازددتُ شوقاً　　　بكاءُ حَمامتَينِ تُجاوبانِ[3]
تَجاوَبَتا بلحنٍ أعجميٍّ　　　على غُصْنَينِ من غَرَبٍ وبانِ

فجعلَ صوتَهما لحناً، لأنَّه ليسَ بكلامٍ يُفهَم.

ويُقال لنوعٍ من القراءةِ «لحن»، وجمعُهُ «ألحان». ويُقال: يقرأُ بالألحانِ، وينشدُ بالألحانِ، وهو من القراءةِ.

والنَّشيد: ما يُضجَّعُ ويُمَدُّ به الصَّوتُ ويُحَسَّنُ، حتّى كأنَّه رمزٌ لشدَّةِ تضجيعِهِ والتَّنغُّم ومدِّ الصَّوتِ به، حتّى لا يُفطَنَ لتلكَ القراءةِ. والنَّشيد سُمِّيَ «لحناً» لذلك.

ويُقال إنَّ كلامَ الملائكةِ هو شِبْهُ الألحانِ لحسنِهِ وحلاوتِهِ وأنَّه على نحوِ هذه الألحانِ. ويُقال له «ألحان».

ويُقال رَجُلٌ «لَحِن»: إذا كانَ فَطِناً. ومنه حديثُ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه: «لعلَّ أحدَكم يكونُ ألحَنَ بِحُجَّتِهِ من الآخرِ»[4]. ويكونُ معنى قولِ النَّبيِّ «ألحَن بحجَّتِهِ»،

---

(١) المعاني الكبير ص ٨٢٨، وشعر عمرو بن أحمر ص ١٧٤، والرواية فيه: تحكي الدواهيا. والصمعاء: الداهية الكبيرة.
(٢) في م وأخواتها: الأشعري.
(٣) في الكامل للمبرد ١/ ١١٧ والعقد الفريد ٥/ ٤٠٦ لجحدر العكلي ولهما ثالث:
فكان البان أن بانت سليمى　　　وفي الغَرَبِ اغترابٌ غير دانِ
والثاني والثالث في غريب الحديث ٢/ ٥١٥ بلا نسبة، وفي عيون الأخبار ١/ ١٨٥: للمعلوط. وفي قصيدة طويلة لسوار بن المضرب في الأصمعيات ص ٢٣٤، والاختيارين ١١٣.
(٤) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/ ٤٠.

أي أقوَمُ بها وأحسَنُ أداءً، لأنَّ الإعرابَ[1] أيضاً يُقال له «لحن». وفي حديثِ عُمَر: تعلَّموا اللَّحنَ والفرائضَ والسُّنَّةَ، كما تَعلَّمونَ القرآنَ[2]. قالَ أهلُ اللُّغة: اللَّحنُ هاهنا الإعرابُ. وسُمِّيَ الإعرابُ «لحناً» لأنَّه يبيِّنُ اللَّحنَ والخطأَ، ولأنَّه يدلُّ على مواضعِ اللَّحنِ.

وإنَّما قيلَ للفَطِنِ «لَحِن» لأنَّه يفطنُ لما يلتبسُ على غيرِهِ، وللمرموزِ من الكلامِ الذي هو اللَّحنُ.

وذكرَ الزياديُّ عن الأصمعيِّ وأبي زيد، قالا: اللَّحن: اللُّغة، وإنَّما قالا: اللَّحن: اللُّغة، لأنَّ كلَّ لغةٍ هي معدولةٌ عن الأخرى، فسُمِّيَتْ «لحناً» لذلك.

وفي حديثِ معاويةَ أنَّه قالَ: كيفَ ابنُ زيادٍ؟ قالوا: ظريفٌ، إلا أنَّه يلحَنُ. قالَ: أوَليسَ ذلك اللَّحنُ أظرفَ له[3]؟ قالَ ابنُ قُتَيبَةَ: قوله «يلحنُ» يعني اللَّحنَ الذي هو خطأٌ. وذهبَ قومٌ[4] إلى أنَّ اللَّحنَ هو الفِطنةُ هاهنا. والخطأُ يُقال له «اللَّحْن»، بسكونِ الحاءِ، والفطنةُ يُقال لها «اللَّحَن»، بفتحِ الحاءِ[5]. قالوا: وإنَّما قالَ معاويةُ في ابنِ زيادٍ حينَ قيلَ له إنَّه يلحنُ «أوليسَ ذلك أظرفَ له»، لأنَّ الإعرابَ يُستثقلُ في كثيرٍ من الكلامِ، واللَّحنَ يُستخفُّ ويُستملَحُ في بعضِ المواضعِ. وأنشدَ: [الخفيف]

منطقٌ صائبٌ وتلحنُ أحيا ... ناً وأحلى الحديثِ ما كان لحْنا[6]

فأرادَ هاهنا اللَّحنَ، الذي هو الخطأُ، كأنَّه استملحَهُ من المرأةِ، واستثقلَ الإعرابَ[7].

---

(١) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: الإعداد.
(٢) أبو عبيد: غريب الحديث ٢/ ٤٣، ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٦١.
(٣) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٤١٧.
(٤) قوم: في غريب الحديث: معاوية.
(٥) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٤١٨.
(٦) لمالك بن أسماء بن خارجة في البيان والتبيين ١/ ١٣٧، ١/ ١٩٩، الشعر والشعراء ٢/ ٧٦٨، مجالس ثعلب ٢/ ٥٣١، أمالي المرتضى ١/ ٤١، الحور العين ص ١٨٥.
(٧) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٤١٩.

[٢٩٨]

الرَّفع والنَّصب والخفض

قالَ الخليلُ بنُ أحمدَ: إنَّما سُمِّيَ الرَّفعُ «رفعاً» لأنَّه أوَّلُ شيءٍ يُرفَعُ لك، وإنَّما سُمِّيَ النَّصبُ «نصباً» لأنَّه منتصبٌ بين يديكَ، وسُمِّيَ الخفض «خفضاً» لأنَّه فُصِلَ من كلامٍ. فالرَّفعُ إنَّما ارتفعَ من أسفلَ إلى أعلى، والنَّصبُ يخرجُ مستوياً بين الرَّفعِ والخفضِ، والخفضُ أساسُ النَّصبِ والرَّفعِ. والنَّصبُ: الانتصابُ، والمنصوبُ: القائمُ. وأنشدَ: [البسيط]

لم يبقَ من عرشِها إلّا دعائمُهُ   جِذْلانِ منهدمٌ منها ومنصوبُ[١]

المنصوبُ: القائمُ، والمنهدمُ: الساقطُ. وأنشدَ أيضاً: [الوافر]

تُنادي ساقَ حرَّ وظلَّ يدعو   حماماً ناصبينَ بِهِ الكلاما[٢]

ناصبين: رافعينَ أصواتاً. والنَّصبُ: رفعُ الصَّوتِ بالغناءِ، جعلَ صوتَهُ وصوتَها كلاماً. وساقَ حرَّ: ذَكَرُ القماري. والخفض: الإمالة. قالَ زُهَير: [الطويل]

بأوشكَ منه أن يُساورَ[٣] قرنَهُ   إذا شالَ عن خفضِ العوالي السَّوافلُ[٤]

والمخفوض: المصروع. وأنشدَ: [الكامل]

وَضَعَ النَّعاماتِ الرِّجالُ بِرَيدِها   من بين مخفوضٍ وبين مظلَّلِ[٥]

النَّعامات: خشبٌ تُرفَعُ ويُلقى عليها الثّمام، يُستظَلُّ به. وقالَ آخرُ: [الكامل]

خَفَضوا أَسِنَّتَهم وكلٌّ ناعِ[٦]

خفضوها: أمالوها للطَّعنِ. ويُقال: خفِّضْ عليكَ: أي هوِّنْ عليك. وأنشدَ في الخفضِ والرَّفعِ: [البسيط]

---

(١) لأبي خراش الهذلي في ديوان الهذليين ٢/ ١٦٠. وجذلان: عودان.

(٢) لصخر الغي في أشعار الهذليين بشرح السكري ص ٢٩٢، وديوان الهذليين ٢/ ٦٦، برواية مختلفة، وساق حرَّ، بالبناء، ذكر القمارى.

(٣) هكذا في الديوان، وفي ب: يناول، وفي م وأخواتها: ينازل.

(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب ص ٢١٦.

(٥) لأبي كبير الهذلي في أشعار الهذليين للسكري ص ١٠٧٧، وديوان الهذليين ٢/ ٩٧، النعامة: خشبتان تستعملان كمظلة، والريد: الحرف الناتئ في الجبل.

(٦) المعاني الكبير ص ٨٨٣، وفي الأصمعيات ص ٦٩ للأجدع بن مالك وأوله: حيّانِ من قومي ومن أعدائهم.

يرفعُها الآلُ أحياناً ويخفضُها　　　كالدَّوم يعمِدْنَ للأشرافِ أو قَطَنِ[1]

وأنشدَ في الخفضِ والنَّصبِ للكُمَيتِ بن زيد الأسديِّ[2]: [المنسرح]

تـخـفَـضُـهـم تـارةً وتـنـصـبُـهـم　　　إذا طـفـوا فـوقَ آلِـهـا رَسَـبـوا[3]

[٢٩٩]

الجزم

الجزمُ: القطعُ، ومنه: جزمتُ على فلانٍ، أي قطعتُ عليه. وجزمَ عليَّ، أي قطعَ.

ويُقال: الفعلُ مجزومٌ، إذا لم يلزمْه الإعرابُ، كأنَّه مقطوعٌ عن الإعرابِ.

وفي حديثِ إبراهيمَ النَّخعيِّ قالَ: التَّكبيرُ جزمٌ، والقراءةُ جزمٌ، والتَّسليمُ جزمٌ[4]. قالَ ابنُ قُتيبة: يعني القراءةُ جزمٌ، أي لا تُمَدُّ المدَّ المفرطَ، ولا تُهمزُ الهمزَ الفاحشَ[5]. ويُقال: جزمتُ القربةَ: إذا ملأتُها. قالَ الشّاعر: [المتقارب]

فـلـمّـا جَـزَمـتُ بـه قِـرْبـتـي　　　تَـيَـمَّـمـتُ أطـرِقـةً أو خَـلـيـفـا[6]

جزمتُ: ملأتُ. وأطرقةٌ، جمعُ طريقٍ، والخليفُ: طريقٌ يكونُ خلفَ الجبلِ.

وقالَ آخرُ: [الطويل]

لآبَ بنعميً أو لكانتْ ملاحمٌ　　　عِظامٌ ترى منها النُّسورَ جوازما[7]

يعني أنَّها تشبعُ فتمتلئ[8].

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب ص ٩٨، والدوم: شجر، والأشراف: الأرض، وقطن: اسم جبل. وقد شبه الشاعر الظعائن بحركة تمايل شجر الدوم واقترابه من الأرض أو الجبل.

(٢) للكميت: زيادة من م وأخواتها وهـ، لم ترد في ب.

(٣) ديوان الكميت ص ٥٨٦.

(٤) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٦٣٢.

(٥) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٦٣٣.

(٦) الشعر لصخر الغي في اللسان مادة (جزم)، وانظر: ديوان الهذليين ٢/ ٧٦.

(٧) لم يرد في ديوان امرئ القيس بشرح السكري، ولا في طبعة المعارف في القصيدة ص ١٣١، وهو في ديوانه بشرح النحاس ص ٢٠٧.

(٨) وردت العبارة في ب فقط: يعني أنه يشبع فيمتلئ. والضمير عائد على النسور. وقد شرح النحاس البيت: جوازم: ممتلئة من الشبع، من قولك: جزمت القربة، ملأتها.

[٣٠٠]

الهمز

وقومٌ يكرهونَ الهمزَ في القرآنِ. قالَ: حجَّ الكسائيُّ مع المهديِّ، فقدَّمَهُ بالمدينةِ، وصلّى بالنّاسِ، فهمزَ، فأنكرَ ذلك أهلُ المدينةِ، وقالوا: ينبرُ[١] في مسجدِ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه، كأنَّه ينشدُ الشِّعرَ[٢]. ورُوِيَ عن جعفر بن محمَّد عليه السَّلام أنَّه كانَ يكرهُ الهمزَ في القرآنِ. قالَ أبو عُبَيدة في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿مِن هَمَزاتِ الشَّياطينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧]، قالَ: همزُ الشَّيطانِ ولمزُهُ هو غمزُهُ إيّاه وطعنُهُ فيه[٣]. قالَ أبو عمرو: الهُمَزة: الذي يغتابُ النّاسَ. قالَ أبو القاسم العُمَريُّ المقرئُ[٤] بإسنادٍ له عن إسماعيلَ بن عبدِ اللّهِ بن قسطاسَ، قالَ: سمعتُ أبا جعفر القارئَ يقولُ: إنّا لا نهمزُ، ولا ننبرُ، ولا نطحرُ. والطَّحرُ: الصَّوتُ[٥] يخرجُ من صدرِ حمارِ الوحشِ والحمارِ الأهليِّ، إذا أثقلوا حملَهُ، مثلَ الأنينِ. قالَ السَّيِّد:

كـأنَّـهـم حـمـيـرٌ تـطـحـرُ[٦]

يُقال: طَحَرَ، يطحَرُ، ويطحُرُ، إذا زَحَرَ[٧]. وطَحَرَتِ العينُ قذاها، تطحَرُهُ، إذا دفعتْه. قالَ إسحاقُ بن يحيى: سمعتُ مجاهداً يقرأُ قراءةً سليقيَّةً، لا ينبرُ فيها. يعني: لا يهمزُ. فالهمزُ يُقال له النَّبْرُ والطَّحرُ والهتُّ. ويُقال: هتَّ، يهتُّ، إذا تكلَّمَ بالهمزِ. وأصلُ الهمزِ: العَصْرُ والدَّفعُ[٨]. يُقال: همزَ رأسَهُ، وهمزتُ الجوزةَ بكفّي. وأنشدَ: [الرجز]

ومَـن هَـمَـزْنـا رأسَـهُ تـهـشَّـمـا[٩]

---

(١) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: ينبز.

(٢) يبدو أن الكسائي عرف بالهمز في بداية حياته العلمية، انظر: أنباه الرواة ٢/٢٥٩.

(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/٦١، وفيه: وقمعه فيه.

(٤) هكذا في م وه، وفي ب: البصري. وقد سبق التعريف به في مقدمة المؤلف.

(٥) في ك: والفجر صوت.

(٦) هكذا يرد البيت في الأصول مرتبكاً وناقصاً.

(٧) في الأصول: إذا رجز.

(٨) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: القصر والدفع. وفي المعاجم: الهمز: العصر.

(٩) ديوان رؤبة ص ١٨٤، وانظر اللسان، مادة (همز).

وقالَ آخرُ: [الطويل]

إذا شمَّرتْ بالناسِ شهباءُ لاقحٌ عَوانٌ شديدٌ هَمْزُها فأضلَّتِ[1]

هَمْزُها: دفعُها. وسُمِّيَتِ الهمزةُ في الحرفِ لأنَّها تُهمَزُ، فتنهمزُ عن مخرجِها. وقيلَ لأعرابيٍّ: أتهمزُ الفأرةَ[2]؟ فقالَ: السّنورُ يهمزُها، كأنَّه لم يعرفِ الهمزَ في الكلامِ، فذهبَ إلى المعنى. وإنَّما قيلَ للذي يغتابُ النّاسَ «هُمَزة» و«هَمّاز»، لأنَّه يعيبُ النّاسَ ويعصرُهم[3] ويدفعُهم عن فضلِهم.

[٣٠١]
الإضافة

الإضافةُ: الإمالةُ. يُقال: هو مُضافٌ إليه، أي مُمالٌ إليه. قالوا: وسُمِّيَ الضَّيف «ضيفاً» لأنَّه ضافَ، أي مالَ وعدلَ. وقالَ آخرُ: الإضافةُ أن يُنسَبَ الشَّيءُ إلى مالكِهِ وربِّهِ وصاحبِهِ، ويُلجَأَ إليه. وأنشدَ لطرفةَ: [الطويل]

وكَرِّي إذا نادى المُضافُ مُحنَّباً كَسِيدِ الغضا نبَّهتَهُ المتورِّدِ[4]

والمُضاف: المدرَكُ المُلجَأُ، يعني يكرُّ إذا ناداه الملجَأُ، واستغاثَ به. وقالَ آخرُ [الطويل]

وكنتُ إذا جاري دعا لمضوفةٍ أشمِّرُ حتّى ينصُفَ[5] السّاقَ مِئزري[6]

المضوفة: الأمرُ الذي تُشفِقُ عليه[7]. وقالَ آخرُ [الوافر]

---

(١) ديوان الأعشى ص ٣٤.

(٢) أي أن السؤال يتعلق بوضع الهمزة على كلمة (فأرة)، أو حذفها (فارة)، وفهم الأعرابي منه الهمز، بمعنى الدفع، فقال إنما يدفعها القط والسنور.

(٣) في م وأخواتها: يقصرهم.

(٤) ديوان طرفة بن العبد ص ٢٩. والمعنى أنني أكر إذا نادى المستصرخ على فرس متهيأ للقتال مثل الذئب الذي يرد المياه وقد نبهته.

(٥) هكذا في م وأخواتها، وديوان الهذليين، وفي ب: يبلغ.

(٦) مجاز القرآن ١/ ١٧٠، إصلاح المنطق ص ٢٤١، المعاني الكبير ص ١١١٩، وهو لأبي جندب الهذلي في ديوان الهذليين ٣/ ٩٢.

(٧) إصلاح المنطق ص ٢٤١.

به أحمي المضافَ إذا دعاني ونفسي ساعةَ الفَزَعِ الفِلاطِ[1]

أي فجاءةٌ[2]. وقالَ الأعشى: [الخفيف]

فخمةٌ يلجأُ المضافُ إليها ورعالٌ موصولةٌ برعالِ[3]

وله أيضاً: [المتقارب]

طويلُ العمادِ رفيعُ الوسادِ يحمي المُضافَ ويُعطي الفقيرا[4]

المضافُ: الذي ألجأَهُ الخوفُ إليه. ويُقال: أضافَ الرَّجُلُ إذا عدلَ والضَّيفَ ناحيةَ الوادي. وضافَ: أشفقَ. والمضوفة: الأمرُ الذي يُشفَقُ عليه.

وامتحانُ الإضافةِ المحضةِ باللامِ الزّائدةِ. واللامُ الزّائدةُ يُقال لها «لام الملك»، نحوَ قولِكَ: ما لَكَ وما لي، [أي مَن][5] ملكَ ذلكَ [المالَ][6]. فما جازتْ فيه اللامُ الزّائدةُ فإضافتُهُ محضةٌ، نحو قولك: ثوبُ محمَّدٍ، فإضافتُهُ محضةٌ لأنَّ اللامَ تحسنُ فيه. فإذا قلتَ: ضاربُ زيدٍ، فلا تجوزُ فيه اللامُ الزّائدةُ، وإضافتُهُ غيرُ محضةٍ. فقد دلَّكَ أنَّ الإضافةَ الإلجاءُ.

[٣٠٢]

التَّرخيم

التَّرخيمُ: القولُ بغيرِ حقيقةٍ، وهو أن يحذفَ المتكلِّمُ حرفاً من آخرِ الكلمةِ. فإذا أرادَ أن يقولَ «يا مالِكُ»، قال: «يا مالِ». ورُوِيَ أنَّ أميرَ المؤمنينَ عليّاً عليه السَّلام قرأَ ﴿ونادوا يا مالِ ليقضِ عَلَينا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. وهو كثيرٌ في كلامِ العربِ. قالَ ابنُ مقبل: [البسيط]

---

(١) للمتنخل في ديوان الهذليين ٢/٢٦.

(٢) زيادة من م وك وه، لم ترد في ب وج وخ. والفلاط: الذي يأتيك فجأة.

(٣) ديوان الأعشى ص ١٦٨.

(٤) ديوان الأعشى ص ٨٧.

(٥) زيادة منا لم ترد في الأصول، بغيرها يضطرب المعنى. ووردت (ملك) وحدها في بعض النسخ.

(٦) المال: هكذا في جميع الأصول. وأرجح أنها زائدة، لأن الحديث عن لام التملك، لا عن المال، مثل (الثوب لمحمد).

يا حُرَّ أمسيتُ شَيخاً قد وَهَى بَصَري والتاثَ ما دونَ يومِ البعثِ من عُمُري[1]

أرادَ: «يا حرَّةُ»، فحذفَ الهاءَ. وقالَ الهذليُّ: [الكامل]

أَزُهَيرَ هل عن شيبةٍ من مَصْرفِ[2]

أرادَ «يا زُهَيرَةُ»، فحذفَ الحرفَ الأخيرَ للتَّرخيمِ.

وأصلُ التَّرخيمِ التَّرقيقُ، كأنَّه يرقِّقُ القولَ به، إذا رخَّمَهُ. والرَّخمة: الرِّقَّة. قالَ الشّاعرُ: [البسيط]

مُستودَعٌ خَمَرَ الوعساءِ مرخومُ[3]

وقد ذكرناه في غيرِ هذا الموضعِ.

[٣٠٣]

الإدغام

الإدغامُ أن يدخلَ حرفٌ[4] على حرفٍ آخرَ من جنسِهِ، فَيَصيرا[5] حرفاً واحداً، كقولِكَ: «كرَّ، يكرُّ». وإنَّما هو في الأصلِ «كرَّر»، فأُدغِمَتْ إحدى الرّاءَينِ في الأخرى. ومثله: عدَّ، يعدُّ، وهو في الأصلِ: عدَّدَ. وأصلُ الإدغامِ إدخالُ أحدِ الحرفينِ في الآخرِ. ويُقال: أدغمتُهُ فيه: أدخلتُهُ. قالَ الشّاعرُ: [البسيط]

بِمُقَرَّباتٍ بأيديهِمْ أعنَّتُها خوصٍ إذا فَزِعوا أُدغِمْنَ في اللُّجُمِ[6]

أُدغِمْنَ: أُدخِلَتْ رؤوسُها في اللُّجُمِ.

[٣٠٤]

معنى الأب والأمّ

يُقال: هذا أبو الشَّيءِ وأُمُّهُ، أي صاحبُهُ القائمُ بأمرِهِ، العالمُ به. قالَ مجاهدٌ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿هؤلاءِ بناتي﴾ [هود: ٧٨]، قالَ: النِّساء. وقالَ: كلُّ نبيٍّ

(١) حماسة البحتري ص ٣٩٧، الشعر والشعراء ١/٤٤٧، ديوان تميم بن مقبل ص ٦٩.
(٢) لأبي كبير في ديوان الهذليين ٢/١٠٤، وهو مطلع قصيدة بعده: أم لا خلود لباذلٍ متكلفِ.
(٣) ديوان ذي الرمة ص ٥٧٠. وأوله: كأنها أم ساجي الطرف أخدرها.
(٤) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: أن تُدخِلَ حرفاً.
(٥) في جميع الأصول: فيصيران، وهو معطوف على منصوب.
(٦) لساعدة بن جؤية في ديوان الهذليين ١/٢٠٣.

هو أبو أُمَّتِهِ[1]. قالَ أبو عبيد: وهذا شبيهٌ بما يُروى في قراءةِ أُبيٍّ ﴿النَّبيُّ أولى بالمؤمنينَ من أنفسِهم وأزواجُهُ أُمَّهاتُهم﴾ [الأحزاب: ٦] (وَهُوَ أَبٌ لهُمْ)[2]. وفي الحديثِ: وهو أبو عُذرتِها، أي أوَّلُ مَن مسَّها وافتضَّها[3]. قالَ: والأبوَّةُ والأخوَّةُ: الولاءُ. قالَ الشّاعر: [الطويل]

أبو منزلِ الأضيافِ يغشونَ بابَهُ ... ويعرفُ حقَّ النّازلينَ جريرُ[4]

يعني أنَّه صاحبُ منزلٍ للأضيافِ. وقالَ آخرُ: [الرجز]

منّا أبو الضَّيفِ ومُعطي السّائلِ

وقالَ آخرُ: [الطويل]

أواقدُ لا آلوكَ إلّا مهنَّداً ... وجلدَ أبي ثورٍ وثيقِ القبائلِ[5]

جلد أبي ثور: يعني ترساً عُمِلَ من جلدِ ثورٍ متينٍ شديدٍ. ويُقال: أنا أبو هذا الأمرِ وأمُّهُ، أي صاحبُهُ والعارفُ به. قالَ الشّاعر: [الرجز]

يُدني إذا ناهزَهُ قالَ اقبلِ ... للأرضِ من أمِّ القرادِ الأطحلِ[6]

أمُّ القراد: يعني مؤخَّرَ الرِّسغِ، فوقَ الخفِّ، يجتمعُ فيه القِردانُ. وقالَ آخرُ: [الطويل]

إذا ما انتحتْ أُمَّ الطَّريقِ ترسَّمتْ ... رثيمَ الحصى من مَلْكِها المتوضِّحِ[7]

أمُّ الطَّريقِ: معظمُها، وهو الذي يرجعُ إليه الطَّرق. ويُقال لأهلِ الرَّجُلِ: أمُّ مثواه، ومثواه: منزلُهُ الذي يأوي إليه، والثَّواءُ: الإقامةُ. سُمِّيَت «أمَّ مثوى» لأنَّها صاحبةُ منزلِهِ، ويكونُ قصدُهُ ورجوعُهُ إليها. قالَ آخرُ: [الطويل]

---

(١) تفسير الطبري ١٢/ ١٠١.
(٢) تفسير الطبري ٢١/ ١٤٠.
(٣) النهاية في غريب الحديث ٣/ ١٩٦.
(٤) البيت لجرير في النقائض ١/ ٣٦، وديوانه ٢/ ٨٧٨. وفيهما: يغشون ناره. وفي ديوان كثير عزة ص ١٦٦ بيت مشابه:

لنعمَ أبو الأضيافِ يغشون ناره ... وملقى رحال العيس وهي لغوبُ

(٥) لأبي خراش في المعاني الكبير ص ١١٠٢، وديوان الهذليين ٢/ ١٣٩، وفيهما: وجلد أبي عجل، والمقصود الترس، أي ليس لك عندي سوى السيف والترس.
(٦) ديوان أبي النجم ص ٣٥٦.
(٧) ديوان الطرماح ص ١٠٣. والرثيم: المتكسر، ومَلْك الطريق: وسطها.

وفي كلِّ يومٍ أمُّ مثوى تعودُني تنفُضُ أثوابي وتسألُني ما اسمي[1]

ويُقال للجلدةِ التي تضمُّ الدِّماغَ «أمُّ الدِّماغِ»، فإذا شُجَّ الرَّجُلُ، وبلغتِ الشَّجَّةُ تلك الجلدةَ[2]، فهو رجلٌ مأمومٌ وأميمٌ. قالَ الشّاعرُ: [الطويل]

يكبو لليدَينِ أميمُها[3]

وقالَ آخرُ: [الطويل]

وَصُبَّ عليها الطِّيبُ حتّى كأنَّها أسيٌّ على أمِّ الدِّماغِ حجيجُ[4]

قالَ: وإنَّما سُمِّيَتِ الأمُّ «أُمّاً» لأنَّ الولدَ يؤمُّها، أي يقصدُها ويتبعُها. ويُقال: أمَّ الشَّيءَ، يؤمُّهُ، إذا تبعَهُ وقصدَهُ.

[٣٠٥]

الابن والابنة

ابنُ الشَّيءِ صاحبُهُ المهتدي لأسبابِهِ. وتقولُ العربُ للعالمِ بالبلدةِ هو «ابنُ بجدتِها»، أي العالمُ بها، المقيمُ فيها، يعني البلدةَ. والبجدةُ: التُّرابُ. قالَ كعب بن زُهَير: [الكامل]

فيها ابنُ بجدتِها يكادُ يذيبُهُ وقدُ النَّهارِ إذا استذابَ الصَّيخدُ[5]

يصفُ فلاةً. وابنُ بجدتِها يعني: الحرباءَ، أي أنَّه عالمٌ بها ومقيمٌ فيها. وقالَ آخرُ: [الكامل]

خافا عَميرةَ أن يُصادفَ وِردَها وابنُ البُلَيدةِ قاعدٌ بالمرصدِ[6]

---

(١) في ديوان طرفة بن العبد ص ٨٢ بلا نسبة، والمعاني لابن قتيبة، وأساس البلاغة، مادة (ثوي).

(٢) من التي تضم الدماغ: لم ترد في هـ.

(٣) الشطر جزء من بيت للبعيث المجاشعي في النقائض ١/١٠٩، وشعره ص ٢٤، وتمامه:

تعرضتَ لي حتى ضربتك ضربةً على الرأس يكبو لليدين أميمُها

(٤) لأبي ذؤيب في ديوان الهذليين ١/٥٨.

(٥) الصيخد: عين الشمس، والشطر الثاني بلا نسبة في اللسان، مادة (صخد)، وفي أساس البلاغة للطرماح، وهو في ديوانه ص ١١٣. واستذاب الصيخد: في جميع الأصول: استدار.

(٦) ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب ص ١٩٦.

ابنُ البُلَيدة: المقيمُ بالبَلَدِ، العالمُ به. قالَ أميَّةُ الهذليُّ: [المتقارب]

فـأسـلـكـهـا مـرصـداً حـافـظـاً به ابنُ الدُّجى لاصقاً كالطّحالِ[1]

ابن الدُّجى هو الصّائدُ الذي يكونُ في القترةِ، يرصدُ الوحشَ. وقالَ آخرُ: [الطويل]

بنو الحربِ أُرضِعنا بها مُقْمَطِرَّةً فمن يُلقَ منا يُلقَ سِيدٌ مُدَرَّبُ[2]

مُقْمَطِرَّة: مُنتَفِشَةٌ متهيِّأةٌ للشَّرِّ، وبنو الحربِ: أي البُصَراءُ بها، العالمونَ بأسبابِها. وقالَ آخرُ: [الطويل]

نشأنا بني حربٍ تربَّتْ صغارُنا إذا هيَ تُمْرى بالسَّواعد دَرَّتِ[3]

أي نشأنا في الحربِ فنحنُ أبناؤُها العالمونَ بها. وقالَ آخرُ: [الكامل]

أبـنـاءَ حـربٍ مـاهـريـنَ بـهـا تُغذَى صِغارُهُمُ بحسنِ غِذاءِ[4]

وقالَ آخرُ: [البسيط]

يمشي إليها بنو هَيجا وأخوتُها شُمّاً مخاميصَ لا يعكونَ بالأُزُرِ[5]

يعني أنَّهم عارفونَ بالحربِ، منسوبونَ إليها. وقالَ الكُمَيت: [الطويل]

بكَ اجتَمَعَتْ أنسابُنا بعدَ فُرْقةٍ فنحنُ بنو الإسلامِ نُدعَى ونُنسَبُ[6]

وكلُّ شيءٍ عُرِفَ بشيءٍ ونُسِبَ إليه فهو ابنُهُ. ويُقال للقلوبِ «بنات الجوفِ». وأنشدَ: [البسيط]

فقامَ في سِيَتَيها فانتحى فَرَمى وسهمُهُ لبناتِ الجوفِ مسّاسُ[7]

انتحى: تحرَّفَ وقصدَ، وبناتُ الجوفِ يعني الأفئدةَ. ويُقال للنِّساءِ: بناتُ اللَّيلِ، لأنَّهنَّ يتحدَّثنَ باللَّيلِ، ويؤنَسُ بهنَّ. قالَ ابنُ أحمرَ: [الطويل]

---

(١) لأمية بن أبي عائذ في ديوان الهذليين ٢/ ١٨٣.

(٢) لحذيفة بن أنس في ديوان الهذليين ٣/ ٢٥.

(٣) لجنادة بن عامر في ديوان الهذليين ٣/ ٢٩، والقافية فيه: كرت.

(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب ص ٢٤٧.

(٥) ديوان تميم بن مقبل ص ٧٥. ويعكون: في بعض النسخ: يعلون. وعكا بإزاره: إذا شده على بطن ضخم. والمقصود أنهم ليسوا بضخام البطون.

(٦) ديوان الكميت ص ٥٢٥.

(٧) لمالك بن خالد الخناعي في ديوان الهذليين ٣/ ٣.

فباتتْ بناتُ اللَّيلِ حوليَ عُكَّفاً عكوفَ البواكي بينَهنَّ صَريعُ[1]

ويُقال للأحداثِ والمصائبِ والنَّوائبِ «بنات الدَّهرِ». قالَ آخرُ: [الطويل]

وأفنى بناتُ الدَّهرِ أربابَ ناعطٍ بمستمعٍ دونَ السَّماءِ ومَنْظَرِ[2]

وقالَ آخرُ: [الطويل]

رمتْني بناتُ الدَّهرِ من حيثُ لا أرى فكيفَ بمن يُرمى وليسَ برامي[3]

ويُقال للوحشِ «بنات الفلاةِ» و«بنات الملا»، لأنَّها مقيمةٌ فيه: قالَ الشّاعرُ: [الطويل]

عليلٌ على لِبّاتِ بيضٍ كأنَّها بناتُ الملا منها المقاليتُ والنُّزُرْ[4]

بناتُ الملا يعني هاهنا بقرَ الوحشِ، شبَّهَ النِّساءَ بها لحسنِ أعينِها.

فكأنَّ ابنَ الرَّجلِ وابنتَهُ سُمِّيَ بذلك للزومِهِ إيّاه وعلمِهِ بأسبابِهِ وإقامتِهِ معَهُ وإلفِهِ بِهِ.

[٣٠٦]

الأخ والأخت

يُقال: هذا أخو كذا، أي صاحبُهُ، وأخو بني فلانٍ، أي صاحبُهم المنسوبُ إليهم. وكذلك أختُ بني فلانٍ، يعني منسوبةً إليهم. ويُقال: أخو قيسٍ، وأخو عبسٍ: المنسوبُ إليهم. وأخو الحربِ، قالَ الشّاعر: [الطويل]

أخو الحربِ إن عضَّتْ به الحربُ عضَّها وإن شمَّرتْ عن ساقِها الحربُ شَمَّرا[5]

وقالَ امرؤُ القيسِ: [الطويل]

عشيَّةَ جاوزْنا حِماه وسيرُنا أخو الجهدِ لا يلوي على مَن تعذَّرا[6]

---

(١) لا يوجد في شعر عمرو بن أحمر، وهو في ديوان الطرماح ص ١٨٤.

(٢) الإكليل للهمداني ٨/ ٤٠، ونسبه لعلقمة. والبيت في ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص ٥٥.

(٣) ثمار القلوب للثعالبي ص ٢٣٤، بلا نسبة، والشعر لعمرو بن قميئة في ديوانه ص ٤٥.

(٤) ديوان الحطيئة بشرح السكري ص ٤٩.

(٥) ديوان حاتم الطائي ص ٢٣١، وديوان الهذليين ٣/ ٢١، وديوان زيد الخيل الطائي ص ١٠٨.

(٦) ديوان امرئ القيس ص ٦٢، باختلاف في الرواية.

أخو الجهدِ، أي شديدٌ مجهودٌ. ويُقال: أخو الجهدِ: مَثَلُ الجهدِ. وقالَ الأعشى: [المتقارب]

أليسَ أخو الموتِ مُستوثقاً عليَّ وإن قلتُ قد أنْسَأنْ[1]

أخو الموتِ، يعني القدرَ.

والأخوَّةُ: الولاءُ. ويُقال: هذا أخو حيِّهِ. قالَ أوس: [الطويل]

أخو غَلَقٍ في ليلتينِ مؤجَّلُ[2]

يعني صاحبَ رهنٍ قد غلقَ رهنه. وقالَ آخرُ في الأختِ: [البسيط]

يا أختَ آلِ شهابٍ قد علمتِ إذا هابَ الحمالةَ بكرُ الثلَّةِ الجذَعُ[3]

قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿يا أختَ هارونَ﴾ [مريم: ٢٨]، وإنَّما كانتْ مريمُ من آلِ هارونَ[4]، فَنُسِبَتْ إليه على ما رواه أهلُ التَّفسير[5]. وقالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وإلى ثمودٍ أخاهم صالحاً﴾ [الأعراف: ٧٣]. وهو في القرآنِ والشِّعرِ كثيرٌ.

[٣٠٧]

العمُّ والخال

العمُّ من العمومِ، والخالُ من الخصوصيَّةِ، لأنَّ العمَّ ليس بمحرمٍ لأهلِ الرَّجُلِ، والخالَ محرمٌ لها. فالعمُّ سبيلُهُ في بيتِ الرَّجُلِ سبيلُ العامّةِ، والخالُ سبيلُهُ سبيلُ الخاصّةِ. قالَ طَرَفةُ: [الرمل]

قُدُماً تنضو إلى الدّاعي إذا خلَّلَ الداعي بدعوىً ثمَّ عمّ[6]

خلَّلَ: يعني خصَّ. وعمَّ: دعاهم عامّةً. ويقال: تخلَّلَ القومَ، إذا دخلَ

---

(١) ديوان الأعشى ص ٢٠٥. وفي الأصول بعض التحريف.

(٢) ديوان أوس بن حجر ص ٩٤، وفيه:

على العمر واصطادت فؤاداً كأنَّه أبو غلقٍ في ليلتين مؤجَّلُ

(٣) في منتهى الطلب ١/٣٥٣ لتميم بن مقبل، وهي في ديوانه ص ١٣٨، وفي كليهما: يا بنت آل شهاب.

(٤) في ب: من ولد هارون.

(٥) سقطت من هـ.

(٦) البيت في الأصول مرتبك، وقد نقلته من ديوان طرفة بن العبد ص ١١٠.

بينَهم، كأنّه مختصٌّ بهم. قالَ أبو النَّجم: [الرجز]

ظلَّتْ وورِدٌ صادقٌ[1] من بالِها   وظلَّ يوفي الأكَمَ ابنُ خالِها[2]

يصفُ الحميرَ، وابنُ خالِها: لكثرةِ ما يوفي على الجبالِ والآكامِ، لأنَّه أبداً على رابيةٍ يرعاها حَذَراً من القنّاصِ.

ويُروى عن عليٍّ كرَّم اللّه وجهَهُ أنَّه تمثَّلَ فقالَ: [الرجز]

ماذا يُريني اللَّيلُ من أهوالِهِ   أنا ابنُ عمِّ اللَّيلِ وابنُ خالِهِ

إذا دجى دخلتُ في سربالِهِ[3]

يعني العامَّ فيه والخاصَّ، والمعمومَ به والمخصوصَ، وهو مَثَلٌ ضربَهُ لظُلمةِ الفتنِ، أي لا يهولُني منها شيءٌ.

[٣٠٨]

اليتيم

اليتيمُ: المنقطعُ عن أبيه وأُمِّهِ، المفارقُ لهما. وكلُّ مَن فارقَ شيئاً فقد يُتِمَ منه. وتيتَّمتِ المرأةُ عن زوجِها، إذا ماتَ عنها زوجُها، وانقطعتْ عنه. قالَ: وأنشدَني الهرثميُّ بيتَ الحُطَيئة: [الطويل]

أفاطمُ إنّي هالكٌ فتبيَّني   ولا تجزعي كلُّ النِّساءِ يئيمُ[4]

من الأيم. قالَ الهرثميُّ: أنشدَني هذا البيتَ مَن لا أثقُ به هكذا. قالَ: قلنا: مَن هو؟ قال: قُطرُب. قالَ: وقالَ ابنُ الأعرابيِّ: كلُّ النِّساءِ يتيمُ. قالَ: وكانَ يحكيه عن المفضَّلِ. قالَ: وكلُّ مَن فارقَ شيئاً فقد تيتَّمَ منه. يُقال: يتمَ الغلامُ من أبيه وأمِّهِ، ويتمَ الرَّجُلُ من أخيه وصاحبِهِ. فكأنَّه يكونُ مقروناً به، ثمَّ يفارقُ

---

(١) في الأصول: طارق.

(٢) ديوان أبي النجم ص ٣٨٧.

(٣) البصائر والذخائر للتوحيدي ٦/ ١٨٥، ونسبها للعنبري، ونسبها الثعالبي للإمام علي في ثمار القلوب ص ٢٢٦.

(٤) لم أجده في ديوان الحطيئة بطبعة دار الجيل، ولا طبعة شرح السكري، ولا طبعة النعمان. والبيت مع آخر في معاني القرآن للفراء ١/ ١٨٥، بلا نسبة نقلاً عن المفضل الضبي، والبيت للبرجمي في نوادر أبي زيد ص ١٢٦، والفاضل للمبرد ص ٨٣، وانظر الزاهر ١/ ٢٢٧.

مقارنتَهُ. ومنه «الدُّرَّةُ اليتيمةُ»، لأنَّها لا شبيهَ لها ولا قرينَ، وكأنَّها منقطعةٌ عن كلِّ قرينٍ وشبيهٍ.

[٣٠٩]

الخمر والنَّبيذ والمسكر
وأسماؤها واشتقاق ما جاء فيها

قالَ ابنُ قُتَيبة: أجمعَ النّاسُ على أنَّ ما غلى وقذفَ بالزَّبَدِ[١] من عصيرِ العنبِ من غيرِ أن تمسَّهُ النارُ خمرٌ، وأنَّه لا يزالُ خمراً حتّى يصيرَ خلّاً. واختلفوا في الحالِ التي تخرجُ من منزلةِ الخمرِ إلى منزلةِ الخلِّ، فقال بعضُهم: هو أن يتناهى في الحموضةِ، حتّى لا يبقى فيها مستزادٌ. وقالَ آخرونَ: هو أن تغلبَ عليها الحموضةُ، وتفارقَها النَّشوةُ. قالَ: وهذا هو القولُ، لأنَّ الخمرَ ليستْ محرَّمةَ العينِ، كما حُرِّمَ عينُ لحمِ[٢] الخنزيرِ، إنَّما حُرِّمتْ لعرضٍ دخلَها. فإذا زايلَها ذلك العرضُ عادتْ حلالاً، كما كانتْ قبلَ الغَلَيانِ حلالاً[٣]. قالَ: ومثلُ الخمرةِ ممّا أُحلَّ بعرضٍ، وحُرِّمَ بعرضٍ، المسكُ، كانَ دماً عبيطاً حراماً، ثمَّ جفَّ، فحدثتْ فيه رائحةٌ، فصارَ طيِّباً حلالاً[٤].

والخمرُ تُتّخذ من أشياءَ كثيرةٍ. قالَ أبو موسى: خمرُ المدينةِ من البُسرِ والتَّمرِ، وخمرُ أهلِ فارسَ من العنبِ، وخمرُ أهلِ اليمنِ من البتعِ، وهو نبيذُ العَسَلِ الذي يتَّخذُهُ أهلُ مصرَ وأهلُ اليمنِ. ولأهلِ اليمنِ أيضاً «المزر»، وهو من الشَّعيرِ[٥]، و«السُّكُرْكة» من الذّرة[٦]، وهي الغُبَيراءُ التي نهى رسولُ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليه عنها،

---

(١) زيادة من م وأخواتها والأشربة لابن قتيبة.

(٢) لحم: لم ترد في الأشربة.

(٣) ابن قتيبة: كتاب الأشربة ص ٢٠، والعقد الفريد ٦/ ٣٥٥.

(٤) ابن قتيبة: كتاب الأشربة ص ٢١.

(٥) قال أبو عبيد في غريب الحديث ١/ ٣٩٣ إنه من الذرة، وهو الصحيح. وهو شراب كان يصنع في بابل، ويطلق عليه «مزر» أيضاً، وورد ذكره في النقوش اليمنية القديمة أيضاً بالاسم نفسه. وانظر الحديث في غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٥٢٧.

(٦) أبو عبيد: غريب الحديث ٥/ ٣٠٤، قال: السكركة بالحبشية، وهو شرابهم. والعقد الفريد ٦/ ٣٧٨.

وقالَ: هي خمرُ العالمِ[١].

وقالَ عُمَر: الخمرُ من خمسةِ أشياءَ؛ من البُسرِ[٢]، والشَّعيرِ، والتَّمرِ، والزَّبيبِ، والعَسَلِ[٣]. ولها أسماءُ كثيرةٌ، يُقال لها «الخمر» و«الرّاح» و«العُقار» و«الرَّحيق» و«السُّلافة» و«الكأس» و«الدّاذيّ» و«الطِّلا» و«الشَّمول» و«القَهوة» و«المُدامة» و«المُدام» و«القَرْقَف» و«المُشَعشعة» و«الخُرْطُوم» و«الصَّرخديَّة».

هذه أسماءُ الخمرِ وصفاتُها.

قالَ قومٌ: سُمِّيَتْ خمراً لأنَّها تُخمَّرُ، ومعناه تُغَطَّى حتّى تنشَّ[٤]. والمسكرُ يُخمَّرُ، فهو خمرٌ مثلُها. وقالَ غيرُهُ: إنَّ اللَّبَنَ يُخمَّرُ بروبةٍ تُلقى فيه، ويُترَكُ حتّى يروبَ، وإنَّ العجينَ يُخمَّرُ بخميرةٍ، فيُترَكُ حتّى يتخمَّرَ، ولا يُسَمَّى اللَّبَنُ والعجينُ بالخميرِ «خمراً»[٥]. وقالَ قومٌ: سُمِّيَت خمراً لأنَّها خامرتِ العقلَ، و«خامرتْهُ» معناه: خالطتْهُ حتّى لبَّستْ عليه، فأصارتْهُ إلى حالٍ لا يعقلُ، فكأنَّه لا يرى رشدَهُ، قد حيلَ بينَهُ وبينَ عقلِهِ بغطاءٍ. ومنه سُمِّيَ «خمارُ» المرأةِ، لأنَّه يغطّي شعرَها حتّى لا يُرى. وفي الحديثِ: «أوكوا أسقيتَكم، وخمِّروا آنيتَكم»[٦]، أي غطُّوا رؤوسَها.

والخمرُ ما واراكَ من شَجَرٍ أو غيرِهِ. قالَ لبيد: [الطويل]

ألفتُكَ حتّى أخمرَ القومُ ظِنَّةً عليَّ بنو أمِّ البنينَ الأكابرُ[٧]

أخمروا: أي ستروا في صُدُورِهم التُّهمةَ.

وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه، يرويه ابنُ عُمَر: «كلُّ مُسكِرٍ خمرٌ، وكلُّ مُسكِرٍ حرامٌ»[٨]. فسمَّى كلَّ مسكرٍ «خمراً»، لأنَّه خامرَ العقلَ حتّى سترَهُ، وحالَ بينَهُ وبينَ شاربِهِ. فسمّاه خمراً لذلك.

---

(١) الأشربة لابن قتيبة طبعة كرد علي ص ٧٩، والطبعة الثانية ص ١١٩.

(٢) هكذا في جميع الأصول، وفي الأشربة والعقد الفريد: من البر.

(٣) الأشربة لابن قتيبة، طبعة كرد علي ص ٧٩، والثانية ص ١٢٠، والعقد الفريد ٦/ ٣٧٨.

(٤) في أساس البلاغة: الخمر تنشُّ إذا أخذت تغلي.

(٥) الأشربة لابن قتيبة ص ٤٩.

(٦) ينظر: الحيوان للجاحظ ٥/ ١٢١، وغريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٣٢٧.

(٧) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص ٢١٥.

(٨) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: كل مسكر حرام. وهو حديث رواه ابن قتيبة عن ابن عمر في الأشربة ص ٢٤.

ويُقال للرَّجُلِ «مخمور» و«به خُمار»: إذا أصابَهُ الصُداعُ بعد السُّكرِ. ويُقال ذلك لكلٍّ مَن شربَ شراباً يسكرُ منه، وإن لم يكُنِ الخمرَ، التي لا يُختلَفُ في تحريمِها. وشاربُ النَّبيذِ لا يُقال «به نُباذ». قالَ قومٌ: إنَّما لم يقولوا «به نُباذ» لأنَّ «الخُمارَ» اسمٌ قديمٌ، كانَ أهلُ الجاهليَّةِ يعرفونَهُ، وكانوا يعرفونَ اسمَ «الخمرِ»، ولا يسمُّونَهُ «نبيذاً». فقيلَ لمن أصابَهُ ذلك «خمار» على ما سبقَ به الاسمُ الأوَّلُ.

وقالَ قومٌ: سُمِّيَت «راحاً» لأنَّها حَسَنَةُ الرَّوحِ(١)، فاشتُقَّ لها اسمٌ من ذلك. قالَ: وأصل الرَّاح والرُّوح والرَّوح(٢) من موضعٍ واحدٍ، فخالفوا بينَها في البناءِ، ليدلَّ كلُّ واحدٍ منها على معناه. قالَ: وقد سمّاها بعضُ النّاسِ «رُوحاً». قالَ النَّظَّام: [البسيط]

ما زلتُ آخذُ روحَ الدَّنِّ في لَطَفٍ وأستبيحُ دَماً من غيرِ مجروحِ
حتّى انثنيتُ ولي روحانِ في جَسَدي والزِّقُّ مطَّرحٌ جِسْماً بلا روحِ(٣)

وقالَ غيرُهُ: أصلُ الرّاحِ الرَّوحُ، على «فَعَل»، فقُلِبَتْ واوُهُ أَلِفاً، لمّا انفتحتْ وانفتحَ ما قبلَها، ثمَّ اشتقُّوا الرَّيحانُ من ذلك. والرَّوحُ طيبُ النَّسيمِ، فقيلَ «ريحان» لطيبِ رائحتِهِ، وكذلك سُمِّيَتْ «راحاً» لطيبِ رائحتِها.

وسُمِّيَت «عقاراً» لأنَّها عاقرتِ الدَّنَّ، أي بقيتْ فيه زماناً. والمعاقرةُ إدمانُ السُّكرِ(٤). قالَ الهُذَليُّ: [الطويل]

عقارٌ بَدَتْ من أذرُعات كأنَّها [إذا سُكِبَتْ من دنِّها ماءُ مَفْصِلِ](٥)

وقالَ المتلمِّس: [الوافر]

---

(١) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: الريح.
(٢) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: وأصل الراح والروح.
(٣) تأويل مختلف الحديث ص ٢١، الأشربة ص ٥٦، طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٧٢، العقد الفريد ٦/ ٣٨٤، قطب السرور ص ٣٨، ونسبهما الآمدي لأبي نؤاس في الموازنة ص ٨٨.
(٤) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: إدمان حصان الشراب.
(٥) ورد الشطر الأول فقط في م وأخواتها، وسقط من ب. والبيت في ديوان كثير عزة ص ٢٩٠. وفيه: وما قرقف من أذرعات كأنها.

عُقاراً عُتِّقتْ في الدَّنِّ حتّى كأنَّ حُبابَها حَدَقُ الجرادِ[1]

وقالَ الهُذَليُّ في الرَّحيقِ: [الكامل]

أم لا سبيلَ إلى الشَّبابِ وذكرُهُ أشهى إليَّ من الرَّحيقِ السَّلْسَلِ[2]

وقالَ علقمةُ في «الكأسِ»، وهو كنايةٌ عنها بالكأسِ الذي يُشرَبُ فيه: [البسيط]

كأسٌ عزيزٌ منَ الأعنابِ عتَّقَها لبعضِ أربابِها حانيَّةٌ حُومُ[3]

وقالَ المسيَّبُ في «السُّلافة»: [الكامل]

وكأنَّ طعمَ الزَّنجبيلِ بهِ إذ ذقتَهُ وسُلافةَ الخمرِ[4]

وقالَ قومٌ: «الطِّلا» ليسَ بخمرٍ، إنَّما هو ما طُبِخَ من عصيرِ العِنَبِ حتّى يذهبَ ثُلْثاهُ، ويُرَدَّ عليه الماءُ. وكأنَّها سُمِّيَت «طِلا» لثخنِها، لأنَّه إذا أُفرِطَ في طبخِها صارتْ ثخينةً. وذكرَها بعضُ الشُّعراءِ، فزعمَ أنَّ الطِّلا هي الخمرُ، ولكنَّهم كنَّوا عنها باسمِ «الطِّلا»، يريدونَ التَّرخُّصَ فيها، فقالَ: [المتقارب]

هي الخمرُ تُكْنى [بأمِّ][5] الطِّلا كما الذِّئبُ يُكنى أبا جَعدةْ[6]

وقالَ آخرُ: [الخفيف]

ونبيذُ الزَّبيبِ ما اشتدَّ منه فهو للخمرِ والطِّلاءِ نسيبُ[7]

ففرَّقَ بينَ «الخمرِ» و«الطِّلاءِ»، وبين «الطِّلاءِ» و«النَّبيذِ»، وجعلَ الطِّلاءَ شبيهاً بهما. وقيلَ لأعرابيّ: ما تشتهي؟ فقالَ: شِواءً وطِلاءً وغِناءً.

---

(١) في ب: كأنَّ حياتها. والبيت في الحيوان للجاحظ ٥/٥٦١، والزهرة للأصفهاني ص ١٦٨، وديوان المتلمس ص ١٦٦. والحباب فقاقيع الخمرة. والبيت شبيه بقول القائل:

إذا قطبت في الماء خلتَ بكأسها أكارعَ نملٍ أو عيون جرادِ

انظر: قطب السرور ص ٤٥.

(٢) لأبي كبير، ديوان الهذليين ٢/٨٩.

(٣) أشعار الشعراء الستة الجاهليين للأعلم الشنتمري ص ١٥٦، وديوان علقمة ص ٦٨.

(٤) للمسيب بن علس في الأشربة ص ٥٤، والشعر والشعراء ١/١٧٣، وشعره المجموع في الصبح المنير ص ٣٥٢.

(٥) زيادة من المصادر، لم ترد في الأصول.

(٦) لعبيد بن الأبرص في غريب الحديث لأبي عبيد ١/٣٩٥، والأشربة ص ٨١، وأمثال أبي عبيد ص ٨٨، والأغاني ٢٢/٦٥.

(٧) البيت لابن شبرمة في الأشربة ص ٢٢، العقد الفريد ٦/٣٥٦،

وسُمِّيَتِ «الشَّمول» لأنَّها تشتملُ على عقلِ صاحبِها[1]. وقالَ آخرُ في «الشَّمولِ»: [الوافر]

ولكنّي سأشربُها شمولاً ... وآكلُ ما تفوزُ به قِداحي[2]

و«الشَّمول» نعتٌ لها، وليسَ باسمٍ. وقالَ الأعشى: [الكامل]

من قهوةٍ باتتْ ببابلَ صفوةٍ ... تَدَعُ الفتى ملكاً يميلُ مصرَّعا[3]

وقالَ النّابغة في «المُدامِ»: [الوافر]

إذا فُضَّتْ خواتمُهُ علاهُ ... يبيسُ القُمَّحانِ منَ المُدامِ[4]

وقالَ الأعشى: [الكامل]

ومُدامةٍ ممّا تعتِّقُ بابلٌ ... كدمِ الذَّبيحِ سلبتُها جِرْيالَها[5]

ويروى: «وسبيئةٍ ممّا تعتِّقُ»[6]، يعني سُبِيَتْ، أي اشتُريتْ. وسُئِلَ الأعشى عن معنى قولِهِ «سلبتُها جِريالَها»، فقالَ: شربتُها حمراءَ وبلتُها بيضاءَ.

وقالَ عمرو بن كلثوم في «المشعشعة»: [الوافر]

مشعشعةً كأنَّ الحُصَّ فيها ... إذا ما الماءُ خالطَها سَخِينا[7]

والمشعشعة نعتٌ لها، وليسَ باسمٍ.

وقالَ آخرُ في «الصَّرخديَّة» و«العُقار»: [الطويل]

كأنَّ الكرى سقّاهمُ صَرْخديَّةً ... عُقاراً تَمَشَّى في المطا والقوائمِ[8]

---

(١) سقطت من ب.

(٢) ديوان الأخطل ١٥٤، والأشربة ص ٦١، والعقد الفريد ٢/ ٧٢.

(٣) للأعشى في الأشربة ص ٥٨، والشعر والشعراء ١/ ٢٥١، والصبح المنير ص ٢٤٨، ولم يرد في طبعة بيروت من ديوانه.

(٤) ديوان النابغة الذبياني ص ١٣٢. والقمحان: الذريرة أو الزبد الذي يعلو الخمرة. انظر: قطب السرور ص ٤٥.

(٥) الأشربة ص ٥٦، ديوان الأعشى ص ١٥٠.

(٦) السبيئة، على ما يبدو، كلمة سامية قديمة تعني الخمر. وقد أطلقت «ملحمة جلجامش» على ساقية الخمر وصاحبة الحانة اسم «سابيتم».

(٧) الأشربة ص ٥٦، وديوان عمرو بن كلثوم ص ٦٤.

(٨) للجرباء بنت عقيل بن علفة في الأشربة ص ٢٩.

وقالَ آخرُ في «الدّاذيِّ»: [الطويل]

شَرِبنا منَ الدّاذيِّ حتّى كأنَّنا ... ملوكٌ لهم برُّ العِراقينِ والبحرُ[1]

ويُقال لها «النَّبيذ» و«المسكر» و«الجمهوريّ» و«النَّقيع» و«المثلَّث». وهذه الأسماءُ[2] يزعمونَ أنَّها ليستْ بخمرٍ، ويترخَّصونَ في شربِها.

و«الجمهوريُّ» هو المعسَّل.

و«النَّقيع» ما يُنقَعُ من التَّمرِ والزَّبيبِ.

و«المُسكِرُ» أيضاً نبيذُ التَّمر.

و«المثلَّثُ» سُمّيَ بذلك لأنَّه يُغلَى حتّى يذهبَ ثُلثاه.

وسُمّيَ «نبيذاً» لأنَّه يُتَّخذُ ويُنبَذُ، أي يُترَكُ، ويُعرَضُ عنه حتّى يبلغَ. وقالَ آخرونَ: بل سُمّيَ «النَّبيذ» بذلك لأنَّهم كانوا يأخذونَ القبضةَ من الزَّبيبِ والتَّمرِ، فينبذونَها في السِّقاءِ، أي يُلقونَها فيه[3].

فهذه الأسماءُ ما كانَ منها قديماً جاءَ عن أهلِ الجاهليَّةِ، فهي أسماءُ الخمرِ التي هي محرَّمةٌ في الكتابِ، لا اختلافَ في تحريمِها. وما كانَ من أسمائِها التي حدثتْ في الإسلامِ فهي أسماءُ للمسكرِ والشَّرابِ الذي يَترخَّصُ في شربِهِ قومٌ، ويخالفُهم آخرونَ. ومنها أسماءُ هي أسماءُ للظُّروفِ التي تُتَّخذُ فيها هذه الأشربةُ، جاءَ فيها النَّهيُ والكراهةُ عن النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه، وروى فيها قومٌ أحاديثَ في الرُّخَصِ.

رُوِيَ عنه عليه السَّلام أنَّه نهى عن الدُّبّاءِ والحَنْتمِ والمزفَّتةِ والنَّقيرِ[4]. والدُّبّاء: القَرْعُ، والحَنْتَمُ: الدَّنُّ، وجمعُهُ: حناتمُ، كأنَّها سُمّيَت بذلك لألوانِها، لأنَّها سودٌ،

---

(١) هكذا في بيتين في الكامل للمبرد ١/١٠١، وبرواية أخرى: ملوكٌ لنا برُّ العراقِ إلى البحرِ، في لسان العرب ٤/٤٣٨ مادة (دوذ)، والداذي: نبات حبه يشبه الشعير، يصنع منه شراب مسكر. وانظر حول إعداد الداذي عند البغداديين: الرسالة البغدادية للتوحيدي ص ٣١٢، ونشوار المحاضرة ٣/١٤١. وقد ورد الشطر الأول فقط في م وأخواتها، وورد البيت كاملاً، ولكن مشوهاً، في ب: ملوك لنا بين العراقين إلى البحر.

(٢) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: الأسامي.

(٣) الأشربة لابن قتيبة ص ٢١.

(٤) ينظر غريب الحديث لأبي عبيد ١/٤٠٠، والأموال ص ١٩.

وربَّما كانَ ذلك لطولِ ما كانَ يُتَّخذُ بها. وكذلك المزفَّتُ هو إناءٌ[١] يُعالَجَ بالزِّفتِ والقيرِ. وأمّا النَّقيرُ فهو خَشَبٌ يُنقَرُ جوفُهُ ويُنبَذُ فيه.

وفي حديثٍ آخرَ أنَّه نهى صلّى اللّهُ عليه عن نبيذِ الجرِّ. والجرُّ أيضاً هو الإناءُ من الخزفِ، يُنبَذُ فيه. ولم يحرِّمْ صلّى اللّهُ عليه الآنيةَ، إنَّما حرَّمَ ما يكونُ فيها من الشَّرابِ، لأنَّهم كانوا يتَّخذونَهُ في هذه الأواني. فكنى بها عن ذكرِ الشَّرابِ.

وقد رُوِيَ عنه صلّى اللّهُ عليه أنّه قالَ: «اشربوا في كلِّ وعاءٍ، ولا تشربوا مُسكِراً»[٢]. وفي حديثٍ آخرَ رواه أصحابُ الرُّخَصِ: «اشربوا في كلِّ وعاءٍ ولا تسكروا»[٣]، وإنَّما أرادَ هؤلاءِ الرُّخَصَ في شربِ القليلِ من المسكرِ[٤]. واحتجُّوا أيضاً بحديثِ ابنِ عبّاس: «حُرِّمَتِ الخمرُ بعينِها قليلُها وكثيرُها والسُّكْرُ من كلِّ شرابٍ»[٥]. وقالوا: إنَّما حُرِّمَ السُّكرُ، لا المُسكِرُ. فأينَ هم عن حديثٍ رواه ابنُ عُمَر عن رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه: «كلُّ مُسكِرٍ خمرٌ، وكلُّ مُسكِرٍ حرامٌ»[٦].

قالوا: إنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ لم يُحَرِّمْ شيئاً إلّا لعلَّةِ الاستعبادِ. ولو كانَ تحريمُ الخمرِ للسُّكرِ لما أطلقَها اللّهُ للأنبياءِ والأُمَمِ قبلَنا، فقد شربَها نوحٌ عليه السَّلام، حينَ خرجَ من السَّفينةِ، واغترسَ الحَبَلَةَ[٧]، حتّى سكرَ منها، وبَدَتْ عورتُهُ، فرآه حامٌ على تلكَ الحالِ، فأطلعَ عليه سائرَ أخوتِهِ. فأخذَ سامٌ ثوباً ثمَّ مشى القهقرى، فسترَ عورةَ أبيه. فلمّا أفاقَ باركَ على سامٍ، ولعنَ حاماً، وقالَ: إنَّ أولادَ حامٍ

---

(١) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: أن يعالج.

(٢) الأشربة لابن قتيبة ص ٧٣.

(٣) الأشربة لابن قتيبة ص ٧٣.

(٤) نقل الجاحظ عن بشر المريسي (المتوفى سنة ٢١٨) أنه ألف كتاباً في تحليل النَّبيذ، وأهداه إلى المأمون، وقد طعن فيه محمد بن أبي العباس الطوسي وهاجمه، حتى إذا حضر المريسي المجلس، سأله المأمون: ما تقول في النَّبيذ؟ قال: فقلت: حل طلق يا أمير المؤمنين، فقال: فما تقول فيما أسكر كثيره؟ قلت: لعن اللّه قليله إذا لم يسكر كثيره». الجاحظ: الرسائل ١/ ٣٤٣. وانظر حجج تحليل النَّبيذ وتحريمه في الأشربة لابن قتيبة ص ٤١، والعقد الفريد ٦/ ٣٨٢، ورأي الجبائي في نشوار المحاضرة ٣/ ١٤٣.

(٥) الأشربة لابن قتيبة ص ٤١.

(٦) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٣٣٦، الأشربة ص ٢٤، العقد الفريد ٦/ ٣٨٠.

(٧) اغترس الحبلة: زرع شجرة الكرم والعنب.

يكونونُ عبيداً لأولادِ سامٍ من أجلِ ما فَعَلا[١]. قالوا: وشربَها لوط، وشربَها المسيحُ، ليلةَ رُفِعَ. وهي حلالٌ في الشّرائعِ المتقدِّمةِ بلا اختلافٍ، وشربَها المسلمونَ زماناً في صدرِ الإسلام[٢] قبلَ أن ينزلَ تحريمُها، ووضعوا لها أساميَ كما ذكرنا مثلَ النّبيذِ والنّقيعِ والمثلّثِ وغيرِ ذلكَ. واحتجُّوا بما يشربُهُ النّاسُ إلى يومِنا هذا من شرابِ السّقايةِ.

وقالوا: لو كانَ حراماً لما صارَ ذلكَ سُنّةً، ولا ثبتَ المسلمونَ على شربِهِ. وَرَوَوا عن ابنِ عبّاس أنَّ رسولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه طافَ راكباً، وهو شاكٍ، وكانَ يستلمُ الحجرَ بِمِحجنِهِ. فلمّا قضى طوافَهُ، نزلَ وصلّى، وأتى السّقايةَ فقالَ: اسقوني ممّا يشربُ النّاسُ. فأُتِيَ بقَدَحٍ من نبيذٍ، فذاقَهُ، فقطَّبَ، فقالَ: هلمُّوا، فصبُّوا عليه ماءً. ثمَّ قالَ زِدْ فيه، مرّتينِ أو ثلاثاً، ثمَّ قالَ: إذا صنعَ بكم هكذا، فاصنعوا به هكذا[٣].

ورووا عن زيد بن عليٍّ عن آبائِهِ عن رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه أنَّه قالَ: تنزلُ أُمّتي منازلَ بني إسرائيلَ حذوَ القُذّةِ بالقُذّةِ والنّعلِ بالنعلِ، حتّى لو أنَّ رجالاً من بني إسرائيلَ نُكِحتْ نساؤُها في الأسواقِ، كانَ في أُمّتي مَن يفعلُ ذلك. ألا وإنَّ اللّهَ ابتلى بني إسرائيلَ بنهرِ طالوتَ، أحلَّ منه الغَرْفةَ، وحرَّمَ منه الرِّيَّ. ألا وإنَّ اللّهَ قد جعلَ فيكم النّبيذَ، أحلَّ منه الرِّيَّ، وحرَّمَ منه السُّكرَ[٤].

وقالوا: النّبيذُ ما اتُّخذَ من الزّبيبِ والتّمرِ وغيرِهما من المستخرجِ بالماءِ، أو تُرِكَ حتّى يغليَ، وحتّى يسكنَ[٥]. وسمّيَ «نبيذاً» لأنَّه كانَ يتّخذُ ويُنبذُ، أي يُتركُ ويُعرَضُ عنه، حتّى يبلغَ[٦]. وقالوا: لو كانَ ماءَ الزّبيبِ قبلَ أن يُغلى ما اختُلِفَ فيه. واحتجُّوا بقولِ القائلِ: [الخفيف]

---

(١) ينظر: سفر التكوين ٩: ٢٠- ٢٧.

(٢) النص إلى هنا من الأشربة لابن قتيبة ص ٤٩ مع بعض الزيادات.

(٣) الأشربة لابن قتيبة ص ٤٢.

(٤) الأشربة لابن قتيبة ص ٤٩.

(٥) الأشربة لابن قتيبة ص ٢١.

(٦) الأشربة لابن قتيبة ص ٢٢.

ونبيذُ الزَّبيبِ ما اشتدَّ منه فهو للخمرِ والطّلاءِ نسيبُ[1]

وقالَ آخرُ: [المتقارب]

تركتُ النَّبيذَ وشرّابَهُ وصرتُ خديناً[2] لمن عابَهُ
شرابٌ يضلُّ سبيلَ الرَّشادِ ويفتحُ للشَّرِّ أبوابَهُ[3]

قالوا: سمّاه نبيذاً وهو يفعلُ هذا الفعلَ.

ورُوِيَ عن النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه خدرُ الوجهِ من النَّبيذِ تتناثرُ منه الحَسَناتُ. قالوا: وماءُ الزَّبيبِ لا يخدِّرُ منه الوجهُ، ولا تتناثرُ منه الحَسَناتُ[4]. والنَّبيذُ غيرُ الخمرِ. ومن أجلِ ذلكَ سُمِّيَ نبيذاً. فأينَ هم عن أسمائِها التي قد ذكرناها وعن صفاتِها؟ ورسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه قد جمعَها كلَّها فقالَ: «كلُّ مُسكِرٍ خمرٌ». فقد بيَّنَ صلّى اللّهُ عليه أنَّ الخمرَ تُسَمَّى «خمراً» إذا أسكرتْ، وأنَّ لها أحوالاً كثيرةً وصفاتٍ كثيرةً، وإنَّما استوجبتْ هذا الاسمَ عندَ دخولِها في حالِ الإسكارِ، ولزمتْها هذه الصِّفَةُ. فإذا أسكرتْ فهي خمرٌ، لأنَّها خامَرَتِ العقلَ وحالتْ بينَهُ وبينَ شاربِها بغطاءٍ وحاجزٍ. وكذلك المُسكِرُ يُسَمَّى «مُسكِراً» لأنَّه يُسكِرُ، والإسكارُ هو السَّدُّ[5].

قالَ بعضُ أهلِ اللُّغة[6]: السُّكرُ رَينُ الشَّرابِ على العقلِ وإلباسُ سورةِ الدِّماغِ، وكلُّ شيءٍ سددتَهُ فقد سكَّرتَهُ. ومنه قيلَ لمجاري المياهِ السُّكور. ومنه قولُ اللّه عزَّ وجلَّ ﴿لقالوا إنَّما سُكِّرَتْ أبصارُنا﴾ [الحج: ١٥]، أي غشيَها شيءٌ أزالَ النَّظَرَ عن حقائقِهِ، كما يُقال أخذَ بعينِهِ[7]. فكذلكَ السُّكرُ هو سدٌّ بينَ الإنسانِ وبينَ عقلِهِ، كما أنَّ الخمرَ من الخمرِ، وهو شيءٌ يُواري ويستُرُ، وهو الحائلُ بينَ الشّاربِ وبينَ عقلِهِ.

---

(١) البيت لابن شبرمة في الأشربة ص ٢٢، العقد الفريد ٦/ ٣٥٦،
(٢) هكذا في الأصول، وفي الأشربة: حديثاً.
(٣) الأشربة ص ٢٢، العقد الفريد ٦/ ٣٥٩.
(٤) هكذا ورد الحديث في م وأخواتها، وفي الأشربة لابن قتيبة ص ٢٢. وفي ب اضطراب هنا.
(٥) السد: هكذا في م وأخواتها، وفي ب: النبيذ.
(٦) هو ابن قتيبة في كتاب الأشربة.
(٧) الأشربة لابن قتيبة ص ١٢٢، طبعة كرد علي ص ٨٠..

والخمرُ والسُّكرُ جميعاً يرجعانِ إلى معنىً واحدٍ، ومن أجلِ ذلك قالَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليه «كلُّ مُسكِرٍ خمرٌ». فإن جازَ أن يُترخَّصَ في شربِ الشَّرابِ المسكرِ الذي يُسمَّى بغيرِ اسمِ الخمرِ مقدارَ ما لا يبلغُ بشاربِهِ حالَ السُّكرِ، فقد جازَ أيضاً شربُ الخمرِ مقدارَ ما يكونُ دون السُّكرِ. وإنَّما النَّبيذُ الذي كان يشربُهُ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه هو الذي رُوِيَ عنه أنَّه كانَ يأمرُ فيُنقَعُ له قبل التَّرويةِ بيومٍ أو يومينِ، فيشربُهُ النّاسُ حلواً من السِّقاية، وربَّما تغيَّرَ ريحُهُ، فهو حلالٌ أيضاً ما لم يتغيَّرْ طعمُهُ.

ورُوِيَ أنَّه صلّى اللّهُ عليه كانَ ينقعُ التَّمرَ والزَّبيبَ، فيشربُهُ ثلاثةَ أيّام. فإذا جازَ ذلك أمرَ به فسُكِبَ، أو سقاه الخَدَمَ. وقالَ قومٌ: سقاه الخَدَمَ، لأنَّ رائحتَهُ تغيَّرتْ، فتنزَّهَ عن شربِهِ. ولو استحالَ إلى حالِ السُّكرِ لما سقاه الخَدَمَ. وقالَ كثيرٌ من العلماءِ إنَّ النَّبيذَ هو ماءُ الزَّبيبِ وماءُ التَّمرِ قبل أن يغليا. فإذا اشتدَّ وصلبَ فهو خمرٌ. قالوا: وكانَ الأوّلونَ من الصَّحابةِ والتّابعينَ يتَّخذونَهُ في صدرِ نهارِهم ويشربونَهُ في آخرِهِ، ويتَّخذونَهُ من أوّلِ اللَّيلِ، ويشربونَهُ على الغداءِ والعشاءِ[1].

قالوا: وسُمِّيَ «نبيذاً» لأنَّهم كانوا يأخذون القبضةَ من الزَّبيبِ والتَّمرِ، فينبذونَها في السِّقاءِ، أي يُلقونَها فيه. فلمّا غُلِيَ واشتدَّ بقيَ على ذلك الاسمِ، فسُمِّيَ في الحالين جميعاً باسمٍ واحدٍ. وهو في الحالِ الأولى حلالٌ، وفي الثّانيةِ حرامٌ، وإن كانَ باسمٍ واحدٍ، كما أنَّه سُمِّيَ في كلا الحالين «شراباً»، وهو في إحدى الحالينِ حلالٌ، وفي الأخرى حرامٌ. ويقولُ إنَّ أوكدَ الأقوالِ في هذه الأشربةِ ما رُويَ في الحديثِ[2] «أنَّ الحلالَ بيِّنٌ والحرامَ بيِّنٌ، وبين ذلك أمورٌ متشابهاتٌ، فدعْ ما يُريبُكَ إلى ما لا يُريبُكَ»[3].

فقلنا إنَّ الأشربةَ على ثلاثةِ أصنافٍ؛ صنفٌ حلالٌ محضٌ لا شكَّ فيه، مثل اللَّبنِ والعسلِ وغيرِهما، وصنفٌ حرامٌ محضٌ لا شكَّ فيه، مثل الخمرِ والدَّمِ، وصنفٌ مُختَلَفٌ فيه ليسَ بحلالٍ محضٍ لا شكَّ فيه، ولا بحرامٍ محضٍ لا شكَّ

---

(١) الأشربة لابن قتيبة ص ٢١.

(٢) في م وأخواتها زيادة هنا: عن النبي صلى الله عليه وأمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) أمثال الحديث لابن خلاد ص ١٣.

فيه، لأنَّه قد اختُلِفَ فيه واشتبهَ أمرُهُ، فذاك لا يجوزُ أن يُسَمَّى حراماً ولا حلالاً، ولكنَّه شبيهٌ[1] محضٌ لا شكَّ فيه، لاشتباهِ أمرِهِ. فذلك لا يجوزُ التَّرخُّصُ فيه، بل يجبُ تركُهُ حتّى يصحَّ أمرُهُ، لقولِهِ «دعْ ما يُريبُكَ إلى ما لا يُريبُكَ». والكلامُ في هذا طويلٌ. وليسَ القصدُ إلى هذا البابِ، ولكنْ أردنا ذكرَ الأشربةِ وتفصيلَها، إذ كانَ قد جاءَ ذكرُها في هذا الكتابِ، ويحتاجُ كلُّ مسلمٍ إلى معرفتِها.

[٣١٠]

الميسر

قالَ أهلُ اللُّغةِ[2]: الميسرُ هو الجَزورُ نفسُهُ، سُمِّيَ ميسراً لأنَّه يُجَزَّأُ أجزاءً، فكأنَّ معناه: موضع التَّجزئة. وكلُّ شيءٍ جزَّأتَهُ فقد يسرتَهُ، والياسرُ: الجازرُ، [لأنَّه يُجَزِّئُ لحمَ الجَزورِ][3]. قالَ الشّاعرُ: [البسيط]

ولم يزلْ بِكَ واشيهم ومَكْرُهُمُ ... حتّى أشاطوا بغيبٍ لحمَ مَن يَسَروا[4]

أشاطوا: أحرقوا، ويَسَروا: جزروا. يقولُ: أحرقوا لحمَهُ بعدَ أن جزروه.
وقالَ آخرُ: [الطويل]

أقولُ لهم بالشِّعبِ إذ يَيْسرونَني ... ألم تيأسوا أنِّي ابنُ فارسِ زَهدَمِ[5]

ويروى: يأسرونَني من الأسرِ. وييسرونَني: يقتسمونَني، يعني أخذوا فداءَهُ يقتسمونَهُ. ألم تيأسوا: ألم تعلموا.

ويُقالُ للمتقامرينَ[6] بالقِداحِ «ياسرونَ» لأنَّهم جازرونَ، إذا كانوا سَبَباً لذلك. ويُقال للضّاربِ بالقِداحِ أيضاً «يَسَر»، والجمعُ «أيسار»[7]. قالَ الشّاعرُ: [البسيط]

---

(١) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: شبهة، والضمير (فيه) يرجح قراءة ب.
(٢) هو ابن قتيبة في كتابه «الميسر والقداح».
(٣) زيادة من الميسر والقداح لابن قتيبة، ص ٢٧.
(٤) الميسر والقداح ص ٢٨، وديوان الأخطل ٢/ ١٠٢.
(٥) الغريب المصنف لأبي عبيد ٣/ ٧٠١، الميسر والقداح ص ٢٩، والنص ما زال لابن قتيبة. وفي اللسان أن الشعر لجابر بن سحيم (زهدم).
(٦) في الأصول: المقامرين، والتصحيح من الميسر والقداح لابن قتيبة.
(٧) أغلب الشرح مستمد من الميسر والقداح لابن قتيبة ص ٢٧- ٣٠.

هَينونَ لَينون أيسارٌ ذوو يَسَرٍ سوّاسُ مكرمةٍ أبناءُ أيسارِ[1]
مَن تلقَ منهم تَقُلْ لاقيتُ سيِّدَهُمْ مثلَ النُّجومِ التي يَسْري بها السّاري[2]

ويكونُ «اليَسَر» جمع «الياسر»، ثم يُجمَعُ اليَسَر «أيسار»، وهو جمعُ الجمعِ، مثل حارس وحَرَس وأحراس.

والميسرُ الذي حرّمَهُ اللّهُ في القرآنِ هو الضَّربُ بالقِداحِ على أجزاءِ الجزورِ قماراً. كما قالوا للنَّردِ «ميسر» لأنَّه قمارٌ، وهو يُشبِهُ ذلك الميسرَ، لأنَّ اللاعبَ به مقامرٌ، كما أنَّ الضّاربَ بالقِداحِ مُقامرٌ. وشبَّهَ قومٌ الشّطرنجَ بالميسرِ وكرهوه. وأبى قومٌ ذلك فقالوا هو مفارقٌ لتلك الحالِ، وإن كانَ مقارباً لها في الهيئةِ والصِّفةِ، وقالوا إنَّما هو رفقٌ واحتيالٌ. وترخَّصَ فيه كثيرٌ من النّاسِ، وقالوا: إنَّما كرهَهُ لأنَّه يشغلُ عن الذِّكرِ والصَّلاةِ وغيرِ ذلك، ولأنَّه قريبُ الشَّبَهِ بالنَّردِ. ولم يبلغوا به حدَّ الميسرِ في التَّحريمِ والكراهةِ.

وروى أبو عبيد[3] بإسنادٍ له عن مجاهدٍ في قولِهِ تعالى ﴿إنَّما الخمرُ والميسرُ﴾ [المائدة: ٩٠] قالَ: الميسرُ كعابُ[4] فارسَ، وقِداحُ الرُّومِ. ورُوِيَ عن ابن عُمَر، قالَ: الميسرُ: القِداحُ. ورُوِيَ عن القاسمِ بن محمَّد، وسُئِلَ عن الشّطرنجِ: أميسرٌ هو؟ وعن النَّردِ، أميسرٌ هو؟ فقالَ: كلُّ ما شغلَ[5] عن ذكرِ اللّهِ وصدَّ عن الصَّلاةِ فهو من الميسرِ. ويُروى عن ابنِ سيرينَ، قالَ: ما كانَ من شربٍ أو قِيانٍ أو قَصْفٍ فهو من الميسرِ.

قالَ أبو عبيد: يُقال: يسرتُ، أيسرُ، يَسَراً. وكانَ أهلُ الجاهليَّةِ يتقامرونَ على الجزورِ، ينحرونَها. ومنه حديثُ عليٍّ رضوانُ اللّهِ عليه: «كالياسرِ الفالجِ ينتظرُ

---

(١) الميسر والقداح ص ٤١. والشعر لعبيد بن العرندس في الكامل للمبرد ١/ ٦٥، وللعرندس البكري في الأمالي للقالي ١/ ٢٣٩، والثاني للعرندس في محاضرات الأدباء ١/ ٣٣٢، وفي ثلاثة أبيات بلا نسبة في عيون الأخبار ١/ ٢٥٩.

(٢) ورد البيت الثاني في ب وحدها.

(٣) في خ: أبو عبيدة.

(٤) في خ: لعاب.

(٥) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: لهى.

فوزةً من قِداحِهِ»[1]، جعلَهُ مَثَلاً على ما كانتِ العربُ تعرفُهُ.

وقالَ بعضُ أهلِ المعرفةِ[2] في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿يسألونَكَ عن الخمرِ والميسرِ قُلْ فيهِما إثمٌ كبيرٌ ومنافعُ للنّاسِ وإثمُهُما أكبرُ من نَفْعِهِما﴾ [البقرة: ٢١٩]، فالنَّفعُ في الميسرِ أنَّ العربَ في الشِّتاءِ والجدبِ كانوا يتقامرونَ بالقِداحِ على الإبلِ، ثمَّ يجعلونَ لحومَها لذوي الفقرِ والحاجةِ. فانتفعوا بها واعتدلتْ أحوالُهم[3]. قالَ الأعشى في ذلك: [السريع]

المطعمو الضَّيفِ إذا ما شتوا   والجاعلو القوتِ على الياسرِ[4]

ويُقالُ إنَّ أوّلَ مَن وضعَ الميسرَ، وأجالَ القِداحَ على الجزورِ لقمانُ بن عاد، فنُسِبَتِ الأيسارُ إليه. قالَ طَرَفة: [الرمل]

وهـمُ أيسـارُ لـقـمـانَ إذا   أغلـتِ الشَّـتـوةُ أبـداءَ الـجُـزُرْ[5]

أبداءُ الجزرِ: يعني جمعَ «بدءٍ»، وهو النَّصيبُ.

والقِداحُ التي يتقامرونَ عليها عشرةٌ، سبعةٌ منها ذواتُ حظوظٍ وعليها الفروضُ؛

أوَّلُها «الفذُّ»، وعليه فرضٌ واحدٌ وله نصيبٌ واحدٌ.

والثّاني «التَّوأم»، وعليه فرضانِ وله نصيبانِ.

والثّالث «الرَّقيب»، وعليه ثلاثةُ فروضٍ وله ثلاثةُ أنصباء.

والرّابع «الحِلْس»، وعليه أربعةُ فروضٍ وله أربعةُ أنصباء.

والخامسُ «النّافس»، وعليه خمسةُ فروضٍ وله خمسةُ أنصباء.

والسّادس «المُسبِل»، وعليه ستَّةُ فروضٍ وله ستَّةُ أنصباء.

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٣٦٠، ونص حديث الإمام علي فيه: «إن المرء المسلم ما لم يغشَ دناءة يخشع لها إذا ذكرت وتغري به لئام الناس كالياسر الفالج ينتظر فوزة من قداحه».

(٢) هو ابن قتيبة.

(٣) ابن قتيبة: الميسر والقداح ص ٣٦.

(٤) غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٣٦٣، الميسر والقداح ص ٣٧، ديوان الأعشى ص ٩٥.

(٥) غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٣٦٣، أمثال العرب للمفضل الضبي ص ١٦٣، الميسر والقداح ص ٣٩، ديوان طرفة بن العبد ص ٦٧.

والسّابعُ «المعلَّى»، وعليه سبعةُ فروضٍ وله سبعةُ أنصباء[1].

والثّلاثة [الباقية][2] أغفالٌ لا فروضَ لها، غيرُ موسومةٍ لا حظوظَ لها. ويُقال لها «السَّفيح» و«المنيح» و«الوغد»، إنَّما يكثر بها القداح[3]. فالتي لها الغُنْمُ وعليها الغُرْمُ يُقال لها «موسومة»، للفروضِ التي عليها، والفرضُ لها بمنزلةِ السِّمةِ، لأنَّه علامةٌ يُعرَفُ بها ما له وما عليه. والثّلاثة التي لا غُنْمَ لها، ولا غُرْمَ عليها، يُقال لها «أغفال»، لأنَّه لا سمةَ عليها. قالَ ابنُ مقبل: [البسيط]

من عاتقِ النَّبعِ لم تغمزْ مواصِمَهُ   حذُّ المتاقةِ أغفالٌ وموسومُ[4]

ويُقال لما عليه السِّمةُ من البهائم «موسوم»، وما لا سِمَةَ عليها «غُفْل». وكذلك الأرضُ إذا لم يكنْ فيها أعلامٌ يُقال لها «أرضٌ غُفْلٌ».

فهذه أسماءُ[5] القِداحِ التي لا يُختَلَفُ فيها. وربَّما سمَّى أحدُهم قِدْحَهُ باسم يُلَقِّبُهُ به. وربَّما سمَّوا القدحَ من ذواتِ الحظوظِ «منيحاً» من أجلِ أنَّهم كانوا يمتنحونَهُ لمعرفتِهم بفوزِهِ. قالَ الشّاعرُ: [الطويل]

إذا امتنحتْه من مَعَدٍّ عصابةٌ   غدا ربُّهُ قبلَ المُفيضينَ يَقدَحُ[6]

أي قد عرفَهُ بالفوزِ، فهو يقدحُ النّارَ ثقةً منه به قبلَ أن يُفيضَ به.

ويكونُ عددُ الأيسارِ سبعةَ أنفسٍ، يأخذُ كلُّ رجلٍ قِدْحاً، وربَّما نقصَ عددُ الرِّجالِ عن السَّبعةِ، فيأخذُ الرَّجُلُ منهم قِدْحَينِ، حتّى يتمِّمَ الأيسارَ. فإذا فعلَ ذلك مُدِحَ به، ويُسمَّى الذي يأخذُ قِدْحَينِ «مَثْنَى الأيادي». قالَ النّابغة: [البسيط]

إنِّي أُتمِّمُ أيساري وأمنحُهُمْ   مَثنى الأيادي وأكسو الجَفنةَ الأُدُما[7]

وكانوا يبتاعونَ الجزورَ، ويُضَمِّنونَ ثمنَهُ، حتّى يضربوا بالقِداحِ عليها، ثمَّ

---

(١) وردت أسماء القداح وأنصبتها في المحبر ص ٣٣٤، وتاريخ اليعقوبي ١/ ٣١٢، والتذكرة الحمدونية ٧/ ٣٢٧، ونشوة الطرب ٢/ ٧٩٨.

(٢) زيادة منا لم ترد في الأصول.

(٣) انظر: تفسير الشهرستاني ٢/ ٨٦٢، والمرجح أنه ينقل عن كتاب الزينة.

(٤) لابن مقبل في الميسر والقداح ص ٦٥، وديوان تميم بن مقبل ص ١٣٤.

(٥) أسماء: سقطت من ب.

(٦) لابن مقبل في الميسر والقداح ص ٥٢، وديوان تميم بن مقبل ص ٤٢.

(٧) الميسر والقداح ص ٨٦، وديوان النابغة الذبياني ص ٦٣.

ينحرونَها ويقتسمونَها عشرةَ أجزاءٍ، على ما حكاه أكثرُ علماءِ اللُّغة[1]. ثمَّ يجيلونَ عليها بالقِداحِ، فإن خرجَ «المعلَّى» أخذَ صاحبُهُ سبعةَ أنصباءَ، ونجا من الغُرمِ، ثمَّ يجيلونَ عليها[2] ثانياً، فإن خرجَ «الرَّقيبُ» أخذَ صاحبُهُ ثلاثةَ أنصباءَ، ونجا من الغُرمِ، ونفدتْ أجزاءُ الجزورِ، وغُرِّمَ الباقونَ ثمنَ الجزورِ على عددِ أنصبائِهم. فغرمَ صاحبُ «الفذِّ» نصيباً واحداً، وصاحبُ «التوأم» نصيبَينِ. فعلى ذلك يقتسمونَ الغُرمَ بينَهم. فإن خرجَ بعد المُعَلَّى «المسبلُ» أخذَ صاحبُهُ ثلاثةَ أنصباءَ، وغرموا له ثلاثةَ أنصباءَ مع ما يغرمونَهُ من ثمنِ الجزورِ. فعلى هذا كانوا يقتسمونَ الجزورَ.

وذُكِرَ عن الأصمعيِّ أنَّه قالَ: كانوا يقتسمونَ الجزورَ على ثمانيةٍ وعشرينَ جزءاً[3]. للفذِّ جزءٌ، وللتَّوأمِ جزءانِ، وللرَّقيبِ ثلاثةُ أجزاء، فعلى هذا حتّى يبلغَ ثمانيةً وعشرينَ جزءاً[4]. وخالفَهُ في ذلك كثيرٌ من العلماءِ، وخطَّأوه فيه، وقالوا: إذا كانَ كذلك، وأخذَ كلُّ قدحٍ نصيبَهُ، لم يبقَ هناك غرمٌ، فلا يكونُ إذن قامرٌ ولا مقمورٌ، كما جاءَ عن العربِ[5]. قالَ الشّاعرُ: [الطويل]

بأيديهمُ مقرومةٌ ومغالقٌ ... يعودُ بأرزاقِ العيالِ مَنيحُها[6]

فالمغالقُ التي تغلقُ الخطرَ، فتوجبُهُ للقامرِ، كما تغلقُ الرَّهَنَ. والذي جاءَ في هذا كثيرٌ. قالوا: ومن أجلِ ذلك قالوا لأجزاءِ الجزورِ «أعشار»، لأنَّها عشرةُ أجزاءٍ. قالَ امرؤ القيس: [الطويل]

وما ذرفتْ عيناكِ إلّا لتضربي ... بسهمَيكِ في أعشارِ قَلبٍ مُقتَّلِ[7]

جعلَ القلبَ مَثَلاً لأعشارِ الجزورِ، وجعلَ العينَينِ مَثَلاً للقدحَينِ، أي سَبَتْ قلبَهُ ففازتْ به، كما يفوزُ صاحبُ المُعَلَّى والرَّقيبُ بأعشارِ الجزورِ، فيحتوي عليها.

---

(١) صححت ما في الأصول استناداً إلى ما في الميسر والقداح ص ٨٨.
(٢) سقطت الجملة بطولها من ب.
(٣) غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٣٦٣، والغريب المصنف لأبي عبيد ٣/ ٧٠١.
(٤) سقطت الجملة من ب.
(٥) ناقش ابن قتيبة رأي الأصمعي في ص ٩٣.
(٦) لعمرو بن قميئة في الميسر والقداح ص ٤٨. وفي ص ٦٠ لابن هرمة. وانظر ديوان عمرو بن قميئة ص ٣٠.
(٧) الميسر والقداح ص ٩٥، ديوان امرئ القيس، المعارف، ص ١٣.

ويُقال للذي يضربُ بالقِداحِ «حُرْضة». وإنَّما سُمِّيَ بذلك لأنَّه رجلٌ بخيلٌ، لا يدخلُ مع الأيسارِ، ولا يأخذُ نصيباً، ولذلكَ يختارونَهُ لأنَّه لا[1] غُنمَ له، ولا غُرمَ عليه. قالَ الطِّرمّاحُ يصفُ الحمارَ: [الخفيف]

ويظلُّ المليءُ يُوفي على القَرْ نِ عَذوباً كالرُّحْضةِ المستفاضِ[2]

والذي لا يضربُ بالقِداحِ ولا يدخلُ مع الأيسارِ في شيءٍ من أمورِهم يُقال له «البَرَم». قالَ النّابغة: [البسيط]

هلا سألتِ بني ذُبيانَ ما حَسَبي إذا الدُّخانُ تَغَشَّى الأشمطَ البَرَما[3]

وتُجمَعُ القداحُ في جلدةٍ، وقالَ بعضُهم في خرقةٍ، وتُسَمَّى تلك الجلدةُ «الرِّبابة». قالَ أبو ذُؤَيب: [الكامل]

وكأنَّهنَّ رِبابةٌ وكأنَّه يَسَرٌ يُفيضُ على القِداحِ ويصدَعُ[4]

يصفُ الأُتُنَ والحمارَ. فشبَّهَ الحمارَ بالحُرضةِ، وسمّاه «يَسَراً» على المجازِ، لأنَّه في جملةِ من يضربُ بالقداحِ. وقالَ أبو النَّجم: [الرجز]

كما يصكُّ اليَسَرُ القدوحا[5]

وشبَّهَ الأُتُنَ بالرِّبابةِ، وهي الخرقةُ التي قد جُمِعَ فيها القِداحُ. فشبَّهَها بذلك لاجتماعِها. ثمَّ يجمعُ أطرافَها، ويعدِّلُ بينَها، ويكسو يدَهُ أديماً، لكي لا يجدَ مسَّ[6] قدحٍ له فيه رأيٌ، وتُشَدُّ عيناه، فيجمعُ أصابعَهُ عليها، ويضمُّها كهيئةِ الضِّغثِ[7]، ثمَّ يضربُ رؤوسَها بحاقِّ راحتِهِ. فأيُّها[8] طلعَ من الرِّبابةِ كانَ فائزاً.

وقالَ غيرُهُ: تكونُ الرِّبابةُ شبهَ الخريطةِ، تُجمَعُ فيها القِداحُ، ثمَّ يُؤمَرُ الحُرضةُ بأن يجلجلَها. فمنها ما يعترضُ في الرِّبابةِ، ولا يخرجُ، ومنها ما لا يعترضُ

---

(١) لا: سقطت من ب.

(٢) الميسر والقداح ص ٩٩، وديوان الطرماح ص ١٧٤.

(٣) ديوان النابغة الذبياني ص ٦٢.

(٤) الميسر والقداح ص ١٠١، وديوان الهذليين ١/ ٦.

(٥) الميسر والقداح ص ١٠٥، وديوان أبي النجم ص ١٢٨، وبعده: صكَّ معلاهنَّ والمنيحا.

(٦) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: لا يجد من قدح. ولعل الصحيح: يجر، أو يجيد.

(٧) الضغث: القبضة من الحشيش.

(٨) في ب: فإنها.

فيطلعُ، فذاك يكونُ فائزاً. ويُقعَّدُ رجلٌ [يكونُ][1] أميناً على الحرضةِ يُقال له الرَّقيبُ. قالَ كعب بن زُهَير: [المتقارب]

لـهـا خـلـفَ أذنـابِـهـا أزمـلٌ   مكـانَ الرَّقـيـبِ مِنَ اليـاسِـرينـا[2]

يصفُ الحمارَ والأُتُنَ، شبَّهَهُ بالرَّقيبِ وشبَّهَ الأُتُنَ بالياسرينَ.

ويُقال للذي يضربُ بالقِداحِ «مُفيض»، لأنَّه يُفيضُ بها. والإفاضةُ بالقِداحِ هي أن يدفعَها دفعةً واحدةً إلى قُدّامٍ، ويُجيلَها ليخرجَ منها قِدحٌ. وكذلك الإفاضةُ من عَرَفَة هو الدَّفعُ منها إلى جمعٍ. قالَ ابن مقبل: [الطويل]

صريعٌ دريرٌ مسُّهُ مسُّ بيضةٍ   إذا سنحتْ أيدي المفيضينَ يبرحُ[3]

وقالَ أبو ذؤيب: [الكامل]

يَسَرٌ يفيضُ على القِداحِ ويصدعُ[4]

[٣١١]

ذكر الأصنام والأنصاب والأوثان وما جاءَ فيها

الصَّنَمُ تمثالٌ مِنَ الحجارةِ على صورةِ الإنسانِ، كانتِ العربُ تعبدُهُ. فإذا كانَ من خشبٍ فهو «وَثَنٌ»، ويُتّخذُ أيضاً من جصٍّ. وربَّما صوَّروا في الحائطِ أيضاً صورةَ الإنسانِ، فتُسمَّى تلك الصُّورةُ أيضاً «وَثَناً». والنَّصارى يفعلونَ ذلك، يصوِّرونَ في بِيَعِهم صورةَ المسيحِ، وصورةَ مريمَ، ويسجدونَ لها. قالَ الأعشى: [المتقارب]

يـطـوفُ الـعـفـاةُ بـأبـوابِـهِ   طوافَ النَّصارى بِبَيتِ الوَثَنْ[5]

والهيكلُ بيتٌ للنَّصارى فيه صنمٌ يعبدونَ فيه. والهيكلُ أيضاً الفرسُ الطويلُ.

وقالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ في الأوثانِ ﴿فاجتَنِبوا الرِّجسَ مِنَ الأوثانِ﴾ [الحج:

---

(١) زيادة منا لم ترد في الأصول.

(٢) الميسر والقداح ص ١٠٢، وديوان كعب بن زهير ص ٧٩.

(٣) لابن مقبل في الميسر والقداح ص ٧٨، وديوان تميم بن مقبل ٤٠.

(٤) سبق ورود البيت كاملاً في هذه المادة.

(٥) ديوان الأعشى ص ٢٠٩.

٣٠]. والنُّصُبُ أيضاً تكونُ من الحجارةِ، يُقال «نُصْب» بضمِّ النُّونِ وسكونِ الصّادِ. ويقالُ له «نَصْب» بفتحِ النُّونِ وسكونِ الصّادِ[1]. وفي قراءةِ أبي عمرو ﴿إلى نَصْبٍ يُوفِضونَ﴾ [المعارج: ٤٣]، وفسَّرَهُ إلى علمٍ. وقالَ أبو عمرو أيضاً ﴿وما ذُبِحَ على النَّصْبِ﴾ [المائدة: ٣] قالَ: هو واحدُ الأنصابِ[2]. وقرأ غيرُهُ (إلى نُصُبٍ يُوفِضونَ). قالَ أبو عُبَيدة: هو جماعة «نَصْب»، مثل رَهْن ورُهُن[3]. قالَ السِّجستانيُّ: غلطَ أبو عُبَيدة، النَّصْب والنُّصْب: واحدُ الأنصاب[4]. قالَ: ويُقال للشَّيءِ تنصبُهُ «نُصْب» و«نُصُب» و«نَصْب» و«نَصَب». وفي قراءةِ زيد بن ثابت (إلى نصبٍ يُوفِضونَ). وأنشدَ للطِّرمّاح: [المنسرح]

طوفَ متلي نذْرٍ على نُصُبٍ نُصْبَ دوارٍ محمرَّةٍ جُدَدُهْ[5]

وأنشدَ للأعشى: [الطويل]

وذا النُّصُب المنصوب لا تَنسُكَنَّهُ لعاقبةٍ واللّهَ ربَّكَ فاعبدا[6]

وقالَ أبو عُبَيدة في قولِهِ ﴿وما ذُبِحَ على النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] جمعُهُ أنصاب[7]. وأراها التي في الآيةِ الأخرى ﴿الأنصابُ والأزلامُ رِجْسٌ﴾ [المائدة: ٩٠].

والنُّصْبُ أيضاً: الشَّرُّ. قالَ المفسِّرونَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿بِنُصْبٍ وَعَذابٍ﴾ [ص: ٤١]، النُّصبُ: الشَّرُّ[8]. والنَّصَبُ: التَّعَبُ. وروى أبو عبيد عن مجاهد في قولِهِ ﴿وما ذُبِحَ على النُّصُبِ﴾ قالَ: حجارةٌ كانتْ في الكعبةِ، كانَ

---

(١) زيادة من ب، لم ترد في م وأخواتها.
(٢) هكذا نقل عنه أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ١٥٢.
(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/ ٢٧٠.
(٤) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ١٨٨، قال: قال لي أبو حاتم: غلط أبو عبيدة. وفي غريب القرآن للسجستاني: (نُصب ونَصب بمعنى واحد، وهو حجر أو صنم منصوب يذبحون عنده)، ص ٢٠٥.
(٥) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ١٨٩، وديوان الطرماح ص ١٤٧. والمعنى طواف من يؤدي نذراً حول نصب طرائقه حمراء ما زال يجري الدم على مذبحها.
(٦) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ١٨٩، وديوان الأعشى ص ٤٦.
(٧) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٥٢، بتصرف.
(٨) ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص ٣٨٠.

يذبحُ عليها أهلُ الجاهليَّةِ، يبدِّلونَها إذا شاءوا حجارةً أعجبَ إليهم منها.

والأنصابُ والأصنامُ هي تماثيلُ من حجارةٍ أو خَشَبٍ كانَتْ عندَ العَرَبِ يعبدونَها، وكانوا يسمُّونَها بأسامِيَ مثلَ «اللّات» و«العُزّى» و«سُواعَ» و«يَغوثَ» و«يَعوقَ» و«نَسرٍ» و«وَدٍّ» و«أساف» و«نائلة»، وما أشبهَها. وكانتْ متفرِّقةً في القبائلِ.

ويُقالُ إنَّ أسافَ ونائلةَ صَنَمانِ كانا في الجاهليَّةِ، يُقال إنَّهما كانا إنسانَينِ(١) من بني عبدِ الدّارِ، طافا بالكعبةِ، فصادفا غفلةً(٢)، فأرادَ أحدُهما صاحبَهُ، فمسخَهما اللّهُ نحاساً.

وقالَ أبو عمرو بن العَلاء: اللّاتُ والعُزّى صَنَمانِ من حجارةٍ كانا في جوفِ الكعبةِ.

ومناةُ أيضاً صَنَمٌ من حجارةٍ، فكسرَها النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليه وآله.

وقالَ الكُمَيت في النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه: [المنسرح]

مُبَشِّراً مُنذراً ضياءً بهِ أُنكِرَ فينا الدُّوارُ والنُّصُبُ(٣)

قالَ ابن جريج(٤): اشتقُّوا اللّاتَ من اللّهِ، والعُزّى من العزيزِ، عزَّ اللّهُ وجلَّ.

وقالَ أبو عمرو في قولِهِ ﴿ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُواعاً ولا يغوثَ ويعوقَ ونَسراً﴾ [نوح: ٢٣]: أصنامٌ كانتْ في الجاهليَّةِ، زعموا أنَّ «وداً» كانَ لكلبٍ، و«سواعَ» لهذيل بن مدركة، و«يغوثَ» لهمدانَ، و«يعوقَ» لنزار ومذحج، و«نسراً» لبعضِ حميرَ(٥). زعموا أنَّهم كانوا مجوساً، وهمُ الذينَ [ذُكِروا](٦) في كتابِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وَجدتُها وقَومَها يسجُدونَ للشَّمسِ مِن دونِ اللّهِ﴾ [النمل: ٢٤]، فغرَّقَها اللّه

---

(١) في ب: كانا إنسانان.

(٢) في ب: عقله.

(٣) الهاشميات ص ٨٦.

(٤) في ب: أبو خديج.

(٥) ينظر: تفسير غريب القرآن للإمام زيد بن علي، مخطوطة برنستن، ص ٢٨٣، وتفسير الطبري ١١٨/٢٩.

(٦) زيادة لم ترد في الأصول.

بالطُّوفانِ زمنَ نوحٍ. فلمّا نضبَ الماءُ أخذَها إبليسُ فَبَثَّها[1] في النّاسِ.

قالَ أبو عمرو: (سَواعاً) بفتحِ السِّين. وقالَ: عبد وَدٍّ: اسمُ رجلٍ، بفتحِ الواوِ. وقالَ أبو عبيد: الوِدُّ والوُدُّ من المودَّةِ بالكسرِ والضَّمِّ.

وقالَ ابنُ إسحاقَ: «ذو الخَلَصَة» بيتٌ كانَ فيه صَنَمٌ من ذَهَبٍ، يُقال له الخَلَصَة، وكانَ لدوسٍ وخثعمٍ وبجيلةَ. وقالَ غيرُهُ «ذو الخَلَصَة» بيتٌ كانَ يُسَمّى «الكعبة اليَمانيَّة»، فبعثَ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه جرير بنَ عبدِ اللّهِ البَجَليَّ فخَرَّبَها[2].

وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وآله «لا تقومُ السّاعةُ حتّى تضطربَ إلياتُ نساءِ دَوسٍ على ذي الخَلَصَة»[3]. وكانَ عندَ عبدِ كلالٍ قضبانٌ، كانوا إذا تخصَّرَ بها أحدُهم سجدوا له[4].

وقالَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليه لعياش بنِ ربيعةَ، حينَ أرسلَهُ إلى عبد كلال، وكتبَ معَهُ وأوصاه، وقالَ فيما قالَ: إذا أسلموا فَسَلْهم قُضُبَهم الثَّلاثةَ التي إذا تخصَّروا بها سجدوا لهم، وهي الأثلُ، قضيبٌ ملمَّعٌ ببياض، وقضيبٌ ذو عجزٍ، كأنَّه من خيزرانٍ، والأسودُ البهيمُ، كأنَّه من ساسم، ثمَّ اخرجْ بها فحرِّقْها في سوقِهم.

وكانَ أهلُ الجاهليَّةِ يجمعونَ أيضاً حجارةً، ثمَّ يطوفونَ بها، ويسمُّونَها «الرّجمة». قالَ الأعشى: [المتقارب]

تطوفُ عَلَيهِمْ وتمضيهِمُ   كما طافَ بالرُّجمةِ المرتَجِمْ[5]

وقالَ الواقديُّ: كانتْ «مناةُ» بالمشلَّلِ، وكانتْ للأوسِ والخزرجِ وغسّانَ، وكانَ لها سادنٌ، وكانوا يُهدونَ إليها الهديَ، وينحرونَ عندَها[6].

---

(١) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: فبثت.

(٢) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: فحرَّقها.

(٣) صحيح البخاري (٧١١٦)، صحيح مسلم ٨/ ١٨٢، الفائق للزمخشري ١/ ٣٨٩، لسان العرب، مادة (خلص) ٤/ ١٧٥.

(٤) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: وكان عند قصار كان إذا تحصن به أحدهم.

(٥) ديوان الأعشى ص ١٩٨.

(٦) الواقدي: المغازي ٢/ ٨٧٠.

قالَ: وكان أبو قيسٍ رَجُلاً من بني عديّ بن النَّجّار[1]، وكانَ أوّلَ مَن فارقَ الأوثانَ. وذلك أنَّه خرجَ مع حاجِّ قومِهِ، وأهدى مائةَ شاةٍ إلى مناةَ، وقلَّدَها، وذبحَها، وطافَ بها سبعاً، وحلقَ رأسَهُ، ثمَّ أقامَ يومَهُ ذاك مفكِّراً فيما يرى من تلكَ الذَّبائحِ. فقال: هذا حَجَرٌ لا يسمعُ ولا يُبصِرُ ولا ينطقُ، على مَ نذبحُ له ونعبدُهُ؟ لا أفعلُ هذا أبداً بِهِ ولا بغيرِهِ ممّا يُشبِهُهُ، ولا أعبدُ إلّا ربَّ إبراهيمَ. فقدمَ المدينةَ، ثمَّ خرجَ إلى الشّامِ، يطلبُ الدِّينَ، وهمَّ بالنَّصرانيَّةِ، ثمَّ أمسكَ عنها، وأمسكَ عن اليهوديَّةِ. وتنجَّسَ مما يُتَنَجَّسُ منه، واغتسلَ من الجنابةِ، وتنزَّهَ عن المحيضِ، وبنى مسجداً في بيتِهِ، وصامَ الدَّهرَ. وقالَ: أنا[2] على دينِ إبراهيمَ، ولبسَ المسوحَ وترهَّبَ، ولزمَ بيتاً لا يدخلُ إليه أحدٌ، ولا يخرجُ من عندِهِ، يُؤتى بطعامِهِ فيتناوَلُهُ من خارجٍ. فلمّا قدمَ السَّبعونَ في العقبةِ الآخرةِ، أسلمَ فحَسُنَ إسلامُهُ، وكانَ شيخاً كبيراً. فلمّا قدمَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليه إلى المدينة، خرجَ يُهادى به على دابَّةٍ إلى النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه. وكانَ يقولُ بالحقِّ. وقيلَ [إنَّه][3] توفِّيَ قبلَ قدومِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه. ولمّا قدمَ النَّبيُّ قالَ: ذلكَ رَجُلٌ كانَ على دينِ الحنيفيَّة.

ويُروى عن عمرو بن العاص، قالَ: لقد رأيتُنا وقد أجدبْنا جَدباً شديداً، حتّى هلكَ مَن هلكَ، وعندَنا بقرةٌ لأبي بالطّائفِ في عَلَفٍ وخِصْبٍ، فهي أسمنُ ما بمكَّةَ. فأمرَني أبي أن أسوقَها إلى «بُوانَةَ»، إلى[4] صَنَم من أصنامِهِم، فأذبحَها لَهُ، ثمَّ أطبخَها، ثمَّ أصبَّ القِدْرَ على رأسِ الصَّنَم، ففعلتُ. وجاءتِ الكلابُ يَلِغْنَ[5] في المرَقِ، ويأكلْنَ اللَّحْمَ، ونحنُ قيامٌ ننظرُ إلى ذلكَ. ونحنُ واللّهِ أحوجُ إليهِ مِنَ

---

(١) أبو قيس هو صرمة بن أبي أنس من بني النجار، انظر عنه: البداية والنهاية ٢/ ٤٢٩ (نقلاً عن ابن إسحاق)، سيرة ابن هشام ١/ ٤٥٩، التعازي والمراثي للمبرد ص ١٢٥، مروج الذهب ١/ ٤٩.

(٢) في ب: أيا.

(٣) زيادة منا لم ترد في الأصول.

(٤) زيادة من م وأخواتها وهـ. وبوانة: هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر. وفي حديث ميمونة بنت كردم أن أباها قال للنبي (ص): إني نذرت أن أذبح خمسين شاة على بوانة، فسأله النّبي: أهناك شيء من هذه النصب، فقال: لا. انظر: معجم البلدان ١/ ٥٠٥.

(٥) في ب: تلعن.

الكلابِ. قالَ: فرأيتُ يومئذٍ أنَّ هذا باطلٌ، وكرهتُ الأصنامَ، حتّى جاءَ اللّهُ بالإسلام.

والأنصابُ والأصنامُ[1] والأوثانُ هي أسماءُ تجمعُ التَّماثيلَ التي كانتْ تُعبَدُ من[2] دونِ اللّهِ. وكانوا يعبدونَها لتُقرِّبَهم إلى اللّهِ فيما يدَّعونَ. وسمّاها اللّهُ «أنصاباً» كلَّها لأنَّهم كانوا ينصبونَها، أي يرفعونَها. ثمَّ لها أسماءٌ مشهورةٌ على الانفرادِ، فكلُّ نصبٍ أو صَنَمٍ كانَ يُسَمَّى باسمٍ مثل اللّاتِ والعُزَّى ومناةَ وغيرِ ذلكَ.

قالَ: وكانَ عندَ بني سُلَيم صَنَمٌ يُدعى «سُواع»[3]، وكانَ سادِنُهُ يُدعَى غاوي بن ظالم السُّلَميّ. وكانوا يَذبحونَ عليه ذبائحَهم، فبينا هم يعبدونَ عليهِ يوماً، إذ أقبلَ ثَعلَبانِ يشتدّانِ، حتّى تَسَنَّما الصَّنَمَ، فبالا عليه، فقالَ غاوي: [الطويل]

أربٌّ يبولُ الثَّعْلَبانِ برأسِهِ   لقد ذلَّ مَن بالتْ عليهِ الثعالبُ[4]

ثمَّ قالَ: يا بني سُلَيم، واللّهِ[5] ما يضرُّ ولا ينفعُ، ولا يُعطي ولا يمنعُ. ثمَّ كسرَهُ وقدمَ على النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وآلِهِ. فقالَ: ما اسمُكَ؟ فقالَ: غاوي بن ظالم. قالَ: بل أنتَ راشدُ بنُ عبدِ ربِّهِ.

قالَ: وكانَ دُلَيم، جدُّ سعد بن عبادةَ، يُهدي لمَناةَ كلَّ سنةٍ عشرَ بَدَناتٍ عليها القلائدُ، مجلَّلاتٍ باليمنة، فينحَرُها لمناةَ، حتّى ماتَ، ثمَّ كانَ عبادةُ يفعلُ ذلك، ثمَّ كانَ سعدٌ يفعلُ ذلك، حتّى جاءَ اللّهُ بالإسلامِ.

وكانَ مَن أهلَّ لمناةَ، نحرَ عندَها، ثمَّ مضى وحلقَ، ثمَّ مضى إلى البيتِ، وأطافَ به. ولا يقربُ الصَّفا والمروةَ في شيءٍ من ذلكَ، يتحرَّجونَ من ذلكَ. قالَ: فإن كانتْ عمرةً انصرفَ، وإن كانَ حَجّاً وقفَ مع النّاسِ بعَرَفَة، حتّى يصدرَ

---

(١) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: والأنصاب والأزلام والأوثان.
(٢) في ب: هن.
(٣) في الأصول: سراح أو سراج. وانظر: دلائل النبوة ١/ ١٢١.
(٤) تفترض هذه القراءة: (الثُّعلُبان) وهو ذكر الثعلب، وانظر أمثال أبي عبيد ص ١٢٢، ودلائل النبوة للأصفهاني ص ١٢١، ولسان العرب (٢/ ١٠١) مادة (ثعلب)، لكن الحكاية تتعلق بثعلبين بالتثنية.
(٥) إلى هنا ينتهي الاعتماد على خ.

النّاسُ، ولا يقربُ الصَّفا والمروةَ. فَسُئِلَ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه عن ذلك، فأنزلَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿إنَّ الصَّفا والمروةَ من شعائرِ اللّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] الآية.

قالَ: فلمّا كانَ يومُ الفتحِ بعثَ النَّبيُّ صلّى اللّهُ عليه سعد بن زيد الأشهليَّ[١] ليهدمَهُ[٢]، فخرجَ في عشرينَ فارساً، حتّى انتهى إليها، وعليها سادنٌ. فقالَ السّادنُ: ماذا تريدُ؟ قالَ: أريدُ هَدْمَ مَناةَ. قالَ: أنتَ وذاكَ. وأقبلَ سعد يمشي إليها، فخرجتْ[٣] إليه امرأةٌ عريانةٌ سوداءُ حاسرةَ الرَّأسِ، تدعو بالويلِ والثُّبورِ. فقالَ السّادنُ: مَناةُ، دونَكِ بعضَ غَضَباتِكِ[٤]، وضربَها[٥] ابنُ زيدٍ، فقتلَها، وأقبلَ إلى الصَّنَمِ مع أصحابِهِ فهدموه، ولم يجدوا في خزانتِها[٦] شيئاً. فانصرفَ إلى رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه، وكانَ ذلكَ في رمضانَ.

وكانتْ خزانةُ اللاتِ «الغبغب»، وكانتْ سَدَنَتُها بني معقب، وكانتِ العربُ تُهدي لها، ويكسونَها، وينذرونَ لها، وينحرونَ النَّسائكَ. قالَ قومٌ: الغبغبُ: منحرٌ لقريش، كانوا ينحرونَ فيه هداياهم. ويُقال: غبغب: حجرٌ كانَ يُنحَرُ عليه.

قالَ الواقديُّ: كانَ «اللّاتُ» رجلاً من العربِ، كانَ بالطّائفِ، وكانَ يضيفُ مَن ضافَهُ. وكانتْ له غَنَمٌ، يسلأُ[٧] من زبدِها، ويجعلُ أقطاً من لَبَنِها، ويأخذُ زيتاً، ثمَّ يجعلُهُ حَيساً[٨]، وكانَ يَلُتُّ الحيسَ، فسُمِّيَ اللاتَّ، ثمَّ ماتَ فَعُبِدَ. فطالَ عليهم الدَّهرُ، ثمَّ جعلوا صَنَماً على خلقتِهِ، وعَبَدوه. وتناسختْ [ذلك][٩] الأُمَمُ[١٠].

---

(١) هكذا في ب ومغازي الواقدي، وفي بعض النسخ: سعيد.

(٢) في المغازي للواقدي ٢/ ٨٦٠، بعث النّبي سعد بن زيد الأشهلي لهدم مناة في المشلل، أما الحكاية فمع عمرو بن العاص في هدم سواع صنم هذيل.

(٣) في الأصول: فتخرج.

(٤) هكذا في ب، وفي في م وج وك وهـ: عصاتك.

(٥) في ب: يضربها، وفي م وك وج وهـ: وبصرها.

(٦) في م وج وك وهـ: خرابها.

(٧) في ب: يسلق. وسلأ الزبد: أفرغه في النحي.

(٨) في ب: حلساً، والحيس: الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن. وقد يُجعل عوض الأقط الدقيق والفتيت. وحيّس الطعام: خلطه، انظر: لسان العرب، مادة (حيس).

(٩) زيادة لم ترد في الأصول.

(١٠) لم أجد هذا المقطع في المغازي للواقدي.

ويُقال إنَّه كانَ رجلاً يتكهَّنُ[1] عندَ صَنَمٍ بالطّائفِ[2]، يصنعُ عندَها سويقاً. فمن مرَّ بالصَّنَمِ وسجدَ له، سقاه شربةَ سويقٍ. وكانَ يلتُّ السّويق بالسّمنِ، فسُمّيَ «اللاتّ» بهذا. وهو في موضعِ مسجدٍ بالطّائفِ اليومَ، الذي في وسطِ القريةِ[3].

وكانَ أساف ونائلة وضعَهما عمرو بن لُحَيّ[4] على الصَّفا[5]. ثمَّ إنَّ قصيّاً حوَّلَهما[6]، فجعلَهما يُذبَحُ عليهما وِجاهَ الكعبةَ[7]. وكانا من جُرهُمَ، أساف بن عمرو، ونائلةُ بنت سُهَيل، ففجرا في الكعبةِ، فمُسِخا حَجَرَينِ. ويُقال: جاءَ بهما عمرو بن لُحَيّ، فوضعَهما على الصَّفا قبلَ ذلك. فلمّا كانَ يومُ الفتحِ، خرجَ من أحدِهما امرأةٌ سوداءُ تخمشُ وجهَها، عريانةً، ناثرةَ الشَّعرِ، تدعو بالويلِ والثُّبورِ. فقيلَ لرسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه، فقالَ: تلك نائلةُ، يئستْ أن تُعبَدَ في بلادِكم أبداً[8].

وكان «هُبَل» أعظمَ أصنامِهم، وكانَ على الكعبةِ، حيثُ الخزانةُ. وكانَ أعظمَها على أنفسِهم، وكانَ عليه سادنٌ، وهو الذي كانوا يتحاكمونَ إليه، إذا اختلفوا في أمرٍ[9]. فكانَ أبو سفيانَ يقولُ: لمّا أردتُ الخروجَ إلى أُحُد، جئتُ إلى السّادنِ بمائةِ درهم، فقلتُ له: اضربْ، فخرجَ «الآمرُ»[10]، فشجعتُ على الخروجِ. وذلك قولُ أبي سفيانَ يوم أُحُد: اعلُ هُبَل.

---

(١) سقطت من ب، وفي الأصول: يكون.

(٢) زيادة من هـ.

(٣) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ١/ ٢١٢ (نقلاً عن الروض الأنف).

(٤) في ب: يحيى.

(٥) في ب: على الصفا والمروة.

(٦) في ب: يدور حولهما.

(٧) وجاه: بمواجهة.

(٨) الواقدي: المغازي ٢/ ٨٤١.

(٩) في الأصول: في الأمر. وانظر: المغازي للواقدي ٢/ ٨٣٢.

(١٠) يتكون قدح الاستقسام عند العرب من سهمين، فيهما «الآمر» و«الناهي»، أو «افعل» و«لا تفعل»، أو «خير» و«شر»، أو «نعم» و«لا»، فإذا أرادوا الاستقسام واستطلاع رأي آلهتهم، ذهبوا إلى السادن، «فيقول السادن: اللهم أيهما كان خيراً فأخرجه لفلان». ثم يجيل القدح، فيرضى المستقسم بما خرج. انظر: ابن حبيب: المحبر ص ٣٣٢.

وكانوا قد استقسموا في بدرٍ، فخرجَ «النّاهي»، فشجعوا على الخروجِ من أجلِ أنَّ بعضَهم ائتسى ببعضٍ، ولِما أرادَ اللّهُ عزَّ وجلَّ. فلمّا كانَ يومُ الفتحِ، أمرَ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه بكسرِ «هُبَل»، فكُسِرَ. فقالَ الزُّبَير بن العوّام لأبي سُفيانَ: قد كُسِرَ هُبَل، أما أنَّكَ كنتَ منه يومَ أُحُدٍ في غرورٍ، حين تزعمُ أنَّه قد أنعمَ. فقالَ أبو سفيانَ: دعْ هذا عنكَ يا ابنَ العوّامِ، فقد أرى لو كانَ مع إلهِ محمَّدٍ غيرُهُ، لَكانَ غيرَ ما كانَ[1].

فهذا ذكرُ الأصنامِ والأنصابِ التي كانتْ في الجاهليَّةِ. وللعربِ فيها أشعارٌ كثيرةٌ.

---

(١) الواقدي: المغازي ٢/ ٨٣٢، وشرح نهج البلاغة ١٧/ ٢١٠ (نقلاً عنه).

[٣١٢]

ذكر الأزلام

الأزلامُ: القِداحُ، واحدُها: زُلَم. قالَ طَرَفة: [المديد]

أخـذَ الأزلامَ مُـقـتَـسِـمـاً فـأتـى أغـواهُـمـا زُلَـمُـهْ[١]

قالَ أبو عبيد[٢]: واحدُ الأزلامِ زُلَم، بفتحِ الزّاي. وقالَ بعضُهم: يُجعَلُ تقديرُها «عُمَر». قالَ: الزُّلَمُ: القِدحُ، لا ريشَ له، ولا نَصْلَ له، فإذا كانَ مُرَيَّشاً فهو سهمٌ. وروى أبو عبيد عن مجاهدٍ بإسنادٍ له، قالَ: الأزلامُ هي القِداحُ، كانوا يضربونَ بها لكلِّ سَفَرٍ وغزوةٍ وتجارةٍ، واحدُها زُلَم. قالَ: وإنَّما سُمِّيَ «استقساماً» لأنَّهم كانوا يطلبونَ قِسْمَ الرِّزقِ وطَلَبَ الحوائجِ بها، فكانوا يسألونَها أن تقسمَ لهم. قالَ: وهذه هي الأزلامُ[٣] التي استقسَمَ بها عبدُ المطَّلبِ فيما يُروى في المغازي أنَّه كانَ جعلَ للّهِ عليه إن وُلِدَ له عشرةُ ذكورٍ، [أن][٤] ينحرَ العاشرَ للّهِ، وكانَ العاشرَ عبدُ اللّهِ بن عبدِ المطَّلب، فأقسمَ عليه وعلى مائةٍ من الإبلِ، فخرجَ قِدْحُ الإبلِ، فنحرَها، ولم ينحرْ عبدَ اللّهِ.

قالَ: وكانَ بعضُ أهلِ الجاهليَّةِ يتحرَّجُ منها، ويفتخرُ بتركِها. قالَ وكانَ أبو عُبَيدة ينشدُ: [الوافر]

ولـم أُقـسِـمْ فـتـربُـثَـنـي الـقُـسـومُ[٥]

هذا قولُ أبي عبيد. وقد غلطَ في هذا البيتِ، وذلكَ أنَّ قائلَهُ لم يَقُلْ ذلكَ يريدُ التَّحرُّجَ، وإنَّما عَنَى أنَّه جريءٌ على الأمورِ. فإذا أرادَ غزا، ولم يَستقسِمْ بالأزلامِ، فيخرجَ النّاهي ويثبِّطَهُ عن الغزوِ، ولكنَّه يمضي لوجهِهِ، لا يهولُهُ الغزوُ، ولا يستقسمُ من أجلِهِ. ومثلُهُ للعَرَبِ كثيرٌ. قالَ الشّاعر: [مجزوء الكامل]

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ٧٢.

(٢) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: أبو عبيدة.

(٣) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: الأقسام.

(٤) أن: سقطت من جميع الأصول.

(٥) مجاز القرآن ١/ ١٥٢، تفسير الطبري ٦/ ٩٢، وفي قصيدة طويلة لحاجز بن عوف في منتهى الطلب من أشعار العرب ٨/ ٢٩٧، وتمامه:

أممت بها الطريق فويق نعلٍ ولم أقسم فتربثني القسومُ

ولـقـد غـدوتُ وكـنـت لا أغـدو عـلـى واقٍ وحـاتـمْ[1]

وقالَ آخرُ: [الطويل]

ولـسـتُ بـهـيّـابٍ إذا شـدَّ رحـلَـهُ يقولُ عداني اليومَ واقٍ وحاتمُ[2]

ومثلُهُ كثيرٌ. والاستقسامُ بالأزلامِ هو الاستفعالُ من القِسْمِ، والقِسْمُ: النَّصيبُ. قالَ الكُمَيت: [الخفيف]

فهمُ شيعتي وقِسْمي من الأُمَّـ ـةِ حَسْبي مِن سائرِ الأقسامِ[3]

ومنه يُقال: قسمتُ الشَّيءَ، أي أعطيتُ كُلّاً نصيبَهُ وحظَّهُ.

وكانوا إذا أرادوا أن يقسموا شيئاً تساهموا عليه بالقِداحِ، فما خرجَ لكلِّ امرئٍ جعلوه حظّاً ونصيباً وقِسْماً، فقيلَ له «استقسام»، أي طَلَبُ القِسْم، وهو النَّصيبُ. وكانوا يفعلونَ ذلك إذا تشاحوا على الشَّيءِ. ومنه قولُ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وما كنتَ لَدَيهم إذ يُلقونَ أقلامَهم أيُّهم يكفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، لأنَّهم تشاحوا عليها، فأخرجَ اللّهُ سهمَ زكريّا[4].

فأصلُ الاستقسامِ التَّساهُمُ. وأمّا الذي حرَّمَهُ اللّهُ من الاستقسامِ فليسَ من هذا البابِ، ولكنَّه مشتقٌّ من ذلكَ، لأنَّ أصلَهُ طَلَبُ القِسمِ، كما قلنا، وهو ما كانتِ العَرَبُ تفعلُهُ في الجاهليَّة. يُقال إنَّه كانتْ عندَهم سبعةُ قِداحٍ مستويةٍ من شَوحَط[5]، وكانتْ بيدِ السّادنِ، مكتوبٌ عليها: «نعم»، «لا»، «منكم»، «من غيرِكم»، «ملصق العقل»، «فضل العقل». فكانوا إذا اختلفوا في نَسَبِ الرَّجُلِ، جاءوا إلى السّادنِ بمائةِ درهمٍ، ثمَّ قالوا للصَّنَم: يا إلهَنا قد تمارَينا في نَسَبِ فُلانٍ، فأخرجْ علينا الحقَّ فيه. فَتُجالُ القِداحُ، فإن خرجَ القِدْحُ الذي عليه «منكم» كانَ أوسطَهم نَسَباً، وإن خرجَ الذي عليه «من غيركم» كانَ حليفاً، وإن خرجَ

---

(١) ابن قتيبة: غريب الحديث ٥١٨/٢، للمرقش الأكبر، وعيون الأخبار١/ ١٨٠، والمعاني الكبير ص ٢٦٢، والحيوان ٣/ ١٣٩، والزهرة ١/ ٢٥١، والقالي ٣/ ١٠٦، ورسالة الصاهل والشاحج ص ٢٧٣، ولشاعر قديم في زهر الآداب ١/ ٤٧٩.

(٢) العين للفراهيدي ٥/ ٢٣٩، بلا نسبة، ولسان العرب، ٢٧/٤ مادة (خترم) لخثيم بن عدي.

(٣) ديوان الكميت ص ٥٠٨.

(٤) ابن قتيبة: الميسر والقداح ص ٣٢- ٣٣.

(٥) الشوحط: شجر يتخذ منه القسي والسهام. انظر عنه: الميسر والقداح لابن قتيبة ص ٤٣.

«ملصق» كانَ على منزلتِهِ، لا نَسَبَ له ولا حِلفَ. وكانوا إذا أرادوا سَفَراً، أو أرادَ أحدُهم تزويجاً، جاءوا بمائةِ درهم، فقالوا: يا إلهَنا، إنّا أردنا كذا وكذا. فإن خرجَ «نعم» فعلوا، وإن خرجَ «لا» لم يفعلوا[1]. ومنه حديثُ أبي سُفيانَ، حينَ أرادَ الخروجَ إلى أُحُدٍ وإلى بدرٍ، وقد ذكرناه في بابِ الأصنامِ.

وكانوا إذا جنى أحدُهم جنايةً فاختلفوا فيمن يحتملُ العقلَ، جاءوا بمائةِ درهمٍ، فقالوا: يا إلهَنا، فلانٌ جنى عليه، فأخرجِ الحقَّ. فإن خرجَ القِدْحُ الذي عليه «فضل العقل»[2] على الذي ضُرِبَ عليه، لزمَهُ العقلُ، وبرئَ الآخرونَ. وإن خرجَ غيرُهُ كانَ على الآخرينَ العقلُ. وكانوا إذا عقلوا العقلَ، ففضُلَ الشّيءُ منه، تدارأوا مَن يحملُهُ، فضربوا عليه، فإن خرجَ القِدْحُ الذي عليه «فضل العقل» الذي ضُرِبَ عليه لزمَهُ، وإلّا كانَ على الآخرينَ الذين لم يُضرَبْ عليهم. فهذا هو الاستقسامُ بالأزلامِ الذي حرَّمَهُ اللّهُ. وإنّما حرَّمَهُ اللّهُ لأنّهم كانوا يُجيلونَ هذه السّهامَ عندَ الأصنامِ، ويطلبونَ القِسْمَ منها، ويظنّونَ أنَّ الذي يخرجُ لهم هو من الصّنَمِ.

وكانوا يَستأمِرونَ الصّنَمَ. فحرَّمَ اللّهُ ذلك. وقالَ الشّاعر: [البسيط]

هُمُ المُجيرونَ والمغبوطُ جارُهُمُ   في الجاهليَّةِ إذ يُستَأمَرُ الزُّلَمُ[3]

فقد دلَّ ذلكَ أنّهم كانوا يَستأمِرونَ، أي يأخذونَ الأمرَ منه، ويطلبونَ القِسْمَ منه. قالَ أبو عُبَيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿وأن تَسْتَقْسِموا بالأزلامِ﴾ [المائدة: ٣]: هو «استفعلتُ» من قسمتُ أمري بأن أُجيلَ القِداحَ لتقسمَ لي أمري: أأسافرُ أم أقيمُ أم أغزو أم لا أغزو ونحوَ ذلك، فتكونُ هي التي تأمُرني وتنهاني، ولكلٍّ ذلكَ قِدْحٌ معروفٌ[4]. وأنشدَ:

ولم أُقسِمْ فتربُثَني القُسومُ[5]

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٦/ ٩٤.

(٢) انفردت م بهذه الصيغة.

(٣) الميسر والقداح ص ٣٤: (المجيرون)، والمعاني ص ١١٧١: (المغيرون)، وديوان الكميت ص ٣٨٣.

(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٥٢.

(٥) في جميع الأصول: القسم.

فحرَّمَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ذلك، وهو الاستقسامُ بالأزلامِ، وسمّاه «فسقاً». فأمّا إجالةُ السِّهامِ على الشَّيءِ فهو غيرُ حرامٍ، وهو جائزٌ بينَ المسلمينَ، لأنَّ هذا تساهُمٌ، وذاك استقسامٌ بالأزلامِ، على ما بَيَّنّا.

[٣١٣]
الرِّجزُ والرِّجسُ والنَّجَسُ

قالَ الكسائيُّ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿رِجزاً منَ السَّماءِ﴾ [البقرة: ٥٩]، قالَ: هو العذابُ في لغةِ أهلِ الحجازِ. والرِّجسُ، بالسِّين، هو النَّتَنُ. قالَ أبو عبيدةَ في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿لئنْ كشفتَ عنّا الرِّجْزَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، قال: الرِّجز: العذابُ[١]. وأنشدَ لرؤبةَ: [الرجز]

حتى وَقَمْنا كيدَهُ بالرِّجْزِ[٢]

والرِّجْزُ والرِّجْسُ واحدٌ. قالَ أبو عبيد: سمعتُ غيرَ الكسائيِّ يقولُ: الرِّجْزُ والرِّجْسُ لُغتانِ بمعنىً واحدٍ، مثل قولِهم: السَّدع والزَّدع، وبُساق وبُزاق[٣]. قالَ ابنُ قتيبةَ في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿إنَّما الخمرُ والميسَرُ والأنصابُ والأزلامُ رِجْسٌ﴾ [المائدة: ٩٠]، أي معصيةٌ، والكفرُ والنِّفاقُ والمعاصي رِجسٌ[٤]. قالَ: ويدلُّكَ على ذلكَ أنَّ الأزلامَ هي القِداحُ، فأيُّ نَتَنٍ لها[٥]؟ وقالَ: وهذا مثلُ قولِهِ ﴿وأمّا الذينَ في قُلوبِهم مَرَضٌ فزادَتهم رِجْساً إلى رِجْسِهم﴾ [التوبة: ١٢٥]، أي نِفاقاً إلى نفاقِهم، ومثله ﴿ويجعَلُ الرِّجْسَ عَلى الّذينَ لا يَعقِلونَ﴾ [يونس: ١٠٠][٦]. قالَ: ومَن قالَ إنَّ الخمرَ رِجسٌ فقد صدقَ في اللَّفظِ، وغلطَ في المعنى، إن كانَ أرادَ

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٢٢٧، ولم يرد شعر رؤبة.
(٢) الزجاج: معاني القرآن ١/ ١٤٠، والزاهر ٢/ ٢١٤، وديوان رؤبة ص ٦٤، وأوله: ما رامنا من ذي عديد مُبز.
(٣) هكذا في جميع الأصول. والصدع والسدع والزدع، والبصاق والبساق والبزاق لغة في هذه المفردات.
(٤) الأشربة لابن قتيبة ص ٨١، طبعة كرد علي ص ٥٣.
(٥) الأشربة لابن قتيبة ص ٨١، طبعة كرد علي ص ٥٣.
(٦) الأشربة لابن قتيبة ص ٨١، طبعة كرد علي ص ٥٣.

أنَّها نَتَنٌ أنَّ الخمرَ ليستْ بمُنتنةٍ ولا قَذِرةٍ إلّا بالتَّحريمِ، فإنَّما أوجبَ النُّفورَ[1] منها[2]. فأمّا هي في نفسِها فكيفَ تكونُ مُنتِنَةً، وقد وصفوها بطيبِ الرّائحةِ؟ قالَ الأخطلُ: [البسيط]

كأنَّما المسكُ نُهْبى بينَ أرحُلِنا … ممّا تضوَّعَ من ناجودِها الجاري[3]

وقالَ آخرُ: [الكامل]

فتنفَّستْ في البيتِ إذ مُزِجَتْ … كتنفُّسِ الرَّيحانِ في الأنفِ[4]

قالوا: وكيفَ تكونُ مُنتِنةً، وقد وصفَها اللّهُ بطيبِ الرّائحةِ واللَّذَّةِ في الجنَّةِ، فقالَ عزَّ وجلَّ ﴿وأنهارٌ من خمرٍ لذَّةٍ للشّاربينَ﴾ [محمد: ١٥]، وقال ﴿ويُسقَونَ فيها كأساً كانَ مِزاجُها زَنجبيلاً﴾ [الإنسان: ١٧][5]. وقالَ غيرُهُ: وإنَّما قيلَ للخمرِ والميسرِ والأنصابِ والأزلامِ «رِجْس»، والرِّجسُ: النَّتَنُ، والخمرُ ليستْ بمُنتِنةٍ، بل هي طيِّبةُ الرِّيحِ، والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ ليسَتْ لها رائحةٌ، لا منتنةٌ ولا طيِّبةٌ، معناه أنَّ شاربَ الخمرِ ومَن يدينُ باستعمالِ الميسرِ وعبادةِ الأنصابِ والأزلامِ، هو رِجْسٌ، أي هو مُنتِنٌ قَذِرٌ. والرِّجسُ والنَّجَسُ هما النَّتَنُ والقَذارةُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿إنَّما المشركونَ نجسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، أي هم أقذارٌ مَناتينُ. وبهذا يوصَفُ كلُّ مَن يأتي المحارمَ في الإسلامِ. فكيفَ مَن يكونُ في حالِ الكفرِ؟ وقالَ جريرٌ للفرزدقِ: [الطويل]

تَدَلَّيتَ تزني من ثمانينَ قامةً … وقصَّرتَ عن باعِ العُلى والمكارمِ[6]
أبيتَ حدودَ اللّهِ مُذْ أنتَ يافعٌ … وشبتَ فما ينهاكَ شيبُ اللّهازمِ
هو الرِّجسُ يا أهلَ المدينةِ فاحذروا … مُداخِلَ رِجْسٍ بالخبيثاتِ عالمِ

---

(١) هكذا في كتاب الأشربة، وفي ب: التقزز، وفي م وأخواتها: التقذر.
(٢) الأشربة لابن قتيبة ص ٨١، طبعة كرد علي ص ٥٣، والعقد الفريد ٦/ ٣٨٢.
(٣) الأشربة لابن قتيبة ص ٨١، العقد الفريد ٦/ ٣٨٣، ديوان الأخطل ١١٩. والنهبى: النهب، والناجود: أول الخمر المصبوبة من الدن.
(٤) الأشربة لابن قتيبة ص ٨١، العقد الفريد ٦/ ٣٨٣. بلا نسبة، ولأبي نؤاس في زهر الآداب ١/ ٤١٤، وديوان أبي نؤاس ص ١١٧.
(٥) الأشربة لابن قتيبة ص ٨٢، طبعة كرد علي ص ٥٤.
(٦) نقائض أبي عبيدة ١/ ٣٩٦، وديوان جرير ٢/ ١٠٠١، مع اختلاف الترتيب.

فلمّا وصفَهُ بأنّه يأتي المحارمَ، وأنّه يزني، سمّاه «رِجْساً». وشاربُ الخمرِ وعابدُ الأوثانِ، وإن كانَ طيِّبَ الرّائحةِ، فإنَّ أفعالَهُ وأعمالَهُ السيِّئةَ تؤدِّي به إلى النَّتنِ والعذابِ. فمن أجلِ ذلكَ قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿إنّما الخمرُ والميسَرُ والأنصابُ والأزلامُ رِجْسٌ﴾، أي أنَّها تؤدّي إلى النَّتنِ والعذابِ. وقد وصفَ اللّهُ المنافقَ، فسمَّاهُ «رِجْساً»، فقالَ عزَّ وجلَّ ﴿فأعرِضوا عنهُمْ إنَّهم رِجْسٌ﴾ [التوبة: ٩٥]، أي هم النَّتَنُ والعذابُ، لما يظهرُ منهم من النِّفاقِ والخلافِ والفسادِ في الدّينِ، فيتأذّى بهم المؤمنونَ مثلَ أذاهم بالنَّتَنِ والعذابِ.

والرِّجسُ: النَّتَنُ والعذابُ، كما فسَّرَهُ العلماءُ وأصحابُ اللُّغةِ. فما كانَ بالسِّينِ فهو النَّتَنُ، وما كانَ بالزّاي فهو العذابُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿لَئِنْ كَشَفتَ عنّا الرِّجزَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، يعني العذابَ. وأمّا النَّجسُ فهو الدّاءُ الذي لا دواءَ له، ولا يبرأُ صاحبُهُ. يُقالُ: داءٌ نَجِسٌ، ونَجيسٌ، أي عَقامٌ، لا دواءَ له.

وقالَ الهذليُّ: [البسيط]

والشَّيبُ داءٌ نجيسٌ لا دواءَ لَهُ ... للمرءِ كانَ صحيحاً صائبَ القُحَمِ(١)

وقالَ آخرُ: [الطويل]

وداءٌ قدَ آعيا بالأطبّاءِ ناجسُ(٢)

فلمّا كانَ هكذا، سمّى كلَّ قذارةٍ «نجاسةً». فقد فسَّروا «الرِّجسَ» و«الرِّجزَ» على هذه المعاني أنَّه عذابٌ، وأنَّه نَتَنٌ، وسمّى اللّهُ عزَّ وجلَّ الخمرَ والميسرَ والأنصابَ والأزلامَ والنِّفاقَ «رِجساً»، لأنَّها معصيةٌ وقذارةٌ. فهي قَذِرَةٌ مُنتِنةٌ بالتَّحريمِ. والمستعملُ لها قَذِرٌ مُنتنٌ، وعاقبتُهُ العذابُ والعقابُ. وسمَّى اللّهُ السِّحرَ والكهانَةَ وما شاكلَهما جبتاً وطاغوتاً. فهذه الأسامي كلُّها ما كانَ عليه أهلُ الجاهليَّةِ هي رِجسٌ ورِجزٌ وجبتٌ وطاغوتٌ، لأنَّها صارتْ قذرةً منتنةً بالتَّحريمِ. فمَن ثبتَ عليها وطغى واستكبرَ كانَ طاغياً قَذِراً معذَّباً في الدُّنيا والآخرةِ(٣).

---

(١) لساعدة بن جؤية، ديوان الهذليين ١/ ١٩١. وقد أوردت رواية الديوان، وفي الأصول: صالح القثم والغثم.

(٢) لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ١/ ١٦١، وأوله: لشانئه طول الضراعة منهمُ.

(٣) من: وسمى الله السحر: سقطت من ب.

[٣١٤]

السِّحر والسَّاحر

قد ذكرَ اللّهُ عزَّ وجلَّ السِّحرَ في كتابِهِ في غيرِ موضعٍ، وأخبرَ أنَّ الشَّياطينَ هم الذينَ علَّموه النّاسَ، وقالَ ﴿واتَّبعوا ما تتلو الشَّياطينُ على مُلكِ سُلَيمانَ﴾ إلى قولِهِ ﴿يفرِّقونَ بِهِ بينَ المرءِ وَزَوجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وأخبرَ أنَّ السَّحَرَةَ تأخذُ السِّحرَ عن هاروتَ وماروتَ. وكانَ على هذا عامَّةُ النّاسِ.

ورُوِيَ في الحديثِ أنَّه لمّا ماتَ سُلَيمانُ عليه السَّلام، عمدتِ الشَّياطينُ، فكتبتْ أصنافَ السِّحرِ: «مَن كانَ يُحِبُّ أن يبلغَ كذا وكذا، فليفعلْ[١] كذا وكذا». وجعلوه في كتابٍ، ثمَّ ختموه بخاتمِ سُلَيمانَ بنِ داودَ، وكتبوا في عنوانِهِ «هذا كتابُ آصفَ بنِ برخيا الصِّدِّيقِ لسليمانَ بنِ داودَ من ذخائرِ كنوزِ العلمِ». ثمَّ دفنوه تحتَ كرسيِّهِ، فاستخرجَهُ بعدَ ذلك بقايا بني إسرائيلَ حينَ أحدثوا ما أحدثوا. فلمّا عثروا عليه قالوا: ما كانَ مُلكُ سُلَيمانَ إلّا بهذا[٢]. فأفشوا السِّحرَ في النّاسِ، فليسَ في أحدٍ أكثرُ منه في يَهود[٣].

وقد ذكرَ اللّهُ عزَّ وجلَّ أنَّ السِّحرَ العظيمَ كانَ أيّامَ موسى عليه السَّلام، ووصفَ سَحَرَةَ فِرْعَونَ في غيرِ موضعٍ. [قال:] ﴿فلمّا ألقوا سَحروا أعينَ النّاسِ واسترهَبوهُم وجاءوا بسِحْرٍ عَظيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وقالَ ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لميقاتِ يوم معلومٍ وقيلَ للنّاسِ هل أنتم مجتمعونَ لعلَّنا نتَّبعُ السَّحَرَةَ إن كانوا هُمُ الغالبينَ﴾ [الشعراء: ٤٠]. وشبَّهوا فعلَ موسى وما أتى به من الآياتِ بالسِّحرِ، وسمَّوه «ساحراً»: ﴿وقالوا يا أيُّها السّاحرُ ادْعُ لنا ربَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٩].

ويُروى عن ابنِ عبّاس في قولِهِ ﴿يا أيُّها السّاحرُ﴾، قالَ: أرادوا بذلكَ العالِمَ، يعظِّمونَهُ بذلك[٤]. وقالَ غيرُهُ: إنَّ السَّحَرَةَ كانوا عندَهم علماءَ، وكانوا يعظِّمونَهم. وقد نسبَ كفّارُ العربِ رسولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه إلى السِّحرِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ

---

(١) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: فليعمل.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ١/٥١٨، وقصص الأنبياء للثعلبي ص ٥٢.

(٣) في ب: شهود.

(٤) تفسير الطبري ٢٥/٩٥.

حكايةً عنهم ﴿وإنْ يَرَوا آيَةً يُعرِضوا ويقولوا سِحْرٌ مُستَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]، وقالَ ﴿ولو نَزَّلنا عَلَيكَ كِتاباً في قِرْطاسٍ فلَمَسوهُ بأيديهِمْ لَقالَ الذينَ كَفَروا إنْ هذا إلّا سِحْرٌ مُبينٌ﴾ [الأنعام: ٧]، وقالَ ﴿وعجبوا أنْ جاءَهم مُنذِرٌ منهم وقالَ الكافِرونَ هذا ساحِرٌ كذّابٌ﴾ [ص: ٤]. هذا في غيرِ آيةٍ من القرآنِ. وكذلك كانَ الكفّارُ في كلِّ زمانٍ ينسبونَ الأنبياءَ إلى السِّحرِ، ويسمُّونهم «سَحَرَةً» لما يرونَ منهم من الآياتِ والعجائبِ(١).

وقد أنكرَ قومٌ السِّحرَ، وتأوَّلوا فيما جاءَ في القرآنِ تأويلاتٍ، وأبطلوا ظاهرَ السِّحرِ. ولسنا ندفعُ التَّأويلَ، ولكن لا يجوزُ دفعُ العيانِ، وما كانتْ عليه الأُمَمُ. ولولا ما ظهرَ من السَّحَرَةِ من السِّحرِ المكشوفِ، وما عاينوا من العجائبِ، لما نَسَبوا الأنبياءَ إلى السِّحرِ حينَ أتوا بالآياتِ.

وقد رُوِيَ في الحديثِ أنَّ اليهودَ سحروا النَّبيَّ صلّى اللّهُ عليه وآله. روى هشام بنُ عروةَ عن عائشةَ أنَّ رسولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه سُحِرَ له حتى كان يُخيَّلُ إليه أنَّه يصنعُ الشَّيءَ ولم يصنعْه، حتّى إذا كانَ ذاتَ يومٍ، قالَ: أَشعَرتِ أنَّ اللّهَ قد أفتاني فيما فيه شفائي(٢). أتاني(٣) رَجُلانِ فجلسَ أحدُهما عندَ رأسي، والآخرُ عندَ رِجلي. فقالَ أحدُهما لصاحبِهِ: ما وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قالَ: مطبوبٌ. قالَ: ومَن طبَّهُ؟ قالَ: لبيد بنُ الأعصمِ. قالَ: في أيِّ شيءٍ؟ قالَ: في مُشْطٍ ومُشاطةٍ، وجُفِّ طلعةٍ ذَكَرٍ. قالَ: وأينَ هو؟ قال: في بئرِ ذي أروانَ(٤). قالتْ عائشةُ: قال رسولُ اللّهِ صلّى اللّه عليه: قد خشيتُ أن أُثوِّرَ(٥) على النّاسِ منه شرّاً.

وفي حديثٍ آخرَ أنَّه حينَ أُخرِجَ سحرُهُ، جعلَ عليٌّ رضوانُ اللّه عليه يحلُّهُ. فكلّما حلَّ عقدةً، وجدَ لذلك خِفَّةً، ثمَّ قامَ كأنَّما أُنشِطَ من عقالٍ(٦).

المُشاطة: الشَّعَرُ الذي يقعُ من الرَّأسِ إذا مُشِّطَ. وجُفُّ الطَّلعةِ: قشرُها.

---

(١) سقطت الجملة من هـ، ويبدو أن في النص نقصاً طويلاً، ربما يستغرق ورقة كاملة.
(٢) هكذا في صحيح البخاري، وفي الأصول: فيما استفتيته.
(٣) هكذا في جميع الأصول وصحيح البخاري، وفي غريب الحديث لابن قتيبة: جاءني.
(٤) صحيح البخاري (٣٢٦٨)، وغريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤١٨.
(٥) هكذا في الأصول، وفي صحيح البخاري: خشيت أن يثير ذلك على الناس شراً.
(٦) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤١٨، العقد الفريد ٦/ ٣٠٠.

وأُنشِطَ من عقالٍ: أي حُلَّ من عقالٍ. والعقالُ: الخيطُ[1] الذي يعقلُ به الرَّجلُ البعيرَ. ويُروى: مشاقة أيضاً. و[ذو][2] أروانَ: اسمُ بئرٍ[3].

فقد جاءَ ذِكْرُ السِّحرِ في القرآنِ وفي الحديثِ على ما ذكرنا. فأمّا معنى السِّحرِ في كلامِ العربِ فهو التَّعليلُ بالشَّيءِ، والمدافعةُ به، والتَّغريرُ بشيءٍ لا محصولَ له. يقال: سَحَرَهُ، إذا علَّلَهُ وغرَّرَهُ. وقالَ لبيد: [الطويل]

فإن تسألينا فيمَ نحنُ فإنَّنا ... عصافيرُ من هذا الأنامِ المسَحَّرِ[4]

قالَ أبو بكر القارئ[5] في معنى هذا البيتِ: المسحَّر: المعلَّل. وأنشدَ: [الكامل]

سِحراً كما سَحَرَتْ جرادةُ شَربَها ... بغرورِ أيامٍ ولهوِ ليالِ[6]

جرادة: اسمُ قَينةٍ، يعني علَّلتْهم بالغناءِ واللَّهوِ. وقالَ آخرُ: [الوافر]

وإنّا قد يُرى ما نحنُ فيه ... ونُسحَرُ بالشَّرابِ وبالطَّعامِ[7]

كما سُحِرَتْ به إرمٌ وعادٌ ... فأضحَوا مثلَ أحلامِ النِّيامِ

فالسِّحرُ هو التَّعلُّلُ بشيءٍ لا حاصلَ له. يُقال: أرضٌ مسحورةٌ، وقد سُحِرتْ سِحراً: التي يأخذُها المَطَرُ، فيقلبُ نباتَها ويقلعُهُ من أصولِهِ، ويقلبُ الأرضَ

---

(١) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: الحبل.

(٢) ذو: زيادة من ابن قتيبة، لم ترد في الأصول.

(٣) غريب الحديث لابن قتيبة ١/٤١٩.

(٤) ديوان امرئ القيس بشرح السكري ص ٥٤٠، ونوادر أبي مسحل ص ٣٣٩، والزاهر ١/٣٠٧، وديوان لبيد ص ٥٦.

(٥) أشرنا في المقدمة إلى أنه في الأرجح أبو بكر الحسن بن علي بن العلاف المتوفى سنة ٣١٨، الشاعر النحوي المقرئ، وذكرنا أنه يشترك مع أبي بكر ابن الأنباري صاحب كتاب الزاهر. وقد ورد هذا الرأي في الزاهر ١/٣٠٧، حيث ذكر ابن الأنباري أنه يعني المخدوعين، ويقال المعللين. كما يشترك مع أبي بكر الأصفهاني مؤلف «الزهرة».

(٦) اللسان، مادة (جرد)، وديوان تميم بن مقبل ص ١٨٧. وجرادة: مغنية جاهلية.

(٧) الزاهر ١/٣٠٧، والشعر للبيد في ديوانه ص ٢٠٩. وقد استشهد السكري ببيتين قريبين منهما من شعر امرئ القيس:

أرانا موضعين لحتم غيب ... ونسحر بالطعام وبالشرابِ

ديوان امرئ القيس بشرح السكري ص ٥٤٠.

لشدَّتِهِ[(١)]. قالَ: والسِّحرُ مأخوذٌ من قَلْبِ الأمرِ على غيرِ جهتِهِ. قالَ رؤبة[(٢)]: [الوافر]

وساحرةِ السَّرابِ مِنَ الموامي ترقَّصُ في نواشزِها الأُرومُ[(٣)]

يصفُ المفازةَ. أي تسحرُ الأبصارَ، لا يُدرى أينَ وجهُها.

فأصلُ السِّحرِ هو أن تعلِّلَ الإنسانَ بشيءٍ وتشبِّهَ عليه، حتّى لا يدري أينَ يتوجَّهُ، وتقلِبُهُ عن وجهِهِ. وكان السَّحَرةُ يعلِّلونَ النّاسَ بالباطلِ الذي يوردونَهُ عليهم، ويشبِّهونَ الباطلَ في صورةِ الحقِّ، ويقلبونَهُ عن جهتِهِ.

والسَّحرُ: الرِّئة[(٤)]. قالَ أبو عُبَيدة في قول اللّه عزَّ وجلَّ ﴿إن تتَّبعونَ إلّا رَجُلاً مَسحوراً﴾ [الإسراء: ٤٧]، أي له سَحرٌ، والسَّحر: الرِّئة. قالَ: وكذلك كلُّ طائرٍ ودابّةٍ، هو مسحورٌ، أي له سَحرٌ[(٥)]. وقالَ في بيتِ لبيد: «ونُسحَرُ بالشَّرابِ وبالطَّعامِ»، وفي قولِهِ: «فإنَّنا عصافيرُ من هذا الأنامِ المسحَّرِ»، أي نُغذى، أو نعلَّلُ به. قالَ: لأنَّ أهلَ السَّماءِ لا يأكلونَ، فأرادَ أن يكونَ ملَكاً[(٦)]. قالَ: ويُقال للرِّئة: سَحْر، وسَحَر، ومنه قيل للرَّجُلِ، إذا جبنَ، قد انتفخَ سَحرُهُ[(٧)]. قالَ: وجمعُهُ: أسحارٌ، وهيَ الرِّئةُ وما معَها.

قالَ أبو عبيد: هذا مذهبُ أبي عُبَيدةَ، وهو ممّا حكى عن العَرَبِ كما قالَ. إلّا أنّي لا أدري أهو تأويلُ هذه الآيةِ أم لا. وقالَ ابنُ الكلبيِّ في قولِهِ ﴿إنَّما أنتَ من المسحَّرينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣]، قالَ: المخلوقينَ[(٨)]. وهو قريبٌ من معنى قولِ

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٩/ ٢٢.

(٢) هكذا في جميع الأصول، والصحيح: قال ذو الرمة.

(٣) البيت في ديوان ذي الرمة ص ٥٩١، والرواية فيه: (وساجرة السراب)، وتفسير الطبري ٩/ ٢٢: (وساحرة العيون).

(٤) إصلاح المنطق لابن السكيت ص ١٩، والبيان والتبيين للجاحظ ١/ ١٦٩.

(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣٨١. وقال ابن قتيبة تعليقاً: لست أدري ما اضطره إلى هذا التأويل المستكره. تفسير غريب القرآن ص ٢٥٦.

(٦) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٣٨٢.

(٧) إصلاح المنطق ص ٩٧، ١٩.

(٨) ينظر: نوادر أبي مسحل ص ٣٤٠.

أبي عُبَيدة. وقالَ أبو عُبَيدة في قولِهِ ﴿سَحَروا أعينَ النّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦]، أي عَشَوا أعينَ النّاسِ، وأخذوها[١].

فالسِّحرُ على وجوهٍ كثيرةٍ، منه الأخذُ بالأعينِ، ومنه ما يفرِّقُ بين المرءِ وزوجِهِ، كما قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ، ومنه ما يشيخُ[٢] به الإنسانُ. وهو على ضروبٍ كثيرةٍ. وأصلُهُ مأخوذٌ من التَّعلُّلِ بالباطلِ، وقلبِ الأمرِ عن وجهِهِ من الحقِّ إلى الباطلِ، كما قد ذكرناهُ من لغةِ العربِ.

ويُقال للسِّحرِ: الطِّبُّ[٣]، ومنه رجلٌ مطبوبٌ، أي مسحورٌ، كأنَّه نوعٌ من العلاجِ، فخُولفَ في البناءِ بينَهُ وبينَ الطِّبِّ، لأنَّ الطِّبَّ أيضاً هو العلاجُ.

والتَّمائمُ أيضاً نوعٌ من السِّحرِ، واحدتُها تميمةٌ. وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه: «ما أبالي ما أتيتُ، إذا أنا شربتُ تِرياقاً أو تعلَّقتُ تميمةً، أو قلتُ شعراً من قِبَلِ نفسي»[٤]. قالَ وفي حديثٍ آخرَ: «مَن تعلَّقَ تميمةً فقد أشرَكَ»[٥]. وفي حديثٍ آخرَ «الرُّقى والتَّمائمُ والعوذةُ من الشِّركِ»[٦]. فكأنَّه عنى الرُّقى المذمومةَ التي ليستْ هي أسماءَ اللّهِ عزَّ وجلَّ، إنَّما هي من جنسِ السِّحرِ. فإنَّه كانَ صلّى اللّهُ عليه يعوِّذُ الحسنَ والحسينَ[٧]. والتَّميمة: خرزةٌ كانَ أهلُ الجاهليَّة يعلِّقونَها في العُنُقِ والعَضُدِ، ويزعمونَ أنَّها تدفعُ عن الإنسانِ العاهاتِ، ويقولونَ أيضاً إنَّها تدفعُ المنيَّةَ[٨]. قالَ الشّاعر: [الطويل]

إذا ماتَ لم تُفلِحْ مُزَينةُ بعدَهُ فنُوطي عليهِ يا مُزَينُ التَّمائما[٩]

وقالَ الهذليُّ: [الكامل]

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٢٢٥، وفي الأصول ومجاز القرآن: غشوا أعين الناس.
(٢) هكذا في م وب، وفي ج: يسبح، وفي ك: يسيخ، وفي هـ: يسيح.
(٣) أبو عبيد: غريب الحديث ٣/ ١١ عن الأصمعي.
(٤) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٤٥٠.
(٥) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٤٥١.
(٦) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٤٥١، الفائق ١/ ١٥٧.
(٧) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٥٦١.
(٨) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٤٥٠.
(٩) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤٥٠، وتأويل مختلف الحديث ص ٤٣٠، بلا نسبة.

وإذا المنيَّةُ أنشبتْ أظفارَها ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ[1]

وكانوا يعلِّقونَ أيضاً كعبَ الأرنبِ، ويزعمونَ أنَّه يدفعُ المنيَّةَ. قالَ امرؤ القيس: [المتقارب]

فيا هندُ لا تنكِحي بُوهةً عليهِ عَقيقتُهُ أحسَبا[2]
مرسَّعةٌ بينَ أرساغِهِ به عَسَمٌ يبتغي أرنَبا
ليجعلَ في ساقِهِ كعبَها حذارَ المنيِّةِ أن تعطبا[3]

[٣١٥]

هاروت وماروت

يُروى[4] أنَّ هاروتَ وماروتَ كانا ملكَينِ، وأنَّهما افتتَنا بامرأةٍ[5]، وأنَّهما معلَّقانِ ببابلَ، وأنَّ السَّحرةَ يأخذونَ عنهما السِّحرَ. وقد ذكرَهما اللّهُ في كتابِهِ فقالَ ﴿وما أُنزلَ على المَلَكينِ ببابلَ هاروتَ وماروتَ وما يعلِّمانِ من أحدٍ حتّى يقولا إنَّما نحنُ فِتنةٌ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وقد قُرِئَ (وما أُنزلَ على المَلِكَينِ ببابلَ). ويُقالُ إنَّ التي فتنتْهما هي الزُّهرةُ التي في السَّماءِ، فمسخَها اللّهُ شهاباً. وقد رُوِيَ في ذلك أخبارٌ كثيرةٌ عن أهلِ التَّفسيرِ على وجوهٍ شتّى. ورُوِيَ عن ابنِ عبّاس، وعن مجاهد، وعن ابنِ عُمَر، وعن كعب، وعن السُّدّيِّ وغيرِهم في شأنِ الملكَينِ أخبارٌ دخلَ كلامُ بعضِهم في بعضٍ، أنَّ الملائكةَ استعظمتْ وذكرتْ وأنكرتْ[6] أعمالَ بني آدمَ، وما يأتونَ من الذُّنوبِ، فقالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ لو كُنتُم مَكانَهم، لَأَتيتُم مثلَ ما يأتونَ من الذُّنوبِ، فاختاروا منكم مَلَكَينِ[7]، أُنزِلُهما يحكمانِ في الأرضِ بينَ بني آدمَ. فاختاروا هاروتَ وماروتَ. فقالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ (انزلا ولا تسرقا ولا تزنيا

---

(١) لأبي ذؤيب في ديوان الهذليين ١/ ٣.
(٢) ديوان امرئ القيس ص ١٢٨.
(٣) في ب: أن تغلبا.
(٤) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: يقال.
(٥) الجملة من م وك وج فقط.
(٦) هكذا العبارة في م وأخواتها، وفي ب: أن الملائكة ذكرت.
(٧) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: رجلين.

ولا تشركا بي شيئاً)[١].

قالَ مجاهد: فكانا يحكمانِ النّهارَ بينَ بني آدمَ، فإذا أمسيا عَرَجا، فكانا مع الملائكةِ، حتّى يُصبِحا[٢].

وقالَ كعب: واللّهِ ما أمسيا بعدَما نزلا حتّى أَتَيا ما حرّمَ اللّهُ[٣].

قالَ ابنُ عبّاس: فكانتِ الملائكةُ قبلَ ذلكَ يستغفرونَ لمن في الأرضِ، (ألا أنَّ اللّهَ هو الغفورُ الرَّحيم)[٤].

قالَ قومٌ: أُنزِلَتْ عليهما الزُّهرةُ في صورةِ امرأةٍ، تخاصمُ رجلاً، فقضيا عليها. فلمّا قامتْ، وجدَ كلُّ واحدٍ منهما في نفسِهِ، فقالَ أحدُهما لصاحبِهِ: أَوَجَدْتَ مثلَ ما وَجدتُ؟ قالَ: نعم. فبعثا إليها أن ائتينا[٥] نقضِ لكِ. فلمّا رجعتْ قالا لها: ائتينا البيتَ، فأتَتْهما، فكشفا لها عن عورتِهما. وكانتْ تلك شهوتَهما. فلمّا بلغا ذلك منها واستحلَياه، افتتنا. وطارتِ الزُّهرةُ فرجعتْ حيثُ كانتْ. فلمّا أمسيا عرجا، فلم يُؤذَنْ لهما. وأُمِرا أن ينزلا ببابلَ، فثمَّ عذابُهما. وزعموا أنَّهما معلَّقانِ في الحديدِ يصطفقانِ بأجنحتِهما[٦].

وقالَ قومٌ: كانتِ الزُّهرةُ من أهلِ الأرضِ. واختلفوا في ذلكَ. ولها حديثٌ طويلٌ[٧].

واختلفَ العلماءُ في تأويلِ هذه الآيةِ، فقرأَ بعضُهم (الملِكينِ). ورُوِيَ ذلك

---

(١) تفسير الطبري ١/ ٥٢٥.

(٢) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: حتى يصبحان. وفي تفسير الطبري ١/ ٥٢٧: وينزلان حين يصبحان.

(٣) تفسير الطبري ١/ ٥٢٥.

(٤) تفسير الطبري ١/ ٥٢٤.

(٥) في بعض الأصول: إن أتيتنا.

(٦) تفسير الطبري ١/ ٥٢٧.

(٧) أورد ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ٢٢٨، والطبري في تفسيره مختلف هذه الروايات ١/ ٥٢٢- ٥٢٨. وينظر: قصص الأنبياء للثعلبي ص ٥٢. ولا تخلو هذه الروايات من أوجه شبه مع الأساطير المنسوبة للزهرة أو عشتار في التراث العراقي القديم، كما في أسطورة هبوطها إلى العالم السفلي. وسيرد فيما يلي أن الأصل الاشتقاقي لاسم (ماروت) هو (مردوك) البابلي.

في وجهٍ عن ابن عبّاس أنّه قرأ كذلك. وقالَ: هما مَلِكانِ من الملوكِ. وعن عبد الرحمن بن البزّيّ: المَلِكينِ، وقالَ: هما داودُ وسليمانُ. وعن الضّحّاكِ[1]: الملِكينِ. وقالَ: هما عِلْجانِ من أهلِ بابلَ[2].

وعن عليٍّ رضوانُ اللّهِ عليه: مَلَكينِ من الملائكةِ. وعن ابن عُمَر مثله. وقالَ بعضُ أهلِ اللُّغة (وما أُنزلَ على المَلَكينِ ببابلَ) تمَّ الكلامُ، وهو وقفٌ. وكرهَهُ أكثرُ النّاسِ. وعن الحسن أنّه قالَ: (المَلَكينِ) من الملائكةِ، وبه قرأ حميد المكيُّ[3] وعامّةُ أهلِ الحجازِ وأهلِ الكوفةِ والبصرةِ. قالَ نصير[4]: مَن قرأ مَلِكينِ، فجعلَهما داودَ وسُلَيمانَ، أو جعلَهما عِلْجَينِ كما جاءَ في الحديثِ، ينبغي أن يَقرَأَ[5]: ببابلِ هاروتَ وماروتَ. ومَن جعلَ هاروتَ وماروتَ هما المَلِكانِ، فلا بأسَ أن يَقرَأَ ببابلِ هاروتَ وماروتَ ترجمةً عنهما، إن كانا كما قيلَ في الحديثِ. واللّهُ أعلمُ. ومن قرأ (المَلَكينِ) من الملائكةِ، قالَ (ببابلَ هاروتَ وماروتَ)، فجعلَ هاروتَ وماروتَ ترجمةً على المَلَكينِ. فهذا ما جاءَ في هاروتَ وماروتَ. واللّهُ أعلمُ بكيفيّتِهِ.

فأمّا من جهةِ اللُّغةِ فإنَّ هاروتَ هو «فاعول»، من «الهَرْت». والهَرْتُ: الفصاحةُ والبلاغةُ في الكلامِ. قالَ الشّاعر[6]: [الطويل]

هِزَبرٌ هريتُ الشِّدقِ رِئبالُ غابةٍ[7]

يصفُهُ بالشَّجاعةِ والفصاحةِ. وقالَ ابنُ مقبل: [البسيط]

عادَ الأذِلَّةُ في دارٍ وكانَ بها ... هُرْتُ الشَّقاشقِ ظَلّامونَ للجُزُرِ[8]

---

(١) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: وعن الصحابة.

(٢) ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث ص ٢٣٤.

(٣) حميد بن قيس الأعرج، أبو صفوان المكي، توفي سنة ١٣٠، غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٢٣٩.

(٤) هكذا في الأصول، ولعل الصحيح: نصر، والمقصود نصر بن عاصم الليثي.

(٥) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: يقول.

(٦) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: قال الشماخ. ومعه تتمة البيت.

(٧) ديوان الفرزدق ٢/ ٣٤٣، وتتمته: إذا سار عزته يداه وكاهله.

(٨) ديوان تميم بن مقبل ص ٧٤.

يصفُهم بأنَّهم كانوا فُصَحاءَ أسخياءَ.

والهُرْت: جمع هريت، وهو الفصيحُ البليغُ، ويُقال للفصيحِ الذَّلِقِ اللِّسانِ هو «هريتُ الشِّدقِ»، إذا كانَ بليغاً.

وماروتُ أيضاً هو «فاعول»، من المَرْتِ. والمَرْتُ: المفازةُ التي لا ماءَ فيها ولا كلأ. قالَ المتلمِّس: [البسيط]

أنَّى طربتِ ولم تُلحَي على طَرَبٍ ودونَ إلفِكِ أمراتٌ أماليسُ[1]

أمراتٌ: جمعُ مَرْتٍ. وقالَ الطِّرمّاح: [الوافر]

تراكلُ عرْبَسيسَ المتنِ مَرْتاً كظهرِ التّرسِ مُطَّردِ المتونِ[2]

العَرْبَسيسُ: المفازةُ اليائسةُ الواسعةُ، وكذلك المرت، شبَّهَها بظهرِ الترسِ لملاستِها وقلَّةِ العشبِ[3] بها ويَبَسِها. ويُروى: كظهرِ السَّيحِ.

فكأنَّ هاروتَ وماروتَ اشتُقَّ لهما هذانِ الاسمانِ من الفصاحةِ والبيانِ، ومن الجدوبةِ وقلَّةِ الخيرِ[4]. ويجوزُ أن يكونا قبلَ أن غضبَ اللّهُ عليهما، [كانَ] مَعَهُما العلمُ والبيانُ وكلامُ الحقِّ. فلمّا غضبَ اللّهُ عليهما[5]، قلَّ الخيرُ عندهما، وصارا بمنزلةِ المفازةِ التي لا خيرَ فيها ولا عشبَ[6]، أي هما عريانانِ من الخيرِ. ويجوزُ أن يكونا فيما هما من السِّحرِ بليغينِ فصيحينِ مَلِيئَينِ، وأنَّ بلاغتَهما لا تُجدي نفعاً، ولا تعقبُ خيراً. واللّهُ أعلمُ.

---

(١) ديوان المتلمس ص ٨٤.

(٢) ديوان الطرماح ص ٢٩٢. وتراكل: تضرب بأرجلها، وعربسيس المتن: أي المتن المستوي من الأرض، ورواية الديوان: (كظهر السيح).

(٣) في م وأخواتها: قلة العيش.

(٤) أرجح أن اشتقاق اسم ماروت مأخوذ من اسم الإله السومري (مردوك)، وهو اسم يتكون في السومرية من مقطعين: (مار)، ومعناها (ابن) و(أوتو) ومعناها النهار أو الشمس، فماروت هو ابن النهار، أما الكاف الآخرية فلاصقة للإضافة في اللغة السومرية، وهي لا تلفظ إلا إذا جاء بعدها حرف علة. انظر مقدمتي لترجمة كتاب: سفر التكوين البابلي. وفي ملحمة الخليقة البابلية «إنوما إيلش»، يطلق على مردوك اسم (ماروتو)، كواحد من أسمائه الخمسين المقدسة.

(٥) كان: زيادة منا لم ترد في الأصول، وسقطت الجملة من ب.

(٦) في م وأخواتها: ولا عيش.

[٣١٦]

يأجوج ومأجوج

قالَ اللّهُ تعالى ﴿إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ مُفسِدونَ في الأرضِ﴾ [الكهف: ٩٤]. قالَ أبو عُبَيدَةَ: لا ينصرفانِ، وبعضُهم يهمزُ ألفَهما، وبعضُهم لا يهمزُها[١]. وأنشدَ لرؤبة: [الرجز]

لـو أنَّ يـأجـوجَ ومـأجـوجَ مـعـا ... وعـادَ عـادوا واسـتـجـاشـوا تُـبَّـعـا[٢]

فلم يصرفْهما[٣]. وقرأهما[٤] أبو عمرو والكسائيُّ مهموزين. فكأنَّ يأجوج هو مأخوذٌ من «أجَّجَ» النّارَ، إذا أوقدَها، وكذلك أجَّجَ الفتنةَ، إذا أثارَها.

ومأجوج هو مأخوذٌ من: ماجَ، يموجُ، إذا اضطربَ. يُقال: ماجَ بهم الأمرُ، إذا اضطربَ بهم. ومنه موجُ البحرِ، وهو اضطرابُهُ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿جاءَتْها ريحٌ عاصفٌ وجاءَهم الموجُ من كُلِّ مكانٍ﴾ [يونس: ٢٢]. فكأنَّ يأجوجَ ومأجوجَ إذ فتحوا السَّدَّ، أجَّجوا نارَ الفتنةِ، وماجَ النّاسُ بعضُهم في بعضٍ. وبهذا وصفَهم اللّهُ عزَّ وجلَّ فقالَ ﴿فإذا جاءَ وعدُ ربّي جعلَهُ دَكَّاءَ وكانَ وعدُ ربّي حقّاً وتركنا بعضَهم يومئذٍ يموجُ في بعضٍ﴾ [الكهف: ٩٨- ٩٩]. وقالَ ﴿حتّى إذا فُتِحَت يأجوجُ ومأجوجُ وهم من كلِّ حَدَبٍ يَنسِلونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]. ورُوِيَ في حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه أنّه قالَ حينَ ذكرَهم: «عراضُ الوجوهِ، صغارُ الأعينِ، صهبُ الشِّعافِ، من كلِّ حَدَبٍ ينسلونَ». وقالَ إنَّ عيسى عليه السَّلام يحضرُ أصحابَهُ، فيرغبُ إلى اللّهِ، فيُرسِلُ اللّهُ عليهم النَّغَفَ في رقابِهم[٥]، فيصبحونَ فَرسى كموتِ نفسٍ واحدةٍ، فيُرسِلُ اللّهُ مطراً، فيغسلُ الأرضَ حتّى يتركَها كالزَّلَفةِ[٦]. والذي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ، إنَّ دوابَّ الأرضِ لتسمنُ وتشكرُ شكراً من لحومِهم[٧]. وقوله

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٤١٤، بقليل من الاختلاف.

(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٤١٤، وديوان رؤبة ص ٩٢.

(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٤١٤.

(٤) في جميع الأصول: وقرأ.

(٥) أبو عبيد: غريب الحديث ٥/ ٢٢٩.

(٦) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٢٨٢.

(٧) أورد ابن ماجة مختلف الروايات في كتاب الفتن من السنن.

«صهب الشّعاف»، يريدُ شعرَ الرَّأسِ، وشعفةُ كلِّ شيءٍ أعلاه، وكذلك شعفةُ الجبلِ أعلاه. والنَّغَفُ: دودٌ يكونُ في أنوفِ الغنمِ والإبلِ[1]، ومنه قيلَ للرَّجلِ [تحتقرُهُ][2]: يا نَغَفة. وفَرْسَى معناه: قَتْلى. والزَّلَفة: مصنعةُ الماءِ، وجمعها: زَلَف[3]. وتشكرُ: تمتلئُ، ومنه: شَكَرَت الشّاةُ، إذا امتلأ ضرعُها لبناً، وشاةٌ شَكرى[4].

[٣١٧]

الدّجّال

يُروى عن رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله في الدَّجّال أخبارٌ كثيرةٌ، منها قولُهُ عليه السَّلام في صفتِهِ إنَّه «أعورُ هجانٌ، كأنَّ رأسَهُ أصلةٌ، أشبهُ النّاسِ بعبد العُزَّى بنِ قطن[5]. ولكنَّ الهلكَ، كلَّ الهلكِ، أنَّه أعورُ، وإنَّ ربَّكم ليس بأعورَ»[6]. وفي روايةٍ أخرى: فإمّا هَلَكَتْ هلكَ، فإنَّ ربَّكم ليس بأعورَ. وفي روايةٍ أخرى: هجانٌ أقمرُ. وفي حديثٍ آخرَ: رجلٌ فيلقٌ، أجلى الجبينِ، ممسوحُ العينِ اليُمنى، أو قال: اليُسرى، عريضُ النَّحرِ، فيه دَفَأٌ.

قالَ أهلُ اللُّغة في تفسيرِ ذلك: الهجانُ: الأبيضُ، يُقال للذَّكرِ والأنثى «هجان»، وكذلك للواحدِ والاثنينِ والجمعِ «هجان»، وربَّما قالوا للجمعِ «هجائن». والأزهرُ: الأبيضُ، والأقمرُ: الأبيضُ الشَّديدُ البياضِ. والأصلة: الأفعى. وقوله «إمّا هلكتْ هَلَكَ» يعني: إن هلكتْ به جماعةٌ وضلَّتْ فاعلموا أنَّ اللّهَ ليسَ بأعورَ. وقوله «الهلكُ كلّ الهلكِ أنَّه أعورُ» ولا يقدرُ [أن][7] يغيِّرَ عَوَرَهُ، واللّهُ ليسَ بأعورَ. والفيلقُ: الكتيبةُ العظيمةُ. قالَ الأعشى: [السريع]

---

(١) أبو عبيد: غريب الحديث ٥/ ٢٣٠، نقلاً عن الأصمعي.

(٢) زيادة من غريب الحديث لابن قتيبة.

(٣) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٢٨٢.

(٤) في إصلاح المنطق لابن السكيت ص ١٩٤: ضرة شكرى، إذا كانت ملأى من اللبن.

(٥) هكذا في غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٣٧٤.

(٦) صحيح البخاري (٧١٣١)، و (٦٩٩٩)، وسنن الترمذي (٢٢٥٢).

(٧) زيادة منا لم ترد في الأصول.

في فيلقٍ جاءَ وملمومةٍ		تعصفُ بالدّارعِ والحاسرِ[1]

قالَ: شبَّهَهُ بالفيلقِ في عِظَمِهِ[2]. والأجلى: الذي قد انحسرَ الشَّعرُ عن مقدمِ رأسِهِ قليلاً. ودفأ، مقصور، يريدُ به انحناء، وأصلُهُ الميلُ. وشاةٌ دفواءُ، إذا مالَ قَرْناها ممّا يلي العِلباوين[3].

وقد رُوِيَ أنَّ النَّبيَّ صلّى اللّه عليه وآله سمّاه «المسيح الدَّجّال». ومسيحٌ معناه ممسوحٌ، لأنَّه أعورُ [في][4] إحدى عينيه ممسوحُها[5]. وقد جاءَ في الحديثِ «ممسوحُ العينِ اليُمنى»، وفي حديثٍ آخر: اليُسرى. وروى أبو عبيد بإسنادٍ له عن منصور بن إبراهيمَ قالَ: المسيحُ: الصِّدّيق، وهذا في صفةِ عيسى عليه السَّلام. قالَ أبو عبيد: وفيه معنيانِ؛ إذا أردتَ عيسى، فهو الذي فسَّره إبراهيمُ أنَّه الصِّدِّيق، قالَ: وأظنُّ الكلمةَ عبرانيَّةً أو سريانيَّةً «مشيحا»، فعُرِّبَ فقيلَ «المسيح»، كما عُرِّبَ سائرُ الأسماءِ التي في القرآنِ، مثل: إسماعيلَ، وإسحاقَ، وموسى، وعيسى. والمعنى الآخرُ أن يريدَ به المسيحَ الدَّجّال، فذلك معناه أنَّه ممسوحُ العينِ، كما قالوا للمجروحِ «جريح»، وللمقتولِ «قتيل». فيعني أنَّه ممسوحُ العينِ. وبعضُهم يقولُ «اليسرى»، وبعضُهم يقولُ «اليمنى»[6].

وقالَ غيرُ أبي عبيد: المسيحُ في صفةِ عيسى معناه «الممسوح»، لأنَّهم كانوا يمسحونَ النّاسَ بدهنٍ كانَ عندَ كبيرِهم. فكانوا إذا بلغَ الولدُ أحضروه عندَهُ. وكانَ

---

(١) هكذا ورد في غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٣٧٥، وديوان الأعشى ص ٩٦، وقد ذكر الشطر الأول بطريقة لا يصح الاستشهاد بها هنا: يجمع خضراء لها سورة.

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٣٧٥.

(٣) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٣٠٩.

(٤) زيادة منا لم ترد في الأصول.

(٥) في تفسير غريب القرآن المنسوب للإمام زيد بن علي، ص ١٥٤: المسيح: الصديق، والمسيح الممسوح العين، وهو الدجال. وينظر: معاني القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٣.

(٦) انظر: تعبير الرؤيا لابن قتيبة ص ٤٠، وقدم اقتراحاً آخر مفاده: أن الدجال سُمِّيَ مسيحاً لأنه يمسح الأرض إذا خرج، أي يسير فيها، ولا يستقر بمكان. ونقل الجاحظ في البخلاء ص ١٠٧ عن بعض المفسرين أن نوحاً مشتق من النوح، وآدم من الأديم، وأن المسيح «إنما سمي المسيح لأنه مسح بدهن البركة. وقال بعضهم: لأنه كان لا يقيم في البلد الواحد، وكان كأنه ماسح يمسح الأرض».

الدّهنُ في قارورةٍ، فيُمسَحُ على رأسِهِ قطرةٌ من ذلك الدُّهن. وكانَ هذا سُنَّةً فيهم. وقالَ: لمّا أُحضِرَ المسيحُ، مُسِحَ على رأسه قطرةٌ من دهنٍ، فتقطَّرَ من كلِّ شعرةٍ في رأسِهِ قطرةٌ من دهنٍ. فسُمِّيَ «المسيحُ» لذلك.

وقالَ بعضُ أهلِ اللُّغةِ: المسيحُ في كلامِ العربِ من المَسحةِ، والمَسحةُ: الجَمالُ. ويُقال: على وجهِ فلانٍ مَسحةٌ من جمالٍ[١]. وقالَ ذو الرّمَّة: [الطويل]

على وجهِ ميٍّ مَسحةٌ من ملاحةٍ ... وتحتَ الثّيابِ الشَّينُ لو كانَ باديا[٢]

وقالَ النّبيُّ صلّى اللّهُ عليه في جرير بن عبد اللّه البجليِّ: «عليه مَسحةُ مَلَكٍ»[٣]، أي جمالُ مَلَكٍ. وكانَ جرير فيما يُقال رائعَ الجمالِ، يُشبَّهُ بالمَلَكِ. والرَّجُلُ يُشبَّهُ بالمَلَكِ، إذا كانَ جميلاً. يُقال للرَّجلِ الجميلِ: ما هو إلا مَلَكٌ كريمٌ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ في صفةِ يوسُفَ عليه السلام ﴿قلنَ حاشَ للّهِ ما هذا بَشَراً إنْ هذا إلّا مَلَكٌ كريمٌ﴾ [يوسف: ٣١]. شبَّهنَهُ بالملكِ لجمالِهِ. وبذلك كانَ يُوصَفُ يوسُفُ عليه السَّلام.

فالمسيحُ كأنَّه «ممسوحٌ» بالجمالِ. والأصحُّ عندنا في أمرِ عيسى عليه السَّلام أنَّه سُمِّيَ «مسيحاً» من جهةِ الدُّهنِ الذي ذكرناه، واللّهُ أعلمُ.

ويُقال أيضاً: ماءٌ مسيحٌ. وأنشدَ: [الوافر]

إلى أيِّ نُساقُ وقد بلغنا ... ظماءً عن مسيحةِ ماءِ بشرِ[٤]

ويُقال: مسحتُ أذاه بجنبي، أي احتملتُهُ.

فأمّا «الدَّجّال» فهو مأخوذٌ من الدَّجْلِ والدَّجَلِ والدَّجنِ جميعاً. وهو إلباسُ الغيمِ وظلمتُهُ. قالَ طَرَفةُ: [الطويل]

وتقصيرُ يومِ الدَّجنِ والدَّجنُ مُعجِبٌ ... بِبَهكَنةٍ تحتَ الطِّرافِ الممدَّدِ[٥]

---

(١) العين للفراهيدي ٣/١٥٦.

(٢) العين للفراهيدي ٣/١٥٦، بلا نسبة، ونسب لأم ذي الرمة على لسانه في أمالي الزجاجي ص ٨٩. ولا يوجد في ديوان ذي الرمة.

(٣) المعارف لابن قتيبة ص ٢٩٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/٩٠.

(٤) استشهد به السكري في شرح أشعار الهذليين ١/١٧، ونسبه لأحد الهذليين. وقال: بشر: مكان. وفي الأصول بعض الارتباك.

(٥) ديوان طرفة بن العبد ص ٢٩. وفيه: الطراف المعمد.

ويومُ الدَّجنِ: يومُ الغيمِ وإلباسُ الظُّلمةِ. وربَّما أُقيمَتِ النَّون مقامَ اللّامِ لقُربِ مخرجِهما. وكانَ أبو عُبَيدةَ يقولُ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿من سجِّيلٍ﴾ [الفيل: ٤]: يعني بالسِّجِّيلِ الشَّديدَ، وينشدُ بيتَ ابنِ مقبل:

ضرباً تواصى به الأبطالُ سِجّيلا[١]

والرِّواية: سِجِّينا، بالنُّونِ. فأقامَ اللامَ مقامَ النُّونِ[٢].

فكأنَّ الدَّجّال هو «فعّال» من الدَّجَلِ، وهو الظُّلمة وإلباسُ الغيمِ، فكأنَّه يُلبِّسُ على النّاسِ، يُظلِّمُ عليهم أمرَ دينِهم، حتّى لا يعرفوا رشدَهم، فيدَّعي الرُّبوبيَّةَ، وهم لا يعلمونَ، لما يوردُ عليهم من مخاريقِهِ وسحرِهِ، ولما يُشبِّهُ عليهم في دعاويه، كما قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ليردُّوهم وليَلبِسُوا عَلَيهم دينَهم﴾ [الأنعام: ١٣٧]. والدَّليلُ على ذلك قولُ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه فيه حيثُ يقولُ «الهلكُ كلَّ الهلكِ، أنَّه أعورُ، وإنَّ ربَّكم ليسَ بأعورَ». أي أنَّ هلكَهُ في أنَّه لا يقدرُ مع حِيَلِهِ أن يغيِّرَ عَوَرَهُ. فَعَوَرُهُ يكشفُ أمرَهُ للنّاسِ، حتّى يقفوا على دعاويه الكاذبةِ، ولا يهلكُ عليه مَن يرى عَوَرَهُ، ولا يلتبسُ عليه أمرُهُ.

ويُروى في حديثٍ آخرَ: يخرجُ بينَ يَدَي السّاعةِ كذا وكذا دجّالاً، فسمّى هؤلاءِ أيضاً «دجاجلة»[٣] غيرَ ذلك الدَّجّالِ الأكبرِ، يعني أنَّهم أصحابُ المخاريقِ والشُّبَهِ والتَّلبيساتِ. فأمّا الدَّجّالُ الأكبرُ فقد روى سمرة بن جندب عن النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وآله، قالَ: الدَّجّالُ غالبٌ، وهو أعورُ العينِ اليمنى، عليه ظفرةٌ غليظةٌ، وأنَّه يُبرئُ الأكمهَ والأبرصَ، ويُحيي الموتى، فيقولُ للناسِ: أنا ربُّكم، فمَن قالَ: أنتَ رَبّي، فقد فُتِنَ، ومن قالَ: اللّهُ رَبّي حتّى يموتَ، فقد عُصِمَ من فتنةِ الدَّجّالِ. ولا فتنةَ عليه ولا عذابَ، فيلبثُ في الأرضِ ما شاءَ اللّهُ، ثمَّ يجيءُ عيسى بن مريمَ عليه السَّلام مصدِّقاً بمحمَّد صلّى اللّهُ عليه وبملَّتِهِ، فيقتلُ الدَّجّالَ، ثمَّ إنَّما هو قيامُ السّاعةِ[٤].

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٢/٣١٢.

(٢) ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص ٢٠٨.

(٣) في صحيح مسلم: دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، ٨/١٨٩.

(٤) سنن ابن ماجة (٤٠٧٧).

وفي حديثٍ آخرَ: ينزلُ المسيحُ من السَّماءِ، فيقتلُهُ «فلا يبقى على الأرضِ شيءٌ ممّا خلقَهُ اللّهُ يتوارى به يهوديٌّ إلّا أنطقَ اللّهُ ذلك الشَّيءَ، لا شجرٌ ولا حجرٌ ولا دابةٌ، إلّا ويقول: يا عبدَ اللّهِ المسلمَ، هذا يهوديٌّ فاقتلْه، إلّا الغرقدَةَ، فإنَّها من شجرِهم، فلا تنطقُ. وتُرفَعُ الشَّحناءُ والتباغضُ، وتنزَعُ حمةُ كلِّ دابّةٍ، حتّى يُدخِلَ الوليدُ يدَهُ في فمِ الحَنَشِ، فلا يضرُّهُ، وتكونُ الأرضُ كفاثورِ الفضَّةِ، تنبتُ كما كانتْ تنبتُ على عهدِ آدمَ، يجتمعُ النَّفَرُ على القِطفِ فيُشبِعُهم»[1].

فوصفَ النَّبيُّ صلّى اللّه عليه الدَّجّالَ بهذه الصِّفاتِ وهذه العلاماتِ ليدلَّ النّاسَ عليه، حتّى لا يفتتِنوا بِهِ، وبما يوردُهُ من التَّلبيسِ والمخاريقِ التي يظلمُ بها عليهم دينَهم ويلبِّسُهُ.

[٣١٨]

الكاهن

كانَ في العربِ قومٌ يتكهَّنونَ من الرِّجالِ والنِّساءِ، حتّى شهرتْ أخبارُهم. وكانوا يتحاكمونَ إلى الكاهنِ والكاهنةِ فيما يختلفونَ فيه من أمورِهم الغائبةِ عنهم وعن أفهامِهم، إذا اختلفوا في نسبِ رَجُلٍ، أو ارتابوا في غائبٍ، أو تماروا في أمرٍ، فكانَ الكاهنُ يسجعُ لهم، ويخبرُهم به، فيما كانوا يزعمونَ. وقد رُوِيَتْ لهم أخبارٌ كثيرةٌ في هذا. وربَّما تحاكموا إلى الكاهنِ، فيخبِّئونَ له خبيئةً، فإذا استخرجَ الخبيئةَ، رَضوا بحكمِهِ.

ورُوِيَ في بعضِ أخبارِهم أنَّ قوماً تحاكموا إلى بعضِ كهنتِهم، فقالوا: نخبِّئُ له خبيئةً، فأخذوا جرادةً صفراءَ وأدرجوها في قطعةِ شنٍّ، وعلَّقوها في عُنُقِ كلبٍ كانَ معَهم، وكان اسمُ الكلبِ «سواراً». فلمّا أتوه قالوا له: قد خَبأنا لكَ خبيئةً، فما هو؟ فقالَ الكاهنُ: خبأتم شيئاً طارَ[2]، أصفرَ كالدِّينارِ. فقالوا: لاذه، نريدُ أبيَنَ من هذا. فقالَ: خبأتم لي جَرادة، في عروةٍ من مزادة، في عنقِ سوارٍ ذي

---

(١) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٢٧٤، وسنن ابن ماجة (٤٠٧٧). والغرقد: شوك العوسج، والحمة: السم، والحنش: الأفعى، والفاثور: إناء من فضة، والقطف: العنقود.
(٢) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: طيار.

قِلادة. قالوا: أصبتَ، فاحكمْ بينَنا[1].

ولهم في هذا أخبارٌ كثيرةٌ. ومن أخبارِهم المشهورةِ ما رواه أهلُ الحديثِ من أمرِ سطيح الكاهن أنَّه لمّا كانتِ الليلةُ التي وُلِدَ فيها رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله، أو قالَ: بُعِثَ، ارتجسَ إيوانُ كسرى، فسقطتْ منه أربعَ عشرةَ شُرفةً، وخمدتْ نارُ فارسَ، ولم تخمدْ قبل ذلكَ بألفِ عامٍ، وغارتْ[2] بُحَيرةُ ساوةَ، فأفزعَ ذلك كسرى، وصبرَ عليه. فلمّا عيلَ صبرُهُ، رأى أن يسألَ عنه وزراءَهُ ومرازبتَهُ. فلبسَ تاجَهُ، وقعدَ على سريرِهِ، وجمعَهم إليه، فأخبرَهم. فقالَ الموبذانُ: أنا، أصلحَ اللّهُ المَلِكَ، قد رأيتَ في هذه الليلةِ إبلاً صِعاباً، تقودُ خَيلاً عِراباً، قد قطعتْ دجلةَ، وانتشرتْ في بلادِنا. فقالَ: أيُّ شيءٍ هذا، يا موبذانُ؟ وكانَ أعلمَهم. فقالَ: حادثٌ يكونُ[3] من ناحيةِ العربِ. فكتبَ إلى النُّعمانِ بنِ المنذرِ: أمّا بعدُ، فابعثْ إليَّ برجلٍ عالمٍ، أسألُهُ عمّا أريدُ. فوجَّهَ إليه بعبدِ المسيحِ بن عمرو بن نفيلةَ[4] الغسّانيِّ. فلمّا قدمَ عليه، أخبرَهُ، فقال: أيُّها الملكُ، علمُ ذلكَ عندَ خالٍ لي يسكنُ مشارفَ[5] الشّامِ، يقالُ له «سطيح». فقالَ: فأتِهِ فاسألْهُ عمّا أخبرتُكَ، ثمَّ ائتني بجوابِهِ.

فركبَ عبدُ المسيحِ راحلتَهُ حتّى وردَ على سطيح، وقد أشفى على الموتِ. فسلَّمَ عليه، فلمّا سمعَ سطيح كلامَهُ، رفعَ رأسَهُ وقالَ: عبدُ المسيحِ، على جَمَلٍ مشيحٍ، جاءَ إلى سَطيح، وقد أشفى على الضَّريحِ، بعثَكَ ملكُ بني ساسانَ، لارتجاسِ الإيوانِ، وخُمودِ النِّيرانِ، ورؤيا الموبذانِ، وذكرَها. قالَ: نعم، فما عندَكَ فيه؟ قالَ: يا عبدَ المسيحِ، إذا كَثُرَتِ التِّلاوة، وبُعِثَ صاحبُ الهراوة، وفاضَ وادي السَّماوة، وغاضتْ[6] بُحَيرةُ ساوة، وخمدتْ نارُ فارسَ، فليستِ

---

(١) نقل البغدادي في خزانة الأدب ٣/ ٩١ نقلاً عن ابن الكلبي أن هذه الحكاية من قول الكاهن الذي سافر إليه عبد المطلب وحرب بن أمية.

(٢) في دلائل النبوة: وغاضت.

(٣) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: حادثة تكون.

(٤) في دلائل النبوة: عبد المسيح بن حيان بن نفيلة. وفي بعض المصادر: ابن بقيلة.

(٥) في الأصول: مشارق.

(٦) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: وغارت.

الشّامُ لسطيح شاماً، ولا تستطيعُ فارسُ بالسَّوادِ مقاماً، يملكُ منهم ملوكٌ وملكاتٌ، على عددِ الشُّرُفاتِ، وكلُّ ما هو آتٍ آتِ.

ثمَّ قضى سطيح فماتَ، فانصرفَ عبدُ المسيحِ إلى كسرى، فأخبرَهُ بذلكَ، فقالَ كسرى: إلى أن يمتلكَ منّا أربعةَ عشرَ دهرٌ طويلٌ[1]. فما أتى على ذلكَ إلّا قليلٌ حتّى ملكَ أربعةَ عشرَ في مدَّةٍ يسيرةٍ. وكانَ في مَن ملكَ بُورانُ بنتُ كسرى، التي عقدوا التّاجَ على بطنِها، وهي حاملٌ. فبلغَ ذلك النَّبيَّ صلّى اللّه عليه، فقالَ: لن يُفلِحَ قومٌ أسنَدوا أمرَهم إلى امرأةٍ[2]. وهذا خبرٌ مشهورٌ فيه زياداتٌ قد رواه قومٌ من أهلِ الفقهِ وحَمَلةِ الحديثِ، ودوَّنَهُ[3] ابنُ قتيبةَ في كتابِ «دلالاتُ نُبوَّةِ[4] رسولِ اللّهِ»[5] صلّى اللّه عليه وسلَّمَ.

وقالَ بعضُ المفسِّرينَ في قول اللّه عزَّ وجلَّ ﴿والذين اجتنبوا الطّاغوتَ أن يعبدوها﴾، [الزمر: ١٧] قالَ: الكاهن. قالَ أبو عبيد: وإنَّما أنَّثوا الطّاغوتَ[6] لأنَّهم كانوا يسمُّونَ الكاهنَ والكاهنةَ «الطاغوت». وروى بإسنادٍ له عن جابر بن عبد اللّه قالَ: كانتْ في جُهَينةَ واحدةٌ، وفي أسلمَ واحدةٌ، وفي غطفانَ واحدةٌ[7]، وفي كلِّ حيٍّ واحدةٌ. وقد ذكرنا ذلك في بابِ الطّاغوتِ.

وكانَ أمرُ الكهّانِ[8] مشهوراً في العربِ. ورُوِيَ عن رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٢٤، ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ٤/ ١٦٠، والتذكرة الحمدونية ٨/ ١٠، ودلائل النبوة للأصفهاني ص ١٤١، والبداية والنهاية ٢/ ١٦٨ (نقلاً عن هواتف الجان للخرائطي).

(٢) صحيح البخاري (٤٤٢٥).

(٣) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: وقد رواه.

(٤) نبوة: زيادة من م وأخواتها.

(٥) سماه ابن الأنباري في نزهة الألباء ص ١٦٠، وابن النديم في الفهرست ص ١٠٦ «دلائل النبوة»، وسماه أبو الطيب اللغوي في مراتب النحويين ص ٨٥ «معجزات النبي»، وفي الخزانة التيمورية كتاب لابن قتيبة عنوانه «معجزات رسول اللّه»، انظر: المعارف، مقدمة المحقق، ص ٤٦.

(٦) من (قال الكاهن) سقط من هـ.

(٧) وفي غطفان: زيادة من م وأخواتها وهـ.

(٨) في م وأخواتها: الكاهن.

وآله أنّه قالَ: «إيَّاكم والنُّجومَ فإنَّها تدعو إلى الكهانةِ»[1]. وسمعتُ بعضَ أهلِ الأدبِ[2] يذكرُ، قالَ: «الكاهنُ» بالعبرانيَّة: العالمُ، وهم يقولونَ للعالِمِ «كاهنا»[3]. قالَ: وكانوا يسمُّونَ هارونَ بن عمرانَ «كَهْنا رَبّا»، معناه «عالِمُ الرَّبِّ». قالَ: ومثل هذا قولُ عليِّ بن أبي طالب عليه السَّلام في حديثِ كُمَيل حيثُ يقول[4]: «عالِمٌ ربّانيٌّ». ومثله قولُ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله وسلَّم في أميرِ المؤمنينَ عليه السَّلام[5]: «أنتَ ربّانيُّ هذه الأُمَّةِ»[6]. وقالَ له: «أنتَ منّي بمنزلةِ هارونَ من موسى». وسمّاه «ربّانيّاً»، وهو مثلُ قولِ أهلِ التَّوراةِ في هارونَ «عالِمُ الرَّبِّ»، حيث سمّوه «كَهْنا رَبّا». فكأنَّ الكاهنَ كانَ عندَهم اسمَ «العالِم». وكانوا إذا سمَّوه «كاهناً» مدحوه به، وبجَّلوه بذلك إذا دعوه بهذا الاسم. كما كانوا يسمُّونَ العالمَ أيضاً «ساحراً»، كما رُوِيَ عن ابن عبّاس في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿يا أيُّها السَّاحرُ ادعُ لنا ربَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٩]. أرادوا بذلك: يا أيُّها العالمُ، يعظِّمونَهُ بذلك. والدَّليلُ على تصحيحِ قولِ ابنِ عبّاس أنَّهم قالوا: ﴿ادعُ لنا ربَّكَ بما عهدَ عندَكَ﴾ [الزخرف: ٤٩]. وقد قالَ فِرعونُ في صفةِ موسى عليه السَّلام ﴿إنَّ هذا لَساحرٌ عليمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩]، وقوله في صفةِ السَّحَرَةِ ﴿يأتوكَ بكلِّ سحّارٍ عليمٍ﴾ [الشعراء: ٣٧]. وهذا لأنَّ الكهانةَ والسِّحرَ كان عندَهم نوعاً من العلمِ، وكانَ السّاحرُ والكاهنُ[7] عندَهم اسمينِ محمودَينِ يعظِّمونَ من يُسمُّونَهُ بهما. فلمّا جاءَ اللّهُ بالإسلامِ، ونُسِخَ أمرُ الكهانةِ والسِّحرِ، صارَ هذانِ الاسمانِ مذمومَينِ عند المسلمينَ، لما كشفَ اللّهُ لهم ما في ذلك من الشَّرِّ، ولأنه أمرٌ قد انقرضَ[8].

---

(١) ذكر المؤلف هذا الحديث في أعلام النبوة ص ٢١١.
(٢) هكذا في ب وم وك وج، وفي هـ: الأديان.
(٣) هكذا في ب، وفي م وأخواتها وهـ: وهم يقولون للعلماء كهناء.
(٤) في حديث كميل: سقطت من ب.
(٥) من (ومثله) سقط من هـ.
(٦) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٤٤٣.
(٧) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: الكاهن والعالم.
(٨) ولأنه أمر قد انقرض: زيادة من م وأخواتها.

وقبلَ هذا كانَ المجوسُ[1] يسمُّون العالمَ «هربذاً»، وكانوا إذا عظَّموا رَجُلاً، ونسبوه إلى العلمِ قالوا له: يا هربذ[2]. وهو معرَّبٌ، وإنَّما هو بالفارسيَّة «إيهربذ»[3]. فلمّا نُسِخَتِ المجوسيَّةُ بالإسلامِ، صارَ هذا الاسمُ ذمّاً عندَ المسلمينَ، كما ترى إذا أرادوا أن يسمُّوا رَجُلاً مجوسيّاً قالوا له «هربذ». وكذلك مجرى الكاهنِ والسّاحرِ.

قالَ: وإنَّما كانَ الكاهنُ يعلمُ ما يعلمُ من أمرِ الكهانةِ أنَّ الشَّياطينَ كانوا يسترقونَ السَّمعَ من موضعِ التَّدبيرِ، فيُلقونَ ما يعاينونَ منه على ألسنةِ الكهنةِ. فلمّا بعثَ اللّهُ محمَّداً صلّى اللّهُ عليه وآلِهِ مُنِعَتِ الشَّياطينُ من ذلك، وبَطُلَ أمرُ الكهانةِ. وقد ذكرنا ذلك في غيرِ هذا الموضعِ.

[٣١٩]

العائف والقائف والزّاجر

العيافةُ والقيافةُ والزَّجرُ نوعٌ من الكهانةِ، إلّا أنَّه أخفُّ في الكراهةِ. وذلك أنَّ الكاهنَ كان بمنزلةِ الحاكمِ، وقد كانَ من الكهّانِ مَن يُعبَدُ كما يُعبَدُ الصَّنَمُ[4]، وكانوا سَدَنَةَ الأصنامِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿والذينَ اجتَنَبوا الطّاغوتَ أن يعبُدُوها﴾ [الزمر: ١٧]، ففسَّروا أنَّه الكاهنُ.

وأمّا العائفُ والقائفُ والزّاجرُ، فلم تكنْ سبيلُهم كذلك، وإنَّما كُرِهَ لأنَّه كانَ يُخبِرُ بشيءٍ غائبٍ، فَكُرِهَ كما كُرِهَ أمرُ النُّجومِ تَوَقِّياً أن يكونَ مثلَ الدَّعوى في علمِ الغيبِ. والعائفُ هو الذي يعيفُ الطَّيرَ ويزجرُها، ويعبِّرُ بأسمائِها وأصواتِها ومساقِطِها ومجاريها[5]. فإذا سمعَ صوتَ طائرٍ، أو جرى عن يمينِهِ أو شمالِهِ، أو

---

(١) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: ومثل هذا أن المجوس.

(٢) سقطت الجملة من ب.

(٣) ذكر المسعودي «أن إير بالفارسية الأولى اسم جامع للخير والفضل، ومن ذلك قولهم لرئيس بيت النار «إيربذ»، أي رئيس الخيار الفاضلين، فعرب فقيل: هربد»، المسعودي: التنبيه والإشراف ص ٣٧.

(٤) في ج: الأصنام.

(٥) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٥١٥.

من يمينِهِ إلى شمالِهِ، أو من شمالِهِ إلى يمينه، قضى في ذلك بخيرٍ أو شرٍّ في الأمرِ الذي يُريدُ أن يفعلَهُ. فإذا قضى فيه بشرٍّ، تُجُنِّبَ ذلك الأمرُ. ويُقال: عافَ، يعيفُ، إذا فعلَ ذلك. قالَ الأعشى: [الرمل]

ما تعيفُ اليومَ في الطَّيرِ الرَّوَحْ   من غُرابِ البينِ أو تيسٍ بَرَحْ[1]

ومعنى عافَ: أي امتنعَ وتجنَّبَ. ويُقال: عافتِ الإبلُ الماءَ، إذا لم تشربْ. وكذلك يُقال في غيرِ الإبلِ. يُقال: عافَ الرَّجُلُ الماءَ، إذا تركَهُ وكرهَهُ ولم يشربْهُ. وكذلك: عافَ الطَّعامَ، إذا كرهَهُ. ومنه الحديثُ أنَّه قُدِّمَ إلى رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله ضبٌّ مشويٌّ، فلم يأكلْه[2]. فقالَ بعضُهم: لم يتركْه لأنَّه حرَّمَه، ولكنَّه عافَهُ، يعني: تقذَّرَ منه وكرهَهُ[3].

وأصلُ العائفِ من ذلك، لأنَّه يكرهُ الشَّيءَ من جهةِ الطَّيرِ والفألِ، فيمتنعُ منه. وقالَ لبيد: [الرمل]

عافتا الماءَ فلم [نُعطِنْهُما][4]

ويُقال في معنى العيافةِ: عافَ الرَّجُلُ الطَّيرَ، عِيافةً، وهو عائفٌ، وذلك إذا رأى غُراباً قضى بالغُربةِ، وإذا رأى طائراً على شَجَرِ البانِ قضى بالبَينِ والفراقِ، وإذا رأوه على شَجَرِ الغربِ قضوا بالغربةِ. قالَ الشّاعرُ: [الطويل]

ألا يا غُرابَ البينِ ما لَكَ كُلَّما   تذكَّرتَ ليلى أنتَ موفٍ فصائحُ
على غصنِ بانٍ أم على غُصنِ غربةٍ   تهيمُ بليلى برَّحتْكَ البوارحُ

وقالَ آخرُ: [الوافر]

تَغَنّى الطّائرانِ بِبَينِ سلمى   على غُصنَينِ من غربٍ وبانِ[5]

---

(١) ديوان الأعشى ص ٣٨.

(٢) أبو عبيد: غريب الحديث ٥/ ٢٤٣.

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٦١٨.

(٤) ديوان لبيد ص ١٨٥. والبيت في الأصل: عافت الماء فلم تشرب به. وتتمته: إنما يعطنُ من يرجو العلل. وأعطن الناقة: إذا سقاها ثم أناخها وحبسها عن الماء فبركت بعد الورود لتعود وتشرب. يقصد أنه لا يتعلل ليعود إلى الراحة خوفاً أو تعباً.

(٥) لسوار بن المضرب في المعاني الكبير ص ٢٦٤، وغريب الحديث ٢/ ٥١٥، وللمعلوط في عيون الأخبار ١/ ١٨٥، ولجحدر الفقعسي في الزهرة للأصفهاني ١/ ٢٤٧، وبلا نسبة في التذكرة الحمدونية ٨/ ١٥.

فكانَ البانُ أن بانتْ سُلَيمى وفي الغربِ اغترابٌ غيرُ داني

وإذا رأوا عقاباً قالوا «عقوبة»، وإذا رأوا حَماماً قالوا «حِمام»، والحِمامُ: الموتُ. قالَ حبيب بن أوس: [الكامل]

هنَّ الحَمامُ، فإن كسرتَ عيافةً من حائهنَّ فإنَّهنَّ حِمامُ[1]

وقالَ جران العود: [الطويل]

جرى يومَ رحنا[2] بالرِّكابِ نزفُها عقابٌ وشحّاجٌ من الطَّيرِ مِتْيَحُ

فأمّا العقابُ فهو منها عقوبةٌ وأمّا الغرابُ فالغريبُ المطوَّحُ[3]

ومن أجلِ ذلك قالوا للغرابِ «غراب البين»، لأنَّهم كانوا يتطيَّرونَ من اسمِهِ، ويقضونَ فيه بالبَينِ. والبَينُ: الغربةُ والفراقُ. وقالَ قومٌ: سمَّوه «غرابَ البينِ» لأنَّه كانَ يقعُ في الدّارِ بعدَ الظّاعنينَ يتقمَّمُ[4]. وكانوا يسمُّونَهُ «حاتماً» لأنَّه عندَهم يحتمُ بالشَّيءِ الذي يدلُّ عليه بصوتِهِ أو فعلِهِ. والحَتْمُ هو إمضاءُ الشَّيءِ والفراغُ منه. وأنشدَ الأصمعيُّ: [الطويل]

وهوَّنَ وجدي أنَّني لم أكنْ لكم غرابَ شمالٍ ينتفُ الرِّيشَ حاتما[5]

وقالَ قومٌ سمَّوه «غرابَ البينِ» لبَينِهِ عن نوحٍ عليه السَّلام، حين أرسلَهُ ليأتيَهُ بخَبَرِ ماءِ الطّوفانِ[6].

والزّاجرُ أيضاً مثلُ العائفِ. يُقال: يزجرُ الطَّيرَ، زجراً. وذلك أنَّه ينظرُ إلى الطَّيرِ فيقضي فيها مثل العائفِ. فإذا رأى شيئاً كرهَهُ، رجعَ عن أمرٍ يريدُ أن يشرعَ[7] فيه أو حاجةٍ يريدُ قضاءَها. والزّاجرُ معناه: النّاهي. فكأنَّ الطّائرَ قد

---

(١) الزهرة للأصفهاني ١/ ٢٤٢، عيون الأخبار ١/ ١٨٥.

(٢) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: جئنا.

(٣) المعاني الكبير ص ٢٦٥، وغريب الحديث ٢/ ٥١٥، والزهرة للأصفهاني ١/ ٢٤٧، ورسالة الصاهل والشاحج ص ٣٢٤، وديوان جران العود بشرح السكري ص ٣.

(٤) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٥١٦.

(٥) الوحشيات لأبي تمام، ص ١٢أ، ونسبه للحارث بن عمر الفزاري، وابن قتيبة: المعاني الكبير ص ٢٦٣، وغريب الحديث ٢/ ٥١٦، والبيت في ديوان خفاف بن ندبة السلمي ص ٩٢.

(٦) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٥١٦.

(٧) هكذا في م وأخواتها، وفي ب: يسرع.

زجرَهُ، عن ذلك الفعلِ، أو مَن عافَ له زجرَهُ عن ذلك الفعلِ. فسُمِّيَ «زجراً» لذلك. قالَ الكُمَيت: [الطويل]

ولا أَنا ممّن يزجرُ الطَّيرَ همُّهُ ... أصاحَ غرابٌ أم تعرَّضَ ثعلبُ[1]

وقالَ الكُميت أيضاً[2]: [الطويل]

وكانَ اسمُكم لو يزجرُ الطَّيرَ عائفٌ ... لبينِكُمُ طيراً مُبَيِّنَةَ الفألِ[3]

يقولُ: إنَّ اسمَكم «جذامٌ»، والزَّجرُ فيه «الانجذامُ»، وهو الانقطاعُ[4].

ويكونُ الزَّجرُ أيضاً معناه أنَّه إذا رأى منها شيئاً يكرهُهُ، صاحَ بها وطردَها. فكانَ طردُهُ إيّاها «زجراً» لها. يُقال: زجرَ الطَّيرَ إذا فعلَ ذلكَ. ومنه حديثُ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وآله «أقرُّوا الطَّيرَ على مَكِناتِها»[5]، يعني لا تزجروها، إذا رأيتُم ما تكرهونَ. قالَ أبو عبيد: مَكِناتها، أي في أماكنِها، وهو جمعُ مكانٍ[6]. وقالَ أبو سعيد[7]: قد أخطأَ أبو عبيد في ذلكَ[8]، إنَّما معناه: على مُكُناتِها، أي على ما كانتْ عليه من الحالِ، لا تطردوها.

والأصلُ في هذا هي الطَّيرُ[9]. ثمَّ كانوا يزجرونَ أيضاً بالظَّبيِ، والثَّعلبِ، وصوتِ الإنسانِ، يستدلُّونَ بلفظِهِ، وبغيرِ ذلك. ثمَّ نُسِبَتْ كلُّها إلى «الطَّيرِ»، فقالوا: «يتطيَّرُ»، و«تطيَّرَ»، أي استدلَّ بالطَّيرِ. واشتقُّوا له اسماً من ذلك، لأنَّ الأصلَ فيه الاعتبارُ بالطَّيرِ. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿قالوا اطَّيَّرنا بِكَ وبِمَنْ مَعَكَ قالَ طائِرُكُم عندَ اللّهِ﴾ [النمل: ٤٧]. وقالَ ﴿وإن تُصِبْهُم سَيِّئَةٌ يَطَّيَّروا بموسى ومَن مَعَهُ ألا إنَّما طائرُهم عندَ اللّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١]. ومثله ﴿وإن تُصِبْهُم حَسَنَةٌ يقولوا

---

(١) الزهرة ١/٢٥١، وزهر الآداب ١/٤٧٩، وديوان الكميت الأسدي ص ٥١٣.
(٢) هكذا في ب، وفي م وأخواتها وهـ: وقال آخر.
(٣) المعاني الكبير لابن قتيبة ص ٢٦٥، وديوان الكميت الأسدي ص ٣٥٧.
(٤) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/٥١٦، والمعاني الكبير ص ٢٦٥.
(٥) أبو عبيد: غريب الحديث ١/٣٤٢.
(٦) أبو عبيد: غريب الحديث ١/٣٤٥.
(٧) أي السكري.
(٨) سقطت الجمل من م وأخواتها، وهي في ب.
(٩) هكذا في ب، وفي م وأخواتها: من الطير.

هذه من عندِ اللّهِ وإن تُصِبْهُم سَيِّئةٌ يقولوا هذه من عندِكَ قُلْ كلٌّ مِن عندِ اللّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، لأنَّهم تطيَّروا بالسيِّئةِ، وتفاءلوا بالحَسَنةِ.

وروى الرِّياشيُّ عن الأصمعيِّ قال: سألتُ ابنَ عون، وقلتُ له: ما الفألُ؟ قالَ: هو أن تكونَ مريضاً فتسمعَ «يا سالم»، أو تكونَ باغياً فتسمعَ «يا واجد». وكانَ ابنُ سيرينَ يكرهُ الطِّيَرَةَ ويستحبُّ الفألَ[١]. وهذا يدلُّ على أنَّه كانَ يستدلُّ بكلامِ الآدميِّينَ، ويتفاءلُ به، ويتطيَّرُ، كما يتطيَّرُ بصوتِ الطَّيرِ.

والفألُ أيضاً مثل الطِّيرة، يُقال: هو يتفاءَلُ كما يُقال: هو يتطيَّرُ، إلّا أنَّهم صرفوا معنى الفألِ إلى الخيرِ، والطِّيرةِ إلى الشَّرِّ. فكأنَّه يتطيَّرُ من شيءٍ يكرهُهُ، ويتفاءلُ بشيء يحبُّهُ. وفي الحديثِ «أصدقُ الطَّير الفألُ»[٢]. والفألُ مأخوذٌ من الفِيالِ.

والفِيالُ هي لعبةٌ كانتِ العربُ تلعبُها، يتقامرونَ بها، كانوا يأخذونَ الدَّراهمَ، فيخلطونَها بالتُّرابِ، ثمَّ يجمعونَهُ طويلاً، ثمَّ يقسمونَهُ نصفينِ، ويتقارعونَ عليه، فمن أصابتْهُ القرعةُ، اختارَ من القسمينِ واحداً. فيُقال: هذا يلعبُ بالفِيالِ[٣]. قالَ طَرَفة: [الطويل]

كما قسمَ التُّرْبَ المفائلُ باليدِ[٤]

وقالَ السَّيِّد بن محمَّد: [الوافر]

قسيمُ النّارِ ذا لَكِ فاقبضيهِ   وهذا لي مُقاسَمَةَ الفِيالِ[٥]

وقالَ آخرُ: [الوافر]

[تشقُّ خمائلَ الدَّهنا يداه]   كما لعبَ المقامرُ بالفِيالِ[٦]

فلمّا كانَ المفائلُ يختارُ منها ما أحبَّهُ كذلك سُمِّيَ الفأل، لأنَّه يفائلُ، كما أنَّ

---

(١) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٥١٨.
(٢) عيون الأخبار ١/ ١٨١.
(٣) المعاني لابن قتيبة ٢/ ٧٤١، والغريب المصنف لأبي عبيد ٣/ ٧٠٣، وغريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٣٧٩.
(٤) الشطر لطرفة في ديوانه ص ٧، وأوله: يشق حباب الماء حيزومها بها.
(٥) لم يرد في ديوان السيد الحميري المجموع.
(٦) البيت للبيد في ديوانه ص ٨٠، والمعاني لابن قتيبة ٢/ ٧٤١. وتكملته من المصدرين.

المفائلَ يختارُ ما يحبُّهُ من الفيالِ. والفألُ مشتقٌّ من ذلك. وكانَ هذا في العربِ كثيراً، وأكثرُهُ في بني أسدٍ على ما يذكرونَ. قالَ الأصمعيُّ: أخبرَني سعد بن نصر أنَّ نَفَراً من الجنِّ تذاكروا عيافةَ بني أسدٍ فأتوهم، فقالوا لهم: ضلَّتْ لنا ناقةٌ، فلو أرسلتم معنا مَن يعيفُ. فقالوا لغُليِّم لهم: انطلقْ معَهم. فاستردَفَهُ أحدُهم، ثمَّ ساروا. فلقيَتْهم عقابٌ كاسرةٌ أحدَ جناحيها، فاقشعرَّ الغُليِّمُ وبكى، فقالوا له: ما لكَ؟ قالَ: كسرتْ جناحاً، ورفعتْ جناحاً، وحلفتُ باللّهِ صراحاً، ما أنتَ بإنسيٍّ ولا تبغي لقاحاً[1].

فالقائفُ والزّاجرُ، على ما قلنا، هو مَن يزجرُ الطَّيرَ، ويحكمُ بما يرى منها وبما يسمعُ من أصواتِها، وبالشَّيءِ[2] الذي يقعُ عليه. وكانوا يسمُّونَ الذي[3] يجيءُ عن يمينِكَ، فيأخذُ إلى شمالِكَ «سانحاً»، والذي يجيءُ عن يسارِكَ، فيأخذُ إلى يمينِكَ «بارحاً»، والذي يستقبلُكَ «ناطحاً»، والذي يجيءُ من خلفِكَ «قعيداً»، والذي يعرضُ في كلِّ وجهٍ «متيحاً».

فمنهم مَن كانَ يتشاءمُ بالبارحِ ويتيمَّنُ بالسّانحِ، ومنهم مَن كانَ يتيمَّنُ بالبارحِ ويتشاءمُ بالسّانحِ. قالَ زُهير: [الوافر]

جَرَتْ سُنُحاً فقلتُ لها أجيزي ... نوىً مشمولةً فمتى اللِّقاءُ[4]

وقالَ عمرو بن قميئة: [الطويل]

وأشأمُ طيرِ الزّاجرينَ سنيحُها[5]

وقالَ الكُميت: [الطويل]

ولا السّانحاتُ البارحاتُ عشيَّةً ... أمرَّ سليمُ القَرنِ أم مرَّ أعضَبُ[6]

وكانوا يزجرونَ بعضبِ القرن وصحَّتِهِ. والأعضبُ: الذي له قرنٌ واحدٌ.

---

(١) ابن قتيبة: فضل العرب والتنبيه على علومها ص ١٤٣.

(٢) في م وأخواتها: وبالشجر.

(٣) وكانوا يسمون الذي: سقطت من ب.

(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب ص ٥٤.

(٥) الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٣٦٤، وديوان عمرو بن قميئة ص ١٧، وأوله: فبيني على نجم سنيح نحوسه.

(٦) ديوان الكميت الأسدي ص ٥١٣.

وأمّا القائفُ فهو الذي يتبعُ الآثارَ ويعرفُها، ويعرفُ شَبَهَ الرَّجُلِ في ولدِهِ. ويُروى عن عوسجةَ بن مغيث القائفِ، قالَ: كنّا يُسرَقُ نخلُنا، فعرفنا آثارَهم، فركبوا الحمرَ، فعرفنا نَمَشَ أيديهم في العُذوقِ[١]. فكأنَّ القائفَ سُمِّيَ «قائفاً» لأنَّه يقفو الأثرَ. يُقال: قفا الأثرَ، وقافَ الأثرَ، أي تبعَهُ. قالَ الأصمعيُّ عن أبي طرفةَ الهذليِّ قال: رأى قائفانِ أثرَ بعيرٍ، وهما منصرفانِ من عَرَفَةَ، بعدَ النّاسِ بيومٍ أو يومينِ، فقالَ أحدُهما: ناقةٌ، وقالَ الآخرُ: جَمَلٌ، فاتَّبعاه، فمرَّةً يجتمعُ لهما الخفُّ، ومرَّةً يقرِّبانِ الخطوَ منه، حتّى دخلا شعباً، فإذا هما بالبعيرِ، فأطافا به، فإذا هو خُنثى[٢].

وقد جاءَ في العائفِ والقائفِ أخبارٌ كثيرةٌ عن العربِ. والعيافةُ والقيافةُ كانتْ من علومِهم مثلَ الكهانةِ أو نحوَها. ويُقال للرَّجُلِ، إذا كان فَطِناً عارفاً بالأمورِ، هو عائفٌ وقائفٌ[٣]. وفي الحديثِ أنَّ ابن سيرينَ ذكرَ شريحاً فقالَ: إنَّه كانَ عائفاً، وكانَ قائفاً. قالَ ابنُ قُتَيبة: لم يُرِدِ ابنُ سيرينَ أنَّ شريحاً كانَ يعيفُ هذه العيافةَ، وكيف يريدُ هذا، وقد رُوِيَ أنَّ «العيافةَ من الجبتِ». ولكنَّه أرادَ[٤] أنَّه مصيبُ الظَّنِّ صادقُ الحدسِ، فكأنَّه عائفٌ. قالَ: وهذا كما يُقال: ما أنتَ إلّا ساحرٌ، وما أنتَ إلّا كاهنٌ، إذا كانَ رفيقاً لطيفاً يُصيبُ بظنِّهِ[٥].

فالعيافةُ أيضاً على ما رواه أنَّه من الجبتِ، وكذلك السِّحرُ والكهانةُ من الجبتِ. وقد رُوِيَ عن النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه أنّه قالَ «لا عَدوى ولا طِيَرَةَ ولا غُولَ»[٦]. ورُوِيَ عن ابنِ عبّاس أنَّه ربَّما كانَ يعيفُ، فإذا سمعَ صوتَ طيرٍ مرَّتينِ، قالَ: شرٌّ، لأنَّ الشَّرَّ حرفانِ، وإذا سمعَهُ ثلاثاً، قالَ: خيرٌ، لأنَّ الخيرَ ثلاثةُ أحرفٍ، وإذا سمعَهُ أربعاً، قالَ: «قُلْ شرّ»، لأنَّ «قُلْ شرّ» أربعةُ أحرفٍ، فإذا صاحَ

---

(١) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٥١٩.

(٢) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٥١٩.

(٣) إلى هنا ينتهي الاعتماد على ب، والأوراق المتبقية منها هي من الفصول السابقة، وقد وضعت في أثناء الترميم هنا خطأ.

(٤) من (أن العيافة): زيادة من م وأخواتها وغريب الحديث لم ترد في هـ.

(٥) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٥١٨.

(٦) صحيح البخاري (٥٧٥٧)، صحيح مسلم ٧/ ٣١.

خمساً، قالَ: «قُلْ خير»، لأنَّ «قُلْ خير» خمسةُ أحرفٍ، فإذا زادَ على ذلك، قالَ: لا خيرَ ولا شرَّ. هذا ما رُوِيَ عنه، واللّهُ أعلمُ بصحَّتِهِ.

وكانَ قومٌ من العربِ لا يتطيَّرونَ، ولا يتهيَّبونَ الطِّيَرةَ، ويفتخرونَ بتركِهِ، ويعدُّونَ تركَهُ شجاعةً وإقداماً. وقالَ بعضُ شعرائِهم: [مجزوء الكامل]

ولـقـد غـدوتُ وكـنـت لا ... أغـدو عـلـى واقٍ وحـاتـمْ[1]
فـإذا الأشـائـمُ كـالأيـا ... منِ والأيـامـنُ كـالأشـائـمْ

وقالَ آخرُ: [الطويل]

ولستُ بهيّابٍ إذا شدَّ رحلَهُ ... يقولُ عداني اليومَ واقٍ وحاتمُ
ولكنّني أمضي على ذاك مُقدِماً ... إذا صدَّ عن تلكَ الهناتِ الخثارمُ[2]

والخثارم: المتطيِّرُ.

ومثل العيافةِ والقيافةِ الطَّرْقُ والخطُّ، وهو أيضاً نوعٌ من الكهانةِ، وهو أن يخطَّ في الأرضِ خُطوطاً في الطُّولِ، ثمَّ يخطُّ عليها خطوطاً في العرضِ، ثمَّ يطرقُ بالحصى أو بالشَّعيرِ أو بخَشَباتٍ، ولا يزالُ يخطُّ ويمحو، ويعيدُهُ، ثمَّ يتكهَّنُ عليه. قالَ في ذلك الشّاعرُ: [الطويل]

أخطُّ وأمحو الخطَّ ثمَّ أعيدُهُ ... بكفّيَّ والغربانُ في الدّارِ وقّعُ[3]

وفسَّرَ قومٌ قولَ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿أو أثارةٍ مِن عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤]، قالَ: هو الخطُّ. وفسَّره قومٌ فقالوا: هو هذا الخطُّ من الكهانةِ، لا من الخطِّ والكتابةِ. ورُوِيَ في الحديثِ أنَّ الخطَّ كانَ علمَ نبيٍّ من الأنبياءِ.

ومن هذا البابِ أيضاً علمُ الكَتِفِ، وهو أن ينظرَ في كتفِ شاةٍ، فيحدِّث بأشياء تكونُ في العالمِ، مثل الحروبِ والأمطارِ والرِّياحِ والجدبِ والخصبِ وغيرِ

---

(١) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٥١٨، ونسب البيتين للمرقش الأكبر، وانظر: عيون الأخبار ١/ ١٨٠، والمعاني الكبير ص ٢٦٢، والحيوان ٣/ ١٣٩، والزهرة ١/ ٢٥١، ورسالة الصاهل والشاحج ص ٢٧٣، وأمالي القالي ٣/ ١٠٦، ولشاعر قديم في زهر الآداب ص ٥٢٤، طبعة زكي مبارك، و١/ ٤٧٩ طبعة البجاوي.

(٢) ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/ ٥١٨، وعيون الأخبار ١/ ١٨١، والمعاني الكبير ص ٢٦٣، والحيوان ٣/ ١٣٥.

(٣) الزهرة ١/ ١٩٥، ونسبه لجران العود، وقال من الناس من يرويه لذي الرمة، وانظر: ديوان ذي الرمة ص ٣٤٣، وديوان جران العود بشرح السكري ص ٣٢.

ذلك. وهذا يُقال له «الكتّاف»، كأنَّهم اشتقُّوا له اسماً من الكتفِ. والكتّافُ[1] مثل العرّاف، لأنَّ العرافةَ من جنسِ العيافةِ، والقيافةُ والعرافةُ سواءٌ[2]، وكأنَّ العرّافَ اشتُقَّ له اسمٌ من المعرفةِ، أي أنَّه يعرفُ الشَّيءَ بالفألِ والزَّجرِ. وفي الحديثِ أنَّ رجلاً دخلَ على جعفر بن محمَّد عليه السَّلام ممّن يدَّعي معرفةَ هذه الأسبابِ، فقالَ له: ما أنتَ؟ فقالَ له: منجِّمٌ قائفٌ عرّافٌ. ثمَّ وقفَهُ جعفر على أشياءَ، ترويها[3] الشِّيعةُ في دلائلِ جعفر وإمامتِهِ. واللّهُ أعلمُ.

فهذه الأشياءُ كلُّها من أمرِ السِّحرِ والكهانةِ والعيافةِ والقيافةِ والخطِّ والطَّرقِ والكتفِ وما أشبهَها قد جاءتْ فيها الأخبارُ والرِّواياتُ، ويطولُ الخطبُ بها، وهي كلُّها مكروهةٌ حرامٌ. فمنها ما جاءَ في القليلِ منها الرّخص والتَّخفيفُ[4]، مثلَ العيافةِ والقيافةِ والكتفِ. وروى ابنُ قتيبةَ، قالَ: حدَّثني محمَّد قالَ: حدَّثني ابنُ عُيَينة[5] عن الزُّهريِّ عن عروةَ عن عائشةَ قالتْ: دخلَ مجزِّز[6] القائفُ على رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه فرأى زيد بن حارثةَ وأسامةَ بن زيد قد ناما في قطيفةٍ، وغطّيا رؤوسَهما، وبدتْ أقدامُهما، فقالَ: هذه أقدامٌ بعضُها من بعضٍ، فسُرَّ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه[7].

وقد رُوِيَ أنَّ رَجُلينِ ادَّعيا في ولدِ أمةٍ، فقالَ كلُّ واحدٍ منهما هو ابني، فدعا عُمَر قائفاً، فنظرَ إليه فقالَ: اشتركا فيه، فضربَهُ عُمَر بالدِّرَّة، فقالَ له عليٌّ رضوانُ اللّهِ عليه: أما علمتَ أنَّ الكَلْبَينِ يُسافِدانِ الكلبةَ، ويكونُ أحدُهما أبيضَ والآخرُ أسودَ، فتؤدِّي إلى كلٍّ نسلَهُ، فيخرجُ الولدُ أبلقَ. قالَ عُمَر: ما علمتُ أنَّ هذا يكونُ. واللّهُ أعلمُ بصدقِ ذلكَ.

---

(١) في ك: الكتف، وسقطت الكلمة من م.

(٢) سقطت الجملة من ك.

(٣) هكذا في ج، وفي م وك: ترويه.

(٤) هكذا في م وك، وسقطت (التخفيف) من هـ، وسقطت الجملة من ج.

(٥) في فضل العرب: أبو عيينة.

(٦) في جميع الأصول: محرز.

(٧) ابن قتيبة: فضل العرب والتنبيه على علومها ص ١٤١، البرهان في وجوه البيان لابن وهب ص ٩٤.

ورُوِيَ هذا الخبرُ من وجهٍ آخرَ عن الأصمعيِّ، قالَ: اختصمَ رَجُلانِ إلى عُمَر في غلامٍ، كلاهما يدَّعيه، فسألَ عُمَر أمَّهُ، فقالتْ: غشيَني هذا، ثمَّ هرقتُ دماً، ثمَّ غشيَني الآخرُ. فدعا عُمَر قائفَينِ، فقالَ أحدُهما: أُعلِنُ أم أُسِرُّ؟ فقال: أسِرَّ. فقالَ: اشتركا فيه، فضربَهُ عُمَر حتّى اضطجعَ. ثمَّ سألَ الآخرَ، فقالَ مثلَ قولِهِ. فقالَ عُمَر: ما أرى أنَّ هذا يكونُ، وقد علمتُ أنَّ الكلبةَ يسفدُها الكلابُ، فتؤدِّي إلى كلِّ فحلٍ نجلَهُ[1]. واللّهُ أعلمُ بصدقِ ذلكَ.

ومثلُ هذا ما جاءتِ الرُّخصةُ في القليلِ منه، والكراهةُ في الكثيرِ، مِن [علمِ][2] النُّجومِ، رُخِّصَ منها مقدارُ ما يُهتدى به في البرِّ والبحرِ، وكُرِهَ الاستكثارُ منه. قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وهو الذي جعلَ لكمُ النُّجومَ لتهتدوا بها في ظُلُماتِ البرِّ والبحرِ﴾ [الأنعام: ٩٧]. ورُوِيَ عن النَّبيِّ صلّى اللّه عليه أنّه قال «إذا ذُكِرَ أصحابي فأمسِكوا، وإذا ذُكِرَ النُّجومُ فأمسِكوا[3]». ورُوِيَ عنه عليه السَّلام أنَّه قال «إيّاكم والنُّجومَ، فإنَّها تدعو إلى الكهانةِ»[4].

وهذه الأشياءُ كلُّها لها أصلٌ صحيحٌ. فمنها ما كانَ من علوم الأنبياءِ، مثل النُّجومِ والخطِّ وغير ذلك. ولولا الأنبياءُ الذينَ أدركوا علمَ النُّجومِ، وعرفوا مجاريَ الكواكبِ في البروجِ، وما لها من السَّير في استقامتِها ورجوعِها، وقد ثبتَ وصحَّ من الحسابِ في ذلك ممّا لا ارتيابَ فيه، لَمَا قَدِرَ النّاسُ على إدراكِهِ. وذلك كلُّهُ بوحيٍ من اللّهِ عزَّ وجلَّ إلى أنبيائِهِ عليهم السَّلام. وقد رُوِيَ أنَّ إدريسَ عليه السَّلام أوَّلُ مَن علَّمَ النُّجومَ. ورُوِيَ في الخطِّ أنّه كانَ علمَ نبيٍّ من الأنبياءِ. ولولا ذاك لما أدركَ النّاسُ هذه اللَّطائفَ، ولا عرفوها[5].

وقالَ السُّدّيُّ في قول اللّه عزَّ وجلَّ ﴿وما أُنزِلَ على المَلَكَينِ ببابلَ هاروتَ وماروتَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، يقول: هذا سحرٌ خاصِموه به، يعني محمَّداً صلّى اللّه

---

(١) ابن قتيبة: فضل العرب والتنبيه على علومها ص ١٤٠، وعيون الأخبار ٢/ ٤٧١.
(٢) زيادة منا لم ترد في الأصول.
(٣) وإذا ذكر النجوم: زيادة من ج، لم ترد في م وه وك.
(٤) أعلام النبوة للمؤلف ص ٢١١.
(٥) أعلام النبوة للمؤلف ص ٢١١.

عليه، خاصموه بما أُنزِلَ على الملكَينِ. وإنَّ كلامَ الملائكةِ فيما بينَهم، إذا علمتْهُ الإنسُ، وعُلِمَ به وضعٌ، كانَ سحراً[1].

فأكثرُ هذه الأسبابِ أصولُها من الأنبياءِ. فإذا استُعمِلَتْ في غيرِ[2] طاعةِ اللّهِ، وعُمِلَ بها بعدَ النَّسخِ[3]، وبعدَ ما جاءَ فيها النَّهيُ عن النَّبي صَلّى اللّهُ عليه وآله وعن غيرِهِ من الأنبياءِ، كانتْ حراماً، وصارتْ تدعو إلى الكفرِ والتَّعطيلِ، وتشغلُ عن تعليمِ السُّنَنِ والأحكامِ، والعلمِ بالحلالِ والحرامِ، وأمورِ الدِّينِ.

[٣٢٠]

الجبت والطّاغوت

قالَ الكسائيُّ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿يُقاتِلونَ في سَبيلِ الطّاغوتِ﴾ [النساء: ٧٦]، قال: الطّاغوت يُذكَّرُ ويُؤنَّثُ. وقد ذُكِّرَ في غيرِ موضعٍ، وأُنِّثَ في غيرِ موضعٍ، في قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿والذينَ اجتَنَبوا الطّاغوتَ أن يَعبُدوها﴾ [الزمر: ١٧]. قالَ أبو عبيد: إنَّما جاءَ فيها التَّذكيرُ والتَّأنيثُ، لأنَّهم كانوا يسمُّونَ الكاهنَ والكاهنةَ «الطّاغوتَ». وقد جاءَ بيانُ ذلكَ في الحديثِ. وروى بإسنادٍ له عن جابر بن عبد اللّه [أنّه][4] سُئِلَ عن الطّاغوتِ التي كانوا يتحاكمونَ إليها، فقال: كانَ في جهينةَ واحدةٌ، وفي سليم واحدةٌ، وفي كلِّ حيٍّ واحدةٌ.

ورُوِيَ عن الحسنِ قالَ: الطّاغوتُ: الشَّيطانُ. وعن الشَّعبيِّ، قالَ: الجبت: السِّحرُ[5]، والطّاغوتُ والكاهنُ. وقالَ أبو عُبَيدةَ: الطّاغوتُ: الأصنامُ، والطَّواغيتُ من الجنِّ والإنسِ: شياطينُهم[6]. وقالَ: والطّاغوتُ في موضعِ جمعٍ لقولِهِ (يُخرِجونَهم)[7]. وقالَ: كلُّ معبودٍ من حجرٍ أو مدرٍ أو شَيطانٍ أو صورةٍ فهو

---

(١) تفسير الطبري ١/ ٥٢٠.
(٢) غير: زيادة من ج، سقطت من الأصول الأخرى.
(٣) في هـ: بعد القبيح.
(٤) زيادة منا لم ترد في الأصول.
(٥) هكذا في م وهـ وك، وفي ج: الساحر.
(٦) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٧٩.
(٧) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ٧٩.

جبتٌ وطاغوتٌ[1]. هذا قولُ العلماءِ في الجبتِ والطاغوتِ.

وقالَ بعضُهم: الجبتُ مأخوذٌ من «اجتبى»، أي اختارَ، كأنَّهم اختاروا عبادةَ الجبتِ على عبادةِ اللّهِ. والطّاغوتُ هو «فاعول» من «طغى». والطّاغية مثله. وأصلُهُ الاستكبارُ والأَنَفَة، لأنَّ الذينَ عبدوها استكبروا، وأنفوا عن الانقيادِ لرسلِهِ وأنبيائِهِ. وكذلكَ الطّاغوتُ في نفسِها أنفتْ، فطغتْ على الأنبياءِ، وكفروا برسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه، فسُمّوا «طواغيتَ».

[٣٢١]
البحيرة والوصيلة والسّائبة والحام

في حديثِ النّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وآله أنّه قالَ: «أُريتُ الحدودَ، فرأيتُ رَجُلاً أحمرَ أزرقَ يجرُّ قُصْبَهُ[2] في النّارِ، فقلتُ مَن هذا، فقيلَ: عمرو بن لُحَيّ[3]، أوّلُ مَن بَحَرَ البَحيرةَ، ووصلَ الوصيلةَ، وسيَّبَ السّائبةَ، وحمى الحامِيَ، وغيَّرَ دينَ إسماعيلَ بن إبراهيمَ»[4].

قالَ أبو عُبَيدةَ في قولِ اللّهِ عزَّ وجلَّ ﴿ما جعلَ اللّهُ من بحيرةٍ ولا سائبةٍ ولا وصيلةٍ ولا حامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]: أي ما حرَّمَ اللّهُ البحيرةَ التي كانَ أهلُ الجاهليَّة يحرِّمونَها، وكانوا يحرِّمونَ وَبَرَها وظهرَها ولحمَها ولَبَنَها على النِّساءِ، ويحلِّلونَها للرِّجالِ. وما ولدتْ من ذكرٍ أو أنثى فهو بمنزلتِها. وإن ماتتِ البحيرةُ اشتركَ الرِّجالُ والنِّساءُ في أكلِ لحمِها. فإذا ضُرِبَ جملٌ من ولدِ البحيرةِ، فهو عندَهم حامٍ، وهو اسمٌ له[5].

قالَ: والبحيرةُ، إذا نتجتِ النّاقةُ خمسةَ أبطنٍ، وكانَ آخرُها سَقْباً، [أي

---

(١) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٢٩، والنص بعينه في تفسير غريب القرآن للأمام زيد بن علي، مصورة برنستن، ص ١٦٠.
(٢) قصبه: أمعاؤه.
(٣) في هـ زيادة: ابن قمعة بن إلياس بن مضر، من السير حاشية.
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٩٠، صحيح البخاري (٤٦٢٣)، تفسير الطبري ٧/ ١٠٤.
(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٧٧.

ذكراً][1] شقُّوا أُذنَ النّاقةِ، وخلَّوا عنها، فلا تُحلأُ عن ماءٍ، ولا عن مرعىً، ولا يُنتفَعُ بها، ويلقاها المعيي فلا يركبُها تحرُّجاً[2].

قالَ: والسّائبة، كانَ الرَّجُلُ إذا مرضَ أو قدمَ من سفرٍ، ينذرُ نذراً، [إن برئَ أن][3] يُسيِّبَ بعيراً، وكانَ بمنزلةِ البحيرةِ[4]. وإذا قالَ الرَّجُلُ لغلامِهِ: أنتَ سائبةٌ، فقد عُتِقَ، وليسَ بينهما عقلٌ ولا ميراثٌ[5]. وهذا هو في الإسلامِ.

قالَ: والوصيلةُ من الغنمِ، كانتِ العربُ إذا ولدتِ الشّاةُ ذكراً، قالوا: هذا لآلهتِنا، فتقرَّبوا به، وإذا ولدتْ أنثى، قالوا هذا لنا خاصَّةً دونَ آلهتِنا. فإذا ولدتْ ذكراً وأنثى، قالوا: وصلتْ أخاها، فلم يذبحوه لمكانِها[6].

قالَ: والحامي: إذا نتجَ من صلبِهِ عشرةَ أبطنٍ، قالوا: قد حمى ظهرَهُ، فَيَدَعونَهُ لآلهتِهم، فحموا ظهرَهُ ووَبَرَهُ، وكلَّ شيءٍ منه، فلم يُمَسَّ، ولم يُركَبْ، ولم يُطرَقْ[7].

قالَ: وكانتِ العربُ إذا بلغتْ إبلُ الرَّجُلِ منها ألفاً، فقأ عينَ بعيرٍ من خيارِها، وسرَّحَهُ، فلا يُنتفَعُ به ولا بها[8]. قالَ أبو عُبَيدة: البحيرةُ جعلَها قومٌ من الشّاءِ خاصَّةً، إذا ولدتْ خمسةَ أبطنٍ، بحروا أذنَها، وتُركَتْ فلا يمسُّها أحدٌ، ولا يُستفادُ منها، يبحرونَ أذنَها. قالَ: والفرعُ من الإبلِ أوَّلُ شيءٍ تضعُهُ النّاقةُ، يُفرَعُ لأصنامِهم، أي يُذبَحُ. فيُقال: أفرعنا، إذا ذبحوا ذلك.

وقالَ غيرُ أبي عبيدةَ: السّائبةُ من الغنمِ بمنزلةِ الإبلِ إلّا أنّها ما ولدتْ من ولدٍ بينَها وبينَ ستَّةِ أولادٍ، فعلى هيئةِ أُمِّها ومنزلتِها. فإذا ولدتِ السّابعَ، ذَكَراً أو

---

(١) زيادة من مجاز القرآن، لم ترد في الأصول. وهي في نص ابن قتيبة.

(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٨٠. ونقله عن أبي عبيدة كما في نص المؤلف ابن قتيبة في غريب الحديث ١/ ٤٢٥.

(٣) زيادة من مجاز القرآن، لم ترد في الأصول.

(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٨٠.

(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٨٠.

(٦) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٨٠.

(٧) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/ ١٧٩.

(٨) نقله ابن قتيبة عن أبي عبيدة في غريب الحديث ١/ ٤٧٢، ولم أجده في مجاز القرآن.

أنثى، فهي وصيلةٌ. ولا يُذبَحُ الذَّكَرُ، ويترَكُ ذبحُهُ من أجلِ أختِهِ. وإن كانتا اثنتينِ تُركتا ولم تُذبَحا. وإذا ولدتْ سبعةَ أبطنٍ، كلُّ بطنٍ ذكرٌ وأنثى حَيّين، قالوا: وصلتْ أخاها، فحموها وتركوها ترعى، ولا يمسُّها أحدٌ. فإذا وضعتْ أنثى حيَّةً بعد البطنِ السّابعِ كانتْ مع أمِّها كسائرِ الغنمِ، لم تُحْمَ هي ولا أمُّها. وإن ولدتْ أنثى ميّتةً بعد البطنِ السّابعِ، أكلَها الرِّجالُ دون النِّساءِ. وإن وضعتْ ذكراً وأنثى ميّتَينِ، أكلَهما الرِّجالُ والنِّساءُ بالسَّويَّةِ. وإن وضعتْ ذكراً وأُنثى حَيّينِ بعد البطنِ السّابعِ، أكلَ الذَّكَرَ منهما الرِّجالُ دونَ النِّساءِ، وجعلوا الأنثى مع أمِّها كسائرِ الغنمِ[1].

قالَ أبو عُبَيدة: والسّائبة في جميعِ الأنعامِ[2] تكونُ في النُّذورِ، ويجعلونَها لأصنامِهم، فتُسيَّبُ ولا تُحبَسُ عن مرعىً ولا ماءٍ، ولا يركبُها أحدٌ. وفي حديثِ النَّبيِّ صلّى اللّه عليه أنَّه قالَ لرجلٍ: «أربُّ إبلٍ أنتَ أم ربُّ غَنَمٍ؟ قالَ: من كلٍّ قد آتانيَ اللّهُ، فأكثرَ وأطيبَ. قال: فتنتجُها وافيةً أعينُها وآذانُها، فتجدعُ هذه فتقولُ: صربى، وتقول: بحيرة. فساعدُ اللّه أشدُّ، وموساه أحدُّ[3]، ولو شاءَ أن يأتيَكَ بها صربى أتاكَ»[4]. فنهاه صلّى اللّه عليه أن يفعلَ شيئاً ممّا كانتِ العربُ تفعلُهُ من بَحْرِ الأذنِ وغيرِ ذلك. وقالَ: دعْها كما خلقَها اللّهُ، فلو أرادَ أن يخلقَها بحيرةً لفعلَ.

وروى أبو عبيد بإسنادٍ له عن الحكمِ بنِ عيينة، قالَ: البحيرةُ إذا نتجتْ خمسةَ أبطنٍ، سُيِّبَتْ، فلا تُرَدُّ عن حوضٍ ولا عَلَفٍ. والوصيلةُ من الغنمِ إذا ولدتْ عِناقين تُركتا، وإذا ولدتْ عناقاً وجَدْياً، قالوا: وصلتِ العناقُ الجديَ، وترُكِا، وإذا ولدتْ جدياً، ذُبِحَ. والحامي إذا نظرَ إلى عشرةٍ من ولدِهِ، حُمِيَ ظهرُهُ، فلا يُركَبُ ولا يُحمَلُ عليه شيءٌ.

ورُوِيَ عن مجاهد: ولا حامٍ، قالَ: إذا ضربَ الجملُ من ولد البحيرة، فهو

---

(١) ورد النص في تفسير غريب القرآن للإمام زيد بن علي، ص ١٦٦.

(٢) في ج: الأنام.

(٣) سقطت الجملة من هـ.

(٤) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/ ٤٢٤، وتفسير الطبري ٧/ ١٠٥.

الحامي. والحام اسمٌ. والسّائبةُ من الغنمِ على نحو ذلك، إلّا أنّها ما كانَ من ولد بينها وبين ستَّةِ أولادٍ، وكانتْ على هيئتِها، فإن ولدتِ السّابعَ، ذكراً أو ذكرين، بُحِرَ، فأكلَهُ رجالُهم دون نسائِهم، وإن تأمتْ[1] بذكرٍ وأنثى، فهي وصيلةٌ، وتُرِكَ ذبحُ الذّكَرِ للأنثى، فإن كانا أُنثيينِ تُرِكَتا[2].

قالَ مجاهد: البحيرةُ، كانَ أهلُ الجاهليَّةِ يحرّمونَ وَبَرَها وظهرَها ولحمَها ولَبَنَها إلّا على الرِّجالِ، وما ولدتْ من ذكرٍ أو أنثى فهو على هيئتِها، وما ماتَ اشتركَ الرِّجالُ والنِّساءُ في أكلِ لحمِها[3].

فهذا ما جاءَ في البحيرةِ والسّائبةِ والوصيلةِ والحامِ. وهي التي ذكرَها اللّهُ عزَّ وجلَّ في محكمِ كتابِهِ وتنزيلِهِ، وذلك أنَّ أهلَ الجاهليَّةِ كانوا يستعملونَ ذلك ويدينونَ به، فحرَّمَهُ اللّهُ تعالى في الإسلامِ، فتُرِكَ، ولم يفعلْهُ بعد ذلك أحدٌ من العربِ، ولا استعملوه، ونُسِيَ ذكرُهُ، حتّى لا تُعرَفُ كيفيَّتُهُ، إلّا ما رُوِيَ عن العلماءِ فيه أنَّه كانَ من دينِ العربِ الذينَ كانوا عَبَدَةَ الأصنامِ، ممّن لم يقبلْ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وآله منهم الجزيةَ، كما قَبِلَها من أهلِ الكتابِ، بل حملَهم على الدُّخولِ في الإسلامِ طوعاً وكرهاً. فانقرضتْ هذه السُّنَنُ وبَطُلَتْ. ولو كانَ هذا في سائرِ المللِ، مثل اليهوديَّة والنَّصرانيَّة، لبقيَ منها أثرٌ، كما بقيَ سائرُ رسومِهم. وكذلكَ ما كانَ من أمرِ القِداحِ والأزلامِ، فسبيلُهُ هذه السَّبيلُ، إلّا الأوثانَ التي هي في دينِ النَّصرانيَّةِ، فإنَّهم يتَّخذونَها على الجُدُرِ، ويتَّخذونَ أيضاً الصُّلبانَ من الخشبِ ومن الحديدِ ومن الذَّهَبِ والفضَّةِ وغيرِ ذلكَ. فأمّا سائرُ ذلك من أمرِ الأصنامِ التي كانتْ للعربِ، وما كانَ من أمرِ الميسرِ والأنصابِ والأزلامِ، والبحيرةِ والسّائبةِ والوصيلةِ والحامِ، وما كانَ من سُنَنِ مُشركي العربِ، فقد درسَ دروساً، فلا يُعرَفُ، ولا يُحتاجُ إلى ذكرِ كيفيَّتِهِ، إذ كانَ متلاشياً لا أثرَ له، ليُجتنَبَ بتحريمِ اللّهِ إيّاه. ولكنْ لا يستغني الفقهاءُ والعلماءُ عن معرفتِهِ، إذ كانَ له في القرآنِ ذكرٌ، وإذ كانَ واجباً على العلماءِ تعلُّمُ ما في القرآنِ على حسبِ طاقتِهم.

---

(١) تأمت وأتأمت: وضعت توأماً، أو اثنين، في بطن واحد.

(٢) تفسير الطبري ٧/ ١٠٧.

(٣) تفسير الطبري ٧/ ١٠٧.

والجهلُ به نقصٌ عليهم، وإن لم يكنْ من بابِ الحلالِ والحرامِ والفرائضِ والسُّننِ، التي تعلُّمُها فريضةٌ على جميعِ المسلمينَ، لقولِ رسولِ اللّهِ صَلّى اللّه عليه «طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ»[(١)].

* * *

تمَّ الكتابُ، والحمدُ للّه، وصلاتُهُ على أشرفِ أنبيائِهِ، والصَّفوةِ من أصفيائِهِ، محمَّدٍ وآلِهِ الطَّيِّبينَ الطّاهرينَ[(٢)].

---

(١) سنن ابن ماجة (٢٢٤).

(٢) تشترك جميع النسخ الكاملة بهذه الخاتمة، مما يعني أنها من المؤلف.

مصادر المقدمة والتحقيق

الإباضي، ابن سلام: **بدء الشرائع**، تحقيق: فيرنر شفارتس والشيخ سالم بن يعقوب، فيسبادن، ١٩٨٦.

ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٩.

ابن الأثير، مجد الدين: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، المكتبة الإسلامية، ١٩٦٣.

د. إحسان عباس: **عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله**، دار الشروق، عمان، ١٩٨٨.

الأخفش الأوسط: **معاني القرآن**، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠.

الأخفش الأصغر: **الاختيارين**، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤.

إدريس القرشي: **عيون الأخبار وفنون الآثار**، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٣.

أدي شير: **الألفاظ الفارسية المعربة**، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٠.

الأزرقي، محمد بن عبد الله: **أخبار مكة**، ليبزج، ١٨٥٨.

أسامة بن منقذ: **لباب الآداب**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مصورة مكتبة المثنى، عن طبعة المطبعة الرحمانية بمصر، ١٩٣٥.

إسحاق بن إبراهيم بن وهب: **البرهان في وجوه البيان**، تحقيق: د. أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مكتبة الرشد، الرياض، مصورة عن طبعة بغداد، ١٩٦٧.

ابن إسحاق: **السيرة النبوية المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي**، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، فاس، المغرب، ١٩٧٦.

الأسفراييني، أبو المظفر: **التبصير في الدين**، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، القاهرة، ١٩٥٥.

الإسكافي، أبو جعفر: **المعيار والموازنة**، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ١٩٨١.
إسماعيل بن عبد الرسول: **فهرست الكتب والرسائل للمجدوع**، تحقيق: علي نقي منزوي، تهران، ١٩٦٦.
الأشعري، أبو الحسن: **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**،تحقيق هلموت ريتر، مصورة القاهرة، ٢٠٠٠.
الأشعري القمي: **المقالات والفرق**، تحقيق: محمد جواد مشكور، طبعة دار إحياء التراث المصورة عن الطبعة الإيرانية.
الأصفهاني، حمزة: **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، دار الحياة، بيروت، بلا تاريخ.
الأصفهاني، حمزة: **الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة**، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المعارف بمصر، ١٩٧١.
الأصفهاني، الراغب: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤.
الأصفهاني، الراغب: **المفردات في غريب القرآن**، مكتبة نزار مصطفى الباز، بلا تاريخ.
الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، تحقيق: إحسان عباس وآخرين، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٢.
الأصفهاني، أبو الفرج: **مقاتل الطالبيين**، تحقيق: السيد أحمد صقر، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٦.
الأصفهاني، أبو نعيم: **دلائل النبوة**، تحقيق: محمد رواس قلعة جي وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٦.
الأصمعي، عبد الملك بن قريب: **تاريخ العرب قبل الإسلام**، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الوراق، ٢٠٠٩.
الأصمعي: **اشتقاق الأسماء**، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ١٩٩٤.
الأصمعي: **النخل**، في كتاب البلغة في شذور اللغة، بيروت، ١٩٠٨.
ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق: نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥.
ابن أعثم الكوفي: **كتاب الفتوح**، دار الأضواء، ١٩٩١.

الأعرابي، أبو مسحل: **كتاب النوادر**، تحقيق: د. عزة حسن، دمشق، ١٩٦١.

الأعلم الشنتمري: **أشعار الشعراء الستة الجاهليين**، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢.

الآمدي، الحسن بن بشر: **المختلف والمؤتلف في أسماء الشعراء وكناهم**، تحقيق: كرنكو، دار الجيل، ١٩٩١.

الآمدي، أبو القاسم: **الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري**، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ١٩٩٢.

الأنباري، أبو بكر: **الزاهر**، تحقيق: حاتم الضامن، بغداد، ١٩٨٧.

الأنباري، أبو البركات: **الإنصاف في مسائل الخلاف**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بلا مكان نشر، ١٩٨٢.

الأنباري، أبو البركات: **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، مصورة عن طبعة بغداد، الأردن، ١٩٨٥.

الأندلسي، ابن سعيد: **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، تحقيق: د. نصرت عبد الرحمن، الأردن، ١٩٨٢.

أنيس فريحة: **أحيقار حكيم من الشرق الأدنى القديم**، بيروت، ١٩٦٢.

الباقلاني، أبو بكر: **إعجاز القرآن**، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، القاهرة، بلا تاريخ.

البخاري، محمد بن إسماعيل: **الأدب المفرد**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، السعودية، ٢٠٠٠.

البخاري: **الجامع الصحيح**، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠١٢.

البخاري: **التاريخ الكبير**، طبعة بيروت المصورة عن طبعة دار المعارف العثمانية في الهند.

البحتري، أبو عبادة: **الحماسة**، تحقيق: د. محمد إبراهيم حور وأحمد محمد عبيد، أبو ظبي، ٢٠٠٧.

بدوي، عبد الرحمن: **أفلوطين عند العرب**، كتاب أثولوجيا المنسوب إلى أرسطو، وكالة المطبوعات، الكويت، صورة عن الطبعة المصرية الأولى.

بدوي، عبد الرحمن: **التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية**، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠.

بدوي، عبد الرحمن: **الأفلاطونية المحدثة عند العرب**، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧.

بدوي، عبد الرحمن: **مذاهب الإسلاميين**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٧.
براون، إدوارد: **تاريخ الأدب في إيران**، ترجمة: أحمد كمال الدين حلمي، الكويت، ١٩٩٦.
البستي: **كشف أسرار الباطنية** (مخطوط).
البغدادي، عبد القادر: **خزانة الأدب**، طبعة دار صادر المصورة عن الطبعة المصرية، بلا تاريخ.
البغدادي: **أصول الدين**، طبعة دار الكتب العلمية، المصورة عن طبعة أسطنبول، ١٩٨٠.
البغدادي: **الملل والنحل**، تحقيق: ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٠.
البغدادي: **الفرق بين الفرق**، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، القاهرة، ١٩٤٨.
البلاذري، أحمد بن يحيى: **أنساب الأشراف**، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٨٧.
البلاذري، أحمد بن يحيى: **فتوح البلدان**، تحقيق: عبد الله وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧.
البلغة في شذور اللغة، تحقيق: أوغست هفنر والأب لويس شيخو اليسوعي، بيروت، ١٩٠٨.
البيروني، أبو الريحان: **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.
البيروني، أبو الريحان: **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، طبعة القاهرة المصورة عن الطبعة الهندية، ٢٠٠٣.
بيستون وجماعته: **المعجم السبئي**، مكتبة لبنان، بيروت ولوفان، ١٩٨٢.
بيغوليفسكايا: **العرب على حدود بيزنطة وإيران**، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، ١٩٨٥.
البيهقي: **تاريخ حكماء الإسلام**، تحقيق محمد كرد علي، دمشق، ١٩٤٦.
التبريزي: **شرح القصائد العشر**، دار الجيل، بيروت، بلا تاريخ.
الترمذي، محمد بن عيسى: **سنن الترمذي**، تخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٨.
أبو تمام (النيسابوري): **باب الشيطان من كتاب الشجرة**، تحقيق: ولكر ومادلونغ، ليدن، ١٩٩٨.

أبو تمام الطائي: **الوحشيات**، تقديم: محمد علي آذرشب، الطبعة الإيرانية المصورة، تهران، ٢٠١١.

التنوخي، المحسن بن علي: **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥.

التنوخي، المحسن بن علي: **الفرج بعد الشدة**، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

التوحيدي، أبو حيان: **أخلاق الوزيرين**، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢.

التوحيدي، أبو حيان: **الإمتاع والمؤانسة**، تحقيق: أحمد أمين وزميله، طبعة دار الحياة، بيروت، بلا تاريخ.

التوحيدي، أبو حيان: **البصائر والذخائر**، تحقيق: وداد القاضي، دار الجيل، بيروت، بلا تاريخ.

التوحيدي، أبو حيان: **الرسالة البغدادية**، تحقيق: عبود الشالجي، منشورات الجمل، ١٩٩٧.

ثعلب، أحمد بن يحيى: **مجالس ثعلب**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠.

ثعلب، أحمد بن يحيى: **الفصيح**، تحقيق: د. عاطف مدكور، دار المعارف بمصر.

الثعالبي: **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، دار مكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٣.

الثعلبي، أبو إسحاق: **قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس**، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠.

الجاحظ: **البرصان والعرجان والعميان والحولان**، تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة بغداد، ١٩٨٢.

الجاحظ: **البيان والتبيين**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٣.

الجاحظ: **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة دار إحياء التراث المصورة عن الطبعة المصرية، بلا تاريخ.

الجاحظ: **العثمانية**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، بلا تاريخ.

الجاحظ: **رسائل الجاحظ**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، بلا تاريخ.

الجرجاني: **التعريفات**، تحقيق: غوستاف فلوغل، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥.

الجرجاني، عبد القاهر: **أسرار البلاغة**، تحقيق: ريتر، دار المسيرة، ١٩٨٣.

الجرجاني، عبد القاهر: **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تصحيح: الشيخ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بلا تاريخ.

الجرجاني، عبد العزيز: **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مصورة المكتبة العصرية عن الطبعة المصرية.

ابن الجزري: **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق: براجستراسر، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦.

جعفر منصور اليمن: **سرائر وأسرار النطقاء**، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، بلا تاريخ.

جعفر منصور اليمن: **كتاب الكشف**، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، بلا تاريخ.

الجهشياري: **الوزراء والكتاب**، تحقيق: إبراهيم صالح، الإمارات، أبو ظبي، ٢٠٠٩.

د. جواد علي: **تاريخ الصلاة في الإسلام**، منشورات الجمل، ٢٠٠٧.

جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم ومكتبة النهضة ببغداد، ١٩٧٦.

الجواليقي: **شرح أدب الكاتب**، تحقيق: طيبة حمد بودي، الكويت، ١٩٩٥.

الجواليقي، أبو منصور: **المعرب من الكلام الأعجمي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، ١٩٦٩.

ابن الجوزي: **تلبيس إبليس**، دار أسامة للنشر، الأردن، ١٩٩٨.

ابن الجوزي: **ذم الهوى**، تحقيق: خالد عبد اللطيف العلمي، دار الكتاب العربي، ١٩٩٨.

ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، تحقيق: طارق محمد عبد المنعم، الإسكندرية، بلا تاريخ.

جوزيف فان إس: **علم الكلام والمجتمع**، ترجمة: سالمة صالح، دار الجمل، بيروت، ٢٠٠٨.

ابن الحاجب، أبو عمر: **الإيضاح في شرح المفصل**، تحقيق: د. موسى بناي العليلي، بغداد، ١٩٨٢.

حاجي خليفة: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، طبعة إسطنبول، مصورة دار إحياء التراث العربي.

الحامدي، حاتم بن إبراهيم: **تحفة القلوب وفرجة المكروب**، تحقيق: عباس همداني، دار الساقي، لندن، ٢٠١٢.

الحصري القيرواني، إبراهيم بن علي: **زهر الآداب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٣، وطبعة زكي مبارك، القاهرة.

ابن حبيب: **المحبر**، تصحيح: إيلزة لختن شتيتر، المكتب التجاري، بيروت، صورة عن الطبعة الهندية.

ابن حبيب: **المنمق**، تصحيح: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥.

ابن حجر العسقلاني: **لسان الميزان**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٢.

ابن حجر العسقلاني: **الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧.

ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥.

الحربي، إبراهيم بن إسحاق: **غريب الحديث**، تحقيق: د. سليمان بن إبراهيم العايد، السعودية، ١٩٨٥.

ابن حزم: **الفصل في الملل والنحل**، تحقيق: يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢.

الحلبي، برهان الدين: **السيرة الحلبية**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

ابن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩.

حميد الله، محمد: **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٥.

ابن حوقل النصيبي: **صورة الأرض**، تحقيق: دي خويه، طبعة دار صادر المصورة عن بريل، ١٩٣٩.

أبو حنيفة الدينوري: **الأخبار الطوال**، تحقيق: عبد المنعم عامر، مصوررة عن طبعة وزارة الثقافة، ١٩٦٠.

حيدر الآملي: **جامع الأسرار ومنبع الأنوار**، تحقيق: هنري كوربان وعثمان يحيى، مصورة عن الطبعة الإيرانية، بيروت، ٢٠٠٥.

ابن خالويه: **شرح فصيح ثعلب**، (مخطوط)، جامعة برنستن.

ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٦.

ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١٩٩٤.

خليفة بن خياط: **التاريخ**، تحقيق: مصطفى فواز وحكمت فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

الخليل بن أحمد الفراهيدي: **كتاب العين**، تحقيق: د. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، طبعة مصورة عن طبعة وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٨٦.

الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف: **مفاتيح العلوم**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩.

الخياط، أبو الحسين: **كتاب الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد**، تحقيق: نيبرج، القاهرة، ١٩٢٥.

ابن دريد: **الاشتقاق**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.

ابن دريد: **المجتنى**، تحقيق: عبد المعيد خان، دار المعارف العثمانية في الهند، ١٩٦٣.

دفتري، فرهاد: **الإسماعيليون: تاريخهم وعقائدهم**، ترجمة: سيف الدين القصير، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.

دفتري، فرهاد: **موجز تاريخ الإسماعيلية**، ترجمة: سيف الدين القصير، دار المدى، دمشق، ٢٠٠١.

ديوان الأسود بن يعفر، تحقيق: نوري حمودي القيسي، بغداد، ١٩٧٠.

ديوان أبي الأسود الدؤلي بشرح السكري، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، بيروت، ١٩٩٨.

ديوان الأعشى، طبعة دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

ديوان الأفوه الأودي، ضمن كتاب الطرائف الأدبية، تصحيح: عبد العزيز الميمني، القاهرة، ١٩٣٧.

ديوان امرئ القيس بشرح النحاس، تحقيق: د. عمر الفجاوي، الأردن، عمان، ٢٠٠٢.

ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠.

ديوان امرئ القيس بشرح السكري، تحقيق: أنور أبو سويلم ومحمد علي الشوابكة، الإمارات، ٢٠٠٠.

ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق: بهجة عبد الغفور الحديثي، الإمارات، ٢٠٠٩.
ديوان أوس بن حجر، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.
ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق: د. عزة حسن، دمشق، ١٩٦٠.
ديوان تأبط شرّاً، تحقيق: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٤.
ديوان تميم بن مقبل، تحقيق: د. عزة حسن، حلب، ١٩٩٥.
ديوان جران العود النميري برواية السكري، دار الكتب المصرية، ١٩٣١.
ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، ١٩٨٦.
ديوان حاتم الطائي، تحقيق: عادل سليمان جمال، طبعة الإمارات، ٢٠١١، والطبعة المصرية، وطبعة كرم البستاني، بيروت، دار المسيرة، ١٩٨٢.
ديوان الحارث بن حلزة، إعداد: طلال حرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦.
ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تصحيح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣.
ديوان الحطيئة بشرح السكري، اعتناء: أحمد بن الأمين الشنقيطي، القاهرة، ١٩٠٥.
ديوان الحطيئة، تحقيق: نعمان أمين طه، القاهرة، ١٩٥٨، وطبعة دار الجيل، بيروت.
ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق: د. محمد شفيق البيطار، الكويت، ٢٠٠٢.
ديوان خفاف بن ندبة السلمي، تحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٢.
ديوان الخنساء بشرح ثعلب، تحقيق: د. أنور أبو سويلم، الأردن، ١٩٨٨.
ديوان الخوارج، جمع: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٧٤.
ديوان الراعي النميري، تحقيق: راينهرت فايبرت، فرانتس شتاينر، بيروت، ١٩٨٠.
ديوان رؤبة بن العجاج، باعتناء: وليم بن الورد البروسي، طبعة مصورة عن الطبعة الألمانية، ١٩٠٣.
ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.
ديوان سلامة بن جندل، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
ديوان السيد الحميري، جمع: شاكر هادي شكر، دار مكتبة الحياة، بيروت، بلا تاريخ.
ديوان شعر الأخطل، تحقيق: الأب أنطوان صالحاني، بيروت، ١٨٩١.

ديوان شعر الحادرة، تحقيق: د. ناصر الدين الأسد، معهد المخطوطات العربية.

ديوان شعر ذي الرمة: غيلان بن عقبة العدوي، تحقيق: كارليل مكارتني، كمبرج، ١٩١٩.

ديوان شعر المتلمس الضبعي، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، القاهرة، ١٩٧٠.

ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، ١٩٦٨.

ديوان الشنفرى، جمع: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ١٩٩٦.

ديوان الطرماح، تحقيق: د. عزة حسن، دار الشرق العربي، ١٩٩٤.

ديوان طفيل الغنوي، تحقيق: حسان فلاح أوغلي، دار صادر، ١٩٩٧.

ديوان عبد الله بن رواحة، تحقيق: د. وليد قصاب، دار العلوم، ١٩٨٢.

ديوان عبد الله بن قيس الرقيات، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

ديوان عبيد بن الأبرص، شرح: أشرف حمد، دار الكتاب العربي، ١٩٩٤.

ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦.

ديوان العجاج، باعتناء: وليم بن الورد البروسي، طبعة مصورة عن الطبعة الألمانية، ١٩٠٣.

ديوان عدي بن الرقاع العاملي بشرح ثعلب، تحقيق: نوري القيسي وحاتم الضامن، بغداد، ١٩٨٧.

ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق: محمد جبار المعيبد، بغداد، ١٩٦٥.

ديوان علقمة الفحل، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، ١٩٣٥.

ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق: بول شوارتز، لايبزغ، ١٩٠١.

ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٦٥.

ديوان عنترة بن شداد العبسي، بيروت، ١٨٩٣.

ديوان الفرزدق، إعداد إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣.

ديوان القتال الكلابي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، ١٩٨٩.

ديوان القطامي، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠.

ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق: كوفالسكي، لايبزغ، ١٩١٤.

ديوان كثير عزة، جمع وتحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧١.
ديوان كعب بن زهير بشرح السكري، تحقيق: أنطوان القوال، دار الفكر العربي، ٢٠٠٣، وطبعة دار الكتب المصرية.
ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق: سامي مكي العاني، بغداد، ١٩٦٦.
ديوان الكميت بن زيد الأسدي، تحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، ٢٠٠٠.
ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢.
ديوان المثقب العبدي، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٧١.
ديوان مجنون ليلى، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، ١٩٧٩.
ديوان معن بن أوس المزني، تحقيق: نوري القيسي وحاتم الضامن، بغداد، ١٩٧٧.
ديوان أبي نؤاس برواية الصولي، تحقيق: د. بهجت عبد الغفور الحديثي، أبو ظبي، ٢٠١٠.
ديوان النابغة الجعدي، تحقيق: د. واضح الصمد، دار صادر، ١٩٩٨.
ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، بلا تاريخ.
ديوان أبي النجم العجلي، جمع: د. محمد أديب عبد الواحد، مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠٠٦.
ديوان النمر بن تولب العكلي، تحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، ٢٠٠٠.
ديوان الهذليين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥.
الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٦.
الذهبي: **ميزان الاعتدال**، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.
الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا: **رسائل فلسفية**، جمع بول كراوس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٩١.
الرازي، أبو حاتم: **الإصلاح**، تحقيق: حسن مينوجهر، تهران، ٢٠٠٤.
الرازي، أبو حاتم: **أعلام النبوة**، دار الساقي بالاشتراك مع المؤسسة العربية للتحديث الفكري، ٢٠٠٣.
الرازي، أبو حاتم: **كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية**، تحقيق: حسين بن فيض الله الهمداني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٩٤.

الرازي، أبو حاتم: **الزينة**، قسم الفرق، ملحقاً بكتاب: **الغلو والفرق الغالية**، بغداد، ١٩٧٢.

الرازي، فخر الدين: **محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين**، تقديم: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، بلا تاريخ.

الرازي: **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، تقديم: محمد زينهم عزب، القاهرة، ١٩٩٣، وتحقيق: علي سامي النشار، القاهرة، ١٩٣٨.

الرامهرمزي، محمد بن الحسن: **أمثال الحديث**، تحقيق: أمة الكريم القرشية، استانبول، بلا تاريخ.

الربعي، عيسى بن إبراهيم: **نظام الغريب**، تحقيق: بولس برونله، مصر.

الرسعني، عبد الرزاق: **مختصر الفرق بين الفرق**، تحرير: فيليب حتي، القاهرة، ١٩٢٤.

الرقيق القيرواني: **قطب السرور**، تحقيق: د. سارة البربوشي بن يحيى، منشورات الجمل، ٢٠١٠.

الزبيدي، محمد بن الحسن: **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ١٩٨٤.

الزبير بن بكار: **الأخبار الموفقيات**، تحقيق: سامي مكي العاني، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦.

الزجاج، إبراهيم بن السري: **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨.

الزجاج، إبراهيم بن السري: **تفسير أسماء الله**، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دمشق، ١٩٨٦.

الزجاجي، أبو القاسم: **اشتقاق أسماء الله**، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦.

الزجاجي، أبو القاسم: **أمالي الزجاجي**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧.

الزمخشري: **أساس البلاغة**، طبعة المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥.

الزمخشري، محمود بن عمر: **الفائق في غريب الحديث**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، ١٩٧١.

الزمخشري: **الكشاف عن حقائق التنزيل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٥.

الإمام زيد بن علي: **تفسير غريب القرآن**، مخطوط مصور لدى جامعة برنستن.

أبو زيد الأنصاري: **النوادر في اللغة**، تحقيق: سعيد الشرتوني، طبعة مصورة عن طبعة بيروت، ١٨٩٤. وطبعة دار الشروق، القاهرة.

السبكي، تاج الدين: **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: مصطفى عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.

السجستاني، أبو بكر: **غريب القرآن**، مطبعة محمد صبيح، القاهرة، ١٩٦٣.

السجستاني، أبو حاتم: **كتاب النخلة**، تحقيق: د. حاتم الضامن، دار البشائر، ٢٠٠٢.

السجستاني، أبو سليمان: **مختصر صوان الحكمة**، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، طهران، ١٩٧٤.

السجستاني، أبو يعقوب: **الافتخار**، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٠.

السجستاني، أبو يعقوب: **سلم النجاة**، تحقيق: محمد أبوعلي عليبهاي، جامعة هارفارد، ١٩٨٣.

السجستاني، أبو يعقوب: **المقاليد الملكوتية**، المقدمة الإنكليزية، تحقيق: إسماعيل قربان بوناوالا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠١١.

السجستاني، أبو يعقوب: **الينابيع**، تحقيق: مصطفى غالب، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦٥.

السراج، أبو بكر: **رسالة الاشتقاق**، تحقيق: محمد علي الدرويش، دمشق، ١٩٧٢.

سزكين، فؤاد: **تاريخ التراث العربي**، الرياض، ١٩٩١.

ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، تقديم: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨.

سعيد الغانمي: **ينابيع اللغة الأولى**، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات، ٢٠٠٩.

سعيد الغانمي: **شعر ابن العلاف**، مجلة البلاغ، العدد ١-٢، بغداد، ١٩٧٧.

ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق: **الألفاظ**، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ١٩٩٨.

ابن السكيت: **إصلاح المنطق**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، ط ٤، بلا تاريخ.

السمعاني، عبد الكريم بن محمد: **الأنساب**، طبعة مرغليوث المصورة، لندن، ١٩١٢.

سيبويه: **كتاب سيبويه**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨.

السيرافي، أبو سعيد: **أخبار النحويين البصريين**، تحقيق: طه محد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، ١٩٥٥.
السيوطي، جلال الدين: **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، السعودية، المدينة المنورة، ١٤٢٦.
السيوطي: **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨.
الشابشتي، علي بن محمد: **الديارات**، تحقيق: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، مصورة عن طبعة بغداد، ١٩٨٦.
ابن شاكر الكتبي: **فوات الوفيات**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩.
ابن الشجري: **الأمالي الشجرية**، دائرة المعارف العثمانية في الهند، ١٣٤٩.
الشريف المرتضى: **الأمالي**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥.
الشريف المرتضى: **الشافي في الإمامة**، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني، طهران، ١٩٨٦.
الشريف المرتضى: **رسائل الشريف المرتضى**، المجموعة الثالثة، تقديم: أحمد الحسيني، قم، ١٤٠٥.
شعر إبراهيم بن هرمة القرشي، جمع: محمد نفاع وحسين عطوان، مجمع اللغة العربية بدمشق.
شعر الأحوص الأنصاري، تحقيق: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، ١٩٩٠.
شعر البعيث المجاشعي، تحقيق: د. ناصر حلاوي، بغداد، ١٩٧٤.
شعر أبي دؤاد الإيادي، تحقيق: د. إحسان عباس، في كتاب دراسات في الأدب العربي، بيروت، ١٩٥٩.
شعر زيد الخيل الطائي، جمع: أحمد مختار البزرة، دار المأمون، ١٩٨٨.
شعر بن عمرو بن أحمر الباهلي، جمع: د. حسين عطوان، مجمع اللغة العربية بدمشق.
شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، تحقيق: مطاع الطرابيشي، دمشق، ١٩٨٥.
شعر مروان بن أبي حفصة، جمع: د. حسين عطوان، دار المعارف، ط ٣، بلا تاريخ.
شعر المسيب بن علس، في الصبح المنير في شعر أبي البصير، مطبعة أدلف هلزهوسن، بيانة، ١٩٢٧.

شعر منصور النمري، تحقيق: الطيب العشاش، دمشق، ١٩٨١.

شعر نصيب بن رباح، تحقيق: د. داود سلوم، بغداد، ١٩٦٧.

شعر هدبة بن الخشرم العذري، تحقيق: د. يحيى الجبوري، الكويت، ١٩٨٦.

شعر يزيد بن الطثرية، تحقيق: حاتم صالح الضامن، بغداد، ١٩٧٣.

الشمشاطي، علي بن محمد: **الأنوار ومحاسن الأشعار**، تحقيق: صالح مهدي العزاوي، بغداد، ١٩٨٧.

ابن شهراشوب: **معالم العلماء**، تحقيق: عباس إقبال، طهران، ١٩٣٤.

الشهرستاني: **مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار**، تحقيق: محمد علي آذرشب، طهران، ٢٠٠٨.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: **الملل والنحل**، تحقيق: سعيد الغانمي، دار الجمل، بيروت، ٢٠١٣.

الشهرزوري، شمس الدين: **تاريخ الحكماء**، نشرة عبد الكريم أبو شويرب، ليبيا، ١٩٨٨.

الشوكاني، محمد بن علي: **فتح القدير**، دار إحياء التراث العربي، طبعة مصورة عن الطبعة المصرية.

الشيرازي، أبو إسحاق: **الإشارة إلى مذهب أهل الحق**، تحقيق: محمد السيد الجليند، القاهرة، ١٩٩٩.

الشيرازي، أبو إسحاق: **طبقات الفقهاء**، طبعة دار القلم، بيروت، بلا تاريخ.

الشيرازي، المؤيد في الدين: **المجالس المستنصرية**، المائة الخامسة (مخطوط).

صاعد الأندلسي: **طبقات الأمم**، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف بمصر، بلا تاريخ.

الصبح المنير في شعر أبي البصير، مطبعة أدلف هلزهوسن، بيانة، ١٩٢٧.

الصغاني، محمد بن الحسن: **العباب الزاخر واللباب الفاخر**، ج ١، تحقيق: د. فير محمد حسن، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٧٨.

الصفار القمي: **بصائر الدرجات في فضائل آل محمد**، تحقيق: ميرزا محسن التبريزي، قم، ١٤٠٤ ق.

الصفدي: **نكت الهميان في نكت العميان**، تحقيق: أحمد زكي باشا، القاهرة، ١٩١١.

الصنعاني: **نسمة السحر فيمن تشيع وشعر** (مخطوط).

الصولي، محمد بن يحيى: **أخبار الراضي بالله من كتاب الأوراق**، تحقيق: هيورث دن، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩.

الصولي، محمد بن يحيى: **أدب الكتاب**، تحقيق: محمد بهجت الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤١.

ابن طباطبا، محمد بن علي: **الفخري في الآداب السلطانية**، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

الطبرسي، الفضل بن الحسن: **إعلام الورى بأعلام الهدى**، طبعة دار المعرفة المصورة، بيروت، ١٩٧٩.

الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، بلا تاريخ، وطبعة الأعلمي ببيروت.

الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

الطبري، علي بن ربن: **الدين والدولة**، تحقيق: عادل نويهض، بيروت، ١٩٨٢.

الطوسي، أبو جعفر: **رجال الطوسي**، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، قم، ١٤٢٨.

الطوسي، أبو جعفر: **الفهرست**، طبعة الهند، بلا تاريخ.

الطوسي، أبو جعفر: **كتاب الغيبة**، مكتبة بصيرتي، قم، ١٣٨٥.

الطوسي، نصير الدين: **تلخيص المحصل**، بهامش المحصل لفخر الدين الرازي.

أبو الطيب اللغوي: **مراتب النحويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، ١٩٥٥.

أبو الطيب اللغوي: **الأضداد في كلام العرب**، تحقيق: د. عزة حسن، دمشق، ١٩٩٦.

ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر: **كتاب بغداد**، تحقيق: د. إحسان ذنون الثامري، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩.

ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر: **بلاغات النساء**، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٦١.

ابن أبي عاصم، أحمد بن عمر: **السنة**، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، السعودية، ١٩٩٨.

ابن عباس: **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

عبدان القرمطي: **شجرة اليقين**، تحقيق: عارف تامر، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٢. والكتاب في الحقيقة جزء من كتاب الشجرة للداعي أبي تمام النيسابوري.

ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، تحقيق: أحمد أمين وجماعته، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا تاريخ.

عبد السلام هارون (محقق): **نوادر المخطوطات**، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.

عبد الله الخطيب: **صالح بن عبد القدوس البصري**، منشورات البصري، بغداد، ١٩٦٧.

ابن العبري: **تاريخ مختصر الدول**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨.

عبيد بن شرية: **أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها**، دائرة المعارف العثمانية في الهند، ١٣٤٧.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى: **مجاز القرآن**، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٤.

أبو عبيدة: **نقائض جرير والفرزدق**، تحقيق: بيفان، دار صادر، مصورة عن طبعة بريل، ١٩٠٥.

أبو عبيدة: **الديباج**، تحقيق: الجربوع والعثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩١.

أبو عبيدة: **أيام العرب قبل الإسلام**، جمع وتحقيق: د. عادل جاسم البياتي، عالم الكتب، ١٩٨٧.

أبو عبيدة: **الخيل**، الهند، دار المعارف العثمانية، ١٣٥٨.

أبو عبيد: **الأمثال**، تحقيق: تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، دمشق، ١٩٨٠.

أبو عبيد: **الأموال**، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.

أبو عبيد: **الخطب والمواعظ**، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

أبو عبيد: **غريب الحديث**، تحقيق: د. حسين محمد محمد شرف، القاهرة، ١٩٨٤.

أبو عبيد: **الغريب المصنف**، تحقيق: د. محمد المختار العبيدي، تونس، ١٩٩٦.

العبيدي، محمد بن عبد الرحمن: **التذكرة السعدية**، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٨١.

ابن عساكر: **تبيين كذب المفتري**، طبعة دمشق، ١٣٤٧.

العسكري، الحسن بن عبد الله: **المصون في الأدب**، تحقيق: عبد السلام هارون، الكويت، ١٩٨٤.

علي بن حمزة: **التنبيهات**، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار المعارف، ١٩٨٦.

ابن أبي عون: **الأجوبة المسكتة**، تحقيق: د. مي أحمد يوسف، القاهرة، ١٩٩٦.

الفراء، يحيى بن زياد: **الأيام والليالي**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة، ١٩٨٠.

الفراء، يحيى بن زياد: **معاني القرآن**، تحقيق: محمد علي النجار وجماعته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠.

الفراء، يحيى بن زياد: **المنقوص والممدود**، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار المعارف، ١٩٨٦.

ابن الفقيه الهمذاني: **مختصر كتاب البلدان**، ليدن، ١٣٠٢.

ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد: **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، تحقيق: محمد الكاظم، تهران، ١٤١٦.

الفيومي، أحمد بن محمد: **المصباح المنير**، مكتبة لبنان، ١٩٨٧.

ابن قاضي شهبة: **طبقات الشافعية**، تحقيق: عبد العظيم خان، حيدر آباد، الهند، ١٩٧٨.

القاضي عبد الجبار: **تثبيت دلائل النبوة**، طبعة دار الثقافة الدينية، القاهرة.

القاضي عبد الجبار الرازي: **تنزيه القرآن عن المطاعن**، دار النهضة الحديثة، بيروت، بلا تاريخ.

القاضي عبد الجبار: **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة**، تحقيق: فؤاد السيد، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٤.

القاضي عبد الجبار: **المغني، الإمامة**، طبعة دار الثقافة الدينية المصورة عن الطبعة الأولى.

القاضي عبد الجبار: **المغني في التوحيد**، ج٥، **الفرق غير الإسلامية**، تحقيق: محمود محمد الخضيري، القاهرة، ١٩٦٥.

القاضي عبد الجبار: **شرح الأصول الخمسة**، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، والكتاب هو تعليق مانكديم على كتاب القاضي، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٩.

القاضي عبد الجبار: **مختصر الحسنى**، المنشور بعنوان: مختصر في أصول الدين في **رسائل العدل والتوحيد**، القاهرة، ٢٠٠٩.

القاضي النعمان: **أساس التأويل**، تحقيق: عارف تامر، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠.

القاضي النعمان: **دعائم الإسلام**، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيظي، دار المعارف، ١٩٨٥.

القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**، تحقيق: الحبيب الفقي وجماعته، مصورة عن الطبعة التونسية، دار المنتظر، بيروت، ١٩٩٦.

القالي: **الأمالي**، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

ابن قتيبة: **الاختلاف في اللفظ**، في كتاب عقائد السلف، تحقيق: علي سامي النشار، الإسكندرية، ١٩٧١.

ابن قتيبة: **أدب الكاتب**، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن قتيبة: **الأشربة**، تحقيق: محمد كرد علي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق، ط٢، ٢٠١١.

ابن قتيبة: **إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث**، تحقيق: عبد الله الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣.

ابن قتيبة: **الأنواء**، حيدر آباد الهند، ١٩٥٦.

ابن قتيبة: **تأويل مختلف الحديث**، مطبعة كردستان العلمية، القاهرة، ١٣٢٦.

ابن قتيبة: **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٤.

ابن قتيبة: **تعبير الرؤيا**، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ٢٠١١.

ابن قتيبة: **تفسير غريب القرآن**، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٨.

ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦.

ابن قتيبة: **عيون الأخبار**، تحقيق: محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٢.

ابن قتيبة: **غريب الحديث**، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، وزارة الأوقاف، بغداد، ١٩٧٧.

ابن قتيبة: **فضل العرب والتنبيه على علومها**، تحقيق: د. وليد محمود خالص، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ٢٠١٠.

ابن قتيبة: **المسائل والأجوبة**، تحقيق: مروان العطية وصاحبه، دار ابن كثير، ١٩٩٠.

ابن قتيبة: **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر، بلا تاريخ.

ابن قتيبة: **المعاني الكبير**، تحقيق: سالم الكرنكوي، دار النهضة الحديثة، ١٩٥٣.

ابن قتيبة: **الميسر والقداح**، تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة، ١٣٤٢.

القرشي، أبو زيد: **جمهرة أشعار العرب**، طبعة دار المسيرة المصورة عن طبعة بولاق، ١٩٨٣.

القزويني، زكريا بن محمد: **عجائب المخلوقات**، المكتبة الأموية، بلا مكان ولا تاريخ.

قطرب، محمد بن المستنير: **الأزمنة وتلبية الجاهلية**، تحقيق: د. صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥.

قطرب، محمد بن المستنير: **الفروق**، تحقيق: د. خليل إبراهيم عطية، مكتبة الثقافة الدينية، بلا تاريخ.

القفطي، علي بن يوسف: **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٩٨٦.

القفطي، علي بن يوسف: **تاريخ الحكماء**، تحقيق: يوليوس ليبرت، طبعة مكتبة المثنى المصورة عن طبعة ١٩٠٣.

القيسي، أبو رياش: **شرح هاشميات الكميت الأسدي**، ليدن، ١٩٠٤.

الكاشاني، محسن الفيض: **تفسير الصافي**، مؤسسة الأعلمي، بيروت، بلا تاريخ.

كتاب أمونيوس في آراء الفلاسفة، ألمانيا، شتوتغارت، ١٩٨٩.

ابن كثير، عماد الدين: **البداية والنهاية**، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤.

ابن كثير، عماد الدين: **طبقات الشافعية**، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٤.

الكرماني: **الأقوال الذهبية**، تحقيق: مصطفى غالب، دار محيو، بيروت، ١٩٧٧.

الكرماني: **راحة العقل**، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، بلا تاريخ.

الكرماني: **الرياض**، تحقيق: عارف تامر، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠.

الكشي، محمد بن عمر: **رجال الكشي**، تصحيح: أحمد الحسيني، مؤسسة الأعلمي، كربلاء، بلا تاريخ.

الكعبي، أبو القاسم البلخي: **قبول الأخبار ومعرفة الرجال**، تحقيق: الحسيني بن عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.

الكعبي: **المقالات**، القسم المنشور عن المعتزلة في كتاب فضل الاعتزال، تحقيق: فؤاد سيد، تونس، ١٩٧٤.

ابن الكلبي، هشام بن محمد: **كتاب الأصنام**، تحقيق: أحمد زكي باشا، مصور عن الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٥، والطبعة الثانية، المجمع الثقافي، الإمارات، ٢٠٠٣.

ابن الكلبي، هشام بن محمد: **أنساب الخيل**، تحقيق: أحمد زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧.

ابن الكلبي، هشام بن محمد: **جمهرة النسب**، تحقيق: د. ناجي حسن، عالم الكتب، ٢٠٠٤.

ابن الكلبي، هشام بن محمد: **نسب معد واليمن الكبير**، تحقيق: د. ناجي حسن، عالم الكتب، ٢٠١٠.

الكندي: **رسائل الكندي الفلسفية**، تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، ١٩٥٠.

كوفمان، كاثي: **الطبخ في الحضارات القديمة**، ترجمة: سعيد الغانمي، الإمارات، ٢٠١١.

لطيفة البكاي: **قراءة في رسالة ابن إباض**، بيروت، ٢٠٠٢.

ابن ماجة: **سنن ابن ماجة**، تخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٨.

الماوردي: **تسهيل النظر وتعجيل الظفر**، تحقيق: محيي هلال السرحان، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١.

المبرد، محمد بن يزيد: **البلاغة**، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٥.

المبرد، محمد بن يزيد: **التعازي والمراثي**، تحقيق: محمد الديباجي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢.

المبرد، محمد بن يزيد: **الفاضل**، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥.

المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠، وتحقيق: و. رايت، طبعة لايبزغ، ١٨٩٢.

المبرد، محمد بن يزيد: **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، ١٩٩٤.

متز، آدم: **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة، بيروت، ١٩٦٧.

محمد عمارة (محقق): **رسائل العدل والتوحيد**، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٩.

محمد بن المبارك: **منتهى الطلب من أشعار العرب**، تحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، ٢٠٠٨.

مختار رسائل جابر بن حيان، تحقيق: بول كراوس، طبعة مكتبة المثنى، بغداد، ١٣٥٤.

د. المخزومي، مهدي: **الدرس النحوي في بغداد**، دار الرائد العربي، ١٩٨٧.

مراد كامل وجماعته: **تاريخ الأدب السرياني**، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٧.

ابن المرتضى، أحمد بن يحيى: **باب ذكر المعتزلة**، تحقيق: توما أرنلد، دار صادر، بيروت، تصوير عن طبعة حيدر آباد، ١٣١٦، وطبعة سوسنة ديفلد فلزر، بيروت، ١٩٨٧.

المسعودي: **التنبيه والإشراف**، دار صادر، مصورة عن الطبعة الأوربية، بلا تاريخ.

المسعودي: **مروج الذهب**، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠.

مسكويه: **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

مسلم بن الحجاج: **الجامع الصحيح**، طبعة التحرير، القاهرة، المصورة عن طبعة إستانبول.

المرزباني، محمد بن عمران: **أشعار النساء**، تحقيق: سامي مكي العاني وهلال ناجي، عالم الكتب، ١٩٩٥.

المرزباني، محمد بن عمران: **معجم الشعراء**، تصحيح: كرنكو، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.

المرزباني، محمد بن عمران: **نور القبس المختصر من المقتبس**، تحقيق: زلهايم، بيروت، ١٩٦٤.

ابن المعتز: **طبقات الشعراء**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، ط ٤، بلا تاريخ.

المعري، أبو العلاء: **رسالة الغفران**، تحقيق: د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٨.

المعري، أبو العلاء: **الصاهل والشاحج**، تحقيق: د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤.

المعري، أبو العلاء: **الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ**، تحقيق: محمود حسن زناتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧.

المعري: **رسائل أبي العلاء المعري**، تحقيق: إحسان عباس، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٢.

المفضل بن سلمة: **الفاخر**، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤.

المفضل الضبي: **أمثال العرب**، تعليق: د. إحسان عباس، دار الرائد العربي، ١٩٨٣.

المفضل الضبي: **المفضليات**، تحقيق: أحمد محمود شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، بلا تاريخ.

المفيد، الشيخ: **الأمالي**، دار التيار الجديد، بلا تاريخ.

مقاتل بن سليمان: **الوجوه والنظائر**، تحقيق: د. حاتم الضامن، مركز جمعة الماجد، الإمارات، ٢٠٠٦.

المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

المقدسي: **البدء والتاريخ** (منسوب لأبي زيد البلخي خطأ)، طبعة دار صادر، بيروت، ٢٠١٠.

المقريزي، تقي الدين: **النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم**، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف بمصر، ١٩٨٨.

المقريزي، تقي الدين: **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٩٩.

المنقري، نصر بن مزاحم: **وقعة صفين**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠.

ابن منظور: **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

الناشئ الأكبر: **مسائل الإمامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات**، تحقيق: يوسف فان إس، بيروت، ٢٠٠٣.

ناصر خسرو: **جامع الحكمتين**، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٤.

ابن نباتة المصري: **سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦.

النجاشي، أحمد بن علي: **رجال النجاشي**، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٧.

النحاس، أبو جعفر: **إعراب القرآن**، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، بغداد، ١٩٧٧.

النحاس، أبو جعفر: **معاني القرآن**، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، السعودية، ١٩٨٨.

ابن النديم: **الفهرست**، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤.

النرشخي، محمد بن جعفر: **تاريخ بخارى**، ترجمة: د. أمين عبد المجيد بدوي، دار المعارف، ط ٣، بلا تاريخ.

النسفي، أبو مطيع: **الرد على أهل البدع والأهواء الضالة**، تحقيق: ماري بيرناند، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٠.

النسفي، محمد بن أحمد: **كون العالم**، مخطوط في مكتبة معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن.

النشار، علي سامي: **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥.

نشوان الحميري: **الحور العين**، تحقيق: كمال مصطفى، طبعة اليمن المصورة عن الطبعة المصرية، ١٩٨٥.

نظام الملك الطوسي: **سير الملوك أو سياست نامه**، ترجمة: د. يوسف بكار، الأردن، ٢٠٠٧.

النمري، يوسف بن عبد البر: **بهجة المجالس وأنس المجالس**، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥.

النوبختي: **فرق الشيعة**، تحقيق: رتر، مطبعة الدولة، أسطنبول، ١٩٣١.

نوري حمودي القيسي: **شعراء إسلاميون**، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤.

نوري حمودي القيسي: **شعراء أمويون**، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥.

النيسابوري، أحمد بن إبراهيم: **إثبات الإمامة**، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ١٩٩٦.

هاينس هالم: **الغنوصية في الإسلام**، ترجمة: رائد الباش، منشورات الجمل، ٢٠٠٣.

ابن هشام: **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١.

هفنر، أوغست: **الكنز اللغوي في اللسن العربي**، مكتبة المتنبي، القاهرة، مصورة عن الطبعة اللبنانية.

الهمداني، ابن الحائك: **الإكليل**، الجزء الثامن، تحقيق: نبيه أمين فارس، دار العودة، بيروت، بلا تاريخ.

الواحدي النيسابوري: **أسباب النزول**، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٩٩٦.

الواقدي: **كتاب المغازي**، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤.

وداد القاضي: **الكيسانية في التاريخ والأدب**، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٤.

ولفنسون: **تاريخ اللغات السامية**، دار القلم، بلا تاريخ.

وهب بن منبه: **التيجان في ملوك حمير**، دار المعارف العثمانية في الهند، ١٣٤٧.

ياقوت الحموي: **معجم الأدباء**، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١.

ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥.

اليعقوبي: **كتاب البلدان**، طبعة النجف، ١٩٣٩.

اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٣.

اليمني، أبو محمد: **كتاب الفرق**، (مخطوط).

أبو يوسف القاضي: **الخراج**، منشورات الجمل، بيروت، ٢٠٠٩.

المصادر الأجنبية

Daftary, Farhad, *The Ismailis Their History and Doctrines*, Cambridge University Press, 2007.

Delia Cortese, *Arabic Ismaili Manuscripts, The Zahid Ali Collection*, 2003.

Encyclopaedia of Religion and Ethics, 1915.

Encyclopaedia of Islam, 2ed.

Ivanow, W, *A Creed of the Fatimids*, Bombay, 1936.

John Reeves, *Jewish Lore in Manichaean Cosmogony*, HUP, 1992.

Kurt Rudolph, *Gnosis, The Nature and History of Gnosticism*, 1987.

Michael Wise and others, *Dead Sea Scrolls, A New Translation*, 1996.

Nasr and Leaman (ed.), *History of Islamic Philosophy*, Qum, 2008.

Rudolph, Ulrich, *Die Doxographie des Pseudo- Ammonios*, Stuttgart, 1989.

Walker, Paul, *Early Philosophical Shiism, The Ismaili Neoplatonism of Abu Ya'qub al-Sijistani*, Cambridge University Press,1993.

الفهارس

١ ــ فهرس الآيات القرآنية

السورة	رقمها	رقم الآية	الصفحة
الأنعام	٦	١٣٠	٢٩٢
		١٣٣	٦٤٢
		١٣٧	٩١٤
		١٥٦	١٧٨، ٦٥٢
		١٥٩	٤٨٩
		١٦٠	٩٩، ٧٦٦، ٧٦٩
		١٦٢	٧٨٨
		١٦٤	٤٢٨
الأعراف	٧	٩	٤٦٤
		١١	٢٠٧
		١٢	٢٨٨
		١٨	٣٠٨
		٢٩	٦٨٦
		٣٨	٣١٦
		٤٠	٥٦١
		٥٣	٦٨٥، ٦٨٦
		٥٤	٩٨، ٢٥٥
		٧٣	٨٦٨
		١٠٨	٦٩١
		١٠٩	٩١٨
		١١٦	٩٠١
		١٢٧	١٧٥
		١٣١	٩٢٢
		١٣٤	٨٩٨، ٩٠٠
		١٣٧	٢٧٦
		١٣٨	٧٦٢

السورة	رقمها	رقم الآية	الصفحة
التوبة	٨	٥١	٦٥١
		٦٠	٧٦٧
		٦١	٤٠٣
		٦٧	٤٦٦
		٧٢	٣١٢
		٨٠	٧٣٨
		٨٤	٧٣٧
		٩٠	٥٢٤
		٩٥	٩٠٠
		١٠٠	٦٢٠
		١٠٣	٧٣٥، ٧٣٧
		١٠٨	٧١٣
		١١١	٤٣٦-٤٣٧، ٥١٧
		١١٤	٦١٤
		١١٧	٦٢٠
		١١٩	٦٠٥
		١٢٥	٨٩٨
		١٢٦	٨٣٤
يونس	١٠	١	٢٣٤، ٢٨٧
		٣	٢٧٥
		٥	٩٨
		١٠	١٥٥، ٢١١، ٢٢٩، ٧٤٦
		١١	٢٦٢
		٢٢	٩١٠
		٢٥	٢٠٨
		٣١	٣٦٣

السورة	رقمها	رقم الآية	الصفحة
يونس	١٠	٦١	٨٨-٨٩، ٦٠٩
		٧٨	٢٢٤
		٨٣	٦٤٢
		٨٧	٣٥٦
		١٠٠	٨٩٨
هود	١١	١	٦٨٢
		٧	٢٧٤
		٨	٤١٦
		١٧	٦٠٨
		٣٨	٣٣٩، ٤٥١
		٤١	١٥٩، ١٦٣
		٤٨	٤١٧
		٦٩	٧٤٥
		٧٠	٣٨٤
		٧١	٢٦٣
		٧٨	٨٦٣
		١٠٦	٣١٦
		١١٤	٧٩٢
		١١٩	٢٨٨
يوسف	١٢	٣	٦٧٣
		٦	٦٣٣، ٦٨٥، ٨٥٠
		١٠	٦٠٩
		١٧	٢١٤، ٤٠٤
		٢٠	٥١٨
		٢٣	٢٣١، ٨١٢
		٣١	٢٣١، ٩١٣

السورة	رقمها	رقم الآية	الصفحة
مريم	١٩	٥	٦٢٩، ٦٣٠
		٦	٦٣٠، ٦٣١
		١٠	٦٦٢
		١١	٦٦٠
		١٣	١٤٦، ٢٤٩
		١٦	٢٨٢، ٤٠٠-٤٠١
		١٧	٢٨٢، ٤٠٠-٤٠١
		١٨	٦٢٨
		٢٤	١٣٨
		٢٦	٧٥٧
		٢٨	٨٦٨
		٤٦	٤١٢
		٥٩	٢٣٠
		٦٥	١٦٨
		٦٩	٤٨٩
		٩٠	٤٢٠
طه	٢٠	٥	٥٠٩
		١٠	٢٩٢، ٣٩٢
		٢٩-٣٢	٣٠
		٤٠	٨٣٤
		٧٢	٢٦٣
		٩٧	٧٦٣
		١١٤	٢٣٣
		١١٥	٢٩٣
الأنبياء	٢١	٢٥	٨٤١
		٢٧	٥٨٤

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة
اشربوا في كل وعاءٍ ولا تسكروا	٨٧٦
ما أبالي ما أتيت، إذا أنا شربتُ ترياقاً أو تعلقتُ تميمةً، أو قلت شعراً من قبل نفسي	٩٠٥
مَنْ تعلّق تميمة فقد أشرك	٩٠٥
الرقى والتمائم والعوذة من الشرك	٩٠٥
عراضُ الوجوه، صفار الأعين، صهب الشعاف، من كل حدبٍ يتسلون	٩١٠
عليه مسحة ملك	٩١٣
لن يفلح قومٌ أسندوا أمرهم إلى امرأة	٩١٧
إياكم والنجوم فإنها تدعو إلى الكهانة	٩١٨، ٩٢٨
أنت رباني هذه الأمة	٩١٨
أنت مني بمنزلة هارون من موسى	٩١٨
أقروا الطير على مَكِناتها	٩٢٢
لا عدوى ولا طِيرة ولا غول	٩٢٥
إذا ذكِر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا	٩٢٨
طلب العلم فريضة على كل مسلم	٩٣٤

٣ ـ فهرس القوافي

الصدر	العجز	البحر	الشاعر	الصفحة
		قافية «الهمزة»		
هجوت	الجزاءُ	الوافر	حسان	١٣٠
إذا نزل	الشتاءُ	الوافر	الحطيئة	٢٥٧
فشجّ	الرشاءُ	الوافر	زهير	٣٢١، ٤٠١
فذو هاشٍ	والسماءُ	الوافر	زهير	٣٣٤
ويأخذه	الرداءُ	الوافر	الحطيئة	٣٩٠
جوارٌ	والتلاءُ	الوافر	زهير	٤٣٨، ٤٤١
وجار البيت	سواءُ	الوافر	زهير	٤٤١
كأن الرجل	هواءُ	الوافر	زهير	٤٧٤
ألا أن	سواءُ	الوافر	السيد الحميري	٥٤١
عليٌّ	خفاءُ	الوافر	السيد الحميري	٦٤٥
ألم أك	والاخاءُ	الوافر	الحطيئة	٧٨٣
فإن تكن	هِداءُ	الوافر	زهير	٧٩٩، ٨٠٩
جرت	اللقاءُ	الوافر	زهير	٩٢٤
وثمانين	القضاءُ	الخفيف	الحارث بن حلزة	٢٦٤
وكلما	حقباءُ	الخفيف	عدي بن الرقاع	٢٩٥
والذي نغّص	ظماءُ	الخفيف	ابن قيس الرقيات	٥٩٣
عنتاً باطلا	الظباءُ	الخفيف	الحارث بن حلزة	٦٤٠

قافية «التاء»

الصدر	العجز	البحر	الشاعر	الصفحة
جرى	مِتيحُ	الطويل	جران العود	٩٢١
قد ظِلْتُ	أرماحُ	البسيط	أبو ذؤيب	٣١٨
وكأن القوم	ذبيحُ	مجزوء الرمل	أبو نواس	٨٠٠
موليةً	المتطحطحِ	الطويل	الطرماح	٣٥٧
إذا ما	المتوضحِ	الطويل	الطرماح	٨٦٤
حشاً	ضاحي	البسيط	أوس	٧٠٩
ما زلت	مجروحِ	البسيط	النظام	٨٧٢

قافية «الخاء»

الصدر	العجز	البحر	الشاعر	الصفحة
أفلح	الفخَّةْ	الرجز	——	٨٠٨
متى ما	ينشخِ	الطويل	الشماخ	٧٥٨
أبا الجرافق	أجياخِ	البسيط	طرفة	٤٠٥

قافية «الدال»

الصدر	العجز	البحر	الشاعر	الصفحة
يرعون	الصمدْ	الرمل	طرفة	١٩٤
مرجَ	الكتدْ	الرمل	أبو دؤاد الأيادي	٤٠٦
حُبُسٌ	الفندْ	الرمل	طرفة	٨١٩
إذا أنت	جلمدا	الطويل	الأحوص	١٣٧
تباعد	بعدا	الطويل	——	٢٥٤
أريني	مخلدا	الطويل	النهشلي	٣١٤
نبي يرى	وأنجدا	الطويل	الأعشى	٣٦٠
أتيتُ	جامدا	الطويل	الأعشى	٧١٥
وإذا النصُبِ	فاعيدا	الطويل	الأعشى	٨٨٧
ربي كريم	انشدا	الكامل	الأعشى	٢٣٧
ألقى عليّ	أفسدا	الرجز	دويد بن زيد	١١١
تر العلافي	مشيدا	الرجز	حميد الأرقط	٣٤٠
هي الخمر	أبا جعدةْ	المتقارب	عبيد بن الأبرص	٨٧٣

الصدر	العجز	البحر	الشاعر	الصفحة
ولا تحسبني	فاشهدِ	الطويل	الأعشى	١٤٩، ٤٤٨
ولكنما	بأوحدِ	الطويل	طرفة بن العبد	١٨٩
لقد بكّر	الصمدِ	الطويل	الراعي	١٩٥
وإن تبغني	المصمدِ	الطويل	طرفة	١٩٥
أعاذلُ	المفندِ	الطويل	عدي بن زيد	٢٣٥
إذ ما	فاقعدِ	الطويل	عدي بن زيد	٢٤٦
لخولة	اليدِ	الطويل	طرفة	٢٧٠
وفي كل	أم معبدِ	الطويل	الحطيئة	٣٠٢
إذا أنت	فتنكدِ	الطويل	عدي بن زيد	٣٢٧
عقائل	بواعدِ	الطويل	النابغة	٣٧٢
أرى الموت	المتشددِ	الطويل	طرفة	٣٧٢، ٧٣٥
صبا ما صبا	أبعدِ	الطويل	دريد بن الصمة	٦٧٠
وجمجمة	مبردِ	الطويل	طرفة	٦٩٥
وكرّي	المتوردِ	الطويل	طرفة	٨٦١
وتقصير	الممددِ	الطويل	طرفة	٩١٣
كان رحلي	وحدِ	البسيط	النابغة	١٨٨
وقفت	من أحدِ	البسيط	النابغة	١٩٢
لو كنت	من أحدِ	البسيط	الراعي	١٩٢
علوته	الصمد	البسيط	ابن الأسلع	١٩٥
والمؤمن	والسعدِ	البسيط	النابغة	٢١٣، ٤٠٣
ما إن	إليّ يدي	البسيط	النابغة	٢١٣
شك	العضد	البسيط	النابغة	٢١٦
وخيّس	والعمدِ	البسيط	النابغة	٢٩١
طاف خيال	بميعادِ	البسيط	الحطيئة	٣٠٢
ومن عصاك	على ضمدِ	البسيط	النابغة	٣٢٨

الصدر	العجز	البحر	الشاعر	الصفحة
فلا لعمرو	من جسدِ	البسيط	النابغة	٣٦٨
واحكم	الثمد	البسيط	النابغة	٣٨٩
إني وإن	الهادي	البسيط	القطامي	٣٩١
إني اهتديت	والهادي	البسيط	النمر بن تولب	٣٩١
إنِ اهتديت	وأعقادِ	البسيط	الحطيئة	٣٩١
إلا أواري	الجلدِ	البسيط	النابغة	٤٦٢
قبيلة	من العددِ	البسيط	——	٦٤٧
يوماً	دون غدِ	البسيط	النابغة	٧١٢
يحجُّ	كالمغاريدِ	البسيط	——	٧٧٢
لحفظ	زادِ	الوافر	——	٤٥٥
ذكرتُ	وسادي	الوافر	السيد الحميري	٥٤٢
أريد	من مرادي	الوافر	عمرو بن معدي كرب	٥٨٩
فبادوا	عادِ	الوافر	——	٦٤٦
مصاعيبٌ	باقتعادِ	الوافر	——	٧٨٥
عقاراً	الجرادِ	الوافر	المتلمس	٨٧٣
ومنحتها	بتوددِ	الكامل	ابن أحمر	١٠٨
أعاذل	المفندِ	الكامل	عدي بن زيد	٣٨٧
خافا	بالمرصدِ	الكامل	زهير	٨٦٥
بالدرِّ	وزبرجدِ	الكامل	النابغة	٦٧٧
وحبت	المسجدِ	الكامل	ابن أحمر	٧٤٤
إن بني	من أسدِ	الرجز	——	١٩٢
أبو سليمان	أجردِ	الرجز	عاصم بن ثابت	٣٢٠
قدني	الملحدِ	الرجز	حميد الأرقط	٦٣٤
ومنهلٍ	والهجودِ	الرجز	الحطيئة	٧٥١
الباعثُ	بالجردِ	المنسرح	لبيد	٢٤٦

الصدر	العجز	البحر	الشاعر	الصفحة
		قافية «العين»		
ولما دنا	تقطعا	الطويل	المهلهل	٢٩٤
يماني	نازعا	الطويل	عدي بن زيد	٦٨٩
فلا تنكحي	بأنزعا	الطويل	ابن خشرم	٨٠٨
قد يترك	الصدعا	البسيط	الأعشى	٢٠٢
مهلاً بني	والضلعا	البسيط	الأعشى	٢٤٦
لا يسمع	والضوعا	البسيط	الأعشى	٢٩٤
حتى إذا	والشرعا	البسيط	الأعشى	٣٤٤
وأنكرتني	والصلعا	البسيط	الأعشى	٣٨٤
تقول بنتي	والوجعا	البسيط	الأعشى	٧٣٦
بيعت	ركعا	البسيط	——	٧٤٢
حتى إذا	المتعا	البسيط	الأعشى	٧٨١
إذاً لهلكتُ	ابتداعا	الوافر	القطامي	٤٧٧
من قهوةٍ	مصرّعا	الكامل	الأعشى	٨٧٤
لو أن	تبّعا	الرجز	رؤبة	٩١٠
إن تباً	بديعا	مجزوء الرمل	——	٤٧٧
الألمعي	سمعا	المنسرح	أوس بن حجر	٥٩٧، ٦١١
لكلِّ هَمٍّ	مَعَهْ	المنسرح	الأضبط بن قريع	٧٢٣
لا تهين	رَفَعَهْ	المنسرح	الأضبط بن قريع	٧٤٠
أتاك بقولٍ	ساطعُ	الطويل	النابغة	١١٣
زنيم	الأكارعُ	الطويل	حسان	١٣٩
أرى كل	ستقلعُ	الطويل	مسكين الدارمي	٣٣٤
إذا خنست	خاشعُ	الطويل	البعيث	٣٤٢
أبى اللّه	ضائعُ	الطويل	النابغة	٣٨٤
حلفت	طائع	الطويل	النابغة	٤١٦
على حين	وازعُ	الطويل	النابغة	٤٧١

قافية «الفاء»

الصدر	العجز	البحر	الشاعر	الصفحة

قافية «القاف»

قافية «الكاف»

الصدر	العجز	البحر	الشاعر	الصفحة
يا مكة	دعكا	الرجز	ــــ	٣٦١، ٧٧٦
إذا الشريب	بكه	الرجز	الأصمعي	٣٥٦، ٧٧٥
لئن حللت	فدكُ	البسيط	زهير	٤٠٥
فزل عنها	النسكُ	البسيط	زهير	٦٤١
بان الخليط	سلكوا	البسيط	زهير	٦٩٣
زعمتم	مشتركُ	البسيط	أوس	٦٩٣
كأن بين	مسكِ	الرجز	رؤبة	٨٠٠

قافية «اللام»

الصدر	العجز	البحر	الشاعر	الصفحة
فحيي	النعلْ	الطويل	ــــ	١٢١
وسماءُ	والمراجلْ	مجزوء الكامل	الطرماح	٣٣٣
وكأنما	الرواملْ	مجزوء الكامل	الطرماح	٧٩٥
لو كلمت	ونزلْ	الرجز	ابن أحمر	٦٢٧
ليت أشياخي	وقع الأسلْ	الرمل	ابن الزبعرى	١٢٢
نحن	إبراهيمْ	الرمل	عبد المطلب بن هاشم	٢١٠، ٦٣٧
وغلامٍ	ما سألْ	الرمل	لبيد	٢٧٩، ٥٨٤
فقلنا	فاعتدلْ	الرمل	ابن الزبعري	٥١٠
يتمارى	حي هلْ	الرمل	لبيد	٧٢٢
قال هجونا	غفلْ	الرمل	لبيد	٧٥٢
في قرومٍ	فابتهلْ	الرمل	لبيد	٧٥٤
جاوبَته	الهملْ	الرمل	الجعدي	٨١١
قلت له	قليلْ	السريع	الحطيئة	٨٢٨
ذريني	بأخيلا	الطويل	حسان	٣٠٣
فأشرط فيها	وتوكلا	الطويل	أوس بن حجر	٤٤٢
لنا سنة	ونائلا	الطويل	لبيد	٧٠٨
يرضن	عواطلا	الطويل	لبيد	٧٧٣

الصدر	العجز	البحر	الشاعر	الصفحة
فلما رأينا	كردما	الطويل	ـــــ	٧٣٤
فبات عذوباً	ضُيما	الطويل	الأعشى	٧٥٨
ترى عينها	المحرّما	الطويل	الأعشى	٧٨٥
لآب	جوازما	الطويل	امرؤ القيس	٨٥٩
إذا مات	والتمائما	الطويل	ـــــ	٩٠٥
وهوّن	حاتما	الطويل	الأصمعي	٩٢١
حياك ودٌ	قد عزما	البسيط	النابغة	٤٣١
خيلٌ	اللجما	البسيط	النابغة	٧٥٧
إني أتمم	الأدما	البسيط	النابغة	٨٨٣
هلا سألت	البرما	البسيط	النابغة	٨٨٥
فيبدرها	الزؤاما	الوافر	صخر الغي	٤١٠
كأنهما	رجاما	الوافر	صخر الغي	٨٢٢
تنادي	الكلاما	الوافر	صخر الغي	٨٥٨
وشريتُ	هامَةْ	مجزوء الكامل	يزيد بن المفرغ	٥١٨
الريح	الغمامَةْ	مجزوء الكامل	يزيد بن المفرغ	٦٧٩
تجاوبا	وشجعمَه	الرجز	أبو النجم	٣٥٨
لا هُمّ	أتما	الرجز	أبو خراش	١٧١
وما عليك	اللهم ما	الرجز	أبو خراش	١٧١
ربة محرابٍ	سلّما	السريع	امرؤ القيس	٧٥٦
يا لهف	أقما	المنسرح	ابن قميئة	٥٩٣
تبصرني	والسَّلمَهْ	المنسرح	ـــــ	٧٩٤
وقميرٌ	قوما	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	٣٤٥
وأبعض	أن تحكما	المتقارب	النمر بن تولب	٣٨٩
ولولا	المكارمُ	الطويل	حبيب بن أوس	١١٨
عفا غير	جثومُ	الطويل	ابن جؤية	٢٤٨، ٨٠٣
وما لمثابات	الدعائمُ	الطويل	القطامي	٢٧٧، ٣٢٦

الصدر	العجز	البحر	الشاعر	الصفحة
إذا قالت	النعيمُ	الوافر	غامان بن كعب	٣٥٧
عليّ أليّةٌ	مرامُ	الوافر	أوس بن حجر	٤٤٥، ٨١٩
وساحرةٍ	الأرومُ	الوافر	رؤبة	٩٠٤
فبتلك	صرومُ	الكامل	لبيد	٢٦٤
حمصانةٌ	عظمُ	الكامل	الحارث المخزومي	٥٥٤
أفكلما	يتوسمُ	الكامل	طريف لعنبري	٥٩٩
حرفٌ	محجومُ	الكامل	لبيد	٦٩٦
هن الحمامُ	حمامُ	الكامل	حبيب بن أوس	٩٢١
أنا الطرماح	الهزائمُ	الرجز	الطرماح	٨٠٢
يبدي	يترجمُهْ	الرجز	رؤبة	٨٥٠
بلدٌ تأمنُ	المظلومُ	الخفيف	ابن قيس الرقيات	٥٣٩
متى ألق	من ندمِ	الطويل	عمر بن الخطاب	١٢٦
لشتان	ابن حاتمِ	الطويل	ربيعة الرقي	١٣٥
فإن كنت	المتثلمِ	الطويل	ابن نضلة	١٧٦
درى	القوادمِ	الطويل	لبيد	٣١٠
دعوت	المذممِ	الطويل	الأعشى	٣٢٠
فقل داعياً	ومطعمي	الطويل	ـــــ	٣٥٨
ليهنكم	منعمِ	الطويل	ابن أحمر	٤١٣
أتته المنايا	عزمِ	الطويل	أبو خراش	٤٣١
جعلن	ومجرمِ	الطويل	زهير	٤٤٤، ٧٨٣
إذا مقرمٌ	مقرمِ	الطويل	أوس بن حجر	٤٨٣
رأت فتية	ونعيمِ	الطويل	قطري بن الفجاءة	٥١٩
تخبّرُ	عارمِ	الطويل	كثير عزة	٥٣٩، ٧٨٤
وخلقته	إمامِ	الطويل	الراعي	٥٩٢
وإن هز	وتحمِ	الطويل	أوس بن حجر	٦٢٥
أشارت	تتكلمِ	الطويل	عمر بن أبي ربيعة	٦٦٢

قافية «النون»

قافية «الهاء»

قافية «الواو»

قافية «الياء»

٤ ـ فهرس أشطار الأبيات

٥ ـ فهرس الأعلام

(ب)

(خ)

(غ)

٦ ـ فهرس البلدان والأماكن والمواضع

المحتويات

الجزء الأول

الجزء الثاني